



الجامعة الإسلامية - غزة
عمادة الدراسات العليا
كلية أصول الدين
قسم التفسير وعلوم القرآن

"النظريات العسكرية بين الإعداد والتخطيط" (دراسة قرآنية موضوعية)

إعداد الطالب

عبدالهادي سعيد الأغا

إشراف الدكتور

جمال الهوبي

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التفسير
وعلوم القرآن من كلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية بغزة

رمضان/1426هـ - أكتوبر/2005م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى:

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي
هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ
أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾

(الإسراء: 9).

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ
وَمِنْ مِرْيَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخِرِينَ مِنْ
دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
يُوفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾

(الأنفال: 60)

إهداء

أهدي بحثي هذا...

E إلى إمام فلسطين، وشيخ المجاهدين، ورمز الأحرار الصادقين ..
الإمام الشيخ أحمد ياسين.. الذي غرس فينا الأمل، وزرع الثقة،
وقاوم المحتل حتى قضى نحبه صادقاً صدوقاً.

E إلى القادة الميامين، والشهداء الراحلين، وعلى رأسهم القائد
الدكتور: عبدالعزيز الرنتيسي، والدكتور: إبراهيم المقادمة، والشيخ:
صلاح شحادة، والمهندس: إسماعيل أبو شنب، والجمالين منصور
وسليم، والمهندس: يحيى عياش، وإلى كل الشهداء المخلصين.

E إلى فلسطين، كل فلسطين، أرض الزيتون والتين، وإلى مسرى
النبي الأمين، وإلى الأسرى واللاجئين، وإلى الأبطال المجاهدين،
وإلى الذين هُدمت بيوتهم، وخربت مزارعهم، وشردّ أبناؤهم.

E إلى أخي الحبيب، وشقيقي الشهيد القسامي المجاهد/ ياسين، الذي
رافقني حياتي ثم قضى نحبه، وإلى جميع إخواني وأخواتي.

E إلى أعز من على الأرض، إلى من أعطيتني كل شيء، وما
أعطيتهم شيئاً، إلى اللذين بذلا وأعطيا، وصبرا واحتملا، إلى أبي
وأمي، اللذين أسأل الله لهما كل خير في الدنيا، وحسن الخاتمة في
النهاية، والجنة عند المأوى.

E إلى جميع إخواني العاملين في حقل الدعوة، والجهاد

E إلى زوجتي الغالية التي صبرت وصابرت، واحتملت معي عناء
التنقل والتشرد، وساندتني بالقول والعمل.

أمل ورجاء

يعلم الله أني ما اخترت هذا الموضوع إلا طلباً لرضا ربي، ونفع أمتي، وإنقاذ شعبي وأهلي، وإن كان من أمل فهو في وجه الله معقود، أن يتقبل مني هذا العمل، ويجعله له خالصاً، ولأمتي مُخلصاً، وأن ينفع به الإسلام والمسلمين، وأن يساهم في رفع الضيم عن المظلومين.

لذا فإني لم أدخر فيه جهداً أستطيعه، وقد بلغت هذا المستوى رغم تواضعه، متجاوزاً صعوبات جمّة، وهموماً ملمّة، لا أدعي فيه كمالاً، ولا في بحثه إتماماً، ولا في إخراجهِ إبداعاً، فهو جهد عبد ضعيف مقل، حاولت أن أسدد فيه وأقارب ... فحيثما أصبت فمن الله الكريم المنان، وحيثما أخطأت فمن نفسي والشيطان، وأرجو من ربي الصفح والغفران، سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله الرحيم الرحمن، الكريم المنان، الملك الديان، الذي خلق الإنسان، فعلمه البيان، وجعل كل شيء بحسبان، وأنزل على عبده القرآن، فقال وهو الرؤوف المنان: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ (فاطر الآية: 323223233232).

فيا فضل السابقين، ويا فوز المتقين، والصلاة والسلام على خاتم المرسلين، وإمام المجاهدين.. والرضا عن الصحابة والتابعين، وعلى من سار على دربهم إلى يوم الدين.. أما بعد.

إن الناظر إلى واقعنا الإسلامي اليوم، ينقطع قلبه ألماً، وتذرف عيناه بدلاً من الدموع دماً، ويوشك اليأس أن يستولي على مشاعره، وأن يسيطر على قلبه، وفي تلك اللحظات العصبية، تبرق أمام ناظريه البشائر القرآنية، والوعود الربانية، وعلى رأسها قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ (الشرح الآية: 5-6). وقوله كذلك: ﴿أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ (البقرة من الآية: 214).

إذا اشتملت على اليأس القلوبُ	وإذا اشتقت لما به الصدر الرحيبُ
وأوطأت المكاره واطمأنت	وأرست في أماكنها الخطوبُ
أتاك على قنوط منك غوث	يمن به اللطيف المستجيبُ
وكل الحادثات إذا تناهت	فموصول بها فرج قريب ⁽¹⁾ .

إن النصر اليوم قريب من المؤمنين، وإن خروج الاحتلال الصهيوني من غزة هو أول غيئه، وبداية وميضه، لكننا في حاجة إلى مزيد من الارتقاء في درجات الربانيين، والصعود في سلم السالكين، وإلى مزيد من التضحيات في سبيل الله رب العالمين، قال تعالى: ﴿إِن تَصْرُوا اللَّهَ

يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (محمد من الآية: 7).

وإن هذه الرسالة تأتي ضمن الثمن الذي يُقدم نصرةً لله من أجل استحقاق النصر من الله، ولنعلم أن النصر من عند الله، قال تعالى: ﴿إِن يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذَلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (آل عمران الآية: 160). وقال كذلك: ﴿بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾ (آل عمران الآية: 150).

فلنمض على بركة الله، ولنبدل السبب، ولنكن على يقين من تحقيق وعد الله، ﴿وَكَأَيُّ مَنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رَبُّهُنَّ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لَمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ ﴿وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلاَّ أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿فَاتَاهُمُ اللَّهُ تَوَابًا دُنْيَاً وَحَسَنَ تَوَابٍ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (آل عمران: 146-148).

وإن مسيرتنا الدعوية، ورحلتنا الجهادية من أجل تحقيق العزة والكرامة لا بد وأن ترتبط بالقرآن الكريم، وتستنير بنوره، وتسير وفق توجيهاته، فيكون هو الإمام المرشد، وبذلك نعود لمصدر عزتنا، ومكمن قوتنا، وسر نهضتنا.

(1) شعاع من المحراب للعودة، ج7، ص339.

لذا فقد رأيت أن أقوم بتأصيل النظريات العسكرية قرآنيًا، وعملت على دراسة نظريات عسكرية قرآنية غير معمول بها في بلادنا العربية والإسلامية، عسى أن تكون توطئة لمرحلة جديدة قادمة، تكون الغلبة فيها لدين الله، وتساهم ولو بشكل محدود في ترشيد جهاد أمتنا، وتوجيهه والارتقاء به نحو إقامة دولة الإسلام على هدي القرآن والسنة.

أولاً: أهمية الموضوع وبواعث الاختيار:

يمكن إيجاز أهمية الموضوع في النقاط التالية:

- 1- إن أول أهمية لهذا الموضوع وأعظمها أنه يتصل بأرفع العلوم وأشرفها، ويسعى إلى كشف شيء من الدرر الثمينة التي احتواها أعظم الكتب وأجلها على وجه البسيطة، ألا وهو كتاب الله الخالد .. فأني شرف أعظم من أن يشتغل المرء بالقرآن الكريم، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.
- 2- إن أكثر شيء تحتاجه أمتنا في وقتنا المعاصر إنما هو الجهاد القويم الخالص لوجه الله، الذي يتفق مع كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .. كي تسترد أمتنا من خلاله أرضها السليبية، وكرامتها الفقيده، وديارها الحبيبة.
- 3- قد أدركت طائفة كبيرة من أمتنا واجبتها في استرداد الفقيده، واستعادة السليبي، فنهضت تجاهد في سبيل الله، وتسعى بكل ما أوتيت من قوة لتحقيق ذلك، فكان لا بد من منارات تضيء لها الطريق، وتوصل لها المنهاج، فتصبح تعمل وتجاهد، وتدعو إلى الله على بصيرة، تربي أفرادها، وتصحح مسارها، وترتبط بكتاب ربها .. عندها تقل العثرات، وتتحقق بإذن الله الأمنيات.
- 4- إن معظم أولئك الذين كتبوا عن النظريات العسكرية انطلقوا من المفهوم الغربي، أو الشرقي لها، حتى إن المناهج التي تدرس في الكليات العسكرية العربية هي مناهج عسكرية غربية، لا تمت إلى ديننا بصلة .. بل إن هذه المناهج تصل إلينا بعد تحريفها، ودرس السم فيها، ثم يضاف إليها نزوات الضباط العرب القائمة على فكرة إذلال الجندي حتى ينصاع، ويكون تابعاً.
- 5- إن الكثير من الدلائل والقرائن تؤكد أننا مقدمون على مرحلة جديدة يكون فيها العلو للإسلام، والغلبة للمسلمين، وبالتالي فلا بد من الاستعداد للقادم .. وإن كان هذا التغيير سيجتاح العالم بأسره؛ فإن لفلسطين النصيب الأكبر منه، وسيطور فيها جهاد الدفع

سريعاً بإذن الله، لذا كان لا بد من توطئة تجعل من النمو السريع للدعوة الإسلامية وجهادها المبارك مردوداً إيجابياً بناءً، وتأخذ بيد الجهاد القائم نحو الرشاد.

6- إن كتاب الله تعالى مكنم العلوم، ومستودع المعارف، ولا بد من الارتباط به في كل مجالات الحياة، ليكون هو الموجه المرشد، لذا فإن الأمل في وجه الله معقود أن يفتح هذا البحث باباً جديداً، يرتبط فيه العسكريون والمجاهدون في خطتهم بكتاب الله، إذ إنه يحوى بين دفتيه دستوراً عسكرياً متيناً من جانب، ويحوى العقيدة العسكرية الصحيحة، والتربية الشخصية والنفسية السوية للقائد والجندي من جانب آخر.

7- إن الكثير من النظريات العسكرية الإسلامية المستفادة من القرآن الكريم، أو تاريخ المعارك الإسلامية؛ تُدرس في الأكاديميات الحربية في العالم الغربي، إذ إنه يتم عرضها في ثوب غربي يناسب مجتمعاتهم.

8- إن من أبرز ما دفعني لهذا البحث حبي العظيم لدين الله الحكيم، وأملني أن أرى رأيتيه تحقق في كل مكان، ثم الشعور بالانقصير تجاه الجهاد على أرضنا فلسطين، والرجاء بأن أقدم شيئاً ينفع على طريق التغيير والتحرير، ولو كان يسيراً، عسى أن أعذر به بين يدي الله عز وجل، فأنجو من عذاب السعير.

ثانياً: أهداف البحث.

يمكن تلخيص أهداف البحث في النقاط التالية:

- 1- الأمل في نيل مرضاة الله.
- 2- الاستفادة من النظريات العسكرية التي قدمها لنا القرآن الكريم، وإبرازها في تفسير موضوعي يجمع شملها، ويؤلف بين شتاتها، مع توظيفها في واقعنا الجهادي المعاصر.
- 3- التأصيل القرآني للنظريات العسكرية الصحيحة.
- 4- تقديم قواعد صحيحة في إعداد الجندي والقائد.
- 5- الارتقاء بجهاد شعبنا الفلسطيني، وأمتنا المسلمة نحو المثالية التي يريدها الإسلام.

- 6- الكشف عن بعض أوجه الإعجاز العسكري في القرآن الكريم.
 - 7- تقديم برنامج جهادي، يمثل للعاملين عوناً، وللمجاهدين سنداً، في التربية والإعداد، وفي التخطيط والتنفيذ، وكذلك غالبية القضايا ذات الصلة بموضوع الجهاد.
- فالهدف إجمالاً:** تقديم برنامج متكامل للنظام العسكري في الدولة المسلمة، وذلك فيما يتعلق بجانب الإعداد والتخطيط، وكل ذلك من وحي القرآن الكريم.

ثالثاً: طبيعة عملي في هذا البحث.

- يمكن توصيف طبيعة عملي أو منهجيتي في هذا البحث من خلال النقاط التالية:
- 1- استقراء وجمع الآيات القرآنية التي تتعلق بجانب الإعداد والتخطيط العسكري.
 - 2- استخراج النظريات العسكرية المنثورة في الكتب المتخصصة، بغض النظر عن انتماء هذه النظرية لأي عقيدة من العقائد العسكرية المختلفة.
 - 3- دراسة هذه النظريات، والبحث عما قيل فيها من انتقاد، أو تأكيد صحتها من خلال عرضها على المنهج القرآني.
 - 4- اختيار النظريات المرجح صحتها، ثم البحث في كتب العسكريين ذوي النظرة الإسلامية، وما قيل في هذه النظريات.
 - 5- التركيز في البحث على النظريات العسكرية التي لها أصل في كتاب الله تعالى.
 - 6- البحث عن ذلك في كتب التفسير، وما ذكره المفسرون في تفسير هذه الآيات، وكذلك باقي الكتب الإسلامية ذات الصلة، لإمكانية الاستفادة منها في توضيح معنى كامن في هذه الآية يقدم فكرة جديدة.
 - 7- البحث في القرآن الكريم عن آيات تضمنت نظريات عسكرية، أو إرشادات قتالية، لم يتم التطرق إليها من خلال النظريات العسكرية المختلفة، والبحث في تفسيرها، واستنباط ما فيها من توجيهات عسكرية، ووضعها في المكان المناسب.
 - 8- تقديم نماذج قرآنية حية، سواءً للجندي المسلم أو للقائد المسلم، أو في الخطط والبرامج، والعمل على استنباط الفوائد والإرشادات من هذه النماذج، وتسجيلها على شكل نظرية، وذلك من خلال تفسير هذه الآيات التي تضمنت النماذج بعد الرجوع إلى كتب التفسير، والسير والمغازي المختلفة.
 - 9- توثيق كل النقول، والأفكار، سواءً كانت من كتب التفسير، أو غيرها بشكل واضح دقيق.

10- توثيق جميع الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والآثار من مصادرها الأصلية والحكم عليها.

11 - التعريف بالمغمور من البلدان والأعلام الواردة في البحث.

رابعاً: الجهود السابقة ...

بعد البحث والسؤال لم أعثر على أي رسالة علمية، أو كتاب واحد، يتناول هذا الموضوع بشكل مباشر، إلا أنني وجدت بعض الكتب، قد تناولت جزءاً منه؛ مثل الحرب النفسية للدكتور أحمد نوفل الأستاذ المشارك بقسم التفسير بالجامعة الأردنية، وكذلك وجدت أن بعض العسكريين ذوي الحس الإسلامي؛ أمثال اللواء ركن محمود شيت خطاب قد كتب مجموعة من الكتب، حرص من خلالها على فكرة تأصيل بعض النظريات العسكرية من القرآن، أو السنة، أو السيرة والتاريخ الإسلامي، وكذلك قام بعمل دراسة شخصية لبعض قادة الفتح الإسلامي؛ حيث بدأ ذلك بكتابه الرسول القائد، ثم الفاروق القائد، وله كتب أخرى قيمة في هذا المجال.

ومن أولئك الذين بحثوا في هذا الجانب بشكل غير مباشر الكاتب بسام العسلي؛ حيث قام بقراءة تاريخ المعارك الحربية قراءة عسكرية، وقدمها بشكل دراسة عسكرية تاريخية، ومن أبرز كتبه "فن الحرب الإسلامي" يتكون من خمسة مجلدات، حوت جميع المعارك من عهد الصحابة رضوان الله عليهم، وحتى سقوط الخلافة العثمانية. بالإضافة إلى العديد من الكتب ذات الصلة.

ومن الجدير بالذكر أنني بحثت في شبكة المعلومات العالمية (الإنترنت)، ومواقع الجامعات عليها؛ فلم أجد أي رسالة علمية كتبت في ذات الإطار، وكذلك فقد طلبت من الأخوة العاملين في المكتبة العامة بالجامعة الإسلامية بغزة، وبعد البحث فقد أكد لي السيد محمد بدر الموظف في المكتبة، أنه لا يوجد أي رسالة علمية تتناول هذا الموضوع.

وكذلك فقد راسلت مركز الملك فيصل للبحوث -قسم خدمات المعلومات- عن طريق الفاكس والإنترنت والاتصال المباشر فأكد لي الدكتور/ صالح بن ناصر الخريجي أن الموضوع لم يُكتب فيه، ولم يبحث من قبل.

لذا فقد عزمت على الكتابة فيه، ليأتي في إطار جمع ما تناثر في الكتب المختلفة من نظريات عسكرية قد أكد عليها القرآن أو ذكرها، واستخراج ما ذكره المفسرون فيها، وتقديمها في شكل متناسق بإذن الله تعالى، بالإضافة إلى التأصيل لبعض النظريات العسكرية الأخرى.

وتحقيقاً لهذا الغرض جاءت الخطة مكونة من تمهيد وخمسة فصول.

خامساً: خطة البحث...

تمهيد

نبذة عن الجهاد في سبيل الله

- البند الأول: مفهوم الجهاد، وبيان علاقته بالنظرية العسكرية.
- البند الثاني: أنواع الجهاد، وممراته.
- البند الثالث: فضل الجهاد والمجاهدين.
- البند الرابع: حكم الجهاد.
- البند الخامس: غايات الجهاد في سبيل الله.
- البند السادس: ثمرات الجهاد في سبيل الله.
- البند السابع: مخاطرات ترك الجهاد في سبيل الله.
- البند الثامن: حاجة الأمة اليوم إلى الجهاد.
- البند التاسع: وسائل بناء الروح الجهادية.

الفصل الأول:

العقيدة العسكرية في القرآن الكريم

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول:

نبذة مختصرة حول العقيدة العسكرية الإسلامية

وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: تعريف العقيدة العسكرية الإسلامية، وبيان أهميتها.
- المطلب الثاني: مصادر العقيدة العسكرية الإسلامية، وخصائصها.

المبحث الثاني: العقيدة العسكرية للجندي المسلم

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: العقيدة العسكرية القرآنية، وأثرها في تعميق روح الجهاد.
المطلب الثاني: العقيدة العسكرية القرآنية، وأثرها في بناء شخصية الجندي.
المطلب الثالث: العقيدة العسكرية القرآنية، وأثرها في علاج ضعف الجندي.

المبحث الثالث:

العقيدة العسكرية في التعامل مع الأعداء.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: التعامل مع القتلى، والأسرى من الأعداء
المطلب الثاني: التعامل مع غير المقاتلين من الأعداء.
المطلب الثالث: التعامل مع المرافق المختلفة لمجتمع الأعداء.
المطلب الرابع: العهود والمواثيق مع الأعداء.

الفصل الثاني:

نظريات قرآنية في إعداد الجندي، والقائد

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول :

الإعداد الشخصي والنفسي للجندي المسلم

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: أهمية الإعداد.
المطلب الثاني: الإعداد الإيماني والروحاني.
المطلب الثالث: الإعداد السلوكي والأخلاقي.
المطلب الرابع: الإعداد الدعوي والحركي.
المطلب الخامس: الإعداد النفسي.

المبحث الثاني:
الإعداد العسكري للجندي المسلم

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الإعداد العسكري العام.
المطلب الثاني: الإعداد العسكري الخاص.

المبحث الثالث:
الإعداد الشخصي والنفسي للقائد

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: وفيات مع القائد والقيادة.
المطلب الثاني: صفات القائد، وخصائصه.

الفصل الثالث

الواجبات والحقوق بين الجندي والقيادة، في ضوء القرآن الكريم.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول:
واجبات الجند وحقوقهم.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: واجبات الجند.
المطلب الثاني: حقوق الجند.

المبحث الثاني:
واجبات القائد وحقوقه.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: واجبات القائد.
المطلب الثاني: حقوق القائد.

المبحث الثالث:

نموذج لقائد وجندي قدمهما لنا القرآن الكريم.

الفصل الرابع النظريات القرآنية في الخطط العسكرية وبرامجها

وفيه مبحثان:

المبحث الأول:

التخطيط الإداري، والمالي، وبرامج التسليح.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التخطيط الإداري.

المطلب الثاني: التخطيط المالي.

المطلب الثالث: برامج التسليح.

المبحث الثاني:

أصول الحرب كما يعرضها القرآن الكريم.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مبادئ الحرب العسكرية في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: الحرب النفسية والإعلامية في القرآن الكريم.

المطلب الثالث: مبادئ الحرب من خلال التوجيهات العسكرية في سورة العاديات.

الفصل الخامس:

دراسة عسكرية لمعارك سجلها القرآن الكريم

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول:

دراسة عسكرية لآيات غزوة أحد من سورة آل عمران.

المبحث الثاني:

دراسة عسكرية لآيات غزوة الخندق من سورة الأحزاب.

المبحث الثالث:
دراسة عسكرية لآيات غزوة تبوك من سورة التوبة.

شكر و عرفان

لا يسعني في نهاية رحلتي مع هذا البحث إلا أن أعترف لأهل الفضل بفضلمهم،
ولأهل الوفاء بشكرهم.

وأبدأ الشكر الجزيل إلى أستاذي الدكتور/ جمال الهوبي على ما بذله معي من
جهد، وصبر، حيث كان يقرأ رسالتي أولاً بأول ويوجهني التوجيهات السديدة المفيدة،
إضافة إلى تجشمه عناء السفر للقائي كي يعوض عجزني عن لقائه؛ بسبب الظروف
الأمنية، والحوازر الإحتلالية، فجزاه الله عني كل خير.

وأشكر كذلك الأستاذين الفاضلين، الدكتور/ عصام زهد، والدكتور/ زكريا
الزميلي لتفضلهما بقبول مناقشتي وتسجيل ملاحظاتهم السديدة فجزاهم الله كل خير.

ويمتد الشكر ليحط في باحه الأستاذ الحبيب، فضيلة الدكتور/ يونس الأسطل الذي
ساعدني كثيراً؛ بتوجيهاته النيرة وآرائه السديدة ونصائحه القيمة، فأجاد وأحسن وأفاد،
رغم ظروفه الصعبة، والتزاماته الكثيرة، ومشاغله المتعددة، فأسأل الله أن يحفظه للأمة
ذخراً، وللدعوة علماً، وللمتقين إماماً.

وأشكر كذلك أخي الحبيب، وصديقي العزيز، وزميلي الكريم، الأستاذ الفاضل/
زكريا معمر الذي رافقني خلال رحلتي، وزودني بالكثير من المجالات والمقالات،
والمراجع والكتيبات، وأخذ عني عبء الرسائل والمراسلات، وحمل هم بحثي وكأنه
بحثه أو يزيد، فأرجو ربي أن يجزل عطاءه، ويرفع شأنه، ويجعل الفردوس بعد الشهادة

داره.

وأشكر كذلك الأستاذ المهندس/ عبدالرحيم العبادلة الذي زودني بكثير من المراجع، وصبر على فراق كتبه أكثر من عام، وكذلك يبقى الشكر موصول لكل من أعارني كتاباً، أو زودني بفكرة، أو شجعني ولو بكلمة، فجزى الله الجميع كل خير. ولا أنسى أن أقدم شكري إلى جامعتي الإسلامية الغراء، وإلى عمادة الدراسات العليا، وإلى كل أساتذتي الذين تتلمذت على أيديهم، في الجامعة الإسلامية عموماً، وفي كلية أصول الدين خصوصاً؛ فإنهم لم يألوا جهداً، ولم يدخروا وقتاً في رعايتنا، وتعليمنا فأدامهم الله للإسلام ذخراً، وللخير عنواناً، وللجنة بإذن الله أهلاً.

تمهيد

نبذة عن الجهاد في سبيل الله

تمثل النظريات العسكرية أداة الجهاد، ومن هنا ناسب أن أمهد لها بالحديث عن الجهاد بشكل مقتضب، لذا يدور حديثي -بإذن الله تعالى- في هذا التمهيد عن مفهوم الجهاد، وأنواعه، وفضائله، وكذلك أتناول حكم الجهاد وثمراته، ومخاطر تركه، وأشير بعدها إلى مدى حاجتنا إليه، ووسائل بناء الروح الجهادية، وذلك في النقاط التسع التالية:

البند الأول: مفهوم الجهاد، وبيان علاقته بالنظرية العسكرية.

أتناول في هذا البند نقطتين أبحث في الأولى: تعريف الجهاد لغة واصطلاحاً، وأوضح ما يمكن أن يدخل ضمن دائرة الجهاد من العمل الدعوي، والاجتماعي، والنقابي، وغيره...، ثم أبين علاقة التعريف اللغوي بالاصطلاح.

أما الثانية: فأتناول فيها تعريف النظرية العسكرية، في اللغة والاصطلاح، وأوضح

علاقتها بفريضة الجهاد.

وفيما يلي بيان ذلك:

النقطة الأولى: تعريف الجهاد.

أولاً/ الجهاد لغة:

الجهاد لغة: هو محاربة الأعداء، والمبالغة واستفراغ الوسع في الحرب⁽¹⁾.

وبعد النظر في المعاجم اللغوية أُلْفِيَتْ الجهاد يأتي لمعان أهمها اثنان:

الأول: بذل الوسع والمجهود مطلقاً، والمبالغة في ذلك، سواء كان الجهد قولاً أو فعلاً.

الثاني: محاربة الأعداء؛ يقال: جاهد العدو مجاهدةً وجهاداً؛ إذا قاتله، وجاهد في سبيل الله،

ومنه حديث مسلم الذي يرويه ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "لا هجرة

بعد الفتح، ولكن جهاد ونية"⁽²⁾ أي أن الهجرة من مكة إلى المدينة قد انتهت بفتح مكة،

ودخولها في دار الإسلام، وبقيت الهجرة في الجهاد والزحف على الأعداء، وفي نية عمل

صالح يحتاج إلى هجر الأوطان؛ كالحج، والدعوة، وطلب العلم، ونحوها⁽³⁾.

(1) لسان العرب، للإمام العلامة ابن منظور، ج2، ص240، دار الحديث - القاهرة، ط1324هـ-2003م.

(2) صحيح: أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب (20) المبايعه بعد فتح مكة على الإسلام والجهاد والخير، ح1862، ص1001، دار ابن رجب، ط1، 1422هـ-2002م.

(3) لسان العرب، للإمام العلامة ابن منظور، ج2/240، دار الحديث القاهرة، ط1423هـ-2003م.

ثانياً/ الجهاد اصطلاحاً:

فيما يلي جملة من تعريفات بعض العلماء للجهاد:

- 1- "بذل الوسع والطاقة في قتال الكفار ومدافعهم بالنفس والمال واللسان" (1).
- 2- "بذل الوسع والطاقة بالقتال في سبيل الله تعالى بالنفس، والمال، واللسان، أو غير ذلك" (2).
- 3- " هو قتال مسلم كافراً غير ذي عهد لإعلاء كلمة الله تعالى." (3).
- 4- "بذل الوسع والطاقة، وتحمل المشقة في مدافعة العدو الذي يبتغي انحراف الإنسان عن طريق الله، والوقوف بينه وبين هدى الله" (4).

بعد إمعان النظر في التعريفات السابقة خرجت بثلاث نتائج مهمة:

* أُولَاهَا : الجهاد يتحقق ببذل الوسع والطاقة .

إن الجهاد يتحقق ببذل الوسع والطاقة في سبيل الله، وقد دل على ذلك التعريف الأول والثاني اللذان تضمننا الجهاد بالنفس، واللسان، والمال، والرأي، وتكثير السواد، وغيره... وعليه فمن كانت سعته في ماله جاهد به، ومن كانت في عَصَدِهِ استعمله، أو في وقته بذله، أو في عقله وعلمه شارك به، ومن كانت سعته في أكثر من وجه جاهد به، فالواجب على الجميع أن يعمل ويجاهد بما يستطيع، ولن يعدم أجر المجاهدين بإذن الله. يقول تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ .﴾ (الحج: من الآية 78). حيث إن المسلم لا يجاهد حق الجهاد إلا إذا استقرَّ طاقاته المختلفة لتكون في خدمة الإسلام ورفعته. * الثانية : العمل الدعوي والاجتماعي جهاد كبير .

وقد دل على ذلك التعريف الرابع ؛ لأن مدافعة العدو الذي يبتغي انحرافنا عن ديننا أعم من أن تنحصر في القتال، فالعمل الجهادي في زماننا إنما هو ثمرة للعمل الدعوي والاجتماعي والنقابي، فما كان للعمل الجهادي أن يصل إلى ما وصل إليه لولا الجهود الدعوية المبذولة مسبقاً، لذا نجد أن الحبيب المصطفى ﷺ أول ما بدأ به هو الدعوة إلى الله، وتكوين قاعدة اجتماعية عريضة تحتمل ما يبني عليها، لذا فقد كان النبي ﷺ مأموراً بكف اليد في بداية الدعوة، والإعراض عن الجاهلين .

(1) الفقه الإسلامي وأدلته، د. وهبة الزحيلي جـ8، ص5846، دار الفكر، دمشق، دار الفكر المعاصر بيروت.

(2) تعريف الجهاد عند الحنفية، حاشية ابن عابدين، جـ6، ص193.

(3) تعريف الجهاد عند المالكية، حاشية الخرشي، الإمام محمد بن عبد الله بن علي الخرشي المالكي، جـ4، ص3، دار الكتب

العلمية، ط1، 1417هـ-1997م.

(4) حقيقة الجهاد في الإسلام، د. محمد نعيم ياسين، ص33، دار الأرقم 1404هـ- 1984م.

وبناءً على ذلك، فإن العمل الدعوي، والاجتماعي، والنقابي، وغيرها من ألوان النشاط الإسلامي، يُعدُّ بإذن الله جهاداً في سبيل الله.

قال تعالى: ﴿فَلَا تَطْعَمِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدُهُمْ بِهِ جِهَاداً كَبِيراً﴾ (الفرقان:52) ففي هذه الآية قد عدَّ الله سبحانه الثبات على الدين، وممارسة الدعوة إليه، والجهر بالقرآن، ونشره، من جهاد الكافرين (1).

ويقول تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَؤُونَ مَوْطِئاً يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نَيْلاً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (التوبة: من الآية120).

يقول الشهيد سيد قطب رحمه الله: "إنه على الظمأ جزاء، وعلى النصب جزاء، وعلى الجوع جزاء، وعلى كل موطئ قدم يغيب الكفار جزاء، وعلى كل نيل من العدو جزاء، يُكتب به للمجاهد عمل صالح، ويُحسب به من المحسنين؛ الذين لا يضيع لهم الله أجراً، وإنه على النفقة الصغيرة والكبيرة أجر، وعلى الخطوات لقطع الوادي أجر... أجر كأحسن ما يعمل المجاهد في الحياة" (2).

فإذا كان الأجر يتحقق لكل أولئك؛ فمن باب أولى أن يتحقق للعاملين في ميادين العمل الإسلامي المختلفة.

* الثالثة: النية أصل في اعتبار الجهاد في سبيل الله :

وقد وردت الإشارة إلى ذلك في التعريف الثالث (لإعلاء كلمة الله)، فالجهاد المعتبر في سبيل الله هو ما يكون لرفعة كلمته تعالى، خالصاً له جل شأنه؛ فلا يقاتل المؤمن لمغنم، ولا لعصبة، ولا ليُرى مكانه، أو ليقال عنه: شجاع.

ويحظى بالأجر كذلك من عقد النية الصادقة لعمل صالح، ثم عجز عن إنفاذ نيته؛ لعلّة أصابته، أو لطارئ نزل به، أو لعدم القدرة المالية، أو غير ذلك.

ومن هنا فعلى المؤمن العامل لدين الله عقد نية الجهاد، والابتغاء بعمله ما عند الله؛ لينال الأجر، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال يوم غزوة تبوك: "لقد تركتم في المدينة أقواماً، ما سرتهم مسيراً، ولا أنفقتم من نفقة، ولا قطعتم من وادٍ؛ إلا وهم معكم فيه" قالوا يا رسول الله : وكيف يكونون معنا وهم بالمدينة؟ قال: "حبسهم العذر" (3).

(1) في ظلال القرآن ، سيد قطب ، ج5/ص2572 ، دار الشروق ، ط32 ، 1423هـ - 2003م.

(2) في ظلال القرآن ، مرجع سابق ، ج3 ص1734.

(3) صحيح : أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الجهاد والسير ، باب(35) من حبسه العذر عن الغزو، ح 2839 /ص470.

وهو بهذا يشير إلى قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الضَّعْفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾⁽¹⁾ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا اتَّوَكَّلْتَ لَتْخِمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أُحْمِلُهُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَاعْتَنِبْتُمْ نَفِيضٌ مِنَ الدَّمْعِ حَزْبًا لَّا يَجِدُوا مَا يَنْفِقُونَ﴾ (التوبة: 91-92).

قال القرطبي رحمه الله: "الظاهر من الحديث والآية المساواة في الأجر"⁽¹⁾، ومن ذلك حديث أبي مسعود الأنصاري عن النبي ﷺ قال: (من دل على خير فله مثل أجر فاعله)⁽²⁾، وقوله ﷺ من حديث أبي هريرة: (من توضع فأحسن وضوءه، ثم راح فوجد الناس قد صلوا؛ أعطاه الله عز وجل مثل أجر من صلاها وحضرها، لا ينقص ذلك من أجرهم شيئاً)⁽³⁾، وهو ظاهر قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مَهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾ (النساء: من الآية 100).

وهكذا فإن جميع النصوص السابقة تؤكد حصول الأجر بالنية الصالحة إذا عجز المرء عن تنفيذ ما نوى.
التعريف المختار:

وأرى أن أنسب تعريف للجihad هو: "استفراغ الوسع في مدافعة أعداء الإسلام، وقتالهم مباشرة، أو معاونة بمال، أو رأي، أو تكثير سواد، أو غير ذلك؛ لإعلاء كلمة الله، وفي سبيل الله".

وذلك لأن هذا التعريف يشمل جميع أنواع ومراتب الجهاد، ويتضح هذا المعنى من خلال الشرح للتعريف.
شرح التعريف:

* عبارة "استفراغ الوسع في مدافعة أعداء الإسلام": أقصد بها، بذل المسلم لكل ما يستطيع من أجل التمكين للإسلام، ولا يُكَلَّف المسلم أكثر من طاقته.

قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِبْرًا وَسُعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ (البقرة: من

الآية 286)

* عبارة "وقتلهم مباشرة، أو معاونة بمال، أو رأي، أو تكثير سواد": معناها أن من أبرز أشكال المدافعة لأعداء الإسلام المشاركة الفعلية في قتالهم، إذا كان الموقف يتطلب ذلك، ومن لم يتمكن من المشاركة الفعلية وشارك بمال، أو برأي، أو قدم عملاً رديفاً للجihad، أو معضداً

(1) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ج4، ص603، دار الحديث القاهرة 1423هـ-2002م.

(2) صحيح: أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب (38) فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب وغيره، ح1893/ص1015.

(3) صحيح: أخرجه أبو داود في سننه كتاب الصلاة، باب (52) فيمن خرج يريد الصلاة فسبق بها ح564، ج1/ص273.

له؛ كأن يحرض عليه، أو يذب عن أهله، أو يخلف المجاهدين بخير في ذويهم، أو حضر حتى يكثر سوادهم، أو سواد من ساندهم، فهو مجاهد بإذن الله تعالى.

* وأما عبارة "إِعلاء كلمة الله، وفي سبيل الله": فأقصد بها أن يكون الهدف من هذا الجهاد، وهذا الجهد، هو إعلاء كلمة الله، وتطبيق شرعته، والالتزام بأمره، والانتهاز بنهييه، ثم أَلَّا يُبتغى من وراء ذلك كله إلا مرضاة الله تعالى.

ثالثاً: العلاقة بين التعريف اللغوي والاصطلاحي:

بالنظر في التعريف اللغوي والاصطلاحي للجهاد أخلص إلى أن المجاهد يجاهد ببذل طاقته ومجهوده، وكل ما بوسعه؛ لمحاربة الأعداء؛ سواءً كان ذلك بالقتال المباشر لهم، أو من خلال معاونة بمال، أو رأي، أو تكتير سواد، أو غير ذلك.

النقطة الثانية: النظرية العسكرية وعلاقتها بفريضة الجهاد:

أولاً: النظرية لغة:

النظرية هي قضية تثبت ببرهان⁽¹⁾، وذلك يتحقق بعد طول الفكر، وإمعان النظر، فالنظر: الفكر في الشيء تُقَدَّرُه وتقيسه⁽²⁾.

ثانياً: العسكرية لغة:

بعد النظر في معاجم اللغة وجدت أن كلمة "عسكر" تعبر عن الكثير من كل شيء، فنقول **عسكر الهم**: إذا ركب بعضه بعضاً، و**عسكر الليل**: إذا تراكمت ظلمته، و**العسكر** يطلق على مجتمع الجيش، والموضع عساكر⁽³⁾.

ثالثاً: النظرية العسكرية اصطلاحاً:

بحثت في الكتب ذات الشأن فلم أجد تعريفاً للنظرية العسكرية، لذا أجتهد في وضع تعريف يوضح مقصدي في هذا المبحث:

هي النظم والقواعد التي تضبط سلوك العسكري وعمله، وتوجهه، وتحدد له الطرائق والأساليب، وذلك لتحقيق الأهداف والسياسات المرسومة له.

شرح التعريف:

* عبارة "النظم والقواعد":

أقصد بها مجموعة الأنظمة، والمفاهيم والقيم، المستفادة من العقيدة العسكرية للدولة التي تضع هذه الأنظمة، ففي الدولة المسلمة تأخذ هذه النظم والقواعد من تعاليم الإسلام وآدابه.

(1) المعجم الوسيط، مرجع سابق، ص972.

(2) لسان العرب، مرجع سابق، ج8، ص606.

(3) لسان العرب، مرجع سابق، ج6، ص252، ومختار الصحاح للرازي، ص239، المعجم الوسيط، مرجع سابق، ص630.

* عبارة "التي تضبط سلوك العسكري وعمله":

وأريد من هذه العبارة الإشارة إلى إعداد الجندي، سواء فيما يتعلق بالإعداد العام، فيما يتصل بالأخلاق، والآداب، والصفات، أو فيما يتعلق بالإعداد العسكري من التدريب على الأسلحة، أو التدريب الجسدي، أو التدريب على كفاءات المواجهة... الخ.

* عبارة "وتوجهه":

وهذه أريد بها بناء الجندي على العقيدة العسكرية التي تتفق مع الفلسفة العامة للمجتمع، ففي المجتمع المسلم نغرس في الجندي العقيدة العسكرية الإسلامية.

* عبارة "وتحدد له الطرائق والأساليب":

هذه العبارة تشير إلى الخطط العسكرية وبرامجها، التي توضع لتنفيذها على الأرض، إذ إنها تأتي ضمن المنظومة العسكرية العامة للمجتمع.

* عبارة " وذلك لتحقيق الأهداف والسياسات":

كل حرب لها هدف، وإن وضع استراتيجية الإعداد، وتحديد الطرائق، ورسم الخطط، إنما يكون لتحقيق هذه الأهداف، والتي يمكن تلخيصها في الدولة المسلمة، برد العدوان، أو نشر الدعوة إلى الله.

رابعاً: علاقة التعريف اللغوي بالاصطلاح:

بالنظر في التعريف اللغوي والاصطلاحى للنظرية العسكرية أخلص إلى أن القائد العسكري يعنى النظر، ويدقق الفكر لأجل تثبيت نظرية تخدم الجانب العسكري، وهذه النظرية تتبع من الفلسفة العامة للمجتمع، وتعمل على تحقيق أهدافه.

خامساً: علاقة النظرية العسكرية بفريضة الجهاد:

الجهاد هو الفريضة التي افترضها الله على عباده سواء، كانت عينية أو كفائية، أما النظرية العسكرية فهي الآلية والطريقة التي يتم من خلالها تحقيق الفريضة وتطبيقها على الأرض.

البند الثاني: أنواع الجهاد ومراتبه.

لقد أكثر العلماء من الحديث عن أنواع الجهاد، فمنهم من أجمل، ومنهم من فصل، ومنهم من نظر في تقسيمه للجهاد إلى معناه العام، ومنهم من نظر إلى معناه الخاص، وهنا أتناول تقسيماً للجهاد أرى أنه شامل، ويتناغم مع التعريف الذي اخترته للجهاد:

القسم الأول/ الجهاد المعنوي: القسم الثاني/ الجهاد المادي: (1)

حيث يشمل كل قسم منهما ألواناً كثيرة من الجهاد، أشير في هذا المقام إلى بعضها:

القسم الأول/ الجهاد المعنوي:

(1) الجهاد في سبيل الله : حقيقته وغايته، ج1/ص274.

وهنا يمكن لي أن أدرج جميع أنواع الجهاد التي يتضمنها المعنى العام لتعريفه، ويتسع لها كذلك المعنى اللغوي، والتي منها الأنواع الأربعة الآتية:

- 1- جهاد النفس.
- 2- جهاد الشيطان.
- 3- جهاد المنافقين.
- 4- جهاد الفرقة والتصدع.

وفيما يلي بيان ذلك:

1- جهاد النفس

إن جهاد النفس أساس لجهاد الأعداء، وحتى يتمكن المرء من عدوه الخارجي، لا بد من قهر عدوه الداخلي أولاً، ثم تكون مواجهة العدو الخارجي بكافة الإمكانيات. وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ: «المجاهد من جاهد نفسه لله»⁽¹⁾. والنفس تميل إلى الدعة والراحة والخلود إلى الأرض، وهي كذلك تأمر صاحبها بالسوء.

قال تعالى: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (يوسف: من الآية 53).

ويمكن أن أقسم جهاد النفس إلى أربع مراتب:

المرتبة الأولى: مجاهدة النفس لتعليم الهدى، ودين الحق؛ ويندرج تحت هذا القسم كل ما يتعلق بالجانب النظري في الإسلام.

المرتبة الثانية: مجاهدة النفس للعمل بالعلم؛ ويندرج تحت هذا القسم كل ما يتعلق بالجانب التطبيقي والعملي في الإسلام، سواء كان فريضة أو مندوباً.

المرتبة الثالثة: مجاهدة النفس من أجل الدعوة إلى ما اعتقد المرء وعلم، وإيصال الهدى إلى غيره من البشر.

المرتبة الرابعة: مجاهدة النفس للصبر على مشاق الدعوة إلى الله، وأذى الخلق، وهذه مرتبة راقية يمكن عندها القول بأن من بلغها قد تغلب على عدوه الداخلي⁽²⁾.

قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ مِزْقًا نَحْنُ نَزِقُوكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ (طه: 132) والاصطبار مرحلة متقدمة من الصبر، وهذا يعني أن الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، يحتاج إلى مزيد من الصبر.

وفي وصية لقمان لابنه قال تعالى ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (لقمان: 17)، حيث جاء النصح بالصبر بعد الوصية بالأمر

(1) حسن صحيح: أخرجه الترمذي في سننه، كتاب فضائل الجهاد، باب (2) ما جاء في فضل من مات مرابطاً، ح1612، ج3، ص565.

(2) زاد المعاد، م1، مرجع سابق، ج2/57.

بالمعروف والنهي عن المنكر .

وقال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴾ (الشمس:9) ومجاهدة النفس والبلوغ بها إلى هذه المراتب؛ هو من أجل صور التركيبة للنفس الإنسانية.
ومما يواجه الداعية، ويحتاج إلى صبر وجلد ومجاهدة؛ التقليد الأعمى للسابقين أو المنتصرين.

ففي تقليد السابقين: قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلِ نَتَّبِعُ مَا عَلَى آبَائِنَا آوَلُوا كَانُوا آبَاءَهُمْ لَا يَعْمَلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ (البقرة:170).

فقد نمت الآية هؤلاء الكفار الذين عطلوا عقولهم، واتبعوا ما وجدوا دون أن يكفوا أنفسهم عناء التفكير، أو البحث عن الحق (1).

وأما تقليد المنتصرين: فيكون من قبل الضعيف المهزوم لعدوه المنتصر، دون أي إعمال للعقل، كما هو الحال في زماننا؛ حيث انجرفت ثلثة كبيرة من شباب المسلمين إلى محاكاة الغرب في كل شيء، وهذا يحتاج من الدعاة الكثير من المجاهدة لإزالتها، وإفناع هؤلاء بعظمة حضارتهم الإسلامية.
2- جهاد الشيطان:

إن الشيطان هو العدو المتربص بنا صباح مساء، لا يفتر عن الكيد والمكر بنا، ومراغمته مهمة للبقاء على الخير، وهو أساس كل شر وخطيئة، وقد قال تعالى في جهاده: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ (فاطر:6).

يقول ابن القيم معلقاً على هذه الآية: "الأمر باتخاذ الشيطان عدواً تنبيه على استفراغ الوسع في محاربتة ومجاهدته، كأنه عدو لا يفتر" (2).

وقال تعالى: ﴿ نَالَلَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَّا لَهُمُ الشَّيْطَانَ أَعْمَاهُ فهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (النحل:63).

فالشيطان هو صاحب النصيب الأكبر في غواية الإنسان، والذين كذبوا الرسل؛ إنما كان لتزيين الشيطان لهم ذلك؛ وسيتركون يوم القيامة لولايتته؛ حيث لا يملك لهم خلاصاً، ولهم العقوبة والنكال.

ويمكن أن أقسم جهاد الشيطان إلى مرتبتين:

(1) تفسير الطبري، مرجع سابق، ج1/ 461.

(2) زاد المعاد، م1، مرجع سابق، ج2/ 55.

المرتبة الأولى: مجاهدة الشيطان لدفع ما يلقي من الشكوك والشبهات في قلب الإنسان، وهذا يواجه باليقين.

المرتبة الثانية: مجاهدة الشيطان لدفع ما يلقي من الإرادات الفاسدة، وهذه يواجه بالصبر.

قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يُهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ (السجدة:24)، فقد بينت الآية الكريمة أن الإمامة في الدين، تتحقق للإنسان بعد امتلاكه اليقين الذي يدفع به ما يلقي الشيطان من شكوك، ثم بامتلاكه الصبر الذي يتغلب به على ما يلقي الشيطان من إرادات وشهوات فاسدة (1).

3- جهاد المنافقين (2) :

إن جهاد المنافقين أصعب من جهاد الكافرين وقتالهم؛ فهو يكون بتبليغ الحجة، وبيان الحق، ولا يقوى على هذا النوع من الجهاد إلا خواص الأمة وعلماؤها، وورثة الأنبياء فيها؛ إذ إن الأمر به قد جاء مباشرة للنبي صلى الله عليه وسلم، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفْرَانَ وَالْمُنَافِقِينَ وَعَظِّمْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبئس المصير﴾ (التوبة:73).

قال ابن عباس في تفسيره لهذه الآية: " أمر بالجهاد مع الكفار بالسيف، ومع المنافقين باللسان، وشدة الزجر والتغليظ" (3).

وعليه فجهاد المنافقين يكون بالدعوة والبيان، والقلب واللسان، فإن تبادوا في غيهم، وانتهكوا حرمت ربهم، فلا ترأف بهم، واغظ عليهم، ثم في الآخرة لهم عذاب جهنم، وبئس المصير.

4- جهاد الفرقة والتصدع (4):

إن من أعظم عوامل النصر، ومثبتات التمكين؛ وحدة الصف، والسلامة من الصدع، واجتناب الخلاف المفضي إلى الفرقة.

ومن هنا فإن الحفاظ على وحدة المسلمين، وحماية صفهم، من أهم الواجبات المفروضة، والسعي في حصول ذلك من الجهاد بإذن الله، وأي مشاركة في تمزيق الأمة هي من عظام المعاصي.

(1) زاد المعاد، مرجع سابق، م1، جـ 2/ 57.

(2) الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، جـ 4/ 530.

(3) الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، جـ 4/ 530.

(4) الجهاد في سبيل الله، مرجع سابق، جـ 1/ 407.

وقد رتبَّ الله تعالى الهزيمة والفشل على الفرقة والاختلاف، فقال جل شأنه: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَتَمَرَّعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (الأنفال: 46) وكذلك فقد أمرنا الله تعالى بأن نقضي على كل الأسباب التي من شأنها أن تمزق الأمة فقال جل وعلا: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَت إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (الحجرات: 9)، فقد أمر الله تعالى المؤمنين بالتدخل للإصلاح المباشر بعد وقوع الخلاف أو الاقتتال؛ حتى لا يستشري، أو تدب الفرقة بسببه بين المسلمين (1).

القسم الثاني/ الجهاد المادي:

يندرج تحت هذا القسم جميع أنواع الجهاد التي يباشر فيها المسلم القتال، أو يساند فيها بمال، أو رأي، أو نحو ذلك.
وعليه فمن أنواع الجهاد المادي (2):

- 1- إعداد المجاهدين
 - 2- الجهاد بالأنفس والأموال.
 - 3- إنشاء المصانع الجهادية، وتوفير الأسلحة.
- وسياتي تفصيل ذلك في الفصول القادمة إن شاء الله تعالى.

البند الثالث: فضل الجهاد والمجاهدين

إن الحديث عن فضل الجهاد والمجاهدين حديث عذب رقيق، ولعل عظمة فضله هي التي هيَّجت الرغبة في نفس حبيبنا محمد ﷺ أن لا يقعد خلاف سرية تغزو في سبيل الله، فقد ودَّ أن يغزو فيقتل، ثم يغزو فيقتل، ثم يغزو فيقتل، وقد تربح الجهاد على ذروة سنام الإسلام، وذهب المجاهدون بإكرام الله لهم في الدنيا والآخرة؛ قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (العنكبوت: 69).

فقد دلت الآية الكريمة على هداية الله للمجاهدين في سبيله في الدنيا، وتكفل ربنا كذلك بهداية من يستشهد منهم إلى جنته؛ فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ سيدهم ويصلح بهم ﷻ ويُدخلهم الجنة عرفها لهم ﷻ (محمد: من الآية 4-6)

(1) الجامع لأحكام القرآن، ج 584/8.

(2) الجهاد في سبيل الله، مرجع سابق، ج 1/ 438.

وهنا أقطف بعض الأزهار من بستان الجهاد الوارف الظلال ، اليانع الثمار، التي تشهد بمناقب المجاهدين، وأجرهم عند ربهم، وقد جعلته في ستة نقاط:

النقطة الأولى/ الجهاد من أفضل الأعمال:

دلّت العديد من النصوص على أن الجهاد من أفضل الأعمال، وقد اكتفيت منها بآيتين وحديثين اختصاراً.

1- قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ۖ دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (النساء: 95-96).

قد تفوق المجاهد على غيره من المسلمين القاعدين غير أولي الضرر، وفضّله الله، ووعده أجراً عظيماً بنص الآية السابقة.

2- قال تعالى: ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَمُتْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (النساء: 74).

وفي هذه الآية يؤكد الله تعالى أيضاً عظيم أجر المجاهد الخارج في سبيل الله، لا يبتغي بجهاده إلا ما عند الله.

3- وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة ؓ قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: دلني على عمل يعدل الجهاد، قال: " لا أجد" فقال: " هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجداً، فتقوم ولا تفتر، وتصوم ولا تفطر" قال ومن يستطيع ذلك؟⁽¹⁾.

فما يمكن أن يحصله المجاهد في ليلة، قد يعجز غيره عن تحصيله في عام أو يزيد، وكما أن الجهاد قد تربح على ذروة سنام الإسلام، فكذلك المجاهد قد ذهب بأفضل الأجور، وأعلى الدرجات.

4- عن أنس بن مالك ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: " لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها"⁽²⁾.

هكذا تختزل الدنيا وما فيها في مرتبة لا تساوي غدوة أو روحة في سبيل الله.

النقطة الثانية/ أفضل الناس مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله:

وهنا أكتفي كذلك بآية وحديثين، إذ ليس من هدف البحث استقصاء النصوص.

(1) صحيح: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب (1) فضل الجهاد والسير، ح2785/ص461.

(2) صحيح: أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب(30) فضل الغدوة والروحة في سبيل الله، ح1880، ص1010.

1- قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْبَرُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ ﴿يَشْرَهُمْ مِنْهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ﴾ ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (التوبة: 20-22).

قد بينت الآية الكريمة أن المهاجر في سبيل الله، والمجاهد بماله ونفسه ابتغاء ما عند الله، سيذهب بأعظم درجة، وينال أرفع مكانة.

2- عن أبي سعيد الخدري ؓ قال: قيل يا رسول الله، أي الناس أفضل؟ فقال رسول الله ﷺ " مؤمن يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله" قالوا: ثم من؟ قال: " مؤمن في شعب من الشعوب يتقي الله ويدع الناس من شره" (1).

قد بين هذا الحديث بنصه أن أفضل المؤمنين من جاهد بنفسه وماله في سبيل الله.

3- وعن أبي هريرة ؓ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "مثل المجاهد في سبيل الله -والله أعلم من يجاهد في سبيله- كمثل الصائم القائم، وتوكل الله للمجاهد في سبيله بأن يتوفاه (2)؛ أن يدخله الجنة، أو يرجعه سالماً مع أجر وغنيمة" (3).

ومن يستطيع أن يصوم فلا يفطر، ويقوم فلا يقتر؟!، إذا فهو باب من أعظم الأبواب، ويكفي لصاحبه ضمانه الله له بأن يوفيه حقه كاملاً؛ إن في الحياة، أو في الممات.

النقطة الثالثة/ فضل الرباط في سبيل الله.

أكتفي هنا بآية وحديثين سيراً على منهج الإيجاز:

1- قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران: 200).

أمرت الآية الكريمة المؤمنين بالصبر والمصابرة والرباطة في سبيل الله، دون أن تشير إلى فضل المرابطة أو المرابط، لكننا نجد هذا التفصيل في السنة النبوية، وأكتفي لبيان ذلك بحديثين:

2- عن سهل بن سعد الساعدي ؓ أن رسول الله ﷺ قال: " رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها، وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها، والروحة يروحها العبد في سبيل الله، أو الغدوة، خير من الدنيا وما عليها" (4).

(1) صحيح: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب (2) أفضل الناس مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله، ح/2786 / ص 461.

(2) يتوفاه: أي يمنحه حقه وافياً.

(3) صحيح: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب (2) أفضل الناس مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله، ح/ 2787 / ص 462.

(4) صحيح: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب (73) فضل رباط يوم في سبيل الله، ح/ 2892 / ص 478.

فأجر مرابطة يوم في سبيل الله يرجح في ميزان الله العادل بالدنيا وما فيها، فهنيئاً للمرابطين.

3 - وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة⁽¹⁾، إن أعطى رضي، وإن لم يُعطِ سخط، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش⁽²⁾، طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله، أشعث رأسه، مغبرة قدماه، إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقاة كان في الساقاة، وإن استأذن لم يؤذن، وإن شفع لم يُشفع"⁽³⁾.

قد مثّل الشطر الثاني من الحديث صورة ناصعة، ومشهداً رائعاً، لعبد أشعث أغبر، باع نفسه ابتغاء مرضاة الله، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ مُرْوِفٌ بِالْعِبَادِ﴾ (البقرة: 207)، لا يرجو من عمله شيئاً من أغراض الدنيا ومتعها، ولا يبالي بشيء وهو خارج في سبيل الله، فإن جُعل في الساقاة-أي المشاة الذين يقاتلون واقفين على سيقانهم- رضي بذلك وسراً، وإن جُعل في الحراسة تمسك بها لعظيم أجرها، كل ذلك وهو يستعذب التعب ولا يبتغي جزاءً من أحد، قضيته العمل، ولا يعنيه الموقع، وذلك على عكس الصنف الأول تماماً، فاستحق بذلك شجرة طوبى في الجنة، نسأل الله أن يجعلنا جميعاً ممن يتقياً ظلالها الوارف في الجنة.

النقطة الرابعة/ تمييز الغزاة.. من الجهاد:

قد رأيت من الضروري التنبيه على أن هناك إخواناً لنا ينالون فضل المجاهدين، ولو لم يباشروا قتالاً حقيقياً، كما يتجلى ذلك في الحديث الذي أخرجه البخاري عن زيد بن خالد رضي الله عنه: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من جهز غازياً في سبيل الله فقد غزا، ومن خلف غازياً في سبيل الله بخير فقد غزا"⁽⁴⁾.

فقد اعتبر الحديث النبوي الشريف تجهيز الغزاة والقيام على أهلهم وهم في الغزو، أو بعد موتهم غزواً في سبيل الله، وللمجهز أو الخالف مثل أجر الغازي، لا ينقص ذلك من أجره شيئاً.

(1) الخميصة: الكساء المربع، (فتح الباري، 11/259).

(2) وإذا شيك فلا انتقش: أي إذا أصابته الشوكة لا يجد من يخرجها منه بالمناقش (فتح الباري، ج6/97).

(3) صحيح: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب (70) الحراسة في الغزو في سبيل الله، ح 2887/ص 477.

(4) صحيح: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب (38) فضل من جهز غازياً، أو خلفه في بخير، ح 2843،

ص 471.

قال ابن حبان: "معناه أنه ماثله في الأجر، وإن لم يغزُ حقيقة"⁽¹⁾، وقد أخرج ابن حبان الحديث ذاته من وجه آخر عن بسر بن سعيد بلفظ "كتب له مثل أجره، غير أنه لا ينقص من أجره شيئاً"⁽²⁾.

وأرى أن في اختيار النبي ﷺ للفظ (فقد غزا)، ولم يقل فقد جاهد، إشارة واضحة إلى تمييز هذا عن غيره ممن كُتِبَ لهم الجهاد بالنية؛ كالضعفاء والمرضى، وغيرهم، وذلك بأنه مارس شيئاً من المشقة بتجهيزه للغازي، أو رعايته لأهله، وبالتالي يتميّز بالأجر، فهو المضحى بماله.

النقطة الخامسة/ من قُتل في سبيل الله كُفرت خطاياهُ إلا ديون العباد.

أخرج مسلم عن عبد الله بن أبي قتادة عن أبيه، أنه سمعه يحدث، عن رسول الله ﷺ أنه قام فذكر لهم " أن الجهاد في سبيل الله، والإيمان بالله، أفضل الأعمال"، فقام رجل فقال: يا رسول الله! أرأيت إن قُتِلْتُ في سبيل الله تكفُرُ عني خطاياي؟ فقال له رسول الله ﷺ " نعم، إن قُتِلْتُ في سبيل الله وأنت صابر محتسب، مقبل غير مدبر"، ثم قال رسول الله ﷺ " كيف قُتِلْتُ؟" قال: أرأيت إن قُتِلْتُ في سبيل الله أتكفر عني خطاياي؟ فقال رسول الله ﷺ: " نعم، وأنت صابر محتسب، مقبل غير مدبر، إلا الدين، فإن جبريل عليه السلام قال لي ذلك"⁽³⁾.
قد تضمن الحديث وعداً صريحاً للمجاهد الخارج في سبيل الله، إن قُتِلَ صابراً محتسباً، مقبلاً غير مدبر، أن يكفر الله عنه خطاياهُ، إلا ديون العباد.

النقطة السادسة/ الجنة جزاء المجاهدين الصادقين .

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعُودًا عَلَيْهِمْ حَقًّا فِي التَّوَمَّةِ وَالْأَنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (التوبة: 111).

فقد تضمنت الآية صفقة مضمونة لا خسارة فيها، والفوز كله لمن تعجل وقدم الثمن، فباع نفسه ودراهمه القليلة، وجالد العدو، ليحظى بالصفقة، ومن أوفى بعهده من الله.

وقد جاءت أحاديث كثيرة كلها تؤكد هذا المعنى، أذكر منها حديثين:

1- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: " يا أبا سعيد، من رضي بالله ربا،

(1) فتح الباري، ج6، ص59.

(2) فتح الباري، مرجع سابق، ج6، ص59.

(3) صحيح: أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب (32) من قتل في سبيل الله كُفرت خطاياهُ إلا الدين، ح1885، ص1011.

وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً، وجبت له الجنة" فعجب لها أبو سعيد، فقال أعدها عليّ يا رسول الله! ففعل، ثم قال: وأخرى يُرفع بها العبد مائة درجة في الجنة، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض" قال: وما هي يا رسول الله؟! قال: "الجهاد في سبيل الله، الجهاد في سبيل الله" (1)
 2- وأخرج مسلم عن عمرو أنه سمع جابراً يقول: قال رجل: أين أنا يا رسول الله إن قُتلت؟ قال: "في الجنة"، فألقى تمراتٍ كُنَّ في يده، ثم قاتل حتى قتل. (2).
 مما سبق يتبين بصريح النصوص أن الجنة ثمن لجهاد المجاهدين، وأجر لرباط المرابطين.

البند الرابع: حكم الجهاد

يختلف الحكم الشرعي للجهاد في سبيل الله حسب الأحوال التي يكون فيها الجهاد، فهو في حالة النفير العام يختلف عنه إذا لم يكن عاماً، وحكمه إن كان للطلب يختلف عنه إن كان للدفع، وهذا ما أفصله بفضل الله وعونه في النقاط الثلاث التالية:

النقطة الأولى: حكم الجهاد إذا لم يكن النفير عاماً:

إذا كان الدفع الواجب، أو الزحف المطلوب، يسد فيه بعض إخواننا المؤمنين فالجهاد يكون فرض كفاية؛ ومعناه أنه يفترض على كل من هو أهل للجهاد، لكن إذا قام به البعض سقط الإثم عن الباقين، وقد شهد بذلك النقل والعقل، وهذه طائفة منها:

1- قال الله عز وجل: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (النساء: من الآية 95).

لما نفت الآية الاستواء بين القاعدين والمجاهدين، ثم جعلت المجاهدين أعلى من القاعدين بعذر درجة واحدة، ورفعتهم فوق القاعدين بغير عذر درجات كثيرة، دل هذا أن القعود في جهاد الطلب غير محرم؛ لأن القاعدين قد تحصلوا على درجات في الجنة وإن كانت دون درجات المجاهدين بكثير .

2- وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرْنَا مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لَيَنْتَفِعُوا فِي الدِّينِ وَيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (التوبة: الآية 122).

(1) صحيح: أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب (31) بيان ما أعده الله تعالى للمجاهد في الجنة من الدرجات، ح1884، ص1011.

(2) صحيح: أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب (41) ثبوت الجنة للشهيد، ح1899، ص1018.

ألزمت الآية المؤمنين بأن لا ينفروا جميعاً، وأن يندبوا من كل فرقة جماعة أو طائفة للنفير، وتبقى طائفة؛ كي يتفقهوا في الدين، ويوفروا متطلباتهم الحياتية؛ إذ لو نفر الكل لضع من وراءهم، ومن هنا يتضح أن جهاد الطلب، ونشر الدعوة، لو كان واجباً عينياً لما جاز لهذه الطائفة أن تتأخر عن الغزو⁽¹⁾.

3- ومما يشهد بذلك من المعقول أن المقصود من الجهاد هو الدعوة إلى الإسلام، وإعلاء الدين الحق، ودفع شر الكفرة، وقهرهم، وهذا يحصل بقيام بعضنا به، فإذا قاموا به سقط الجناح عن الباقيين⁽²⁾.

* أقل فرض الكفاية:

رأيت من المناسب أن أقل كيفية تحقيق فرض الكفاية في نصابه الأدنى عند توفر القوة الزاحفة عندنا.

وأقل فرض الكفاية هو سد الثغور بالمؤمنين؛ لإرهاب أعداء الله، وإرسال جيش في السنة على الأقل، فعلى الإمام أن يبعث سرية إلى دار الحرب كل سنة مرة أو مرتين، وعلى الرعية إعانته؛ فإن لم يبعث كان الإثم عليه⁽³⁾.

يقول د. وهبة الزحيلي: "وأقل الجهاد عند توفر القوة مرة في السنة كإحياء الكعبة لقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ يَرْوَنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾ (التوبة: من الآية 126)"⁽⁴⁾.

ووجه الدلالة في هذه الآية أن المنافقين كانوا يُفْتَنُونَ ويُمْتَحَنُونَ على عهد صلي الله عليه وسلم في كل عام مرة أو مرتين؛ من خلال البعوث والسرايا التي كان يرسلها النبي صلي الله عليه وسلم، ومنه ندرك أن أقل الجهاد خروج سرية في السنة الواحدة، لتبقى هذه الفريضة حية، مشابهة في ذلك الكعبة في إحيائها بالحج مرة كل عام.

النقطة الثانية: حكم الجهاد إن كان النفير عاماً:

إذا هاجم العدو بلداً إسلامياً، فإن الجهاد يتعين على كل قادر من المسلمين؛ لقوله تعالى: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (التوبة: 41).

(1) الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، جـ 4/ص 604.

(2) الفقه الإسلامي وأدلته، د. وهبة الزحيلي جـ 8، ص 5848، دار الفكر، دمشق، ط 4/1418هـ - 1997 م.

(3) حاشية ابن عابدين، (رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار) لمحمد أمين (ابن عابدين)، جـ 6، ص 200، دار

الكتب العلمية، ط 1، 1415هـ - 1994م

(4) الفقه الإسلامي وأدلته، مرجع سابق، جـ 8/ص 5849.

لم تُبق هذه الآية عذراً لأحد، حيث استنفرت الكبير والصغير، الكهل والشاب، الفقير والغني، المتزوج والأعزب، على أي حالة كانوا؛ في منشط أو مكره، في عسر أو يسر⁽¹⁾.
ويسمى هذا النوع من الجهاد جهاد الدفع؛ لأنه يقوم على دفع الكفار عن بلاد الإسلام.

النقطة الثالثة: الحالات التي يتعين فيها الجهاد، سواء كان طلباً أم دفعاً:

يصبح الجهاد فرض عين في ثلاث حالات، بعضها للدفع، وبعضها للطلب؛ كما يلي:

* الحالة الأولى: إذا التقى الزحفان، وتقابل الصفان.

دليل ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأنفال: من

الآية 45). إن الثبات هنا واجب سواء كان ذلك في جهاد الدفع، أو جهاد الطلب⁽²⁾، ويعزز ذلك

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ﴾ (الأنفال: 15).

* الحالة الثانية: إذا هاجم العدو بلداً مسلماً .

يقول الدكتور الشهيد عبد الله عزام في هذه الحالة: "اتفق السلف، والخلف، وفقهاء المذاهب

الأربعة، والمحدثون، والمفسرون في جميع العصور الإسلامية إطلاقاً؛ أن الجهاد في هذه

الحالة يصبح فرض عين على أهل هذه البلدة التي هاجمها الكفار، وعلى مَنْ قَرِبَ مِنْهُمْ؛

بحيث يخرج الولد دون إذن والده، والزوجة دون إذن زوجها، والمدين دون إذن دائته، فإن لم

يَكْفِ أَهْلُ تِلْكَ الْبَلَدَةِ، أَوْ قَصْرُوا، أَوْ تَكَاسَلُوا، أَوْ قَعَدُوا، يَتَّوَسَعُ فَرَضُ الْعَيْنِ عَلَى شَكْلِ دَوَائِرِ،

الْأَقْرَبِ بِالْأَقْرَبِ، فَإِنْ لَمْ يَكْفُوا، أَوْ قَصَرُوا، فَعَلَى مَنْ يَلِيهِمْ ثُمَّ مَنْ يَلِيهِمْ؛ حَتَّى يِعْمَ فَرَضُ الْعَيْنِ

الْأَرْضَ كُلَّهَا"⁽³⁾، وهذا من جهاد الدفع .

* الحالة الثالثة: إذا استنفر الإمام قوماً لزمهم النفير معه⁽⁴⁾.

وقد شهد بذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْتِكُمْ إِلَى

الْأَرْضِ أَرْضِيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا

وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ (التوبة: 38-39).

اتفق المفسرون على أن هذه الآية نزلت معاتبه للذين تخلفوا عن غزوة تبوك، منكرة عليهم

صنيعهم، ومعلوم أن النبي ﷺ قد استنفر أهل المدينة للخروج في مواجهة الروم، وكان يلزم

من رغب في التخلف الحصول على إذن مسبق من النبي ﷺ، على الرغم من كون غزوة

(1) مختصر تفسير ابن كثير، ج2، ص144.

(2) الفقه الإسلامي وأدلته، مرجع سابق، ج8، ص 5850.

(3) الدفاع عن أراضي المسلمين، ص 30. وذكر معناه الإمام محمد بن عبدالله الخراساني في حاشيته، ج4، ص10

(4) الفقه الإسلامي وأدلته، مرجع سابق، ج8/ ص5850.

تبوك من جهاد الطلب لا الدفع⁽¹⁾.

وإن قصة الثلاثة الذين خلفوا، والموقف الذي اتخذته النبي ﷺ منهم، وتوقفه في أمرهم حتى ينزل الوحي، كل ذلك يؤكد وجوب النفير عليهم لاستنفار النبي ﷺ لهم. ويعزز هذا حديث مسلم الذي يرويه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا»⁽²⁾

البند الخامس: غايات الجهاد في سبيل الله:

إن للجهاد في سبيل الله مقاصد كثيرة، أستطيع أن أوجز أهمها في العشر التالية:

1- كسب رضوان الله تبارك وتعالى، والفوز بمغفرته⁽³⁾:

إن الجهاد في سبيل الله طريق لنيل الدرجة الكبرى، والسعادة العظمى في الدار الآخرة؛ قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ (البقرة: 207) إن أفضل سوق لبيع النفس هو ميدان المعركة، حيث الجلاء والضراب، كما يدخل في الآية كل من باع نفسه في طاعة الله عز وجل حتى قتل فيها .

والجهاد كذلك طريق تكفير الذنوب، والمغفرة؛ قال تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنْكُمْ مِّمَّنْ ذَكَرَ وَأَتَىٰ بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنٌ الثَّوَابِ﴾ (آل عمران: 195).

وقال تعالى: ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (الصف: 11).

فقد كافأ الله المجاهدين المقاتلين في الآيتين بتكفير السيئات ومغفرتها، وهذا هو التطهر المشروط لدخول الجنة؛ إذ التخلية قبل التحلية كما يقال.

2- تبليغ دعوة الإسلام:

إن هذا التبليغ هو رسالة المسلمين ، التي من أجلها استخلفهم الله تبارك وتعالى في الأرض، وإن الطواغيت والمتألهين على هذه الأرض لا يمكن لهم أن يسمحوا لدعوة الحق أن

(1) الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ج4، ص478،

(2) صحيح: أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإمارة ، باب (20) المبايعه بعد فتح مكة على الإسلام والجهاد والخير، ح1863، ص1001.

(3) الجهاد سبيلنا، مرجع سابق، ص98.

تنتشر؛ لأنهم يرون فيها نداءً لهم، وتهديداً لمصالحهم، وإن أمثال هؤلاء لا يتصور أن يتركوا أصحاب دعوة الحق ينشرون فكرهم، ويوصلون دعوتهم للناس.

وقد أكد لنا القرآن المجيد أن الفراعنة في كل زمان لا يودون أن يسطع نور الحق، فقال جل شأنه: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَهًُا أَنْ يُنْهَى نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (التوبة: 32)

وقال أيضاً: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (الصف: 8)

إن مكرهم وقاتلهم لنا لا يتوقف أبداً ما لم نتخذ في الأرض، فنشرد بهم من خلفهم، فهم حريصون على إزاحتنا عن عقيدتنا ومنهجنا؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تَزَالُ تَقَاتِلُونََكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ (البقرة: من الآية 217).

لذا كان لابد من قتال هذا الصنف الحاقد المحارب، وقد تضافرت الأدلة على ذلك

ويجزئ منها آية وحديث:

أ- قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينَ لِلَّهِ فَإِنِ اسْتَهْوَأَ فَلَاعْدُوَانِ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة: 193).

ب- عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: قال ﷺ: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله" (1).

إن بقاء شوكة الكافرين دون كسر يعني أن الفتنة لا تزال قائمة؛ سواء كان المقصود بها الشرك، أو الأذى الذي يلحق بالفئة المؤمنة؛ لردها عن دينها، وغاية جهادنا نشر دعوتنا، وألا يُحال بينها وبين قلوب البشر بأي شكل كان؛ ترغيباً أو تهديداً.

3- إقامة القاعدة الصلبة لدار الإسلام (2):

إن الدول والممالك لا تحترم إلا القوى، فمن كان قوياً اتخذ له بين الأمم موقعاً، لذا فإن إقامة المجتمع المسلم الملتزم بشرع الله، المطبق لأحكامه، أمرٌ ضروري لأمتنا، ليمثل لنا نقطة انطلاق، ومركز قوة، وكلما اتسعت هذه القاعدة كلما كانت فرصة التمكين أقرب، وفرصة الدعوة أعظم، ولا يمكن تحقيق هذه الغاية بدون الجهاد في سبيل الله.

4- حماية المستضعفين في الأرض (3):

إن من أبرز غايات الجهاد في سبيل الله حماية المستضعفين في الأرض، ورد الظلم، وتأديب الظالمين، فقد قال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تَقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ

(1) صحيح: أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب (8) الأمر بقتال الناس حتى يقولوا... ح 22 في تسلسل الصحيح، ص 39.

(2) الحق بالقافلة، د. عبدالله عزام، ص 23.

(3) الحق بالقافلة، مرجع سابق، ص 26.

وَأُولَادِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبُّنَا أَخْرَجَنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا ﴿النساء: 75﴾.

فقد أنكر على المتقاعسين عن الجهاد وهم يسمعون اصطراخ المستضعفين عند الظالمين، فلا يجدون حيلة ولا يهتدون سبيلاً، فأوجب بذلك عليهم أن يهبوا لاستنقاذهم وتحريرهم.

5- نيل الشهادة، والفوز بالجنة:

لعل لطف غايات الجهاد هو أنه خير طريق لنيل الشهادة والفوز بالجنة، فما غايتنا من العبادات كلها إلا الفوز بمغفرة الله والجنة، ورضوان من الله أكبر، وإن الجهاد هو أقصر الطرق إليها، بل وأيسر الأبواب لدخولها، وقد شهد بذلك طائفة من النصوص، أختار منها آية وحديثاً:

أ- قال تعالى ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْمَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرحب بما أتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحفوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ (آل عمران: 169-170).

فالمجاهد يخرج مهاجراً إلى الله، وله رجاء أن يصطفيه، فيكون مع الذين قال الله فيهم: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ مَرْفِقًا﴾ (النساء: 69).

ب- وفي الحديث عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما من أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا، وله ما على الأرض من شيء، غير الشهيد، يتمنى أن يرجع فيقتل عشر مرات؛ لما يرى من الكرامة"⁽¹⁾.

إن الجنة غاية ما يتمنى المرء بعد رضوان الله، فما معنى أن يرتجى الشهيد العودة إلى الدنيا وهي التي لا تساوي عند الله جناح بعوضة؛ بعد دخوله الجنة، إلا لما يرى من عظيم عطاء الله للشهداء.

6- ابتلاء المؤمنين، وفضح المنافقين⁽²⁾:

إن من غايات الجهاد في سبيل الله أن يظهر الصادق من الكذوب، والمخلص من المنافق، وصاحب الأغراض الدنيئة من صاحب المطالب العالية، فيظهر بهذا المجاهد المخلص، فيتقدم للبدل والتضحية والفداء، وينكشف من دونه، فيعطى قدره، وقد شهد بذلك العديد من الآيات، ومنها هذه الخمس:

أ- قال تعالى: ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمِ الصَّابِرِينَ﴾ (آل عمران: 141-142).

(1) صحيح: أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب (29) فضل الشهادة في سبيل الله، ح 1877، ص 1009.

(2) الجهاد سبيلنا، مرجع سابق، ص 106.

ب- وقال أيضاً: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّتَى الْجَمْعَانَ فَيَاذَنَ اللَّهُ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران: 166)

ج- وقال كذلك: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا

مَرْسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَعَةٍ وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (التوبة: 16).

إن الآيات السابقة كلها تؤكد بصريح نصها أن ابتلاء المؤمنين، وتمييز صفوفهم، غاية من غايات الجهاد في سبيل الله تعالى.

د- وقد سجل القرآن الكريم العديد من مواقف المنافقين في معارك مختلفة، وكل تلك المواقف تُخرج خباياهم، وتفضح سرائرهم، قال تعالى بعد غزوة تبوك: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ (التوبة: 81)؛ حيث إن فرح المنافقين بالتخلف عن الغزو والجهاد، بل تخلفهم في حد ذاته أعطى دلالة واضحة على ما يضمرون من نفاق.

هـ- وقال سبحانه كذلك بعد وقعة أُحُدٍ: ﴿يَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نَزَلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا نَزَلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُنظَرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَى لَهُمْ﴾ (محمد: 20).

إن موقف المنافقين المتخاذل عند نزول آيات الحز على القتال، يُخرج ما يكتُمون، ويظهر ما يبطنون.

7- حفظ هيبة الأمة، وردُّ كيد أعدائها⁽¹⁾:

إن مكر أعداء الله بالأمة المسلمة لا يتوقف، بل تستعر في كل يوم ناره، وتزداد حباله، ولا يُبطل كيدهم بعد الله إلا القوة التي ترهب أعداء الله وأعداءنا، وآخرين من دونهم لا نعلمهم الله يعلمهم.

قال تعالى: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلِّفُ الْإِنْفُسَ وَحَرَضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكْفِ بِأَسِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَكْبِيرًا﴾ (النساء: 84). فقد أمرت الآية الكريمة النبي ﷺ أن يحرض المؤمنين على القتال؛ عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا، ويرد كيدهم، ويبطل مكرهم.

وفي الحديث عن ثوبان أن النبي ﷺ قال: "يوشك أن تداعي عليكم الأمم من كل أفق كما تداعي الأكلة إلى قصعتها، قيل: يا رسول الله فمن قلة يومئذ؟ قال: لا، ولكنكم غشاء كغشاء السيل يجعل الوهن في قلوبكم، وينزع الرعب من قلوب عدوكم؛ لحبكم الدنيا وكرهيتكم الموت".⁽²⁾

(1) الحق بالقافلة، مرجع سابق، ص 28.

(2) صحيح: أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الملاحم، باب (5) في تداعي الأمم على الإسلام، ح 4297، ج 4/ص 1838.

فما كان هذا التداعي الذي صورهُ الحديث الشريف، والواقع اليوم، إلا بسبب ركون الأمة المحمدية إلى الأرض، ورضاها بالحياة الدنيا، واطمئنانها إليها، حيث غلت عندهم الحياة، وعزَّ عليهم الموت، فتداعت عليهم الأمم من كل حذب وصوب.

8- إصلاح الأرض، وحمايتها من الفساد⁽¹⁾:

إن في الجهاد صلاح الأمة، وإشغالها فيما يرضي الله تبارك وتعالى، وقطع دابر المفسدين في الأرض، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ لِلنَّاسِ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ (البقرة: من الآية 251).

قد جاءت هذه الآية تعقيباً على قصة طالوت، لتؤكد أنه لولا إذن الله لعباده المؤمنين بدفع الكافرين، ثم فرض ذلك عليهم رغم قلة عددهم؛ لتغلب أولئك المجرمون على السلطان، وطغوا في البلاد، وأكثروا فيها الفساد، ولو أن هذه القلة أبت الاستجابة لهذا التكليف الرباني لوقع جميعهم في الإثم، عوضاً عما سيجدونهُ من إذلال في الدنيا.

وقد جاء في القرطبي: "لولا أن الله يدفع بمن يصلي عن لا يصلي، وبمن يتقي عن لا يتقي، وبمن يجاهد عن لا يجاهد لأهلك الناس بذنوبهم"⁽²⁾

9- حماية الشعائر الإسلامية:

إذا عطّل الجهاد، وانكسرت شوكة المسلمين، يصبح كل شيء في خطر، وقد لا يستطيع المسلمون أداء شعائرهم، وحماية مقدساتهم.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِنَّ أَنْتُمْ لَأَنْتُمْ لِرَبِّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ لِلنَّاسِ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهْدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدٌ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحج: 40).

يقول الشهيد سيد قطب: "تلك الشعائر والعبادات لا بد لها من حماية تدفع عنها الذين يصدون عن سبيل الله، وتمنعهم من الاعتداء على حرية العقيدة، وحرية العبادة، وعلى قداسة المعابد، وحرمة الشعائر، وتمكين المؤمنين العابدين العاملين من تحقيق منهاج الحياة القائم على العقيدة، المتصل بالله، الكفيل بتحقيق الخير للبشرية في الدنيا والآخرة"⁽³⁾.

10- رد العدوان، وتأديب المعتدين⁽⁴⁾:

إن الإسلام لا يرضى لأهله المهانة والإذلال، ولا يقبل أن يتجبر قوم في الأرض؛ لينشروا فيها الفساد، فكان الجهاد لرد العدوان، وتأديب المعتدين، وقد شهد بذلك العديد من النصوص القرآنية، ومنها هاتان الآيتان:

(1) الحق بالقافلة، مرجع سابق، ص 29.

(2) الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ج 2، ص 221.

(3) في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج 4، ص 2424.

(4) التعبئة الجهادية في الإسلام، ص 25.

أ - قال تعالى: ﴿فَمَنْ اغْتَدَى عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اغْتَدَى عَلَيْكُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾
(البقرة: من الآية 194).

ب - وقال كذلك: ﴿وَحِزَاءٌ سَيْتَةٍ سَيِّئَةٍ مِثْلَهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (الشورى: 40).
والدلالة في النصين واضحة .

البند السادس: ثمرات الجهاد في سبيل الله.

إن للجهاد ثمرات يانعة، أقطف أبرزها في البنود الستة التالية:

1- كسر شوكة الباطل⁽¹⁾:

إن شجرة الباطل خبيثة، تظل تكبر وتنتعش، ولا يوقفها إلا عمق جذور شجرة الحق الطيبة، وأصالتها، وصلابة فروعها، وعليه؛ فإن المسلمين إذا حافظوا على قوتهم، وجاهدوا في سبيل الله، لم يبق للظالم بقية، وإن عاش عاش مكسور الجناح، غير مُهاب الجانب، عندها يحيى الناس في استقرار وأمن، لا يُكدر صفوفهم شيء، ولا يفتنون في دينهم، ولا في حياتهم، وأي ثمرة أعظم للجهاد من أن يعيش المرء المؤمن في أمن وأمان، وسلامة واطمئنان.

قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ (الأنفال: من الآية 39).

أمرت الآية الكريمة بقتال الأعداء حتى نزيل أي فتنة تهدد المسلمين في دينهم؛ وإزالة الفتنة لا تتحقق إلا بكسر شوكتهم. فبالجهاد كُسر شوكة الكفر في مكة، وأزيلت عن عيونهم الغشاوة، فأصبحوا يدخلون في دين الله أفواجا، فحسن إسلامهم، وبه استطاع أبو بكر أن يكسر شوكة المرتدين، فجعلهم بين عائد لصوابه، وبين كاتم غيظه، فله الحمد على هذه النعمة.

2- دخول الناس في دين الله⁽²⁾:

إن إزاحة القوة المتسلطة على رقاب الخلق، التي تستعبد لهم لخدمتها؛ يجعل الناس يختارون بحرية وفق عقولهم وفطرتهم؛ فإن رجع الأمر للفطرة والعقل كان الخيار هو الإسلام إن حَسَنَ العرض، ودخل الناس في دين الله أفواجا.

قال تعالى ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١٠٠﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿١٠١﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ

وَاسْتَغْفِرْ لَهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿١٠٢﴾﴾ (النصر 1-3).

قد رسمت الآيات السابقة صورة تبين فيها دخول الناس في دين الله، وذلك إذا ما أزيحت العقبات من طريق العامة، ورفعت السياط عن رقابهم، فهم عند ذلك لا يملكون إلا أن يدخلوا

(1) الجهاد في سبيل الله، مرجع سابق، ج2، ص 417.

(2) الجهاد في سبيل الله، مرجع سابق، ج2، ص 425.

في دين الله أفواجاً.

3- توحيد المسلمين:

إن الجهاد هو أبرز عمل يتوحد به المسلمون؛ لأسباب كثيرة، منها:

أ- إن الجهاد يُذكر بالآخرة؛ فترخص أماننا متع الدنيا الزائفة.

ب- وهو يُذكر كذلك بحالة العداة التي يُكفها المجرمون لهذه الأمة، فتزداد يقيناً بالتلاحم والتعاون.

ج- وكذلك فإن الجهاد يشغل الإنسان عن كل الأمور التي قد تُحدث خلافاً.

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَيْدِكَ بِنَصْرِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ ﴿۶۲﴾ وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَكَانَ اللَّهُ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (الأنفال: 62-63).

يُذكرُ الله تعالى في الآية السابقة بنعمته على رسوله وعلى المؤمنين؛ إذ أيدهم بنصره، وألف بين قلوبهم بالإسلام والجهاد في سبيله، ومعلوم أن الناس تُوحدهم المحنة، ويُفرقهم المال.

4- هداية المجاهدين والشهداء⁽¹⁾:

إن من ثمار الجهاد هداية المجاهدين إلى طريق الحق والهدى والنور في الحياة الدنيا.

قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (العنكبوت: 69).

فإنه تعالى قد وعد المجاهدين بهدايتهم إلى الطرق الموصلة إلى رضوانه.

وكذلك فإن من كُتب له الشهادة منهم؛ كتب الله له الهداية في الجنة؛ قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا

فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿۵۴﴾ سَيَهْدِيَهُمْ وَيُضِلُّهُمُ بِاللَّهِمْ﴾ (محمد: 4-5).

ويمكن أن نطلق لعقولنا العنان لأن نتصور كل أشكال الهداية التي يمنن الله بها على

هؤلاء الشهداء؛ من هدايتهم لمنزلهم ودرجاتهم في الجنة، أو هدايتهم للذكر والشكر، كما

يلهمون النفس، أو أي لون آخر من ألون الهداية، إذ كرم الله تعالى لا تحُدّه حدود.

5- سعة العيش، وزيادة الثروة⁽²⁾:

إن من ثمرات الجهاد توحيد الجهود، وزيادة الثروات، وإيجاد مساحة أكبر للحركة

التجارية والزراعية، وإمكانية كبيرة لإحداث التكافل الإنتاجي، سواء كان زراعياً أو صناعياً،

ويضاف إلى هذا كله، ما يمكن أن يحصل من غنائم؛ ليضاف إلى خزينة بيت مال المسلمين.

بقول تعالى: ﴿وَعَدَّكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُوهَا فَعَجَلَ لَكُمْ هَذِهِ وَقَفَّ أَيْدِي النَّاسِ

عَنكُمْ وَلَتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ (الفتح: 20).

(1) الجهاد في سبيل الله، مرجع سابق، ج2، ص469.

(2) الحق بالقافلة، مرجع سابق، ص29.

يقول السعدي في تفسير الآية: "وهذا يشمل كل غنيمة غنمها المسلمون في يوم القيامة" (1)
6- التزام المسلمين بالإسلام وحرصهم على حمايته:

إن بذل المسلمين لدمائهم وأموالهم؛ لأجل إحقاق الحق، وإزهاق الباطل، ونشر الخير والنور، تجعلهم يدركون قيمة هذا الدين، ويدفعهم ذلك إلي التشبث به، وعدم التفريط بأي جزء منه، لأنهم دفعوا ثمن هذه المكنة غالياً، لذا نجد أن الرعيل الأول في أي دعوة من الدعوات أشدّ تمسكاً بمبادئ دعوته، وبأسس جماعته غالباً؛ لأنهم من منحها الحياة والانتشار بعد الله تعالى، فكيف يستطيع أن يراها تتهار أمام عينيه، أو تنقص عما كان يريد، في حين نجد أن الأجيال المتتابعة تكون أقل تمسكاً بهذه المبادئ على الغالب!؟.

وفي الحديث الصحيح الذي أخرجه مسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "خير أمتي القرن الذي بُعِثَ فيهم، ثم الذين يلونهم" (2).
فالصحابة والتابعون قد حازوا هذه الخيرية بفضل صدق انتمائهم، وعظيم عطائهم؛ لأجل إرساء دعائم هذه الدعوة، وأما الذين جاءوا من بعدهم فكانوا أقل تمسكاً، وأقل عطاءً وذلك على الغالب.

البند السابع: مخاطر ترك الجهاد في سبيل الله.

إن كل ما سبق من حديث في فضل الجهاد والمجاهدين، وغايات الجهاد وثمراته، سيذهب عند تخلف الأمة المسلمة عن الجهاد، وسنقع في نقيضه مباشرة، والعياذ بالله.

ويمكن تلخيص مخاطر ترك الجهاد في النقاط العشر التالية: -

1- إقصاء حكم الله، والتمكين لحكم الطاغوت (3).

إن أبرز سبب من أسباب شقاء أمتنا وشعبنا اليوم أن حكم الله قد عطل في بلادنا، وأصبحنا نحكم بشرائع ما أنزل الله بها من سلطان، وإن قادة الكفر في كل زمان يريدون العلو في الأرض؛ بما يمثلونه من نظم تخدم أهواءهم وأغراضهم الدنيئة؛ لذا نجد أن الإسلام يأبى العلو لهذه الدساتير الزائفة، ويعمل لتكون كلمة الذين كفروا السفلى، وكلمة الله هي العليا، فهذا كتاب نبي الله سليمان عليه السلام الذي وجهه إلى ملكة سبأ، قد تضمن النهي عن العلو، قال تعالى: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلِّفِي إِلَى كِتَابٍ كَرِيمٍ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَيَّ وَأُتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ (النمل: 29-31).

(1) تيسير الكريم الرحمن، ص763.

(2) صحيح: أخرجه مسلم في صحيحه كتاب فضائل الصحابة، باب (52) فضل الصحابة رضي الله عنهم ثم الذين يلونهم، ح2534، ص1327.

(3) الجهاد في سبيل الله، مرجع سابق، ج2، ص484.

إن نبي الله سليمان عليه السلام في خطابه لملكة سبأ ينهاها وقومها بعد ذكره الله عن العلو على دعوة الله التي جاء بها.

2- استعباد الناس⁽¹⁾؛

لقد جرب البشر كل الأنظمة الطاغوتية على هذه الأرض، فكان كلما جاء نظام تَرَحَّمَ الناسُ على الذي سبقه، فالكل لا يجد شاغلاً إلا الإمعان في إذلال الخلق، واستعبادهم، وتسخيرهم لخدمته ونظامه.

ولعل من أبرز أولئك الذين استعبدوا شعوبهم في التاريخ الغابر فرعون مصر، وقد سجل لنا القرآن ذلك؛ فقال تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَىٰ أَنْ تَزْكَىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَمَّا آيَةُ الْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَذْبَرَ سَعْيَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ (النار: 15-24).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُمْ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (القصص: 4).

فقد بينت الآيات بشكل واضح حالة الطغيان التي كان يمارسها فرعون، ليصل الأمر إلى وصف الله له بذلك؛ حيث مارس الظلم، والكذب، والعلو، والتأله، وغير ذلك.

3- فساد الحياة البشرية⁽²⁾؛

إن ضعف الأمة بسبب تركها الجهاد، يجعلها قاب قوسين أو أدنى من الانهيار، فإن انتهت انتهى معها كل شيء، وبدأ المجرمون ينشرون فسادهم في كل مناحي الحياة، ويقود خطاهم في ذلك إبليس الذي قطع على نفسه عهداً أن يضل الناس.

قال تعالى على لسان الشيطان: ﴿قَالَ فِيمَا أُغْوِيَنِي لِأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١١﴾ ثُمَّ لِيَأْتِيَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ (الأعراف: 11-12).

ولا يتوقف الأمر عند هذا الحد؛ بل يقتلون كل هدف نبيل للإنسان في هذه الحياة، ويجعلونه يلهث خلف نزواته وشهواته، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَمْنَعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ (محمد: 12).

حيث بينت الآية أن المجرمين تجردوا من أي هدف نبيل، وعاشوا لتحصيل المأكّل، والمشرب، والمنكح، وما مائل ذلك من ملذات الحياة الدنيا، ولا يكتفون بهذا الهدف لأنفسهم،

(1) الجهاد في سبيل الله، مرجع سابق، ج2، ص486.

(2) الجهاد في سبيل الله، مرجع سابق، ج2، ص487.

بل يريدون فرضه على كل البشر .

وخلاصة الأمر أن حياة البشر تفسد بفقد الجهاد في سبيل الله..

4- استغلال مقدرات الكون لخدمة الأهداف الدنيئة⁽¹⁾.

إذا علا الكفار، وساد ظلامهم الدنيا، فرضوا هيمنتهم على مقدرات الكون، وخيرات الأرض، واحتكروها، وحرموا أهلها، وجعلوها تخدم أهدافهم الخبيثة الدنيئة. لذا فقد أنكر نبي الله هود عليه السلام على قومه عاد بناء الأبراج العالية التي لا طائل من ورائها، ولا هدف لهم فيها إلا التباهي والعبث.

قال تعالى على لسانه: ﴿أَتُنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةٍ تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ (الشعراء: 128-130).

بل إن هذه المقدرات والأموال التي هي هبة الله لنا، تسخر في ظل علو المفسدين لمحاربة الله ورسوله والذين آمنوا.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيَنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُخْشَرُونَ﴾ (الأنفال: 36).

فقد بينت الآية الكريمة أن الذين كفروا يسخرّون أموالهم وينفقونها في الصد عن دين الله ومحاربتة، ومعلوم أن هذه الأموال التي سيطر عليها هؤلاء مكتسبة من مقدرات الكون المختلفة، التي يفترض فيها أن تكون لخدمة دين واجدها.

5- ضياع الخلافة⁽²⁾؛

إن الخلافة هي العقد الذي يجمع شتات المسلمين، وهي صمام الأمان الذي يواجه الأخطار والأهوال، وإن ترك الجهاد يعني بمعادلة بسيطة سقوط هذه الخلافة وانتهاءها، لأننا موعودون إذا جاهدنا بالتمكين في الأرض، ومُتَوَعَّدُونَ بالعذاب والخذلان عند تركه.

قال تعالى: ﴿إِلَّا تَنْفَرُوا يَعْذِبَكُمُ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (التوبة: 39).

وقال أيضاً: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَمْوَالٌ كُفْرًا وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ أُقْرَبْتُمْوهَا وَإِحَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تُرَضُّونَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (التوبة: 24).

(1) الجهاد في سبيل الله، مرجع سابق، ج2، ص 497.

(2) الجهاد في سبيل الله، مرجع سابق، ج2، ص 498.

ومن صور العذاب الذي يدخل في الوعيد للأمة بسبب تركها الجهاد، وخلودها للأرض، وانشغالها بالتجارة، وتشديد المساكن والقصور؛ ضياع الخلافة وسقوطها، فهي تمثل لهم الشوكة الحامية، والعرق النابض بالحياة، ولعله أعظم عقاب للمسلمين في الدنيا.

6- الفتنة في الدين⁽¹⁾؛

إن من النتائج الطبيعية لفقد القوة التي تحفظ للدين هيئته، أن يتسلط المجرمون على المؤمنين؛ فيسوموهم سوء العذاب، وإن الواقع الذي تمر به الأمة اليوم هو أصدق دليل على ذلك، فقد استُبعد المسلمون عن دينهم، وسلطانهم، واغتصبت أرضهم، ونهبت خيراتهم، وأضحى الأعداء يأمررون وينهون كما يشتهون، وسبب ذلك كله ترك هذه الأمة للجهاد، وقبولها بجمع المال، واللهث خلف المتع الزائلة.

يقول تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِئْتَةً وَيُكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ أُتْهِمُوا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة: 193).

وقد حدّث ابن عمر رضي الله عنهما، فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إذا ضن الناس بالدينار والدرهم، وتبايعوا بالعينة⁽²⁾، واتبعوا أذناب البقر، وتركوا الجهاد في سبيل الله؛ أنزل الله بهم بلاء، فلم يرفعه عنهم حتى يراجعوا دينهم"⁽³⁾.

حيث يؤكد لنا الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث الصحيح أن الناس إذا انشغلوا بالدينار والدرهم، والبيع والشراء الهادف إلى جمع المال وادخاره، وتركوا الجهاد للتجارة وكسب المال؛ أنزل الله عز وجل عليهم بلاء وذلك لا يُرفع عنهم إلا بالعودة إلى ما تركوا من الجهاد.

وقد أدركت اليوم طائفة من أمتنا أن لا خلاص لنا إلا باستئناف الجهاد، ومع تحفظنا على بعض الممارسات في التطبيق؛ فقد أعادت هذه البطولات الجهادية لنا شيئاً من العزة والكرامة التي فقدناها.

7- انتشار الفرقة بين المسلمين:

عُرِفَ عن البشر عموماً أنهم يتوحدون بالدماء والأشلاء والشهداء، ويتفوقون بالمال والتنافس على الدنيا والأعمال، لذا فإن الجهاد من أبرز الأسباب التي تدفع الأمة إلى الوحدة،

(1) الجهاد في سبيل الله، مرجع سابق، ج2، ص 502.

(2) بيع العينة: هو أن يبيع من رجل سلعة بثمن معلوم إلى أجل مسمى، ثم يشتريها منه بأقل من الذي باعها به، (صحيح الجامع، ج1/177).

(3) صحيح: رواه أحمد في مسنده، وذكره الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته، ح 675، ج1/ص177، جمعية إحياء التراث الإسلامي، ط1421هـ-3-2000م.

ولذلك نجد أن الله تعالى حينما أراد تذكير المسلمين بمرحلة الاستضعاف، أشار إلى سبب القوة، وذلك يتضح من خلال سياق الآية التالية.

قال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَخَطَفَكُمْ الْإِنْسُ فَاوَاكُمُ وَيَأْتِيَكُمْ بِبُصْرِهِ وَمُزَقِّكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (الأنفال: 26).

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ مَرْحَبًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَنَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ (الأحزاب: 9-11)

حيث صورت الآيات لحظة الضعف بزيغ الأبصار، ورعب القلوب التي حاولت أن تصعد إلى الحناجر بحثاً عن المفر، واختلاف الظنون بالله، لكن الله عز وجل قد كافأ الصحابة المجاهدين بهذه النعمة، حيث أمدهم بالريح والملائكة، وهي الجنود التي لم يروها، ولو دخلت عليهم المدينة من أقطارها بتركهم الجهاد فرضاً لفشلوا وذهبت ريحهم، وجعلوا بذلك أحاديث، ومزقوا كل ممزق.

8- انحطاط الهمة والرضا بالدون⁽¹⁾؛

إن بعض الناس إذا استعبد، واغتصبت أرضه، شعر بالعجز، وانحطت الهمة، وقبيل بالدون، وظل حبيس تصورات عقيمة، لا ترفعه عن الأرض التي يسير عليها قدر شبر، يقبل بالوضع المرير ويقول: (الكف لا تتاطح المخرز)⁽²⁾، وينسى أن الأسباب كلها بيد الله.

قال تعالى: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة: من الآية 249).

فإنه تبارك وتعالى في هذه الآية قد وضع لنا قاعدة جديدة، لا يعرفها الذين حبسوا أنفسهم في دائرة الواقع، مفادها؛ أن الفئة القليلة قد تغلب الفئة الكثيرة؛ إذا ما آمنت بالله، وتوكلت عليه، ثم أخذت بأسباب النصر، كما تحقق ذلك فعلياً في بدر، وغيرها من المعارك.

وعلى المجاهد في سبيل الله أن يعلم أنه سيجد على الطريق من أولئك الذين استمروا أو الذل كثيراً، الذين قالوا: ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ (البقرة: من الآية 249) يوم أن كانوا مع جالوت، وآخرون على شاكلتهم قالوا للموسى عليه السلام من قبل عن الأرض المقدسة التي يقطنها القوم الجبارون: ﴿إِنَّا لَنَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ (المائدة: 24).

ولعل هذا الأمر يكون من أبرز الآثار لتترك الجهاد.

(1) الجهاد في سبيل الله، مرجع سابق، ج2، ص 524.

(2) مثل عربي مشهور، يراد به أن كف اليد العزلاء لا يمكن لها أن تصمد أمام المخرز؛ ذي الرأس المدبب الناقب، المستعمل في خياطة الأشياء، إذا ما هاجمها.

9- حرمان العالم من نور الإسلام:

لما كان الجهاد من أنجع الوسائل للدعوة إلى الله، وتبليغ الدين للبشرية، وأداء الرسالة للعالمين؛ فإن تعطيل الجهاد يعني حرمان العالم من نور الإسلام.

وقد أمرنا ربنا عز وجل أن نبلغ دينه ورحمته للعالمين، فقال تعالى مخاطباً نبينا ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رَسُولَ اللَّهِ وَاللَّهُ يُعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (المائدة: 67).

ويقول تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ أَتَهُوا فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَالظَّالِمِينَ﴾ (البقرة: 193).

فالله تعالى خاطبنا بخطاب نبينا ﷺ، وأمرنا أن نبلغ رسالته للعالمين، وشرع لنا في سبيل تحقيق ذلك؛ من أجل القضاء على كل فتنة تحول بين الناس والإيمان، فإن لم نفعل فإن ذلك يعني أن يبقى العالم في ظلمة وجهالة.

10- عزوف الناس عن الدين⁽¹⁾؛

إن السواد الأعظم من الناس يتحرك وفق العاطفة، وقليل من الخلق من يحدد وجهته بناءً على دراسة فكرية، ومحاكمة عقلية، لذا نجدهم يلتفتون حول القوي، وأحياناً يفتتن الإنسان بفكرة ما، لكن يمنعه من الإيمان بها، وحملها للآخرين، أن لا شوكة لها. وعليه فإن الناس إذا ما نظروا إلى هذا الدين، فوجدوه محصوراً، ووجدوا أتباعه مستضعفين، زهدوا فيه، وقد سجل القرآن كيف دخل الناس في دين الله أفواجا يوم فتح الله للإسلام، وقويت شوكة المسلمين.

قال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿٣٠﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٣١﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْ لَهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ (النصر: 1-3).

حيث إذا ما تحقق النصر للإسلام؛ زادت الثقة من الناس فيه، ولم يبق شيء يحول بينهم وبين الإيمان؛ فدخلوا في دين الله أفواجا، كما كان يوم فتح مكة.

البند الثامن: حاجة الأمة إلى الجهاد.

يمكن تلخيص حاجة الأمة إلى الجهاد اليوم في النقاط الثلاث التالية:

1- رد العدوان:

احتل المجرمون اليهود بلادنا فلسطين، واحتل المعتدون الأمريكيان بلاد العراق، وفرضوا هيمنتهم العسكرية على العديد من البلاد الإسلامية، و من أبرزها أفغانستان، وقد ولغ

(1) الجهاد في سبيل الله، مرجع سابق، ج2، ص533.

هؤلاء المجرمون في دماننا حتى الثمالة⁽¹⁾، واقترفوا كل أشكال التخريب والتدمير والإذلال، فنجدهم يقصفون بالطائرات المقاتلة منازل المدنيين العزل، سواء في فلسطين، أو في العراق، وكذلك يمارسون القتل الفردي والجماعي دون وازع أو رادع، ويهدمون البيوت على رؤوس ساكنيها، ويجرفون المزارع والمصانع، ويضيقون على الناس في أرزاقهم، وقد صدق فيهم قول الله تعالى: ﴿كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (التوبة: 8). لذلك فنحن اليوم في أمس الحاجة إلى الجهاد لرد عدوان هذا العدو وكسر شوكته، وتحرير أرضنا.

2- إقامة القاعدة الصلبة لدار الإسلام :

سقطت الخلافة الإسلامية، ولم يعد للمؤمنين أيُّ قاعدة يتحيزون إليها، وينطلقون منها، لذلك فإن كل الجهود تبقى متفرقة إلى حين إيجاد القاعدة الصلبة، التي عليها نجتبع، ومنها ننتقل، وهذا لا يتحقق إلا من خلال حركة إسلامية منظمة تلتزم الجهاد واقعاً، وعقيدةً، وإن الحركة الإسلامية لن تستطيع - والله أعلم - إقامة المجتمع المسلم إلا من خلال جهاد شعبي عام، تكون هي قلبه النابض، وعقله المفكر...، فالحركة الإسلامية تفجر طاقات الأمة الكامنة، وينابيع الخير المخزونة في أعماقها.⁽²⁾

3- إعادة الثقة بالقدرة على الغلبة إلى نفوس المؤمنين:

إن حالة الهزيمة التي منيت بها الأمة الإسلامية، قد أوجدت في نفوس المسلمين ضعفاً شديداً، وأفقدت حالة الثقة التي سكنت نفوسهم عبر عقود طويلة، وما كانت هذه الهزيمة لتحل بالمسلمين لولا ركونهم إلى الدنيا، وتنافسهم فيها، وتركهم الجهاد، لذا فلا يتصور أن تعود هذه الثقة إلا من خلال ممارسة الأعمال الجهادية، التي تفتح أمام المسلم آفاقاً جديدة، وتعيد إلى ذاكرته مجد أمتنا الفقيده، وتاريخنا المجيد، لتحيى بعد ذلك في النفس الثقة من جديد، وعندها يتحرك المرء لتحقيق ما يريد.

ولعل انتفاضة شعبنا الفلسطيني أصدق مثال على ذلك؛ فقد كان الناس يعيشون حالة من الانهيار النفسي، لا يستطيعون معه أن يتقدموا خطوة واحدة؛ بل خيّل لهم الشيطان أن الأعداء يرقبون الحركات والسكنات، ويعرفون ما في الصدور وما هو آت، حتى أصبح الكثير من أبناء شعبنا يخشى أن يذكر الاحتلال بسوء في داخل بيته وأسرته، لكن هذه الروح النفسية الوجلة سرعان ما اندثرت؛ لتحل محلها روح الجهاد والمقاومة، روح المراغمة والمقارعة، وأدركنا أن لا شيء مستحيل في سنة التدافع، وأن الله هو الناصر الحقيقي، وأن النصر مع

(1) الثمالة: البقية أسفل الإناء من شراب ونحوه. (المعجم الوسيط/ص 121).

(2) الحق بالقافلة، مرجع سابق، ص 23.

الصبر، فأيقن الشعب المسلم حقيقة قول الله تعالى على لسان الفلة الموقنة بقاء الله: ﴿كَمِ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةٌ كَثِيرَةٌ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة: من الآية 249).

البند التاسع: السبيل إلى إعادة الثقة بالانتصار، وبناء الروح الجهادية:

ويمكن ذلك بإذن الله من خلال الخطوات الثلاث التالية:

- 1- غرس الإيمان وتقويته في نفوس المسلمين.
حيث إننا نجد أن النبي ﷺ قد مكث في مكة ثلاث عشرة سنة، يخرس الإيمان في النفوس، حتى يكون جيلاً ربانياً يؤمن يقيناً بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره؛ فيثبت على البلاء، ثم يصمد لملاقاة الأعداء؛ ويصدق فيه قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَأْذِنُ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ (التوبة: 44). فهم لا يستأذنون في الجهاد، بل يتدافعون نحو الشهادة بكل حرقه وشوق للقاء الله.
- 2- إعداد القيادات التي تتحمل تكاليف الدعوة:

إننا بحاجة ماسة إلى جيل يحمل الدعوة عملاً ونشراً، فقد نجد الكثير من الناس يستطيع أن يلتزم في نفسه، ولكن صلاحه لا يتعدى لغيره، وقلة هم أولئك الذين يجمعون بين العلم والعمل، وهذا القليل يجب أن يأخذ حظاً وافراً من التوجيه والتزكية والتطهير، والإعداد لحمل أعباء الدولة وتكاليفها.

- وهنا إشارة للدعاة بأن يختاروا قدر الاستطاعة أصحاب المواهب العالية في كل المجالات والجوانب، كما على هؤلاء أن يضعوا أهدافهم، ويسعوا نحو تحقيقها.
- 3- تنمية معنى الولاء والبراء في نفوس المسلمين:

إن الناس من حيث الولاء والبراء ينقسمون إلى معسكرين؛ معسكر الإيمان، ومعسكر الكفر والطغيان، وقد جعل الله تعالى أهل الإيمان أولياءه، وأهل الكفر أعداءه، وحق على أهل الإيمان أن يؤلوا مَنْ والى الله ورسوله، وأن يعادوا من عادى الله ورسوله، فإذا ما تحقق هذا المعنى في نفوس المسلمين عادت إليهم الثقة، والاعتزاز بالنفس والدين، ولعل من أشهر السور القرآنية تعزيزاً لمبدأ الولاء والبراء سورة الفاتحة؛ إذ إن المسلم في كل صلاة، وفي كل ركعة يدعو الله أن لا يكون إلا في معسكر الإيمان يوم أن يقول: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ (الفاتحة: 7).⁽¹⁾

وأخيراً فإنه مما سبق وغيره يتبين أن الأمة اليوم في حاجة شديدة إلى هذه الفريضة التي أريد لها أن تعيب؛ لتبقى الأمة المسلمة رهينة الذل والهوان، مستعبدة من قبل أعداء الله

(1) الجهاد في سبيل الله، مرجع سابق، ج2، ص339.

والإنسانية، إلا أننا ندرك تماماً أن الله عز وجل لن يضيع دينه، ولن يخذل أوليائه، وسيُظهر
الله هذا الدين على الدين كله ولو كره المجرمون، ولكننا بحاجة إلى مزيد من الصدق والجد
والإخلاص؛ ليقوي ربنا شوكة جهادنا، وينصرنا على عدونا، ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ
قَرِيباً﴾ (الإسراء: 51).

الفصل الأول العقيدة العسكرية في القرآن الكريم

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول:

نبذة مختصرة حول العقيدة العسكرية الإسلامية

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف العقيدة العسكرية الإسلامية وبيان أهميتها.
المطلب الثاني: مصادر العقيدة العسكرية الإسلامية وخصائصها.

المبحث الثاني:

العقيدة العسكرية للجندي المسلم

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: العقيدة العسكرية القرآنية، وأثرها في تعميق روح الجهاد.
المطلب الثاني: العقيدة العسكرية القرآنية، وأثرها في بناء شخصية الجندي.
المطلب الثالث: العقيدة العسكرية القرآنية، وأثرها في علاج ضعف الجندي.

المبحث الثالث:

العقيدة العسكرية في التعامل مع الأعداء.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: التعامل مع القتلى، والأسرى من الأعداء.
المطلب الثاني: التعامل مع غير المقاتلين من الأعداء.
المطلب الثالث: التعامل مع المرافق المختلفة لمجتمع الأعداء.
المطلب الرابع: العهود والمواثيق مع الأعداء.

الفصل الأول

العقيدة العسكرية في القرآن الكريم

تمثل العقيدة العسكرية المرجعية الفكرية لأي مقاتل، وهي مصدر قناعاته، وتصوراته، وخططه، وبرامجه، وأفكاره، فكما أن الشيء يتبع أصله، فكل فعل، أو موقف يتخذه المقاتل نابع من عقيدته.

لذا فإن العقيدة العسكرية من أخطر الموضوعات العسكرية التي يجب أن تبنى على أسس من الفضيلة، والقيم الرفيعة، والتي في ضوئها يتم تربية الجندي، وإعداد القائد، ورسم الخطط، ووضع البرامج. وعليه فقد رأيت أن أتناولها في فصل مستقل، مع صعوبة اجترائها عن باقي الفصول والمباحث، فهي تتداخل في كل جزئية من جزئيات الفكر العسكري، والله الموفق.

المبحث الأول

نبذة مختصرة حول العقيدة العسكرية الإسلامية.

أتناول في هذا المبحث - بإذن الله تعالى - الحديث عن تعريف العقيدة العسكرية الإسلامية، وأهميتها، وأتحدث عن مصادرها وخصائصها، على أن ينتظم ذلك كله في مطلبين، وهما:

المطلب الأول: تعريف العقيدة العسكرية الإسلامية وبيان أهميتها.

المطلب الثاني: مصادر العقيدة العسكرية الإسلامية وخصائصها.

وفيما يلي تفصيل ذلك، والله المستعان.

المطلب الأول:

تعريف العقيدة العسكرية الإسلامية، وبيان أهميتها.

يحتوي هذا المطلب على فرعين، الأول منهما يتناول تعريف العقيدة العسكرية

الإسلامية، والثاني يوضح أهمية هذه العقيدة، وفيما يلي تفصيل ذلك، والله الموفق.

الفرع الأول: تعريف العقيدة العسكرية الإسلامية:

أولاً : تعريف العقيدة لغة:

بالرجوع إلى معاجم اللغة العربية، وبالنظر في مادة (عقد) يظهر لي أن القوة بمفاهيمها المتعددة تربط بين مشتقات هذه الكلمة.

فنقول: "عقدة الحبل" لأنها تصل الحبل ببعضه ببعض في صورة قوية.
ونقول: "عقدة النكاح" لأنه يفترض فيه القوة والمتانة، وأن لا ينفك لأمرٍ تافهٍ، والطلاق أبغض الحلال عند الله.

ونقول: "أهل العقد": أي أصحاب الرأي القوي، والقول السديد الفصل.
"والعقد": هو العهد، سواء كان مكتوباً، أم لا، وهو يحمل قوة القبول لما تمّ التعاقد عليه.
وهكذا في باقي اشتقاقات الكلمة⁽¹⁾.

وجاء في المعجم الوسيط: "العقيدة: هي الحكم الذي لا يُقبل الشك فيه لدى معتقده"⁽²⁾.
وعليه فالعقيدة: هي ما اعتقده الإنسان، وحزم به، وحزم أمره عليه، ورسخ يقيناً في نفسه وقلبه.

ثانياً: تعريف العقيدة العسكرية اصطلاحاً :

هي السياسة العسكرية المرسومة، التي تعبر عن وجهات النظر الرسمية للدولة في أمور الصراع المسلح، ويشمل كل ما يتعلق بطبيعة الحرب وغايتها - من وجهة نظرها - وطرق إدارتها، والأسس الجوهرية لإعداد القوات المسلحة⁽³⁾.
فالعقيدة العسكرية لأي دولة من الدول تتبع من ثقافتها، وقيمها، والعوامل السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية التي تسود هذه الدولة، أو تكتل الدول، وكذلك موقعها الجغرافي، والتاريخي.

وتتأثر العقيدة العسكرية كذلك بالأهداف والغايات العليا للدولة، وفي ضوءها تتحدد الاستراتيجية العسكرية.

ثالثاً: المقصود بالعقيدة العسكرية الإسلامية:

بعد البحث في الكتب ذات الصلة لم أجد مَنْ قدّم تعريفاً للعقيدة العسكرية الإسلامية، وإنما تناولوا الحديث عن أهميتها، وضرورة الأخذ بها، ونحو ذلك.

لذا فقد رأيت أن أسجل تعريفاً اجتهادياً يوضح للقارئ ما نقصده بالعقيدة العسكرية

الإسلامية، والله الموفق:

(1) لسان العرب، مرجع سابق، ج-6، ص356.

(2) المعجم الوسيط، مرجع سابق، ص645.

(3) العسكرية الإسلامية وقادتها العظام، جمال الخلفات، ص87. وكذلك مقال اللواء محمد جمال الدين محفوظ بعنوان "العقيدة

العسكرية الإسلامية" على موقع الفسطاط على الإنترنت www.fustat.com

هي الفلسفة الإسلامية التي ينطلق منها التصور لتربية الجندي، وإعداد القائد، ورسم الخطط، ووضع المناهج العسكرية، بحيث تخدم مفاهيم الإسلام وقيمه، وتعمل على نصرته، والتمكين له في الأرض.

وبالتالي فإن العقيدة العسكرية الإسلامية تتبع من الموروث الأخلاقي، والقيمي، والفكري، والفقهية في ديننا الحنيف، وعليه فإن عملية التربية للجندي بكل أشكالها، وعملية الإعداد للقائد بمختلف مجالاتها، وكذلك وضع الخطط والبرامج العسكرية، يجب أن ينسجم مع هذا الموروث؛ فلا يصح مثلاً وضع خطة تتضمن مخالقات شرعية، أو أخلاقية، والغاية في الإسلام لا تبرر الوسيلة، ومن كان هدفه نبيلاً فليسلك له طريقاً مشروعاً لا اعوجاج فيه.

الفرع الثاني: أهمية العقيدة العسكرية الإسلامية:

تمثل العقيدة الإسلامية حبل النجاة في الجانب العسكري للأمة المسلمة، حيث إن غيابها عن الساحة العسكرية الإسلامية كان هو السبب المباشر في هوان هذه الأمة وضعفها، وقد تفرقت الدول الإسلامية في عقيدتها العسكرية، فبعض الدول تبنت العقيدة العسكرية الغربية على تعددها، سواء كانت الأمريكية، أو البريطانية، أو الفرنسية، والبعض الآخر تبني العقيدة العسكرية الشرقية الروسية، ويترتب على هذا التبني استيراد السلاح من الدول المتشبه بها، وإرسال بعثات من القوات العسكرية إلى أرضها للإعداد والتدريب، ولم يزدنا هذا كله إلا مزيداً من الفرقة، والخسارة، والهوان، فاستيراد العقائد العسكرية جعل بلادنا شكلاً ممسوخاً مشوهاً؛ لأن العقيدة العسكرية تتبع كما أسلفنا من القيم والمبادئ، والأهداف للدولة، فيشعر عندها القائد، أو الجندي بحالة تشتت، وتضارب، وانفصام بين ما تربى عليه في وطنه، وبين هذه العقيدة العسكرية الدخيلة⁽¹⁾.

ومن هنا فإن العودة لتبني العقيدة العسكرية الإسلامية في إعداد الجيوش، وتأهيل القادة، ووضع الخطط، مهم جداً لنهضة الأمة ورفعته، لاسيما وأن هذه العقيدة قد أثبتت نجاحها وقدرتها على تحقيق أهدافها، عبر تاريخنا الإسلامي الطويل، الحافل بالفتوحات، والإنجازات العظيمة، حيث انطلق المسلمون إلى دنيا الفتوح في السنة الثانية عشرة للهجرة الموافقة سنة 633م، وإذا بسنابك خيولهم في عام 92هـ الموافق 710م تضرب بلاد الغال (فرنسا) غرباً، في حين كانت خيول أخرى لهم قد فتحت بخارى، وسمرقند في أقصى الشرق، واقتحمت جدار الصين العظيم، فوصلت خلال ثمانين عاماً فقط ما بين مشرق العالم القديم ومغرب، وارتادت سهوله وقفاره، وخاضت بحوره وأنهاره⁽²⁾.

(1) العسكرية العربية الإسلامية، مرجع سابق، ص31.

(2) المذهب العسكري الإسلامي، بسام العسلي، ص382.

وقد استطاعت هذه العقيدة العسكرية الإسلامية أن تحقق أعظم فتح في التاريخ وأسرعه، حيث إن الثمانين عاماً التي حدث فيها هذا الفتح لا تمثل زمناً قياساً بوسائل النقل المستخدمة قديماً.

وقد استطاع المسلمون بفضل هذه العقيدة العسكرية الرائعة أن يقدموا قائمة كبيرة من الإنجازات، من أبرزها الفتوحات العظيمة، ومما يضاف إلى ذلك⁽¹⁾:

أ- إتقان الحرب البحرية، حيث استطاع المسلمون أن يخوضوا لجة البحر، ويهزموا الأسطول البيزنطي، وهو أعظم قوة بحرية في زمانهم.

ب- الحرب على جبهتين، وهذه لا تستطيعها إلا أعظم القوى، وقد استطاع أسلافنا المسلمون بفضل عقيدتهم العسكرية أن يديروا دفعة الحرب على جبهتين في مواجهة أعظم قوتين على الأرض، ومعروف أن الحرب على جبهتين من أصعب المواقف التي تواجه القيادة.

ج- الحرب فوق مختلف أنواع الأرض، إن أساليب القتال تختلف حسب طبيعة الأرض التي يجري عليها القتال، فالقتال في الأراضي الصحراوية المفتوحة غير القتال في الأراضي الجبلية الوعرة، وقد استطاع الجندي حامل العقيدة العسكرية الإسلامية أن يتكيف مع كل شكل جديد للقتال.

د- مواجهة كل أشكال التنظيم الحربي، فقد حارب المسلمون بعقيدتهم العسكرية الإسلامية أشكالاً مختلفة في التنظيم الحربي، وقد واجهوا الجيوش المنظمة، وغير المنظمة، فضلاً عن اختلاف نظريات كل جيش في إدارة المعارك⁽²⁾.

إن الأهمية الحقيقية لهذه العقيدة لا تظهر إلا عندما نقف على خصائص هذه العقيدة، حيث تبدو في صورتها الرائعة.

المطلب الثاني

مصادر العقيدة العسكرية الإسلامية، وخصائصها

إن روعة هذه العقيدة، وعظمتها، وقوتها في مصادرها القويمة؛ التي لا اعوجاج فيها، ثم في خصائصها الكمالية، فأضحت هي العقيدة العسكرية التي لا تغلب بإذن الله، إذا وجدت

(1) مقال للسيد اللواء محمد جمال الدين محفوظ بعنوان: "العقيدة العسكرية الإسلامية" على الإنترنت، موقع الفسطاط

www.fustat.com

(2) المذهب العسكري الإسلامي، مرجع سابق، ص 388.

من يحملها بحق، وفي هذا المطلب أدير الحديث من خلال فرعين، أما الأول: فيتناول مصادر العقيدة العسكرية الإسلامية، وأما الثاني: فيبين خصائص هذه العقيدة.

الفرع الأول: مصادر العقيدة العسكرية الإسلامية:

إن العقيدة العسكرية الإسلامية مثلها مثل أي باب من أبواب هذا الدين تعتمد في مصادرها على الكتاب العزيز، والسنة النبوية الشريفة، كمرجعين رئيسيين لها، إضافة إلى السيرة، والتاريخ العسكري الإسلامي، وكذلك الفقه الإسلامي الذي يحدد لهذه العقيدة طبيعة التعامل مع القضايا المختلفة؛ مثل أسرى الأعداء، وقتلاهم، وممتلكاتهم، وغير المحاربين في مجتمعهم... الخ، وهاك نبذة عن هذه المصادر:-

المصدر الأول: القرآن الكريم⁽¹⁾.

يعرفه الزرقاني في كتابه مناهل العرفان " بأنه كلام الله المنزل على محمد ﷺ بواسطة جبريل عليه السلام، المعجز بأقصر سورة منه المتعبد بتلاوته، المنقول إلينا بالتواتر، المبدوء بسورة الفاتحة، المختوم بسورة الناس، والمجموع بين دفتي المصحف"⁽²⁾.

- القرآن أعظم مصادر العقيدة العسكرية الإسلامية:

إن المتجول بين آيات الكتاب العزيز يلحظ بشكل واضح كيف يُكون هذا القرآن العقيدة العسكرية الصحيحة، وهو يتناول كافة جوانبها بالتوجيه والتقويم، حيث تعرّض إلى الجهاد بالنفس، والجهاد بالمال، وعقاب المتخلفين، والطاعة، والصبر، والشجاعة، والشهادة، والعهد والمواثيق، والغنائم، والفيء والجزية، والحذر، وغيرها من الموضوعات التي تشكل الفلسفة العسكرية الإسلامية.

المصدر الثاني: السنة النبوية:

" هي ما أضيف إلى النبي ﷺ من قول، أو فعل، أو تقرير، أو صفة خلقية، أو خلقية، أو سيرة قبل البعثة، أو بعدها"⁽³⁾.

- السنة النبوية باب واسع في العقيدة العسكرية الإسلامية:

حيث تضمنت السنة تفصيلاً لحياة أعظم قائد عرفته البشرية، هذا القائد الذي استطاع أن يربي جيلاً يفتح الدنيا، ويقودها نحو الهدف المرسوم، وقد بينت السنة النبوية طرائق قيادته ﷺ، وخطته، وإدارته، وإعداده لجنده، وتوزيعه لجيشه، وغرسه التعاليم التي يريد، والمبادئ التي من أجلها بُعث، فكانت سنته الجهادية والقتالية كتاباً عسكرياً مفتوحاً .

المصدر الثالث/ التاريخ العسكري الإسلامي:

(1) العسكرية الإسلامية، مرجع سابق، ص87.

(2) مناهل العرفان، للزرقاني، مرجع سابق، ج1، ص16.

(3) للكشاف المبين عن مناهج المحدثين، د. أحمد أبو حنيفة، ص5، ط1، 1996م.

يتضمن هذا المصدر مساحة واسعة جداً من التجربة العملية للعقيدة العسكرية الإسلامية، ويقدم نماذج تطبيقية على نظرية العقيدة العسكرية التي تضمنها القرآن، أو السنة النبوية، وتحوي برهاناً كبيراً على واقعية هذه النظرية، وقدرتها الفائقة على التكيف مع الأوضاع المختلفة.

ولقد حوى لنا التاريخ تفاصيل المعارك التي خاضها المسلمون في الفتح، والمعارك الدفاعية، وغزوات الرسول ﷺ، وسراياه⁽¹⁾.

وكذلك يدخل في هذا الإطار الدراسات، والكتابات العسكرية التاريخية لتحليل المواقع والمشاهد تحليلاً عسكرياً ينسجم مع الواقع الحديث، ومن أبرز الذين كتبوا في هذا المجال ما يلي:

- 1- اللواء الركن محمود شيت خطاب، وتميز بدراسة الشخصيات العسكرية في التاريخ الإسلامي، والتي من أبرزها الرسول القائد، والفاروق القائد، وغيرهما.
- 2- وكذلك الأستاذ بسام العسلي في كتابه "فن الحرب الإسلامي"، والذي تناول فيه التاريخ العسكري في الإسلام بشكل تحليلي.
- 3- الأستاذ أحمد عادل كمال في سلسلته القيمة "استراتيجية الفتوحات الإسلامية".
المصدر الرابع/ كتب الفقه الإسلامي⁽²⁾:

تعد كتب الفقه مصدراً من مصادر العقيدة العسكرية الإسلامية؛ وذلك لأن الفقهاء هم الذين ترجموا التعاليم القرآنية في شكل أحكام عملية؛ من خلال دراسة عملية مستفيضة ومتعمقة، وقد تناول الفقهاء الموضوعات التي تتصل بالعمل الجهادي، والعسكري والقتالي؛ كأحكام الأسرى، والمحاربين، وممتلكات الأعداء، والجزية، والغنائم، وغيرها مما يتحكم في طبيعة تربية الجنود، وإعداد القادة، ووضع البرامج، ورسم الخطط، وسائر الشؤون الحربية.

الفرع الثاني: خصائص العقيدة العسكرية الإسلامية:

إن العقيدة العسكرية الإسلامية قد صبغت بلون هذا الدين القويم، والتزمت نهجه، وسارت وفقاً لتعاليمه، وأخذت كامل خصائصها منه؛ فمنحتها المهابة والنجاح.

يمكن لي أن أجمل خصائص هذه العقيدة في النقاط الست التالية:

1- الربانية:

إن الربانية هي أروع خاصية لهذه العقيدة وأغلاها، حيث انعكست على الجنود، فجعلتهم ربانيين؛ غايتهم الله جل وعلا، وهي أبرز خاصية تميز العقيدة العسكرية الإسلامية عن غيرها من العقائد الأخرى.

(1) العسكرية العربية الإسلامية، مرجع سابق، ص39.

(2) العسكرية العربية الإسلامية، مرجع سابق، ص39.

فهي ربانية؛ لأنها مستمدة من كتاب الله، ومن حديث من لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، لذا فهي تحمل لنا الفوز والفلاح، كيف لا وقد قال الله تعالى: ﴿أَلَيْسَ لَنَا خَلْقٌ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾؟! (الملك: 14).

فتوجيهات هذه العقيدة من عند الله، ومن أمره ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأعراف: من الآية 54)، وهو الأعم بقوة صلاحها لمن خلق من البشر، فإذا ما أصبنا فهمها، وأحسننا تطبيق مبادئها، حققت لنا أهدافنا بعون الله تعالى، وبالتالي فإن هذه العقيدة ملزمة للمؤمنين لا خيار لهم في أخذها أو تركها، فقد قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ (الأحزاب: 36).
والعقيدة العسكرية تدخل في إطار أمر الله في الجوانب المتعددة، ولا بد من التنبية على نقطتين:

أ - خاصة الربانية تمنح الاحترام والقبول للعقيدة العسكرية:

إذا كانت العقيدة العسكرية مستمدة من أفكار ومبادئ أرضية اجتهادية، فإن بعض الجنود سيجد في نفسه حرجاً من تطبيقها، والامتثال لأمرها، لكن هذا الجندي إذا ما علم أن العقيدة مستمدة من شريعة الله، فلن يجد في نفسه غضاضة في تطبيقها؛ لأنه يعلم خطورة مخالفتها، ويدرك معنى قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (النساء: 65).

فالأصل رد الأمر في كل جوانب حياتنا لله، واعتبار الخضوع لأمر الله عبادة وقربة له جل وعلا، وعندما يوقن هذا الجندي أن تطبيق هذه العقيدة عبادة يسارع إلى ذلك، مدفوعاً بصوت الضمير من الداخل، لا بسوط القائد من الخارج، وهو يرجو بذلك ما عند الله تعالى، يحذوه قوله جل وعلا: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾﴾ (الزلزلة: 7-8).
حتى إذا غلبه هواه يوماً، فخالف تعاليم هذه العقيدة؛ فإنه يظل شاعراً بالإنثم حتى يتوب إلى ربه⁽¹⁾.

ب - الجندي بين الربانية في العقيدة الإسلامية، والإكراه في العقائد الأرضية:

تقرض معظم الدول قوانين الخدمة العسكرية الإجبارية على القادرين من أبنائها مدة معينة من الزمن، وتعد ذلك واجباً وطنياً، ومع ذلك نجد الغالبية العظمى منهم كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون، ويختلقون الحجج والأعذار الكاذبة للإفلات من هذا الكابوس -

(1) مدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، د. يوسف القرضاوي، ص90، مكتبة وهبة، ط1، 1411هـ - 1991م.

بالنسبة لهم - بل إن منهم من يلجأ إلى الإضرار بنفسه؛ مثل قطع بعض أصابعه؛ حتى لا يُقبَلَ في الجندية.

فإذا قسنا هذا السلوك بمظهره الحسي، ومخبره النفسي، بسلوك المسلمين تجاه ما فرض عليهم من الجهاد في سبيل الله، تجد الفرق شاسعاً، والبون واسعاً⁽¹⁾.

وقد حدثتنا السيرة النبوية، والكتابات التاريخية عن شغف المسلمين للجهاد، وعشقهم للشهادة في سبيل الله؛ لتكون كلمة الله هي العليا.

إن الجراحات والإعاقات الحقيقية لم تكن ل تمنع أصحاب هذه العقيدة من الخروج، رغم حصولهم على عذر شرعي، فقد ذكر الزهري: أن سعيداً بن المسيب خرج إلى الغزو وقد ذهبت إحدى عينيه، فقيل له: إنك عليل، فقال: استنفر الله الخفيف والثقيل، فإن لم يُمكنني الحرب كثرتُ السواد، وحفظتُ المتاع⁽²⁾.

بل إن الصبية كانوا يتسابقون في ذلك فضلاً عن الكبار، كما حدث مع ابني عفراء في غزوة بدر⁽³⁾، ومثيل هذه القصة كثير؛ بل إن انتفاضة شعبنا الفلسطيني قد قدمت نماذج من هؤلاء الفتية، خاضوا غمار الجهاد ضد المحتل الصهيوني لأرضنا، وأذاقوه الويلات، في تنافس عجيب، وتسابق رائع نحو الشهادة، ورضوان الله، ومن هؤلاء الشهيد المجاهد محمد فرحات⁽⁴⁾ الذي لم يتجاوز السابعة عشرة، لكنه اخترق مغتصبة عتصمونا، واقتحم الكلية العسكرية فيها؛ فجدل سبعة منهم، وأصاب العشرات، وغيره من المجاهدين العشرات؛ بل المئات من أبطال الشعب الفلسطيني⁽⁵⁾.

2- الأخلاقية:

إن رسالة العقيدة العسكرية الإسلامية جزء لا يتجزأ من رسالة الإسلام الخالدة، التي جاءت لتنتم مكارم الأخلاق، بعدما كادت تنهار كل القيم الأخلاقية في عالم طغت فيه المادية والمصالح الذاتية، وأصبح يأكل القوي فيه الضعيف، في هذا الظرف جاءت رسالة الإسلام لتعيد للعالم توازنه.

(1) مدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، مرجع سابق، ص 91.

(2) الجامع لأحكام القرآن، ج 4، ص 486، وهو يشير إلى قوله تعالى: «انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا...» (التوبة: الآية 41)

(3) الرحيق المختوم، 244.

(4) محمد فرحات: هو أحد استشهادي كتائب القسام الجناح العسكري لحركة حماس بفلسطين، وقد تميز عن غيره من الاستشهاديين بأن كان الأول الذي تودعه أمه قبل استشهاد، وتتابع معه خطوات اقتحامه للمستوطنة حتى استشهاد، وتلقت النبأ بكل سماحة وفرحة.

(5) للإطلاع على الكثير من النماذج الأخرى لأبطال شعبنا، يمكن مراجعة الكتب التالية: انتفاضة الأقصى الجزء الأول، إصدار مركز النور للبحوث والدراسات، شهداء القسام عشاق الخلود، لمحمد عبدالله، إصدار مجلس طلاب الجامعة الإسلامية - غزة.

هذا ما أكدّه النبي ﷺ في الحديث الذي يرويه أبو هريرة، حيث قال ﷺ: "إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق"⁽¹⁾.

وبالتالي فإن الجندي والقائد يتربيان على هذا الهدف، ويتحركان لتحقيقه، والخطوة الموضوعية إنما تخدم هذا الهدف السامي النبيل، ويمكن في هذا الإطار أن أتناول النقاط التالية:

أ- من أخلاق العقيدة العسكرية الإسلامية في الحرب:

إن هذه العقيدة لم تُبَحِّح للمحاربين - ولو كانوا في قمة النصر على عدوهم - التخريب لل عمران ابتداءً، أو الإفساد للزرع، أو التمثيل بالجثث، أو قتل من لا يقاتل؛ من النساء، والصبيان، والشيوخ، إلا ما كان معاملة بالمثل عند الحاجة الماسة.

وهذا ما أكدّه أبو بكر ﷺ في وصيته لأحد قواده: "إنك ستجد قومًا زعموا أنهم حبسوا أنفسهم لله -يعني الرهبان-، فدعهم وما زعموا أنهم حبسوا أنفسهم له، وإني موصيك بعشر: لا تقتلن امرأة، ولا صبيًا، ولا كبيراً هرمًا، ولا تقطع شجرة مثمرًا، ولا تخربن عامرًا، ولا تعقرن شاة، ولا بعيراً إلا لمأكلته، ولا تغرقن نخلاً ولا تحرقنه، ولا تغلوا، ولا تجبنوا"⁽²⁾.

ولعل الباحث في السنة النبوية يجد رصيذاً كبيراً من هذه الأخلاقيات الحربية التي لا مثيل لها، ونكتفي هنا بذكر الحديث الذي رواه سليمان بن بريدة، عن أبيه أن النبي ﷺ قال: "اغزوا باسم الله، وفي سبيل الله، وقاتلوا من كفر بالله، واغزوا ولا تغدروا، ولا تغلوا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليداً"⁽³⁾.

يمثل هذا الحديث دستوراً للمحاربين ونظاماً لهم، يصدر من إمام الدعوة الأول ﷺ، يتربع به على قمة الأخلاق الإنسانية، هذه التعاليم التي لم ترتبط بنصر، أو هزيمة، فهي قائمة في جميع الاحتمالات، هذه هي عقيدتنا العسكرية.

فإذا أردنا أن نتحدث عن أخلاقيات العقيدة العسكرية الأرضية عموماً، والأمريكية والصهيونية خصوصاً، فحدث ولا حرج عن عمليات الإجرام، والقتل والإبادة، والاعتقال غير القانوني، والتعذيب والإهانة، والاعتقالات.. وغيرها مما لا يخفى على أحد، والتي كان من أبرزها قصة سجن أبي غريب في العراق، وسجن جوانتنامو في كوبا؛ حيث الإهانة والإذلال للمعتقلين.

(1) صحيح الجامع الصغير وزيادته، ح2349، ج1، 464.

(2) مدخل لدراسة الشريعة، مرجع سابق، ص111.

(3) صحيح: أخرجه أبو داود في سننه، كتاب (الجهاد)، باب (90) في دعاء المشركين، ح2613، ص1131.

والعقيدة العسكرية الصهيونية الإجرامية، تلك التي لا ترى في الناس إلا عبيداً لها ليست عنا ببعيد، فكم من الأطفال والأجنة قتلوا، وكم من البيوت هدموا، وكم من المزارع خربوا، وكم من شيخ أهانوا وضربوا، هذه العقيدة التي لا تعرف الرحمة ولا الأخلاق!!.

ب - حرب بلا أحقاد:

إن الأخلاق التي تربي العقيدة العسكرية الإسلامية جنودها عليها، تتمثل في أن يخوضوا حرباً لا أحقاد فيها، بل تملؤهم بالشفقة، والحرص على ما ينفع الناس، والمسلمون لا يخوضون حرباً إلا رداً للعدوان، أو دفاعاً عن حق، أو نشراً للإسلام والعدل في بلاد ساد فيها الظلم والقهر، ونجد الجيش المسلم وهو يخوض غمار معاركه مع عدوه لا يغفل عن هدفه، ويسعى إلى تفادي أي دماء، وإن قُلت، مستشعراً أحاسيس الطبيب حينما يعالج المريض؛ حيث قد يقسو عليه في لحظة ما؛ لكن لأجل مصلحته (1).

ومن هنا يتعين على الجندي المسلم إذا انكسرت شوكة العدو أن لا يمارس القتل، أو الإذلال ضده، قال تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبِ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْبَتْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَآتَمَرَّ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ (محمد:4).

فقد أمرنا الله تعالى إذا تحقق الإثخان، وأذعن العدو، وانكسرت شوكة الطغيان، أن نوقف ضربه وقتله، وأن نستبدل ذلك بالأسر بدلاً من القتل طمعاً في هدايتهم، ثم ينتهي الأمر بالمن عليهم تأليفاً لقلوبهم، أو بفدائهم بالأسرى أو المال، أو حتى تعليم القراءة والكتابة للأطفال.

ج - عقيدة سلاحها مسالم، وسلامها مسلح:

رَبَّتْ العقيدة العسكرية الإسلامية جنودها على الشفقة والمحبة لكل الخلق، والحرص على هدايتهم، والأخذ بأيديهم، وبالتالي فهم لا يسعون إلى سفك الدماء، أو إرهاب الناس وتخويفهم، والسيطرة على بلادهم، ونهب خيراتهم، وإنما قضيتهم نشر الخير والعدل في المجتمع، وبالتالي فهم مسالمون محبون، لا يقاثلون أحداً إلا إذا وقف في طريقهم، وصدَّهم عن تحقيق أهدافهم، وقد وصف القرآن الكريم هؤلاء الجنود الذين هذبهم الإسلام بتعاليمه، فقال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿63﴾ وَالَّذِينَ يَبَيِّنُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ (الفرقان:63-64). إن هؤلاء الجنود الرهبان، الذين يسرون على الأرض هوناً، ليسوا

(1) مقال بعنوان (العقيدة العسكرية الإسلامية) لبندر بن عبدالله النذير، على الإنترنت في مجلة الجندي المسلم
www.jmuslim.naseej

خانعين بذلك أو ضعفاء، ولم يكن حرصهم على تجنب الحرب وسفك الدماء خوفاً، أو جبناً، لذلك فهم حينما يسالمون يكون سلمهم من منطلق القوة، ويواصلون أثناء ذلك إعداد القوة.

قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ مِرْبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تظَلُمُونَ ﴿60﴾ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْحَحْ لَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿61﴾ (الأنفال: 60-61).

حيث جاءت آية الإذن بمهادنة الأعداء، بعد الأمر الواضح بالإعداد العام على كل الصُّعد؛ وذلك لحماية هذا السلام، وجعله مهابة الجانب، عزيز المقام.
3- عقيدة تتفق مع الفطرة:

إن كل ما جاء في هذه العقيدة العسكرية يتفق مع الفطرة الإنسانية بشكل كامل؛ لأنها ببساطة شديدة تتبع من تعاليم الإسلام الذي هو دين الفطرة، فقد قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمُ وَكُنْ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الروم: 30).

يقول القرطبي: "ومعنى ذلك؛ اتبعوا دين الله الذي خلق الناس" (1)، فالآية أكدت توافق الناس بالفطرة مع هذا الدين، الذي خلقوا من أجل إقامته في الأرض؛ بدليل قول الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: 56).

ومما يؤكد تطابق فطرة الناس مع هذا الدين ما أخرجه البخاري عن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: "كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كمثل البهيمة تنتج البهيمة، هل ترى فيها جدعاء" (2)؟ (3).

يقول ابن حجر: "وأشهر الأقوال أن المراد بالفطرة الإسلام" (4)، وهذا ما أكدته ابن عبد البر، وقال بأنه المعروف عند عامة السلف (5).

وعليه؛ فإن الجندي يشعر بانسجام كامل بين فطرته وتعاليم هذه العقيدة العسكرية، فيعيش حالة من الاستقرار والراحة، ولو بذل في سبيل تحقيق غاية عقيدته ماله، ودمه، وروحه.

وشتان بين النفس المطمئنة للجندي في ظل هذه العقيدة، وبين نفسية الجندي في العقائد الأخرى، فهو يعيش حالة من التناقضات، والتجاذبات بين فطرته التي فطره الله عليها، وما

(1) الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، جـ7، ص351.

(2) الجدعاء: مقطوعة الأذن.

(3) صحيح: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب (92) ما قيل في أولاد المشركين، ح1385، ص222.

(4) فتح الباري، مرجع سابق، جـ3، ص292.

(5) فتح الباري، مرجع سابق، جـ3، ص292.

يكن فيها من الخير، وبين ما يلقي إليها من تعليمات أقل ما يقال فيها أنه يشعر بعدم الانسجام معها.

4- عقيدة وسطية:

إن العقيدة العسكرية الإسلامية هي العقيدة التي لا إفراط فيها ولا تفريط، وسطية في كل شيء، ومن أشكال هذه الوسطية:

أ- الوسطية في المعركة:

تهتم العقيدة العسكرية الغربية بجنودها، وتحرص عليهم بشكل قد يؤثر على الخطة العسكرية نفسها، وهي في ذات الوقت لا تبالي بحجم النيران المستخدمة في المعركة، وتعتمد المبدأ القائل: "مزيد من النيران، وقليل من المقاتلين".

وخلفية اعتماد هذا المبدأ في الدول الغربية يرجع إلى عاملين :

1- إنها دول صناعية تنتج السلاح الذي تريد بالكمية التي تريد وزيادة.

2- إن مقدار الحرية الفردية المعطاة للإنسان الغربي، والترف الذي يعيش فيه، أكبر من

الدول الشرقية، وبالتالي فالحصول على المقاتلين عزيز بدرجة كبيرة.

أما العقيدة العسكرية الشرقية فهي على العكس تماماً، حيث تعتمد المبدأ القائل: "مزيد من

المقاتلين، وقليل من النيران".

وعلى هذا المبدأ يتم وضع الخطط، والتدريب في الدول الشرقية.

وقد فرض هذا المبدأ عاملان؛ هما:

1- الكثافة السكانية الكبيرة في الدول الشرقية بشكل عام.

2- عدم تكامل الإنتاج الصناعي للأسلحة في الدول الشرقية.

أما العقيدة العسكرية الإسلامية فهي وسط بين الأولى والثانية؛ فلا إفراط في النيران، ولا تفريط في المقاتلين، تستخدم النيران إن كانت الأجدى، وتقدم المقاتلين بنفس راضية مطمئنة إذا كان تحقيق الهدف يحتاج إلى ذلك⁽¹⁾.

إن هذه العقيدة العسكرية الوسطية هي التي تتفق مع منهج الإسلام القائم على

الوسطية، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ

عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (البقرة:143).

فأمتنا جعلت أمةً وسطاً، والوسط العدل، وأوسط القوم خيرهم، ووسط الوادي خير

موضع فيه، وأكثره كلاً وماءً، والوسط يكون دوماً مجانباً للغلو والتقصير، لذا فهو محمود،

ومن هنا كانت علاقة الأمة بنبيها علاقةً وسطية، حيث لم تغلُ غلو النصارى في أنبيائهم

(1) العسكرية العربية الإسلامية، مرجع سابق، ص34.

لدرجة التأليه، ولم تقصر تقصير اليهود في أنبيائهم لدرجة القتل وإراقة الدماء. (1).

وهكذا كانت العقيدة العسكرية الإسلامية وسطاً في كل شيء.

5- عقيدة واقعية:

إن العقيدة العسكرية الإسلامية، وهي تتصف بالربانية والأخلاقية لم تغفل عن الواقع، فلا تسبح في غير ماء، ولا تطير في غير هواء، وبالرغم من دعوة هذه العقيدة إلى الإسلام والتأخي، إلا أنها اعتمدت الجهاد جوهرًا لها؛ وذلك مراعاةً للواقع؛ لأن الواقع لا يتغير بالكلمات وحدها؛ بل لا بد من ركوب خيل التغيير، لذا أقرت وجود الحرب، واعتبرتها سنة من سنن الوجود، أو ضرورة من ضروريات التدافع فيه، قال تعالى: ﴿وَكُلًّا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ (البقرة: من الآية 251).

والجهاد من أبرز ما يحدث به الدفع، وتتحقق به هذه السنة الإلهية.

إن واقعية العقيدة العسكرية مستفادة من واقعية هذا الدين، الذي تعامل مع الواقع بكل مفرداته رغم دعوته للمثل العليا، والقيم الكبرى.

ومن صور الواقعية في هذا الدين فيما يتعلق بالعقيدة العسكرية ما يلي:

أ- الأخذ بأسباب النصر: إن مما تقوم عليه العقيدة العسكرية الإسلامية أن النصر من عند الله، وتحقيق الإصابة بإرادته؛ بدليل عشرات الآيات منها:

1- قوله تعالى: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ (آل عمران: من الآية 126)

2- وقوله تعالى: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذَلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (آل عمران: 160).

3- وقوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتُمْ إِذْ رَمَيْتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (الأنفال: 17).

فهذه المسألة عقيدة عسكرية راسخة في نفوس جنودنا المرابطين، إلا أن هذه العقيدة - وهي تقرر هذا المبدأ - لم تغفل عن مسألة الأسباب الأرضية، وضرورة الأخذ بها؛ مراعاةً للواقع، فقال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ وَعَدُّوا لِلَّهِ وَعَدُّوْكُمْ وَآخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ (الأنفال: 60).

ب- جواز الانحياز إلى فئة في القتال:

(1) الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ج1، ص558.

لقد حرمت الشريعة الإسلامية التولي يوم الزحف، وجعلته من الكبائر التي توبق صاحبها في النار، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ﴾ (الأَنْفَال: 15).

فالآية تضمنت نهياً صريحاً عن التولي، لكن العقيدة العسكرية الإسلامية في ذات الوقت لم تغفل واقع المعركة، والتكتيكات العسكرية التي يكون لها أثرها في تحقيق النصر، وتأخذ شكل الفرار، وذلك كالتراجع لإيقاع العدو في كمين منصوب، فهو تحرف لقتال، وإن كان في شكله الواقعي يشبه الفرار، وكذلك أجازت هذه العقيدة التحيز إلى فئة أخرى من الوحدات المقاتلة، لذلك فقد أورد الله عز وجل آية الأنفال السابقة بآية أخرى، فقال: ﴿وَمَنْ يُؤَيِّدْ دُبْرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبُئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (الأَنْفَال: 16).

إن مما يجعل خاصية الواقعية أكثر روعة مرونة هذه العقيدة العسكرية، وقدرتها على التكيف مع المستجدات الناجمة عن اتساع مساح الأعمال القتالية، أو البعد الجغرافي، أو تنوع الشعوب التي ترفع راية الجهاد في سبيل الله، ولعل الفتوحات الإسلامية التي لم يشهد التاريخ أعدل منها، ولا أسرع، أكبر دليل على ذلك⁽¹⁾.

هذه هي العقيدة العسكرية الإسلامية تسعى إلى تحقيق المثل العليا، والمبادئ السامية إلا أنها في ذات الوقت تأخذ بعين الاعتبار الواقع ومتطلباته.
6- عقيدة إنسانية:

إن العقيدة العسكرية الإسلامية عقيدة إنسانية بكل ما تحمل هذه الكلمة من تصور جغرافي وعاطفي؛ فهي إنسانية تسعى للوصول إلى الإنسان أينما وجد؛ لتقدم له الهداية والخير، وتوصل عطفها وحبها لكل إنسان، فهي عقيدة متشعبة بالسماحة والرحمة والقيم العليا.
ومن دلائل الإنسانية في هذه العقيدة البنود الثلاثة التالية:

أ- الإخاء الإنساني: ألغى الإسلام كل عوامل التمييز والتفرقة بين الناس، عنصرية كانت، أو إقليمية، أو لونية، أو طبقية، ووجه خطابه إلى الناس كافة مبيناً وشائج القربى بين بني البشر؛ فهم جميعاً أبناء رجل وامرأة، ربطت بينهم العبودية لله، والبنوة لآدم.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأمر حَامٍ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ مَرِيقًا﴾ (النساء: 1).

إن هذه الآية قد صوّرت الناس عائلة واحدة، خلّفوا من نفس واحدة، ويخضعون لرب واحد⁽²⁾.

(1) المذهب العسكري الإسلامي، مرجع سابق، ص 393.

(2) مدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، مرجع سابق، ص 135.

ب- ميزان التفاضل: كان الناس في الجاهلية يتفاضلون بالحسب والنسب، وفي عرف اليهود يكون التفاضل بالمال، وهكذا فلكل جنس أو لون أو قوم معياراً للتفاضل، يُوضع حسب المصلحة.

أما الإسلام فقد ألغى كل هذه المعايير، ووضع ميزاناً عادلاً للتفاضل، فقال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (الحجرات: من الآية 13).

فقد بينت الآية أن التقوى هي ميزان التفاضل بين الناس جميعاً؛ عرباً كانوا، أم عجماً⁽¹⁾.

ويعزز هذا المعنى ما جاء في الحديث الذي يرويه أبو هريرة أن النبي ﷺ سئل: مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ؟ فقال: "يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم" قالوا: ليس عن هذا نسألك، فقال: "فأكرمهم عند الله أتقاهم" فقالوا: ليس عن هذا نسألك، فقال: "عن معادن العرب؟ خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا"⁽²⁾.

ج- القيادة للأكفأ: إن القيادة العسكرية في هذه العقيدة إنما تكون للأكفأ بغض النظر عن جنسه ولونه..، وقد قاد طارق بن زياد فتح الأندلس وهو من قبائل البربر.

هذه هي العقيدة العسكرية الإسلامية، ما كانت إلا لخير الإنسانية، والارتقاء بها، والأخذ بيدها نحو الأمان، وحمايتها من كل ضيم، وقهر، وظلم، وحفظت كرامة الإنسان بشكل جلي وعملي، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ (الإسراء: من الآية 70)؛ فلتهنأ البشرية إذا بهذه العقيدة.

وفي الختام نتساءل... في أي كلية عسكرية على وجه الأرض يمكن أن نجد عقيدة بهذه الخصائص والصفات؟!.

فقد عهدنا دوماً المقاتلين يوغلون في الشراسة والسطوة تحت تأثير السلاح، وفتنة القوة، فما بال جنود هذه العقيدة لا تزيدهم القوة إلا تواضعاً، ولا يزيدهم النصر إلا أخلاقاً وإنسانية؟!.

أي عقيدة هذه التي جعلت جنودها بمختلف مشاربهم كأسنان المشط الواحد؟! ... إنها العقيدة الربانية.

المبحث الثاني:
العقيدة العسكرية للجندي المسلم.

(1) الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ج8، ص608.

(2) صحيح: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب (2) قوله (لقد كان في يوسف وأخوته آيات...)، ح4689، ص808.

يمثل الإسلام بتعاليمه المتعددة؛ الأخلاقية، والعقدية، والفقهية، الخلفية لهذه العقيدة العسكرية، وفي هذا المبحث قمت بعرض بعض آثار هذه العقيدة على الجندي المسلم، ودورها في تشكيل عقليته، وتكوين شخصيته، وتعميق روح الجهاد في نفسه، وكيف استطاعت أن تعالج ضعف المقاتل، ليتم التركيز في ذلك على العقيدة العسكرية المستفادة من القرآن الكريم، بحيث ينتظم الحديث بعون الله - في ثلاثة مطالب على النحو التالي:

المطلب الأول: العقيدة العسكرية القرآنية وأثرها في تعميق روح الجهاد.
المطلب الثاني: العقيدة العسكرية القرآنية وأثرها في بناء شخصية الجندي.
المطلب الثالث: العقيدة العسكرية القرآنية وأثرها في علاج ضعف الجندي.
وفيما يلي تفصيل هذه المطالب وشرحها.

المطلب الأول:

العقيدة العسكرية القرآنية، وأثرها في تعميق روح الجهاد.
تساهم العقيدة العسكرية القرآنية بشكل واضح وفاعل في تعميق روح الجهاد لدى الجندي. وتجعله متعلقاً بالشهادة، وتغرس فيه الأمل بنيل رضا الله والجنة، من خلال طريقه الجهادي،

ومما ساهم في تعميق هذه الروح الجهادية في نفوس الجنود ما يلي:
1- وجوب الجهاد بالنفس وفضله:

سبق في التمهيد الحديث عن أنواع الجهاد، منها الجهاد بالنفس، والجهاد بالمال،... إلخ، لكن ما أريد الوقوف عليه في هذا المقام هو الأثر الذي تركه التكليف بالجهاد على نفس المسلم، ودوره في تعميق الروح الجهادية.

قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: 216).

فالآية صريحة في فرضها القتال، والمقصود به هنا قتال الأعداء من الكفار، حيث كان معلوماً للرعيّل الأول من الصحابة بالقرائن⁽¹⁾.

وقد استخدم القرآن الكريم أسلوب التحريض والتهييج للجهاد في سبيل الله، فقال تعالى: ﴿أَلَا تَقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُواكُمْ أَوْلَ مَرَّةٍ أَخَشَوْهُمْ فَاَللَّهُ أَهَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿فَاتْلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِيهِمْ وَيُنْصِرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ﴾ (التوبة: 13- 14).

(1) الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ج2، ص37.

حيث تضمنت الآياتان تعليلاً لفرضية الجهاد، مستتفرة بذلك كل معاني الرجولة لدى الجندي المسلم.

ونجد أن هذه العقيدة القرآنية قد رفعت أسهم المجاهدين، وقدمتهم على غيرهم، فقال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرْمِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (النساء: 95).

فالتقديم والتكريم للمجاهدين في الآية واضح، حيث ساهم هذا كله في تكوين رغبة كبيرة في نفس الجندي المسلم لخوض غمار الجهاد، جزءاً من قناعاته، وثقافته، وعقليته.

* صورة مشرقة من مدرسة العقيدة العسكرية الإسلامية للمجاهدين بأنفسهم:

أخرج البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: "غاب عمي أنس بن النضر⁽¹⁾ عن قتال بدر، فقال: يا رسول الله! غبت عن أول قتال قاتلت المشركين، لئن أشهدني الله قتال المشركين ليرين ما أصنع، فلما كان يوم أحد، وانكشف المسلمون، قال: اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء - يعني الصحابة - وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء - يعني المشركين -، ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ⁽²⁾، فقال: يا سعد بن معاذ! الجنة ورب النضر، إني أجد ريحها من دون أحد، قال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صنع، قال أنس: فوجدنا به بضعا وثمانين ضربة بالسيف، أو طعنة برمح، أو رمية بسهم، ووجدناه قد قُتل، وقد مُتّل به، فما عرفه أحد إلا أخته من بنائه، قال أنس: كنا نرى أو نظن أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَلُوا بُدْيَالًا﴾ (الأحزاب: 23)."⁽³⁾

إن هذه القصة تضمنت نموذجاً رائعاً للعقيدة العسكرية الإسلامية، وأثرها على نفوس الجنود، وكيف تعمق حب الجهاد في صميم قلوبهم، فإيا لها من عقيدة!!

2- الجهاد بالمال:

(1) أنس بن النضر: أنس بن مالك بن النضر بن خمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر ابن النجار، أبو حمزة الأنصاري الخزرجي، مات عام 93 هـ. (الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي أبو الفضل الكتاني العسقلاني، تحقيق علي محمد الجاوي، ج1، ص126، دار الجبل - بيروت، 1412 هـ - 1992 م).

(2) سعد بن معاذ: سعد بن معاذ بن النعمان بن أمراء القيس الأوسى الأنصاري الأشهلي، من أهل المدينة، يكنى أبا عمر، توفي وهو ابن سبع وثلاثين سنة. (الإصابة في تمييز الصحابة، مرجع سابق، ج3، ص84).

(3) صحيح: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب (12) قوله تعالى ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا...﴾، ح2805، ص464.

كما يساهم الجهاد بالنفس في تعميق روح الجهاد عند الجندي المسلم، فكذلك الجهاد بالمال، فالجندي في كل الأنظمة العسكرية الأراضية ينتمي للجيش، كما ينتمي أي موظف لوظيفته، أما في العقيدة العسكرية الإسلامية، فإن الجندي لا يجاهد بنفسه وحدها، بل يقدم ماله في سبيل الله، طلباً لأعلى مراتب الجهاد وهو في غاية السعادة.

قال تعالى: ﴿لِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَمَرَّسُوهُ لَمْ يَرْبُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمْ الصَّادِقُونَ﴾ (الحجرات: 15).

والمعنى أن المؤمن الكامل الإيمان: هو الثابت الذي لا شك لديه مهما كانت شدة المحنة، وهو الباذل مهجته، ونفيس ماله في سبيل الله⁽¹⁾.
فالآية حينما تقدم صورة مثلى للمؤمن، فإنها تعري كل مسلم أن يسعى لتحقيقها في نفسه.

وفي آية أخرى يقدم خالق الأكوان صفقة عظيمة كبيرة للمؤمن، مقابل أن يبذل في سبيله النفس والمال... فماذا عسى الجندي أن يفعل غير المسارعة لعقد تلك الصفقة؟!
قال تعالى: ﴿لِإِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَاؤُهُمْ عَلَيْهِمْ حَقًّا فِي التَّوَمَّةِ وَالْحَبِيلِ وَالْأَنْجِيلِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (التوبة: 111).

بل إن الله سبحانه يصور عدم الإنفاق في سبيله، والخلود إلى الأرض سبباً في التهلكة؛ فقال تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (البقرة: 195).

فقد بينت الآية أن ترك الإنفاق في سبيل الله يوقع في التهلكة، وعن السدي أنه قال: "أنفق ولو عقلاً، ولا تلق بيدك إلى التهلكة، فتقول ليس عندي شيء"⁽²⁾.

إن الآيات التي تحض على الجهاد بالمال كثيرة جداً لذا أختتم بقوله تعالى: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ (الأنفال: من الآية 60).

نماذج مشرقة من مدرسة العقيدة الإسلامية في الجهاد بالمال:

ما إن ندب رسول الله ﷺ الصحابة ﷺ للإنفاق من أجل تجهيز جيشنا الخارج لقتال الروم في تبوك، حتى بدأت المسابقة والمسارة بينهم، الجميع يريد أن يغتنم فرصة الجهاد بالمال في سبيل الله، فكان أول من جاد أبو بكر، جاء بكل ماله، وجاء عمر بنصف ماله، وجاء

(1) مختصر تفسير ابن كثير، مرجع سابق، ج3، ص369.

(2) الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ج1، ص730.

العباس بمال كثير، وجاء عاصم بن عدي بتسعين وسقاً⁽¹⁾ من التمر، وتتابع الناس، وجاءت النساء بحليهن⁽²⁾.

وفي الترمذي عن عبد الرحمن بن سمرة أنه قال: "جاء عثمان إلى النبي ﷺ بألف دينار حين جهز جيش العسرة، فنثرها في حجره ﷺ، يقول عبد الرحمن: فرأيت النبي ﷺ يقلبها في حجره، ويقول: "ما ضرَّ عثمانَ ما عملَ بعدَ اليومَ" مرتين⁽³⁾.
3- غرس حب الشهادة، والشهداء:

إن المنازل الرفيعة والدرجات العلا التي وعد بها الشهداء من خلال النصوص القرآنية أو النبوية، تجعل الجنود يغبطون الشهداء على ما ذهبوا به، وينغرس في أعماقهم حب الشهادة، ويسعون بجِدِّ لنيلها، والفوز بها.

وهذا كله يساهم بشكل كبير جداً في تعميق روح الجهاد في نفس الجندي المسلم، ويستطيع بهذه الروح أن يتربع على قمة العطاء العسكري، فمن يستطيع مواجهة من يطلب الموت؟!، فإن هذا الجندي ينطلق كالسهم الثاقب نحو هدفه لا يلتفت لشيء.

- ومن النصوص القرآنية التي تساهم في تعزيز هذا المعنى ما يلي:

أ- قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أحيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (البقرة: 154).

حيث أكدت الآية حياة الشهداء بشكل قاطع؛ إذ نهت عن وصفهم بالأموات، والنهي للتحريم، وأخبرت أنهم أحياء حياة لا ندرك كنهها، والعاقل من يحرص على الحياة الحقيقية الباقية، لا الحياة الزائلة الفانية.

ب- قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْفَعُونَ﴾ (آل عمران: 169).

فقد أضافت هذه الآية معنيين جديدين على التي سبقتها، حيث إن الشهداء إضافة إلى كونهم أحياء، فهم بجوار ربهم، وأي جيرة أعظم من هذه؟!، ويعزز هذا قوله تعالى: ﴿وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ (الحديد: من الآية 19)، وهم كذلك يُؤْتَوْنَ رِزْقَهُمْ لتأكيد حياتهم، إذ الحي هو الذي يأكل الطعام.

ج- وقوله تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ مَرْفِيقًا﴾ (النساء: من الآية 69).

حيث بينت الآية أن الذين أنعم الله عليهم هم النبيون والصدِّيقون والشهداء

(1) الوسق: يساوي 653 كجم.

(2) السيرة النبوية لابن هشام، مرجع سابق، م، 2، ج4، ص116.

(3) حسن غريب: أخرجه الترمذي في سننه، كتاب المناقب، باب (19) في مناقب عثمان بن عفان ﷺ، ح 3701، ج5، ص445، وقال عنه حسن غريب عن هذا الوجه.

والصالحون، فإذا كان الشهداء من الذين أنعم الله عليهم، وهم في رفقة النبيين، فكيف لا يتعلق الجنود بهم، ولا يحثون الخطي للحاق بهم؟!.

د- قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ❀ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ❀ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا لَهُمْ﴾ (محمد: 4-6)، والآية صريحة في بيان عظيم جزاء الشهيد.

هـ- ولا يتوقف الأمر في القرآن المجيد عند مسألة غرس حب الشهادة والشهداء، بل نجد أن القرآن عبر عن هذه العقيدة التي تسكن نفس الجندي بشكل واضح وصريح، فقال الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ تَرَوْنَ بَنِي إِدْرِيسَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا آلِهَتَهُمُ النَّاسَ يَتْلُوا آيَاتِ اللَّهِ وَمَا يُؤْمِنُونَ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَاتُنَا فَأَنْتُمْ عَنَّا غَرَبِينَ﴾ (التوبة: 52).

فالمؤمن المجاهد موعود بالحسنى على كل الأحوال بتعبير الآية الكريمة.

وأما من السنة النبوية فأكتفي بالحديث الذي أخرجه مسلم عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: "ما من أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا، وأن له ما على الأرض من شيء، غير الشهيد، فإنه يتمنى أن يرجع فيقتل عشر مرات؛ لما يرى من الكرامة"⁽¹⁾.

فإذا كان الشهيد يتمنى أن يرجع عشر مرات لأجل أن يقتل في سبيل الله، أفلا يدفع هذا الجنود الأحياء لتحصيل القتل في سبيل الله ولو مرة واحدة.

وعليه نخلص إلى تأكيد ما تقدمت الإشارة إليه أن هذه العقيدة العسكرية تفرس من خلال نصوصها القرآنية عميق الحب للشهادة والشهداء، وبالتالي يتعزز الجهاد، وتتسع دائرة فهمه والاندفاع إليه.

4- استشعار فضل الأعمال الجهادية:

قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرْمِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (النساء: 95).

فالآية واضحة في دلالتها على تقديم المجاهدين وتفضيلهم.

وإن المنتبغ للنصوص النبوية في الجهاد يتضح له ما تقدمه العقيدة العسكرية الإسلامية من تعزيزات وتشجيعات لما يقوم به المسلم من أعمال قتالية مختلفة، والشواهد النبوية على ذلك كثيرة، أكتفي بذكر ثلاثة منها:

1- ما أخرج مسلم في صحيحه عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: "من خير معاش

(1) صحيح: أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب (29) فضل الشهادة في سبيل الله، ح1877، ص1009.

الناس لهم، رجلٌ ممسكٌ عنان فرسه في سبيل الله، يطير على متنه، كلما سمع هيعة⁽¹⁾، أو فزعة طار عليه؛ يبتغي القتل والموت مظانّه..."⁽²⁾.

فقد جعل هذا الحديث الشريف حياة الرجل الممسك بعنان فرسه جهاداً في سبيل الله خير حياة.

2- ما روى أنس بن مالك رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "لغدوة في سبيل الله أو روحة، خير من الدنيا وما فيها"⁽³⁾.

والحديث كامل الوضوح في دلالاته على عظم أجر المجاهد؛ حيث جعل المهمة القتالية الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها.

3- وفي الحديث الصحيح فيما رواه أنس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "عينان لا تمسهما النار أبداً: عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله"⁽⁴⁾.

إن من المعروف أن الحراسة جزء من مهام الجندي، بل هي من أدنى مهامه، وقد حاز بنص هذا الحديث على ضمان وقاية من النار، وبالتالي تكون باقي المهام القتالية، والتخطيطية من باب أولى.

وهكذا تساهم هذه النصوص - وغيرها كثير - في تشكيل عقيدة الجندي المسلم العسكرية، فجنده وهو يمارس أعماله القتالية في غاية السعادة والراحة؛ لأنه يستشعر ما وعده الله به من عظيم الجزاء والعطاء.

المطلب الثاني

العقيدة العسكرية القرآنية، وأثرها في بناء شخصية الجندي.

تسهم العقيدة العسكرية بشكل أساسي في بناء شخصية الجندي، وترتيب أولوياته، وتحديد مواقفه، واتخاذ قراراته.

وفي هذا المطلب نقف بإذن الله تعالى على بعض ما أحدثته العقيدة العسكرية الإسلامية في شخصية الجندي المسلم؛ فهذبته وجعلته نعم الرسول لخير رسالة، ويتضح ذلك من خلال النقاط الست التالية:

1- العقيدة العسكرية الإسلامية تكسب الجندي السعادة، والسكينة:

إن السعادة مطلب ينشده كل البشر، والسكينة أمنية يسعون نحوها، ولنعلم أنه لا سعادة بلا سكينة، ولا سكينة حقيقية إلا في ظل العقيدة الإسلامية، وكل سكينة فيما عداها سراب.

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لَيَسِّرْ اللَّهُ لَكَ إِيمَانَهُمْ وَكُلَّ جُنُودِ السَّمَاوَاتِ

(1) الهيعة: صوت الصارخ للفرع، (لسان العرب، ج9، ص182).

(2) صحيح: أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب (34) فضل الجهاد والرياط، ح1888، ص1013.

(3) صحيح: أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب (30) فضل الغدوة والروحة في سبيل الله، ح1880، ص1010.

(4) صحيح: ذكره الألباني في صحيح الجامع الصغير، ح4113، ج2، ص756.

وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿الفتح:4﴾.

حيث بينت الآية أن السكينة إنما تكون من الله، فهو منزلها في قلوب المؤمنين، لا في قلوب غيرهم، والسكينة حينما ينزلها الله في قلب، تكون طمأنينة وراحة، وبقيناً وثقة، ووقاراً وثباتاً⁽¹⁾.

وبالنظر في أحوال المسلمين التي نزلت فيها الآيات في أعقاب الحديبية يتبين عظيم فائدة هذه السكينة الربانية للجندي المسلم، حيث إن الأمل الذي كان يسكن نفوس المشركين من ديارهم بالعودة إليها أوشك أن يجعلهم يخالفون أمر قائدهم، لولا لطف الله وسكينته التي أنزلها في قلوب المؤمنين، ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم بالعودة إلى ديارهم، والانتصار لدعوتهم.

ولا بد هنا من التأكيد على نقطتين:

أ - الإيمان طريق السكينة:

إن جميع مال الدنيا وجاهها لا يمكن أن يأتي للمرء بالسعادة والسكينة، بل إن السكينة غالباً ما تزهو بغير عون من المال، ولربما بغير ورد من الصحة، إنها تحول الكوخ قصراً، وإن الحرمان منها يحول القصر إلى سجن ضيق، ولنعلم أن السكينة والسعادة لا تتحقق إلا مع الإيمان بهذه العقيدة.

يقول الدكتور يوسف القرضاوي: "لقد علمتنا الحياة أن أكثر الناس قلقاً، وضيقاً، واضطراباً، وشعوراً بالتفاهة والضياع، هم المحرمون من نعمة الإيمان، وبرد اليقين، إن حياتهم لا طعم لها ولا مذاق، وإن حفلت باللدائذ والمرفهات؛ إنهم لا يدركون لها معنى، ولا يعرفون لها هدفاً"⁽²⁾.

ب - السكينة في قلب النبي ﷺ:

إن هذه السكينة هي التي غمرت قلب النبي ﷺ وهو في غار ثور أثناء هجرته للمدينة المنورة، فلم يُعِرْ هؤلاء اهتماماً، ولم يستبدَّ به خوف، أو وجل، قال تعالى في شأنه: ﴿فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيًا إِثْنَيْنِ إِذْ هَمَّا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ (التوبة: من الآية 40).

فقد وصفت الآية الكريمة النفسية المطمئنة الساكنة لنبينا ﷺ وهو في الغار، لأنه يركن إلى معية الله الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

وأرى أن الآية تكشف عن الدور المهم للسكينة في تحقيق الأهداف، إذ لو أن النبي ﷺ اضطرب فربما انكشف أمره قبل بلوغ غايته، وبالتالي فالسكينة للجندي في المعركة في غاية الأهمية؛ حتى يستطيع أن يصل إلى هدفه دون اضطراب.

(1) في ظلال القرآن، مرجع سابق، جـ6، ص3318.

(2) الإيمان والحياة، مرجع سابق، ص87.

وخلص القول: إنه لا سعادة حقيقية بلا سكينة، ولا سكينة بلا إيمان صادق، فالسكينة منبع السعادة، والإيمان طريق السكينة، فهي ثمرة من ثمار دوحته.

2- العقيدة العسكرية القرآنية تجعل الجندي المسلم مستعداً للبذل والتضحية:

تحرص كل العقائد العسكرية أن تغرس في نفوس الجنود البذل والتضحية في سبيل ترسيخ قيمها، وتحقيق أهدافها، وقد استطاعت العقيدة العسكرية الإسلامية أن تبني هذا الجندي المضحي الباذل كل ما يملك في سبيل تحقيق هدفه وغايته، فقد تعالى عن النظرة الشخصية، والنزعة الفردية إلى ما هو أعظم، فأصبح واحداً رأسه على كفه، يخوض المعامع، رابط الجأش، راضي النفس، مطمئن الضمير، فإذا أدركه الموت في ميدان الجهاد، استقبله بارتياح بالغ، وسرور كبير؛ لأنه يوقن أن وراءه الفردوس، طابت منزلاً، ﴿وَمَرْضُونَ مِنَ اللَّهِ كَبْرًا﴾ (التوبة: من الآية 72) .

فإذا جاد المرء بنفسه وضحى بروحه كانت تضحيته بالمال أقرب وأيسر؛ لأنه موعود أيضاً بوفاء الجزاء، قال تعالى: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُلْفَىٰ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تظَلُمُونَ﴾ (الأنفال: من الآية 60)؛ حيث قطعت الآية للمنفق بوفاء ما يقدمه من دون أن يظلم شيئاً ولو كان متقال حبة من خردل.

- مصعب بن عمير نموذج للتضحية:

إنه مبعوث الدعوة الأول إلى المدينة المنورة، وهو أول سفير في الإسلام، كان أكثر فتیان مكة جمالاً، وثراءً، ونعمة، وعطراً؛ إذا سار عرف الناس من هو؟ ولو لم يروه لفوح العطر منه. وكانت أمه تكسوه أحسن ما يكون من الثياب، وتتبع له الحضرمي من النعال؛ لكن هذا الشاب المترف حينما دخل الإسلام قلبه، وتربى في مدرسة العقيدة العسكرية الإسلامية، صنعت منه رجلاً آخر، فكان أول سفرائها، وحامل لوائها في بدر، ثم في أحد؛ حيث انهزم المسلمون، ولم يثبت مع النبي ﷺ إلا ثلثة، كان مصعب ؓ من هؤلاء الثابتين، وظل يقاتل عن راية الإسلام، يذب عن النبي ﷺ إلى أن قطعت يده اليمنى، وكان يقول: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ (ال عمران: من الآية 144). فأخذ الراية بيده اليسرى، فقطعت وهو يقول: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾، فحمل الراية بعضديه، وضمها إلى صدره، فأصابه رمح فقتل ؓ، ولم يكن لدى مصعب يوم استشهاده إلا نمرّة⁽¹⁾ قصيرة، فكفونوه بها.

يقول خباب بن الأرت ؓ: فكنا إذا وضعناها على رأسه تعرّت رجلاه، وإذا وضعناها على رجليه برز رأسه، فقال رسول الله ﷺ: "اجعلوها مما يلي رأسه، واجعلوها على رجليه

(1) نمريرة: ثوب.

الإِنْخِرَ(1) "وودعه النبي ﷺ وهو يقول: لقد رأيتك بمكة، وما بها أرقُّ حلة ولا أحسنُ لَمَّةً(2) منك، ثم هأنت ذا أشعثُ الرأس في بُردة(3) .

أي عقيدة هذه التي تصنع الجندي شخصاً آخر، بكل مميزات الجندي الناجح؟!، الله درُّها من عقيدة!!.

3- العقيدة العسكرية الإسلامية تمنح الجندي كافة أشكال القوة:

إن الجندي هو أشد الناس حاجة إلى القوة، وقد يستطيع أن يتحصل على بعض القوة المادية من خلال التدريب والتمرين، لكن يُسَقَطُ في يده إذا تحدثنا عن أي شكل آخر من أشكال القوة، ولنعلم أنه إذا خارت القوة الروحية، والنفسية؛ فإن القوة المادية، والعضلية، لا تسعف صاحبها بشيء، ولم تستطع أيُّ عقيدة عسكرية من العقائد المعتمدة في الأرض أن توفر للمسلم جميع أسباب القوة سوى العقيدة العسكرية الإسلامية، إذ إن قوة الجندي مستمدة من قوة إيمانه بالله؛ فهو لا يبالي بشيء في جنب الله، قوي حتى وإن لم يكن في يده سلاح، راسخ ثابت وإن اضطربت به سفينة الحياة، وأحاط بها الموح من كل مكان.

* مصادر القوة عند الجندي المسلم:

يمكن أن أخص مصادر القوة عند الجندي المسلم في النقاط الخمس التالية:

أ- الإيمان بالله(4):

حينما يستشعر الجندي صلته برب الأرباب، وخالق الأكوان، يستحقر كل قوة سواه، ويشعر بمدد لا ينقطع من القوة والصلابة؛ لأنه يعلم أن النصر إنما يستمد منه، والأمر دوماً له.

قال تعالى: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذَلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (آل عمران: 160).

فإذا أدرك الجندي معنى هذه الآية، وعلم أن النصر إنما يكون من عند الله، وأن خذلان الله للإنسان هو الخسارة الحقيقية، فكيف لا يشعر بالقوة والبأس والشدة؟!.

ب- الإيمان بالحق(5).

إن من مصادر قوة الجندي المسلم الحق الذي يعتقد، ويعمل من أجله، فهو لا يعمل لشهوة عارضة، أو نزوة طارئة، ولا لمنفعة ذاتية، أو لمصلحة شخصية، وعليه فالحق لا بد

(1) الإِنْخِرَ: نوع من النباتات.

(2) لَمَّةٌ: شعر الرأس إذا جاوز شحمة الأذن. (لسان العرب، ج8، ص133).

(3) شباب حول الرسول، مكتبة الإيمان بالمنصورة، ص37، ط1.

(4) الإيمان والحياة، مرجع سابق، ص262.

(5) الإيمان والحياة، مرجع سابق، ص 263.

منتصر؛ قال تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ رَاهِقٌ﴾ (الأنبياء: من الآية 18).

فالحق قوي أبلج، والباطل ضعيف لجلج، وصوله الباطل ساعة، دولة الحق إلى قيام الساعة، فأبي مصدر للقوة هذا؟!.

ج - الإيمان بالخلود:

إن الخلود الحقيقي هو الذي يكون بعد الموت في الجنة، فكيف للجندي الموعود بالفوز المبين، وبالبحور العيين، وبكل العطايا، أن يضعف، أو يهون؟!.

قال تعالى: ﴿يُدْخِلُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزاً عَظِيماً﴾ (الفتح: 5).

فخلود المؤمن في جنة ربه لا خلاف فيه، هذا الخلود الذي دفع أنس بن النضر، فقاتل قتالاً شديداً وهو يقول: الجنةُ وربُّ النضر، إني لأجد ريحها دون أخذٍ، يقول سعد بن معاذ: "فما استطعت مثل ما صنع"⁽¹⁾.

د - الإيمان بالقضاء والقدر:

أي قوة يمكن أن يأخذها المسلم من هذا المصدر، حينما يعلم يقيناً أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأن الإنس والجن لو اجتمعوا على أن ينفعوه بشيء، لن ينفعوه إلا بشيء قد كتبه الله له، ولو اجتمعوا على أن يضروه بشيء، لم يضروه إلا بشيء قد كتبه الله عليه، وشعاره الدائم قوله تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (التوبة: 51)؟!.

فقد سلبت هذه الآية كل أشكال النفع والضرر من يد البشر، وحصرتها بيد الله القادر المقتدر، فإذا كانت الأمور كلها بيد الله، والجندي المسلم عامل الله، فكيف يضعف أو يهون؟!.

هـ - الإيمان بالأخوة:

ما أضعف الجندي حينما يتجرد من الأخوة!، فهو لا يأمن شيئاً، ويفزع من كل شيء، أما الجندي المسلم الذي يتمتع بروح الأخوة فهو يعيش حالة من الثقة والطمأنينة، يشعر معها بالقوة، ويرى أن إخوانه سندٌ له وهو ردةٌ لهم، يعينونه إذا شهد، ويحفظونه إذا غاب، ويواسونه عند الشدة، ويساندونه إذا خارت قواه، فإذا قاتل في جيش من ألف مؤمن، شعر كل فرد منهم أنه يقاتل بقوة ألف لا بشخصه وحده، لذلك فكم من فئة قليلة مؤمنة غلبت فئة كثيرة كافرة بإذن الله.

(1) نور اليقين، مرجع سابق، ص 127.

إنها إخوة تبقى مع الدهر والزمن، لا تقتلعها العواصف، ولا تذهبها الأعاصير؛ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (الحجرات: من الآية 10). فإذا أكد الله تبارك وتعالى بقاء الأخوة زمن الخلافات فهي إذن غاية في العمق والجدور.

وخلاصة القول في هذه النقطة، أن الجندي يمتلك من أسباب القوة الكثير، فإذا غمرته استهجان بكل القوى المادية، وتحرر من الخوف، بل استخف بالطغاة والجبابرة، وسطر في أعماق قلبه قوله تعالى: ﴿وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكُنِيَ بِاللَّهِ حَسِيًّا﴾ (الأحزاب: من الآية 39).
4- العقيدة العسكرية الإسلامية تغرس في الجندي الرحمة:

إن الجندي المسلم في ظل هذه العقيدة الراشدة، يقطر رحمة، ويفيض رافة وحناناً، حيث إنه في ذات الوقت الذي يكون فيه شديد البأس، فهو في غاية الرحمة والشفقة، ومن أشهر أسماء الله " الرحمن الرحيم"، وقال تعالى في صفات المؤمنين: ﴿وَتَوَّصَّوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَّاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ (البلد: من الآية 17).

لقد غلبت طبيعة هذه العقيدة طبيعة الأفراد المختلفة، فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه المعروف في جاهليته بالشدّة والقسوة، حتى بلغت به أن يند ابنة له؛ لكن حينما دخلت هذه العقيدة قلب عمر؛ فجرت ينابيع الرحمة والرفقة في قلبه، وإذ به يرى نفسه مسئولاً أمام الله عن بغلة تعثر بأقصى الأرض حينما ولى إمارة المؤمنين⁽¹⁾.

- ولئن صبرتم لهو خير للصابرين:

معلوم أن في القصاص العدل كله، ولعل أفسى حالة يكون فيها الجندي، وأشدّها على نفسه، حينما يُعاقب بالمثل؛ وبالرغم أن المعاملة بالمثل عدل، إلا أن الإسلام قد ندب أصحاب الحقوق إلى الصبر والصفح، فقال تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقِبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوْقِبْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ (النحل: 126). وقال كذلك: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (الشورى: 40).

فقد اتفقت الآيتان في تحبيب صاحب الحق في الصّح والعفو وترغيبه منه.

5- العقيدة العسكرية الإسلامية تجعل الجندي يتعامل مع الأخبار بحكمة:

يتعمد الخصم في كثير من الأحيان بثّ الأخبار الكاذبة بين جنود خصمه، وذلك لما لها من دور في تدمير معنويات الجنود، وزرع الرعب في قلوبهم.

لذا فإن عقيدتنا العسكرية قد وضعت ضوابط للتعامل مع الأخبار بحكمة، أذكر منها:

(1) الإيمان والحياة، مرجع سابق، ص 284.

أ - رد الأمر للقيادة، وإخبارهم بما يدور:

إن أول أولويات الجندي إذا نمت إلى علمه أخبار - لا سيما تلك التي من شأنها أن تتال من الجيش، وقوته، أو التشكيك في قدرته وقيادته... الخ - أن يخبر القيادة، ويرد الأمر إليها؛ التزمًا بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَتَبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (النساء: 83).

فقد تضمنت الآية الكريمة دعوة صريحة إلى رد الأمر لأهله، وهم القادة والأمرء، لأنهم الأقدر على التعاطي مع هذه الأخبار، والأكثر علماً بما تتضمنه من رسائل خفية في طبيعتها⁽¹⁾.

ب - التأكد من مصدر الخبر، وصحته:

إن الجندي الذي انخرست فيه هذه العقيدة فطنٌ يقظٌ، لا يأخذ الأمور على علاتها، بل يجيد التعامل مع الأخبار الواردة؛ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ (الحجرات: 6).

فقد أمرت الآية الكريمة المؤمنين بالتثبت من خبر الفاسق ليحتاط له⁽²⁾، إلا أن هذا التثبت لا ينبغي أن يبالغ فيه حتى يصل إلى درجة الشك والريبة في كل ناقل خبر.

يقول الشهيد سيد قطب رحمه الله: "ويخصص الفاسق؛ لأنه مظنة الكذب، وحتى لا يشيع الشك بين الجماعة المسلمة في كل ما ينقله أفرادها من أنباء، فيقع ما يشبه الشلل في معلوماتها، فالأصل في الجماعة المؤمنة أن يكون أفرادها موضع ثقها، وأن تكون أنبأؤهم مصدقةً مأخوذاً بها، فأما الفاسق فهو موضع الشك حتى يثبت خبره، وبذلك يستقيم أمر الجماعة وسطاً بين الأخذ والرفض لما يصل إليها من أنباء"⁽³⁾.

ج - تهديد المرجفين:

يمتد علاج ظاهرة الأخبار الكاذبة ليصل إلى حدّ تهديد مروّجها، قال تعالى: ﴿لَنْ لَمِيَّتَهُ الْمُتَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الأحزاب: 60).

والمرجفون في المدينة هم الذين يقولون: جاء الأعداء، وجاءت الحروب، وهو كذب وافتراء، لذا فقد حملت الآية الكريمة تهديداً صريحاً لهم؛ بأن يسلط الله عز وجل نبيه عليه الصلاة والسلام عليهم، حتى يضطروا للجلاء في وقت قصير⁽⁴⁾.

(1) الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ج3، ص256.

(2) مختصر ابن كثير، مرجع سابق، ج3، ص360.

(3) في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج6، ص3341.

(4) مختصر تفسير ابن كثير، مرجع سابق، ج3، ص115.

6- العقيدة العسكرية الإسلامية تدرأ موقع اليأس عن نفس الجندي:
إن اليأس والقنوط يعمّ غالبية الناس في الشدة والضيق، وهذا ما أكدّه القرآن الكريم؛
حيث قال تعالى: ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ مَرْحَمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ
يَفْطُونُ﴾ (الروم:36).

يخبر الله تعالى في هذه الآية عن طبيعة أكثر الناس في الرخاء والشدة، حيث يستقبل
الرخاء بالفرح، والشدة باليأس والقنوط⁽¹⁾.

أما الجندي المؤمن المتعلق بالله، والموصول بالله، فلا يعرف اليأس إلى نفسه سبيلاً؛
لأن الله بيده مقاليد الأمور، وقد نهانا عن اليأس والقنوط، فقال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ
أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن مَّرْحَمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (الزمر:53)، فإذا نهى الله تعالى
المسرف على نفسه في المعصية، عن اليأس من رحمة الله، وأفاض عليه من كرمه، فإن
دخول عامة المؤمنين في ذلك أولى.

وقد جعل الله تعالى صفة القنوط والجزع ملتصقةً بالكفار والمنافقين، قال تعالى على
لسان نبي الله إبراهيم: ﴿قَالَ وَمَنْ يَمُنُّ مِن مَّرْحَمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ (الحجر:56).

حيث ألصق صفة القنوط بالضالين؛ الذين لا علم لهم بربهم، ولا بكمال اقتداره من
الكافرين والمنافقين، وأما من أنعم الله عليه بالهداية والعلم من المؤمنين، فلا سبيل للقنوط
عليه؛ لأنه يعرف كثرة الأسباب والوسائل والطرق الموصلة لرحمة الله⁽²⁾.
الخلاصة:

لو أردت أن أستفيض في الحديث عن أثر العقيدة العسكرية الإسلامية في بناء
شخصية الجندي لما وسع المقام؛ لأن الإسلام دين متكامل، وكل باب من أبوابه يسهم في
بناء الجندي المسلم.

وبالجملة فإن هذه العقيدة تجعلنا أمام جندي حوى كل المعاني الخيرة، والقيم
النبيلة، تلك التي فقدتها معظم جيوش الأرض اليوم، فأنعم بها من عقيدة!!.

(1) تيسير الكريم الرحمن، مرجع سابق، ص616.

(2) تيسير الكريم الرحمن، مرجع سابق، ص411.

المطلب الثالث

العقيدة العسكرية القرآنية، وأثرها في علاج ضعف الجندي.

كما تحرص العقيدة العسكرية الإسلامية على بناء شخصية المقاتل، فهي تركز على

علاج ضعفه، وسدّ ثغور نفسه الأمارة بالسوء.

ويظهر دور العقيدة في علاج ضعف الجندي من خلال النقاط الست التالية:

1- تعزيز مبدأ الثبات، وتحريم الفرار.

إن من أبرز ما يتربى عليه الجندي في مدرسة العقيدة الإسلامية فيما يتعلق بساحة

المعركة الثبات، وحرمة الفرار أمام الأعداء، حتى تصبح لديه عقيدة عسكرية راسخة، تطغى

على نداء النفس الضعيفة بإيثار السلامة، والحرص على الحياة.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا نَزِحُوا فَلا تُولُوهُمُ الْأَدْبَارَ﴾ (الأنفال: 15).

فقد أمر الله تعالى المؤمنين إذا التقى الجمعان، وتقابل الصفان، بالصبر والثبات، وعدم

تولي الأدبار؛ لأن في ذلك نصرة لدين الله، وقوة لقلوب المؤمنين، وإرهاباً للكافرين⁽¹⁾.

وفي آية الأنفال الأخرى أمرنا الله تعالى بالثبات بصريح اللفظ، فقال جل شأنه: ﴿يَا أَيُّهَا

الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ فِتْنَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الأنفال: 45).

وقد جاءت السنة النبوية معززة لهذه الآيات، أذكر منها في هذا المقام ما رواه أبو

هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: "اجتنبوا السبع الموبقات". قالوا: يا رسول الله، وما هن؟

قال: "الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل مال اليتيم، والتولي

يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات"⁽²⁾.

حيث عدّ النبي ﷺ التولي يوم الزحف من الكبائر التي تُوبق صاحبها في النار، وعلينا

أن ندرك أن حكم الجهاد ينتقل من الكفاية إلى العينية عند حضور الصف، ومقابلة الجمع⁽³⁾.

* آيات تعين على الثبات:

لم تكن آيات تحريم الفرار هي النازلة وحدها لتعزيز مبدأ الثبات، بل جاء العديد من

الآيات التي تُعدّ جالبة لثبات المؤمن؛ منها:

أ- قوله تعالى: ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى﴾ (النساء: من الآية 77).

فالجندي المؤمن يعرف زهادة الحياة الدنيا جيداً، قياساً بالآخرة، فلا يكثر لها، ولا

يحرص عليها.

(1) تيسير الكريم الرحمن، مرجع سابق، ص 296.

(2) صحيح: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الديات، باب (24) رمي المحصنات، ح 6857، ص 1182.

(3) تهذيب مشاريع الأشواق إلى مصارع العشاق، مرجع سابق، ص 212.

ب- قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمِبًا﴾ (البقرة: 214). حيث تقدم الآية للجندي المؤمن نماذج من السابقين الذين ساروا في ذات الطريق، فتشكل له مواساة، وعوناً على المواصلة.

ج- قوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (الحديد: 22).

حيث إيمان الجندي بأن مقاليد الأمور بيد الله تعالى، وأن كل شيء مقدر، وما من مصيبة إلا وقد كتبت في علم الله تعالى، والاعتقاد بهذا يحمل الجندي على الإقدام، وعدم الفرار.

2- استخدام أسلوب الترغيب والترهيب:

استخدمت العقيدة العسكرية الإسلامية أسلوب الترغيب لعلاج ضعف الجندي، ويتضح ذلك من خلال العديد من النصوص القرآنية التي تحث على الجهاد، وترغب في الشهادة، وتحبب في البذل والتضحية، أذكر منها في هذا المقام نصين:

أ- قوله تعالى: ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (النساء: 74).

فقد رغبت الآية الكريمة في الجهاد، وقدمت وعداً للمجاهد بأن يؤتية الله أجراً عظيماً، سواء قُتل، أو غلب.

ب- وقوله تعالى ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْثَرًا مِنْ دَرَجَةٍ عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُسَرُّهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (التوبة: 20 - 22).

فقد تضمن هذا النص القرآني بشارات عديدة، وجوائز عظيمة؛ حيث وعد الله تعالى المؤمن المجاهد أن يكون أعظم درجة، ويكتب مع الفائزين، وينعم برحمة الله ورضوانه، ويخلد في جنة الله ذات النعيم المقيم.

حيث يأتي هذا الترغيب في إطار النهوض بالنفس، من الدنو إلى الرفعة، ومن الصغائر إلى العظام، فتستعذب في سبيل هذه البشارات أعظم المعاناة والتضحيات.

3- استخدام أسلوب التحريض والمقارنة.

نجد أن هذه العقيدة تدخل على الجندي من أبواب متعددة، وهذا ينسجم بشكل كبير مع طبيعة البشر، إذ إنهم ليسوا على سجية واحدة؛ فمنهم من لا تقنعه إلا بالحجة والبرهان، ومنهم

من يتغير بالطرق على الوتر العاطفي، ومنهم من يحركه دافع العدل والانتصار للمظلومين، لذا نجد أن طبيعة الخطاب في تعزيز فريضة الجهاد، وعلاج ضعف الجندي، يُعْرَضُ بأشكال مختلفة، ومنها أسلوب التحريض على القتال، والتذكير بالجرائم التي اقترفها الكفرة الفجرة. قال تعالى: ﴿لَا تَقَاتِلُونَهُمْ قَوْمًا نَكَلْنَا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَأُوا كُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ تَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (التوبة: 13).

حيث نجد أن الآية الكريمة تحرض المؤمنين على قتال المشركين من خلال استعراض تاريخهم الأسود من نكثهم للأيمان، ونقضهم للعهد، وهمهم بإخراج الرسول ﷺ، وقد بيتوا أمرهم في النهاية على قتله قبل الهجرة، بلا تحرج، أو مراعاة لكونه في البيت الحرام الذي يأمن فيه القاتل منهم على دمه وماله، وكذلك فهم من أعلن الحرب على المسلمين في المدينة، وبعد استعراض هذا الشريط المرير، يأتي السؤال الشديد، الذي يهزُّ أرجاء النفس، "أتخشونهم؟"

ثم يُبْعَثُ هذا السؤال بما هو أشد على النفس، وأعظم أثراً، "فالله أحق أن تخشوه"، حيث إذا ما قوبلت خشية العباد بخشية الله تبدو حقيقتها المتقرمة، فتطغى الخشية الكبرى، على كل ما دونها⁽¹⁾.

4- الآجال والأرزاق بيد الله الملك الرزاق.

ومن أبرز ما يُعالج به ضعف المقاتل في هذه العقيدة كذلك، أن الله تعالى قد احتفظ لنفسه بآجال العباد وأرزاقهم.

إن هاتين المسألتين هما أعظم عَقَبَتَيْنِ تقف في وجه الجندي، وتساهم بشكل كبير جداً بغرس الضعف في نفسه؛ لذا فقد سدت عقيدتنا الإسلامية هذا الباب، وجعلت الجندي في حالة من الاستقرار، لا يتمتع بها جندي في غير هذه العقيدة، فما أروعها من عقيدة!!
أ- الآجال بيد الله:

وقد نطقت بذلك العديد من النصوص القرآنية، أذكر منها:

- قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا﴾ (ال عمران: من الآية 145).

فإذا وقع قَدْرُ الله في المعركة فسيكون فيها المصراع، وإلا فلن يكون، ولو اجتمعت عليه جيوش الدنيا قاطبة.

- قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (الأعراف: من الآية 34).

(1) في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج-3، ص1611.

إن للأجل ساعة، فإذا جاءت فلا يُؤخر، وسيدرك الموت بُغْيَتَهُ، ولو كان صاحب الأجل في بروج مشيدة، وأجناد مجندة، وهذا ما أشار إليه قوله تعالى: ﴿يَنَّمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ﴾ (النساء: من الآية 78).

- وقوله تعالى كذلك: ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ (ال عمران: من الآية 154).

فالأجل إذاً نافذ، ولن يؤثر فيه شيء، فلماذا الجبن والخوف والضعف؟! فهذا خالد بن الوليد وهو على فراش الموت يقول بصوت يقطر بالأسى على الجبناء، والحنن لفوات الشهادة: "لقد شهدت كذا وكذا زحفاً، وما في جسدي موضع شبر إلا وفيه ضربة بسيف، أو رمية بسهم، أو طعنة برمح، وهأنذا أموت على فراشي حتف أنفي، كما يموت البعير، فلا نامت أعين الجبناء"⁽¹⁾.

وهو تقرير رائع من خالد رضي الله عنه في آخر لحظات حياته (فلا نامت أعين الجبناء).

ب - الأرزاق بيد الله الرزاق.

حيث قررت هذه الحقيقة العديده من الآيات القرآنية، أذكر منها:

- قوله تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ مَرْزُقُكُمْ وَمَا تُوَعَّدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبَّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ﴾ (الذاريات: 22-23).

جاء في تفسير القرطبي: "يعني وعلى رب السماء رزقكم"⁽²⁾.

فالآية تشد انتباه العبد إلى الموضع الحقيقي للرزق، حيث الرزق المقسوم، والخط المرسوم، فلا يتعلق الإنسان بما في الأرض؛ لأنها ما هي إلا أسباب لنيل الرزق المكتوب.

- قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ مَرْزُقُهَا﴾ (هود: من الآية 6).

وكل البشر يديون على الأرض، وأرزاقهم على الله تعالى.

- قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ حَشِيَّةً إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنْ قَتَلْتُمْ كَانَ خَطِيئَةً كَبِيرًا﴾ (الاسراء: 31).

فقد تضمنت الآية نهى الوالدين أن يقتلوا أولادهم خوفاً من الفقر، والإملاق، وتكفل الله

برزق الجميع⁽³⁾.

وهكذا فقد أغلقت عقيدتنا الإسلامية باب الخوف من الفقر بجعل الرزق بيد الله الكريم الجواد.

(1) الفرسان العشرة في الإسلام، د. عاطف الطحاوي، ص 100، مكتبة القرآن.

(2) الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ج 9، ص 38.

(3) تيسير الكريم الرحمن، مرجع سابق، ص 435.

5- استخدام أسلوب التهديد.

يمتلك بعض الناس طبيعة لا يجدي معها سوى التهديد، لذا نجد أن العقيدة العسكرية الإسلامية قد استخدمت هذا الأسلوب لينصاع تحت مطرقتة من لم تؤثر فيه الأساليب السابقة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَنْزُاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (التوبة: 24).

فقد تضمنت الآية كل ما من شأنه أن يدخل الضعف إلى نفس الإنسان من أولاد، وأقارب، وعشيرة، وأموال، ومسكن، ثم حذرت تحذيراً في غاية الشدة من يقدم هذه العلاقات والمنبسطات على واجبه تجاه ربه من الإيمان، والجهاد في سبيل الله؛ بأن يلاقي مصير الفاسقين، والله لا يهدي القوم الفاسقين.

- وقوله تعالى: ﴿لَا تُفْرُوا بِعَدَابِكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (التوبة: 39).

قال ابن عباس: "استنفر رسول الله ﷺ حياً من العرب، فنتأقلوا عنه، فأمسك الله عنهم القطر" (1).

وإذا كانت الآية قد نزلت في قوم معينين؛ إلا أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وهذا ما يؤكد سيد قطب، حيث يقول: "والخطاب لقوم معينين في موقف معين، ولكنه عام في مدلوله لكل ذوي عقيدة في الله" (2).

والآية واضحة في وعيدها للمتأقلين إلى الأرض، والراضين بالحياة الدنيا من الآخرة. وهكذا يساهم هذا اللون في تحقيق فريضة الجهاد، وعلاج ضعف الجندي، من خلال تحقير ما يتأقل من أجله، أو يجبن حرصاً عليه، وتهديده بصريح اللفظ بالعقوبة في الدنيا والآخرة، أو في الآخرة وحدها.

6- عقاب المتخلفين.

إنها مرحلة لا بد منها لمن لم يُجدِّ معه كل السابق، فكان لا بدَّ بعد التهديد من التنفيذ، فقررت العقيدة العسكرية الإسلامية مبدأ معاقبة المتخلفين.

ويتضح ذلك من خلال البنود الأربعة التالية:

(1) مختصر تفسير ابن كثير، مرجع سابق، جـ2، ص143.

(2) في ظلال القرآن، مرجع سابق، جـ3، ص1655.

أ - اعتبار الاستئذان في القعود عن الجهاد دون عذر من سمات الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر:

وذلك إذا كان النفير عاماً مثل غزوة تبوك التي استنفر النبي ﷺ فيها الجميع فلزمهم النفير، عندها لجأ البعض إلى التعذر بأعذار وهمية، قال تعالى في شأنهم: ﴿لَا يَسْتَأْذِنُ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ (التوبة: 44).

يقول سيد قطب: " وهذه هي القاعدة التي لا تحطى، فالذين يؤمنون بالله، ويعتقدون بيوم الجزاء، لا ينتظرون أن يؤذن لهم في أداء فريضة الجهاد، ولا يتكأون في تلبية داعي النفرة في سبيل الله بالأموال والأرواح، بل يسارعون إليها خفافاً وتقلاً كما أمرهم الله؛ طاعة لأمره، و يقيناً ببقائه، وثقة بجزائه، وابتغاء لرضاه"⁽¹⁾.

وبالتالي فإن أول عقوبة للمتخلف عن النفير العام، أن يصنف ضمن قائمة المشكوك في صدق انتمائهم لهذا الدين.

ب - الحرمان من الخروج للجهاد في المعارك اللاحقة:

إن المعارك بحاجة إلى رجال أشداء صادقين في انتمائهم، وعلى استعداد تام للتضحية في سبيل ذلك، أما المتخلفون الذين تخلوا عن دعوتهم في عسرها، فإن جانبهم لا يؤمن، لذا فإنهم يعاقبون بحرمانهم من المشاركة في المعارك التالية، وقد أشار إلى ذلك قوله تعالى: ﴿فَإِنْ مَرَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُواكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ أَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَكُنْ تَقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ مَرْضِيَةٌ بِالْقُعُودِ أَوْلَ مَرَّةٍ فَاعْبُدُوا مَعَ الْخَائِفِينَ﴾ (التوبة: 83).

يقول سيد قطب: " فالذين يضعفون ويتخلفون يجب نبذهم بعيداً عن الصف؛ وقاية له من التخلخل والهزيمة، والتسامح مع الذين يتخلفون عن الصف في ساعة الشدة، ثم يعودون إليه في ساعة الرخاء، جنابة على الصف كله"⁽²⁾.

لذا يعاقب المتخلف عن القتال بفقد حقه في شرف الخروج، والانتظام في كتيبة الإيمان.

ج - حرمان المتخلف من أي نوع من ألوان التكريم:

سواء كان هذا التكريم في حياته، أو حتى بعد مماته، قال تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾ (التوبة: من الآية 84).

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن عبد الله بن أبيّ لما توفى جاء ابنه إلى النبي ﷺ، فقال: أعطني قميصك أكفنه فيه، وصل عليه، واستغفر له، فأعطاه النبي ﷺ قميصه، فقال: " أذنني

(1) في ظلال القرآن، مرجع سلبق، ج-3، ص1662.

(2) في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج-3، ص1683.

أصلّ عليه" فأذنه، فلما أراد أن يُصليَ عليه جذبته عمر رضي الله عنه، فقال: أليس الله نهاك أن تصلي على المنافقين؟ فقال: "أنا بين خيرتين، قال الله تعالى: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ (التوبة: من الآية 80)، فصلّى عليه، فنزلت: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّا بَدَأَ﴾ (التوبة: من الآية 84)".⁽¹⁾

وبالرغم من سبب النزول، فدلالة الآية أعم، وهي تقرر نظام الجماعة المجاهدة في عدم التسامح، أو منح مظاهر التكريم لمن يؤثرون الراحة على الكفاح والجهاد⁽²⁾. ومن الجدير بالذكر أنني لا أتناول هنا الصلاة على المنافق بعد رسول الله، ولكن أشير إلى ما تحمله الصلاة من التكريم على عهده رضي الله عنه، حيث كانت مظهراً من مظاهر التكريم، أما في أيامنا هذه فلا نستطيع أن نحكم على إيمان الناس.

وأرى أن أياً من مظاهر التكريم للمتخلف عن واجبه، يُعد معاقبة لأصحاب التضحية، وتدميراً لمعنوياتهم، ويفتح الباب واسعاً أمام القيل والقال، ثم يقود إلى اضطرابات في داخل الصف المسلم.

د - عقوبة الصادقين من المتخلفين:

إذا كان كل ما سبق في حق المتخلف المنافق الذي يضر لدعوتنا الحقد والحسد، وقد خرج بتخلفه عنا، فكذلك الأمر بالنسبة للمتخلف المؤمن، الذي دنت به همته، ولم يتخلف بقصد خبيث، فهو يتعرض للعقوبة حتى لا يصبح التخلف ظاهرة في الجيش المسلم، وإن قصة الثلاثة الذين خُلفوا ليست عنا ببعيد.

قال تعالى: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (التوبة: 118).

والثلاثة الذين خُلفوا هم: كعب بن مالك، ومرارة بن ربيعة العامري⁽³⁾، وهلال بن أمية الواقفي⁽⁴⁾، وكلهم من الأنصار؛ حيث عوقبوا بالمقاطعة⁽⁵⁾.

وهكذا نرى كيف استطاعت هذه العقيدة الشماء أن تعالج ضعف النفس الإنسانية، وجنوحها نحو السلامة؛ لتجعل منها نفساً تسعى نحو حتفها دون خجل، أو وجل، ودون ضعف أو هزل.

(1) صحيح: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب (22) الكفن في القميص...، ح1269، ص203.

(2) في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج3، 1683.

(3) مرارة بن الربيع: مرارة بن الربيع الأنصاري الأوسي، أصله من قضاة. (الإصابة في تمييز الصحابة، مرجع سابق، ج6، ص65).

(4) هلال بن أمية: هلال بن أمية بن عامر بن قيس الأنصاري الواقفي من الأنصار. (الإصابة في تمييز الصحابة، مرجع سابق، ج6، ص546).

(5) الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ج4، ص595.

المبحث الثالث:

العقيدة العسكرية الإسلامية في التعامل مع الأعداء.

إن هدف هذا المبحث ليس الإتيان على تفصيلات الأحكام الفقهية، وبيان الضوابط الشرعية، وإنما تقديم نموذج فعلي، فيما يتعلق بجانب التشريع والأحكام، حيث تتجلى سماحة عقيدتنا الإسلامية في تشريعاتها وأحكامها، تجاه مجتمع الأعداء.

وأتناول بإذن الله في هذا المبحث التوجيهات التي أقرتها العقيدة الإسلامية للتعامل مع القتلى والأسرى، والموقف من غير المقاتلين، وطبيعة التعامل مع المرافق والممتلكات العامة لمجتمع الأعداء، ثم ألقى بعض الضوء على العهود والمواثيق التي تبرم مع الأعداء، على أن ينتظم ذلك في المطالب التالية:

- المطلب الأول: التعامل مع القتلى، والأسرى من الأعداء
- المطلب الثاني: التعامل مع غير المقاتلين من الأعداء.
- المطلب الثالث: التعامل مع المرافق المختلفة لمجتمع الأعداء.
- المطلب الرابع: العهود والمواثيق مع الأعداء.

وفيما يلي تفصيل هذه المطالب، والله المستعان:

المطلب الأول

التعامل مع القتلى، والأسرى من الأعداء.

حرصت العقيدة الإسلامية على احترام الإنسان، حياً وميتاً، غالباً ومغلوباً، حراً وأسيراً، وجاءت أحكامها وقواعد التعامل فيها، قائمة على هذه العقيدة الرائعة. وفي هذا المطلب نلقي الضوء بإذن الله على طبيعة التعامل مع قتلى الأعداء وأسراهم، وذلك من خلال فرعين، الأول منهما يعالج موضوع القتلى، والثاني يتناول مسألة الأسرى.

الفرع الأول: التعامل مع القتلى من الأعداء.

وأبهر الحديث في هذا الفرع من خلال نقطتين:

النقطة الأولى: التمثيل بجثث الأعداء.

و النقطة الثانية: مواراة جثث الأعداء، أو تسليمها لأصحابها.

وفيما يلي تفصيل ذلك:

النقطة الأولى: التمثيل بجثث الأعداء.

ويقصد به فصل أي عضو عن الجثة، وتشويهها بأي طريقة من الطرق التي تفتك

بالأجسام⁽¹⁾.

(1) الجهاد والقتال في السياسة الشرعية، مرجع سابق، جـ2، ص1301.

وقد ثبت في السيرة أن هند بنت عتبة زوج أبي سفيان قد مثلت بجثمان حمزة بن عبد
المطلب ﷺ في أحد، كما عرف التمثيل بالجثث بين الجيوش المتحاربة عبر الزمن.
موقف الإسلام من المثلة:

اختلف العلماء والفقهاء في حكم التمثيل بجثث الأعداء إلى ثلاثة أقوال:

1- فمنهم من ذهب إلى تحريمه.

2- ومنهم من جعله في حدود الكراهة التزيهية.

3- ومنهم من أجازَه بشرط المعاملة بالمثل.

والجميع متفق على أفضلية تركه، وإن كان من باب المعاملة بالمثل⁽¹⁾.

قال تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ (النحل: 126).

يدل ظاهر الآية على جواز المعاقبة بالمثل للأعداء، إلا أن الآية نفسها قد ندبت إلى
الصبر وتحمل الأذى.

وأميل إلى الرأي الثالث؛ الذي يرى جواز المثلة شريطة المعاملة بالمثل حيث في
الإبقاء على جواز المثلة، وعدم القطع في تحريمها، فائدة عظيمة؛ وهي أن العدو إذا أدرك
أننا نمتلك إنفاً بمعاقبته بمثل ما يعاقبنا؛ فسيراجع حساباته قبل أن يقدم على أي خطوة، أما
إذا علم أننا لا نرد على الاعتداء بمثله، فقد يبلغ من الخسة ما يدفعه إلى استغلال هذا الخلق
النبيل في ممارسة عدوانه على المجتمع المسلم، وأولها التمثيل بقتلنا الذين بحوزته.

إن وصايا القادة للجنود كانت دوماً تتضمن الدعوة إلى عدم التمثيل، وهذا القائد الأول
ﷺ كان إذا أمر أميراً على جيش، أو سرية أو صاه قائلاً: "اغزوا باسم الله، في سبيل الله،
قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا..."⁽²⁾.

وخلاصة القول: إن عقيدتنا العسكرية، لم تأذن لنا بممارسة أي عدوان، إلا من أجل
أن نحفظ كرامة شهدائنا، وذلك من خلال الإذن بالمعاقبة بالمثل، وقد التزم المسلمون في
جميع حروبهم بذلك.

النقطة الثانية: مواراة جثث الأعداء، أو تسليمها لأصحابها.

ثبت أن النبي ﷺ قد قام بدفن جثث قتلى المشركين يوم بدر في القليب⁽³⁾.

وقد اختلف الفقهاء هل كان هذا الدفن إكراماً لجثثهم، أم إهانة لهم، ولئلا يتأذى الناس
من ننتهم، وذهب الدكتور محمد خير هيكل إلى وجوب دفن جثث الأعداء في الحرب ما أمكن؛

(1) الجهاد والقتال في السياسة الشرعية، مرجع سابق، ج2، ص1307.

(2) صحيح: أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب (2) تأمير الإمام الأمراء...، ح1731، ص922.

(3) صحيح البخاري، ح3854، ص646.

لأنه لم يرد عن النبي أنه ترك جثة لأي كافر حربي، دون أن يأمر بمواراتها، في حين أنه أمر بمواراة قتلى المشركين في بدر⁽¹⁾.

والذي يميل الباحث إليه دفن جثث الأعداء بغض النظر عن اعتبار الدفن إهانة أم تكريم؛ لأن هذه الجثة هامة، وقد لقي صاحبها العقوبة بالقتل فلا يليق بالمسلم أن يتشفى من جثة هامة لا حراك فيها.

وأرى أن قصة إلقاء جثث المشركين في البئر يوم بدر، تؤكد عظمة هذا الدين، وسماحة النبي الأمين ﷺ، إذ إنه من بين هؤلاء القتلى قادة الإجرام، الذين ساموا النبي ﷺ وأصحابه أشد ألوان العذاب، فمعهم أبو جهل، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة، وأمّية بن خلف، وعتبة بن أبي معيط، ولو كان أحد مكان النبي لأمر بتزيقهم، إلا أنه لم يفعل شيئاً من ذلك، بل عندما تعذر على المسلمين جرّ أمية دون أن تتقطع أوصاله لضخامته أمر النبي ﷺ بأن يدفن وحده، ويلقى على جثته التراب والحجارة.

وعليه؛ فالعقيدة العسكرية في الإسلام لا تربى الجندي على أن يشفي غليله في جثة هامة لا حراك فيها، بل يقوم على مواراتها، أو تسليمها لأصحابها إذا طلبوها.

الفرع الثاني: التعامل مع أسرى الأعداء.

إذا قرر القائد المسلم الإبقاء على أسرى الأعداء محتجزين في معسكر المسلمين، فعليه الإحسان لهم، وحسن معاملتهم، ورعايتهم، وإطعامهم، والقيام على راحتهم، وذلك طمعاً في إسلامهم، قال تعالى: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ (الإنسان: 8-9).

فقد عدت الآية من صفات الأبرار أنهم يطعمون الطعام للفقراء والمساكين، وكذلك يُقدمونه - رغم شدة حبهم له، وحاجتهم إليه- إلى الأسير والمسجون، وهذا الإطعام لا يُبتغي به إلا وجه الله، والطمع في إسلام هؤلاء الأسرى⁽²⁾.

واستجابة لأمر الله في الإحسان إلى الأسير، فقد سارع المسلمون للإحسان إلى أسرى بدر، فكانوا يقدمونهم على أنفسهم، يقرُّ بهذه الحقيقة أبو عزيز بن عمير⁽³⁾ عندما كان أسيراً، حيث يقول: "وكنت في رهط من الأنصار حين أقبلوا بي من بدر، فكانوا إذا قدموا غداءهم، أو عشاءهم خصوني بالخبز، وأكلوا التمر؛ لو صبية رسول الله ﷺ إياهم بنا، ما يقع في يد أحد

(1) الجهاد والقتال في السياسة الشرعية، مرجع سابق، ج2، ص1340.

(2) الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ج10، ص108.

(3) أبو عزيز بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي بن كلاب بن مرة القرشي العبدي أخو مصعب بن عمير،

(أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج4، مرجع سابق، ص134)

منهم كسرة خبز إلا نفحنى بها، فأستحيي، فأردها على أحدهم، فيردها على ما يمستها⁽¹⁾.
 إن تعامل العقيدة العسكرية الإسلامية مع قضية الأسرى غاية في العدل والوضوح، لذا فقد أمرنا الله تعالى إذا لقينا عدونا أن نتخذه ضرباً وقتلاً، حتى إذا انكسرت شوكته، وسقطت هيئته، وتفرقت جموعه، تغير التعامل معه من الشدة والإثخان إلى الرقة والإحسان؛ وذلك من خلال الكف عن القتل، والشروع في الأسر، والأسر لا يكون عندنا للإذلال والانتقام، بل يجيء دائماً طمعاً في دخول هؤلاء الأسرى في الإسلام، من خلال إسماعهم كلام الله، واحتكاكهم بالمؤمنين، وبعد ذلك إما المن⁽²⁾، أو الفداء⁽³⁾، كما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبِ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَخْنَسْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَانَ فِإِمَّا مَنَابِعِدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أُنْفُسَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَآتَتْكُمْ مِنْهُم مِّنْهُم وَكَانَ لِيُبْلِغَكُمْ بِعُضْ بَعْضِ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنَّ فِيهِمْ لَأَعْمَالَهُمْ﴾ (محمد:4).

المطلب الثاني:

التعامل مع غير المقاتلين من الأعداء.

قدمت لنا العقيدة العسكرية الإسلامية أنموذجاً رائعاً في التعامل مع غير المقاتلين من الأعداء، حيث تفصل تعاملها مع المقاتلين، عن تعاملها مع غير المقاتلين، على عكس معظم العقائد العسكرية الغربية والشرقية، لذا كانت القاعدة عندنا " لا يُقتل إلا من يقاتل"، قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (البقرة:190).
 فالآية أمرت بقتال المقاتلين، ونهت عن قتال من لم يقاتل، واعتبرته اعتداء لا يحبه الله تعالى.

يقول ابن عباس، وعمر بن عبد العزيز، ومجاهد: "هي محكمة"، أي قاتلوا الذين هم بحالة من يقاتلونكم، ولا تعتدوا في قتل النساء والصبيان والرهبان وشبههم⁽⁴⁾.
 فعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: "وُجِدَتْ امرأةٌ مقتولة في بعض مغازي رسول الله ﷺ، فنهى رسول الله ﷺ عن قتل النساء والصبيان"⁽⁵⁾.
 فقد تضمن الحديث نهياً صريحاً عن قتل النساء والصبيان، والحكمة من ذلك عدم مشاركتهم في القتال.

(1) الجهاد سبيلنا، مرجع سابق، ص149.

(2) المن: إطلاق سراح الأسير بلا مقابل.

(3) الفداء: إطلاق سراح الأسير بقدية يفتدي بها نفسه، أو يفتديه غيره بها.

(4) الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ج1، ص719.

(5) صحيح: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب (148) قتل النساء في الحرب، ح3095، ص498.

يقول هيكل: "لا يجوز للمقاتل المسلم إذا اقتحم بيتاً من البيوت على أصحابه، في أرض العدو، أو صادف أمامه أحداً من هذه الفئة -غير المقاتلين- لا يجوز أن يوجه عليه السلاح بحجة أنه من أهل الكفر والحرب ممن استبيحت دماؤهم"⁽¹⁾.

ويقول الدكتور القرضاوي: "إن جمهور فقهاء المسلمين يُحرمون قتل النساء، والصبيان، والشيوخ الكبار، ... وكل من لا يباشر القتال، ومن أجاز منهم قتل النساء والصبيان ومن في حكمهم، أجازها تبعاً لا قصداً، بحكم ضرورات الحرب"⁽²⁾.

لكن مما تجدر الإشارة إليه أنه من قاتل ممن ذكرناهم جميعاً جاز قتله، وكذلك من أعان برأي، أو غيره⁽³⁾.

وهكذا نرى أن أقصى ما تساهلت فيه العقيدة العسكرية تجاه غير المقاتلين هو جواز قتلهم تبعاً لا قصداً، وذلك كما يحدث في الحرب الحديثة؛ كأن تلقى قنبلةً على صفوف العدو، فيكون بينهم بعض الصبيان، أما استهداف غير المقاتلين تقصداً فلم يقل به أحد..

هذه هي سياسة العقيدة العسكرية في الإسلام مع غير المقاتلين، فأبي عقيدة أعظم وأرحم، وأعدل من هذه العقيدة.

كل هذا يقابل بصورة غاية في القتامة، والظلم، والإجرام من قبل العقائد العسكرية الأرضية البائسة، فالعقيدة العسكرية الأمريكية لم تمنع جنودها من قتل أطفالنا، ونسائنا في العراق، وكذلك العقيدة العسكرية الصهيونية لم تمنع جنودها من قتل أطفالنا، ونسائنا، وشيوخنا في فلسطين، فارتكبوا المجازر الشاملة ضد أهلنا، لم يفرقوا بين أعزل ومسلح، بين رجل وامرأة، بين طفل أو شيخ، كان منها مجزرة دير ياسين عام 1948م، حيث قُتل 250 بريئاً، ومجزرة قبية، قتل فيها أكثر من سبعين بريئاً وهم نائمون، ومذبحة بحر البقر بمصر، قتل فيها ستة وأربعون طفلاً وهم في مدرستهم الابتدائية⁽⁴⁾.

وحتى العقيدة العسكرية العربية لم تمنع جنودها من إدخال الأطفال، والنساء في حربهم ضد بعض الجماعات الإسلامية في بلادهم.

المطلب الثالث:

-
- (1) الجهاد والقتال في السياسة الشرعية، مرجع سابق، ج2، ص1248.
 - (2) مقال للدكتور القرضاوي، بعنوان "لا يقتل إلا من يقاتل" على موقع إسلام أون لاين.
 - (3) الجهاد والقتال في السياسة الشرعية، مرجع سابق، ج2، ص1263.
 - (4) منهج الإسلام في تربية الجندي المسلم، مرجع سابق، ص53.1

التعامل مع المرافق المختلفة لمجتمع الأعداء.

إن الجندي المسلم لا يعادي الأشجار، ولا البهائم، والمصانع، فهو لا يقاتل جمادات، ويدرك أن هذه الثروات هي منة من الله لعباده، وبالتالي لا يفرغ غضبه في شجرة، أو بهيمة، أو غير ذلك، بل هو مأمور بالحفاظ على ممتلكات الديار التي يفتحها، والبلاد التي يدخلها، ولا يقف الأمر عند حد الحفاظ عليها، بل يتعداه إلى التطوير والتحسين، والبناء والتشييد، وإن جميع أدبيات عقيدتنا العسكرية تؤكد هذا، وإن سلوك جيوشنا المتعاقبة، تبرهن على صدق هذه الأدبيات، لذا أشير في الأسطر القادمة إلى فرعين، أقف في الفرع الأول مع بعض النصوص التي تمثل دستوراً للجندي المسلم المقاتل، وأشير في الثاني إلى الحالات التي يجوز فيها إهلاك بعض ممتلكات العدو.

الفرع الأول: بعض النصوص التي تدعو إلى الحفاظ على مرافق مجتمع الأعداء.

- 1- وصية النبي ﷺ لجيش مؤتة.
فقد أوصى النبي ﷺ قادة جيش مؤتة فقال: "اغزوا باسم الله، في سبيل الله، من كفر بالله، ولا تغدروا، ولا تقتلوا وليداً، ولا امرأة، ولا كبيراً فانياً، ولا منعزلاً بصومعة، ولا تقطعوا نخلاً، ولا شجراً، ولا تهدموا بناءً"⁽¹⁾.
- إن وصية النبي ﷺ غاية في الوضوح، فقد نهى عن إلحاق الضرر بأي شيء ليس له علاقة بالقتال، سواء كان بشراً، أو شجراً، أو حجراً؛ لأننا لا نحمل للبشرية إلا الخير والصلاح، ونريد لهم السعادة في الدنيا، والنجاة والنعيم في الآخرة.
- 2- وصية أبي بكر الصديق ليزيد بن أبي سفيان.
عندما أرسل أبو بكر جيشاً إلى الشام بقيادة يزيد بن أبي سفيان قال له: "إني موصيك بعشر خلال: لا تقتل امرأة، ولا صبياً، ولا كبيراً هراماً، ولا تقطع شجراً مثمراً، ولا تخرب عامراً، ولا تعقرن شاة ولا بعيراً إلا لمأكله، ولا تعقرن نخلاً، ولا تحرقه، ولا تغلل..."⁽²⁾.
- إن وصية أبي بكر ﷺ تمثل نفس مضمون وصية النبي ﷺ بصياغة جديدة، يؤكد منع التخريب بكل أشكاله، فلا ننتف شيئاً إلا لمصلحة ظاهرة للمسلمين.
- 3- الإفساد والتخريب في الأرض، من صفات المنافقين.
قال تعالى متحدثاً عن صنيع المنافقين إذا تمكنوا في الأرض، وأصبحوا ولادة: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ (البقرة: 205).
- إن إتلاف أي شيء لغير ضرورة ملحة، أو مصلحة محققة، يدخل في دائرة العبث إن

(1) الرحيق المختوم، مرجع سابق، ص436.

(2) في الجهاد آداب وأحكام، مرجع سابق، ص26.

كان بقصد حسن، ويدخل في دائرة الإفساد في الأرض إن كان بقصد خبيث، وكلتا الحالتين لا تليق بالمسلم، الذي يحمل مهمة الإصلاح، والتعمير، والاستخلاف في الأرض.
 إن المنافق إذا أصبح والياً وتمكن في الأرض، وصارت له سلطة، وأمر ونهى، أفسد في الأرض ونهبها وخرّب عمرانها، وعلى عكسه تماماً المؤمن صاحب الرسالة السامية، فإنه إذا تولى في الأرض أصلحها وعمّرّها، وهذا يؤكد قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا مَكَتَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ (الحج: 41).

الفرع الثاني: الحالات التي يجوز فيها تدمير بعض ممتلكات العدو.

إن الصورة النموذجية السابقة التي تنهى عن إهلاك كل ما ليس له علاقة بالقتال، وتشدّد على الحفاظ على الممتلكات المختلفة لمجتمع الأعداء، لا تبقى على إطلاقها، لذا أسجل في هذا المقام بعض الحالات التي يجوز فيها إتلاف ممتلكات العدو، ومنها:
 1- المعاقبة بالمثل:

وذلك إذا مارس الأعداء التدمير ببلادنا، فإنه يجوز قطع شجرهم، وإتلاف زرعهم، لينتهوا عما يفعلونه، قال تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقِبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوِّبْتُمْ بِهِ﴾ (النحل: من الآية 126).
 إن جمهور المفسرين على أنها نزلت في شأن التمثيل بحمزة يوم أحد، تحرم التمثيل إلا إذا كان بالمثل⁽¹⁾، فإذا جاز المعاقبة بالمثل في المثلة فإنه في قطع الأشجار، وتدمير البنيان جائز من باب أولى.
 2- إضعاف العدو:

وهو ما يفيد تدميره إضعافاً للأعداء، كتدمير جدار يتترسون خلفه، أو أشجار يختبئون فيها، أو أبراج يعتلونها، فإذا جاز أن يهلك المسلم حياته مبتغياً إضعاف العدو، وإحداث النكايّة فيه، لتعلو راية التوحيد، فإنه من باب أولى جواز قطع الأشجار، وتدمير البنيان.

يقول تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَبَنَةٍ أَوْ نَرَكْتُمْوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْرِجَ الْفَاسِقِينَ﴾ (الحشر: 5).
 تواصل الآية رحلة الإغاضة لأعداء الله، إذ إن اليهود قد عابوا على النبي ﷺ قطعه لبعض نخلهم، وهو النبي الذي ينهى عن الفساد في الأرض، فأنزل الله تعالى هذه الآية إغاضة لهم، حيث يخبر تعالى بأن كل ما فعله النبي ﷺ فإنما كان بإذن الله؛ إذ لا للخارجين عن طاعته⁽²⁾.

(1) الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، جـ5، ص543.

(2) تفسير الطبري، مرجع سابق، جـ7، ص256.

يقول القرطبي: "والصحيح جواز القطع، فقد علم رسول الله ﷺ أن نخل بني النضير له، ولكنه قطع وحرق ليكون ذلك نكايه لهم، ووهناً فيهم؛ حتى يخرجوا عنها، وإتلاف بعض المال لصالح باقية مصلحة جائزة، مقصودة عقلاً"⁽¹⁾.

المطلب الرابع:

العهود والمواثيق مع الأعداء.

قد تميز المسلمون عبر تاريخهم الطويل بقوة التزامهم بالعهود التي يعطونها، والمواثيق التي يعقدونها، والاتفاقات التي يبرمونها، فقدموا صورة رائعة لعقيدتنا العسكرية الغراء، وفي هذا المطلب أدير الحديث من خلال أربعة فروع: أولهما أذكر فيه بعض النصوص الواردة في مشروعية العهود، وفي الثاني أوضح حكم الالتزام بهذه العهود، وفي الثالث أبين متى يجوز إنهاء العهود، وفي الفرع الرابع أقدم صورة للالتزام المسلمين بعهودهم.

الفرع الأول: بعض النصوص الواردة في مشروعية العهود والمواثيق مع الأعداء.

1 - قوله تعالى: ﴿فَخَذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وِلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۗ﴾ إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمِ بَيْتِكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾ (النساء: من الآية 89-90).

فقد تضمنت الآية الكريمة جواز الدخول في المعاهدات السلمية مع أهل الحرب من الكفار. يقول القرطبي: "في الآية دليل على إثبات المودعة بين أهل الحرب، وأهل الإسلام إذا كان في المودعة مصلحة للمسلمين"⁽²⁾.

2 - قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمِ بَيْتِكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدْيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ (النساء: من الآية 92).

تعالج الآية الكريمة حالة قتل مسلم من دار الإسلام شخصاً من دار العهد خطأ، وقد تضمنت الآية جواز العهد مع الكفار في دار الحرب تبعاً للحكم الذي سبقت له.

3 - قوله تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْتَحِ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ (الأنفال: من الآية 61).

في الآية دليل على مشروعية المصالحة، وهي لون من ألوان العهود والمواثيق، بغض النظر عن حالات الجواز والتحريم لعقد الصلح.

4 - وقوله تعالى أيضاً: ﴿وَإِنْ اسْتَنْصَرُواكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمِ بَيْتِكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾ (الأنفال: من الآية 72).

(1) الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ج9، ص272.

(2) الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ج3، ص271.

فقد أقرت الآية بوجود المعاهدات والمواثيق بين المسلمين، وأهل الحرب .
يقول القرطبي في الآية: "إلا أن يستتصروكم على قوم كفار بينكم وبينهم ميثاق؛ فلا تتصروهم عليهم، ولا تنقضوا العهد حتى تتم مدته"⁽¹⁾.

الفرع الثاني: حكم الالتزام بالعهد والمواثيق.

تعتبرُ وتعد بعض العقائد العسكرية المهادنة والمعاهدة خدعةً، وتكتيكاً عسكرياً يسقط بانتهاء المصلحة، أما في العقيدة العسكرية الإسلامية، فإن هذه العهود والمواثيق تقع موقعها من الاحترام و التقدير، ويُعد نقضها من الغدر والخيانة التي لا تليق بالفارس والمقاتل، والأدلة على ذلك كثيرة جداً، أذكر منها:

1- قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَكَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يَهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾ (الأنفال: من الآية 72).

تقدم الآية صورة رائعة للوفاء بالعهد والمواثيق، حيث إن الله تعالى لم يأذن لنا أن ننصر إخواننا الذين وقع عليهم الحيف في المجتمع الكافر الذي بيننا وبينه ميثاق؛ وذلك وفاءً بالعهد الذي بيننا وبين هذا المجتمع.

2- وقوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ (الإسراء: من الآية 34).

فالأمر في الآية في غاية الصراحة والوضوح.

3- وقوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾ (النحل: من الآية 91).

والآية كذلك في غاية الوضوح فهي تأمر بصريح اللفظ بالوفاء.

4- وقوله تعالى ﴿فَأْتَمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مِدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَمِّينَ﴾ (التوبة: من الآية 4).

يقول القرطبي في تفسيره للآية: "أي أن الله بريء منهم، ولكن الذين عاهدتم فثبتوا على العهد، فأتموا إليهم عهدهم"⁽²⁾.

الفرع الثالث: وجوب الالتزام بالمعاهدات ليس أبدياً.

يلتزم الجيش المسلم بالمعاهدات والمواثيق بشكل تام ورائع، لكن هذا الالتزام ليس أبدياً، بل قد ينتهي ذلك في بعض الحالات، منها⁽³⁾:

(1) الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، جـ4، ص411.

(2) الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، جـ4، ص423.

(3) الجهاد والقتال في السياسة الشرعية، مرجع سابق، جـ3، ص1478.

1- عند انتهاء مدة المعاهدة لقوله تعالى: ﴿فَاتُّمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ﴾ (التوبة: من الآية 4).

حيث يفهم من النص السابق أنه بعد انتهاء مدة المعاهدة تعود حالة الحرب بين المسلمين وأعدائهم كما كانت.

2- إذا نقض العدو الميثاق، أو العهد المعقود بيننا وبينه؛ لأن الوفاء مع الأعداء المعاهدين مشروط بالتزامهم في الحفاظ على سائر بنود المعاهدة.

يقول تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْتَهِصُوا شَيْئًا وَلَا يَضَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ﴾ (التوبة: من الآية 4).

ويقول تعالى أيضاً: ﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْهَوْنَ﴾ (التوبة: 12).

يقول الشوكاني في تفسير الآية: "إن الكفار إن نكثوا العهود التي عاهدوا بها المسلمين، وضموا إلى ذلك الطعن في دين الإسلام، والقدح فيه، فقد وجب على المسلمين قتالهم"⁽¹⁾.

حيث بينت الآية أن وفاقنا بالعهد مرهون بعدم نقصانهم شيئاً من العهد.

3- إذا أعان العدو الذي بيننا وبينه ميثاق، عدواً مقاتلاً لنا؛ بتقديم مساعدة من مقاتلين، أو عتاد، أو رأي، أو غير ذلك، لقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يُضَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا﴾ (التوبة: من الآية 4). قال القرطبي: "أي لم يعاونوا"⁽²⁾.

4- إذا ظهرت أمارات تدل على أن هؤلاء الأعداء المعاهدين يدبرون المؤامرات، ويرسمون الخطط للخيانة، ولكن يجب إنذارهم، والنذير إليهم قبل إنهاء المعاهدة.

يقول تعالى: ﴿وَأَمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ (الأنفال: 58).

وعليه فإن العقيدة العسكرية الإسلامية تعتمد مبدأ الوفاء، والحالات التي يكون فيها العهد واجباً يتحمل العدو وحده المسئولية الكاملة عن إنهاء هذه المعاهدة؛ وذلك كإخلاله ببعض الشروط، أو المظاهرة علينا، أو كيد بنا.

الفرع الرابع: نموذج للوفاء بالعهود عند المسلمين.

وفي هذا المطلب أقدم نموذجين للوفاء بالعهود في تاريخنا الإسلامي؛ وفيما يلي بيان

ذلك:

1- رد أبي جندل بن سهيل إلى قريش وفاءً بالمعاهدة:

(1) فتح القدير، ج2، ص478.

(2) الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ج4، ص423.

ذكر أهل السير أن أبا جندل بن سهيل⁽¹⁾، قد جاء إلى النبي ﷺ في الوقت الذي كان يُبرم فيه صلح الحديبية مع أبيه - سهيل بن عمرو -؛ حيث كانت المعاهدة تتضمن أن من جاء من قريش إلى محمد مسلماً بغير إذن وليه رده عليهم، فكان هذا الموقف بمثابة الاختبار الفعلي لوفاء المسلمين، فلما رأى سهيل الموقف قال: يا محمد قد لجت⁽²⁾ القضية بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا، فقال ﷺ: صدقت، فأخذ أبو جندل يصرخ بأعلى صوته: يا معشر المسلمين، أأرد إلى المشركين ليفتنوني في ديني؟ لنقع صرخته هذه من المسلمين وقع الخنجر في الأحشاء، لكنه الوفاء بالعهد، فهم لعهدهم راعون، فدفعت ذلك الموقف رسول الله ﷺ كي يتدخل بكلمات: "يا أبا جندل، اصبر واحتسب، فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً، إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً، وأعطيناكم على ذلك وأعطينا، وإنا لا نغدر بهم"⁽³⁾.

2- تسليم أبي بصير الثقفي لمبعوث قريش وفاء بالصلح.

ما إن قدم النبي ﷺ المدينة حتى أتاه أبو بصير - عتبة بن أسيد بن جارية الثقفي -، وكان ممن حُبسَ بمكة، فما كاد يستقر حتى وصل كتاب من أزهري بن عوف⁽⁴⁾، والأخنس بن شريق الثقفي⁽⁵⁾، مع رجل من بني عامر، فقال رسول الله ﷺ: "يا أبا بصير إنا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت، ولا يصلح لنا في ديننا الغدر، وإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً، فانطلق إلى قومك"⁽⁶⁾.

فلتسمع الدنيا وفاء عقيدتنا العسكرية الإسلامية، ووفاء جنود هذه العقيدة أنهم بنيان مرصوص، لا تخالف فيه لبنة واحدة، فأنه الله يا أهل هذه العقيدة!!

ولنعلم أن هذه الصورة الرائعة في الوفاء تقابل بصورة قبيحة عند معظم العقائد العسكرية الأخرى، فلم ننسَ ما صنعتها العقيدة اليهودية بنا يوم الأحزاب، ونقض بني قريظة، ومن قبلهم يهود قينقاع والنضير، ومن بعدهم قريش ونصرها لبني بكر على حلفائنا من خزاعة، ومن زمن القائد صلاح الدين لا ننسى ما صنعه المجرم الصليبي ريكارد بأسرانا، حيث قتل ما يزيد عن ثلاثة آلاف أسير كانوا قد سلموا أنفسهم بعد أن أعطاهم ريكارد عهداً بحقن دمائهم، ثم أطلق لنفسه العنان بارتكاب أفقر مجزرة عرفها ذلك العصر.

(1) هو العاص بن سهيل بن عمرو بن عبد شمس العامري القرشي، من فضلاء الصحابة، توفي شهيداً من طاعون عمواس بالأردن عام 18 هـ (الإصابة في تمييز الصحابة، مرجع سابق، ج، ص).

(2) لجت: تمت.

(3) السيرة النبوية لابن هشام، مرجع سابق، م، 2، ج، 3، ص 204.

(4) أزهري بن عوف بن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب القرشي الزهري. (الإصابة في تمييز الصحابة، ج، 1، ص 46).

(5) هو أبي بن شريق، ويعرف بالأخنس ابن شريق، ابن عمرو بن وهب بن علاج بن عوف الثقفي، يكنى أبا ثعلبة، كان حليفاً لبني زهرة. (أسد الغابة، مرجع سابق، ج، 1، ص 55).

(6) السيرة النبوية لابن هشام، مرجع سابق، م، 2، ج، 3، ص 207.

هذه العقيدة القائمة القذرة تقابل بصورة جميلة رائعة من صلاح الدين تجاه أسرى الصليبيين أنفسهم، عندما لم يجد من الطعام ما يكفي جميع أسرى الصليبيين، فخشي عليهم الموت، جوعاً فأطلق سراحهم، مع العلم أنهم أسروا محاربين، ولم يعطيهم الأمان، وكان بمقدوره أن يقتلهم دون أن يكون عليه لوم⁽¹⁾.
هذه صورتنا، هذه عقيدتنا، وهذا ديننا.. فأَي الفريقين أحق بالأمن، بل أحق بالنصر والتمكين .

وعند هذه النقطة يكون قد تم لنا بحمد الله الفصل الأول (العقيدة العسكرية في القرآن الكريم).

(1) الجهاد طريق النصر، عبدالله غوشة، ص136.

الفصل الثاني نظريات قرآنية في إعداد الجندي، والقائد

وفيه ثلاثة مطالب:

المبحث الأول:

الإعداد الشخصي والنفسي للجندي المسلم

وفيه خمسة مطالب:

- المطلب الأول: أهمية الإعداد..
- المطلب الثاني: الإعداد الإيماني والروحاني.
- المطلب الثالث: الإعداد السلوكي والأخلاقي.
- المطلب الرابع: الإعداد الدعوي والحركي.
- المطلب الخامس: الإعداد النفسي.

المبحث الثاني:

الإعداد العسكري للجندي المسلم

وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: الإعداد العسكري العام.
- المطلب الثاني: الإعداد العسكري الخاص.

المبحث الثالث:

"الإعداد الشخصي والنفسي للقائد"

وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: وفتات مع القائد والقيادة.
- المطلب الثاني: صفات القائد، وخصائصه.

الفصل الثاني

نظريات قرآنية في إعداد الجندي، والقائد

إن الأمة الإسلامية مأمورة بالإعداد المتواصل، والتهيؤ الدائم، وقد أمرنا القرآن الكريم في محكم آياته بذلك، فقال جل ثناؤه: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ وَعَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَأَخْرِبُونَ مِنْ دُونِهِمْ لَا نَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ (الأنفال: 60).

وإذا كان الإعداد واجباً من وجبات الأمة المسلمة، فإنه اليوم أكثر وجوباً، ولا بد له أن يتناسب مع مستجدات الحياة التي نعاصرها، وأن يسير كذلك وفق الرؤية الإسلامية المتكاملة في الإعداد، لذا يدور حديثي في هذا المبحث عن الإعداد الشخصي والنفسي للجندي المسلم، ثم أتناول الإعداد العسكري له، وذلك في مبحثين، ثم أعقد مبحثاً ثالثاً لإعداد القائد شخصياً ونفسياً معرجاً على صفاته وخصائصه والله الموفق.

المبحث الأول

الإعداد الشخصي والنفسي للجندي المسلم.

يُعد الجندي اللبنة الأولى في الجيش، فإذا كانت هذه اللبنة قوية متينة؛ أصبحنا نمتلك جيشاً قوياً فاعلاً، والتركيز على البناء الشخصي والنفسي للجندي يجب أن يسبق البناء العسكري له.

وقد تناولت في هذا خمسة مطالب، وهي على النحو التالي:

المطلب الأول: أهمية الإعداد.

المطلب الثاني: الإعداد الإيماني والروحاني.

المطلب الثالث: الإعداد السلوكي والأخلاقي.

المطلب الرابع: الإعداد الدعوي والحركي.

المطلب الخامس: الإعداد النفسي.

وفيما يلي تفصيل ذلك بإذنه تعالى:

المطلب الأول

أهمية الإعداد.

إن الجهاد في سبيل الله ذروة سنام الإسلام، وهو من أفضل الأعمال التي يقوم بها العبد إرضاءً لله جل وعلا، وهو كذلك من أشق الأعمال وأكثرها تضحية، فقد يفقد الإنسان فيها حياته، وقد يُؤسر، أو يصبح طريح الفراش لا يستطيع حراكاً، وقد يفقد ماله طوعاً بإنفاقه في الإعداد وما شابه، أو كرهاً؛ بأن يصاب فيه من عدوه، كما يصنع عدونا المحتل اليوم بهدم بيوت المجاهدين والاستشهاديين، وعليه فإن الارتقاء لنيل شرف الجهاد، واللاحق بركب

المجاهدين، على النحو الذي يُرضي الله، ويحقق الثمرة المرجوة منه لابد له من تأهيل؛ يمتد مع الإنسان منذ أن يكون جنيناً في بطن أمه، ويتواصل معه في كل مرحلة من مراحل جهاده حتى يدفن معه في قبره، ويشمل كل ناحية من مناحي حياته، وكل زاوية من زوايا شخصيته، ونفسه، وروحه، حتى يستطيع أن يتغلب على عوائق الطريق، وتكاليف السفر، فيكون أهلاً للمراغمة والمقاومة، عندها يمكن لأمتنا أن تطمئن؛ لأنها تمتلك الجندي المخلص.

ومعلوم أن الجندي هو العنصر الأكثر فاعلية في العملية القتالية، فلا يتصور أن يتم قتال دون هذا الجندي، وبقدر إخلاصه لربه، وانتمائه لدينه ووطنه، يحقق لنا بإذن الله الانتصار، ويتغلب على الأعداء، حتى لو خذلت الدنيا فلن يخذل هو دينه وأهله.

ولا يتصور قط أن يكون مقاتلاً في سبيل الله، حالة كونه منحرف العقيدة، زانغ التصور، مرتكباً للفاحشة، مقصراً في حق ربه، منتهكاً لمحارمه.

إن هذا النوع من المقاتلين لا يمكن أن يقدم لأمنه نفعاً، أو يدفع عنها ضرراً، بل لا يجلب لها إلا المهانة والمذلة والعار.

إن الجندي المسلم في ذات الوقت الذي يحارب فيه، فإنه يحمل في قلبه أمانة، وفي عقله رسالة، يريد أن يوصلها إلى أصحابها، ويبلغها لمن لم تبلغه، وهي رسالة ثقيلة، غالباً ما تواجه من قبل الطواغيت والملوك بالرفض والإنكار؛ لأنها ترفض استبدادهم، لذا كان لابد من أن يُعدَّ الجندي الداعية إعداداً قوياً، يستعد معه للمواجهة والمجاهدة، وبدون هذا الإعداد قد يفاجأ كثيراً على حين غرة، والصبر عند الصدمة الأولى ليس سهلاً⁽¹⁾.

ونلاحظ كيف أعدَّ الله تبارك وتعالى نبيه لهذا الدور، وهو في بداية طريقه، فخاطبه قائلاً: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُرْسَلُ ﴿ قُمْ اللَّيْلَ إِذَا قَلِيلًا ﴿ نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿ أَوْ نُرِدْ عَلَيْهِ مَرَّةً الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ (المزمل: 1-5).

يقول الشهيد سيد قطب في قوله: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾: " هو هذا القرآن وما وراءه من التكليف، والقرآن في مبناه ليس ثقيلاً فهو ميسر للذكر، ولكنه ثقيل في ميزان الحق، ثقيل في أثره في القلب: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ حَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ (الحشر: من الآية 21)، فأنزله الله على قلب أثبت من الجبل يتلقاه، وإن تلقى هذا الفيض من النور والمعرفة، واستيعابه، لتقبل يحتاج إلى استعداد طويل⁽²⁾.

(1) الجهاد في سبيل الله، القادري، مرجع سابق، جـ1/ ص442.

(2) في ظلال القرآن، مرجع سابق، جـ6 / ص3745.

وإن كان القرآن ثقيلًا في أثره، وأحكامه عموماً، فإنَّ الجهاد من أثقل التكاليف التي جاء بها القرآن الكريم؛ حيث يحتاج إلى صبر ومصابرة. فالجندي قبل أن يخوض غمار المعركة القتالية، لابد وأن يخوض معركة النفس والشيطان، والقيم والأخلاق والآداب، فإن كان قوياً في ميدان الدعوة والأخلاق والعمل؛ كان قوياً في ميدان النزال والقتال.

المطلب الثاني

الإعداد الإيماني، والروحاني

إن هذا النوع من الإعداد يمثل الروح لباقي أنواع الإعداد، فأياً جندي يتجرد عن المعاني الإيمانية والروحانية؛ يصبح كالألة يتحرك بلا روح، فتكون مسيرته مجردة عن كل المعاني الرفيعة، والمشاعر النبيلة، لذا فإننا نجد أن كل الطواغيت والجبابة الذين يريدون استعباد الخلق يقتلون في جنودهم كل هذه المعاني؛ لأنهم يريدون منه أن ينفذ الأمر دون أن يكون هناك أي تأثير شعوري، أو عاطفي، لذا كان لابد وأن يتميز الجندي المسلم عن غيره من الجنود، فهو لا يقاتل إلا ابتغاء مرضاة الله، وإنفاذاً للبشرية من ظلمة التيه والضياع، لا يرغب في القتل قط، ولكن، حتى لا تكون فتنة، ويكون الدين كله لله، أصعبه على زناد سلاحه، ولسانه يلهج بذكر ربه، طلقته تخرج من بندقيته، ودمعته تفيض من عينه، رجاء ما عند الله ... هذا الجندي الذي نريد... هو الجندي الذي يتم إعداده إيمانياً حتى تتحقق فيه

الصفات الست التالية:

أولاً/ رباني مخلص⁽¹⁾:

وهذه من أهم الصفات المطلوبة في الجندي، بحيث يعيش في الدنيا بروح أهل الآخرة، يسير فوق الأرض وروحه محلقة في عنان السماء، تتحرك جوارحه، وقلبه يهفو لرضا خالقه، غايته الجنة، وصحبة النبيين، ورفقة الصديقين والشهداء والصالحين، يستعذب أوامر الله، ويبغض نواهيه، أسرَّ هواه وجعله تبعاً لما جاء به الحبيب ﷺ، تحقق فيه قوله تعالى ﴿وَكَانَ كُونُوا مِرْبَاتِينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ (آل عمران: من الآية 79).

قال ابن عباس ﷺ في تفسير هذه الآية "أي حُكماء، عُلَماء، حُلَماء"، وقال الحسن فقهاء، وعن الحسن أيضاً: يعني أهل عبادة، وأهل تقوى⁽²⁾.

ويقول القرطبي: "والرباني الذي يجمع إلى العلم البصر بالسياسة، العارف بأنبياء

الأمة".⁽¹⁾

(1) تبصير المؤمنين بفقهاء النصر والتمكين في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص 406.

(2) مختصر تفسير ابن كثير، مرجع سابق، ج 1، ص 295.

ويستظل الجندي المسلم بمظلة الإخلاص، حتى يبدو إخلاصه يقطر من كلماته ومواقفه، لأنه يدرك أن الإخلاص هو ما يفرق مقاتلاً عن مقاتل، ومجاهداً عن مجاهد، وفي الحديث عن أبي موسى رضي الله عنه: "من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله".⁽²⁾

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال جاء رجل إلى رسول الله ﷺ، فقال: (أرأيت رجلاً غزا يلتمس الأجر والذكر، ماله؟) فقال رسول الله ﷺ: "لا شيء له" فأعادها ثلاث مرات، يقول ﷺ: "لا شيء له" ثم قال: "إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً، وابتغي به وجهه".⁽³⁾

وكذلك فالجندي المسلم يدرك أن الإخلاص معيار قبول الأعمال، ومؤشر التوفيق في الدنيا والآخرة، وعلى قدر إخلاص المرء تكون أعطيته، قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ (البينة:5). حيث يحدثنا تبارك وتعالى عن طبيعة الأمر الصادر لمن سبقنا من الأمم من اليهود والنصارى، فالتوجيه كان لهم أن يعبدوا الله وحده، ويتضمن ذلك دعوة لنا للالتزام بهذه القيمة العظيمة.

يقول الطبري: "أي مفردين له الطاعة؛ لا يخلطون طاعة ربهم بشرك، فأشركت اليهود بربها بقولهم: (إن عزيراً ابن الله)، والنصارى بقولهم في المسيح مثل ذلك، وجحودهم نبوة محمد ﷺ".⁽⁴⁾

ومن نظائر هذه الآية قوله تعالى مخاطباً محمداً ﷺ: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أُعْبِدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ﴾ (الزمر:11)، وكذلك قوله تعالى ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (الكهف: من الآية110).

فالجندي المسلم لا يبتغي بعمله إلا وجه الله تبارك وتعالى، ويحتسب ما يقدم عند الله.

ثانياً/ مراقب ربّه

إن عمل الجندي من أخطر الأعمال، فهو يحرس حدود الوطن، ويدافع عن حياض الأمة، ويقارع الأعداء، لذا يجب أن يكون الجندي أخلص الناس لدينه ووطنه، وهذا لا يتأتى إلا من خلال تنمية الرقابة الذاتية عنده، رقابة تمنعه من خيانة قائده، أو دينه، أو وطنه، هذه الرقابة التي تجعله أكثر تقانياً في تأدية واجبه ومهمته، بل تجعله مستميتاً في سبيل الله ورسالته.. ولا يمكن للجندي معها أن يسقط تحت أي بلاء؛ سواء كان ترغيباً، أو تهديداً؛ لأنه

(1) الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، جـ2، ص486.

(2) صحيح: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب (15) من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، ح2810، ص466.

(3) حسن: أخرجه النسائي في سننه، كتاب الجهاد، باب (24) من غزا يلتمس الأجر والذكر، ح3140، جـ3/ص327.

(4) تفسير الطبري، مرجع سابق، جـ7، ص550.

يعلم أن الله الرقيب ينظر إليه، ويتمثل قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (المجادلة:7).

يقول الشنقيطي: "وأما المعية العامة لجميع الخلق فهي بالإحاطة التامة والعلم، ونفوذ القدرة، وكون الجميع في قبضته جل وعلا؛ فالكائنات في قبضته جل وعلا أصغر من حبة خردل".⁽¹⁾

1- ومن نظائر هذه الآية قوله تعالى في سورة الحديد: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ (الحديد: من الآية4).

2- وقوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿فَلْتَقَنَّ عَلَيْهِمْ بَعْلُهُمْ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾ (الأعراف:7).

3- وكذلك في سورة يونس: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (يونس:61).

فإنه تعالى يخبر عباده يوم القيامة بما قالوا وما فعلوا من قليل وكثير، وجليل وحقير؛ لأنه تعالى الشهيد على كل شيء، لا يغيب عنه شيء، ولا يغفل عن شيء، بل هو العالم بخائنة الأعين، وما تخفي الصدور.⁽²⁾

فكيف إذا لهذا الجندي المسلم أن يخون وهو من يدرك هذه المعاني، ويفقه هذه الآيات، وقد وضع نصب عينه قول الله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلْمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (الأنعام:59).

إذا فهو عالم الغيب والشهادة أحصى كل شيء عدداً، وأحاط بكل شيء علماً، فكيف إذا لا يعبد، ولا يرغب فيه، ولا يرهب منه؟!⁽³⁾

شأن بين هذا الجندي المسلم المستشعر لرقابة الله، وبين ذلك الجندي الذي ربِّي فقط على طاعة قاداته، ومراقبتهم، فإن حضروا عظمهم، وإن غابوا لعنهم.
ثالثاً/ يتقي الله ويخشاه:

ما أروع ذلك الجندي الذي تزين بسربال التقوى، وتزين بحلّة الخشية، يسير في

(1) أضواء البيان، مرجع سابق، ج2، ص486.

(2) مختصر تفسير ابن كثير، مرجع سابق، ج2، ص6.

(3) أيسر التفاسير، مرجع سابق، ج2، ص70.

دروب الأرض وهو محاذر لما يجد، يترك ما يشتبه فيه طلباً للحلال، يقول الحسن البصري: "ما زالت التقوى بالمتقين حتى تركوا كثيراً من الحلال مخافة الحرام".⁽¹⁾ إنه يتنازل عن حقه رغبة فيما عند الله، فنعم هذا الجندي يقود أمته إلى النصر المجيد، وأما الجندي الذي انغمس في المعاصي، وخضع للهوى والشهوة، فقد جلب لنا الهزيمة، وأفسد الجهد، وأضاع الطاقات، وإن من العبث الخروج لمقاتلة العدو الخارجي قبل قهر العدو الكامن داخل النفس الإنسانية، لذا نجد أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد كتب إلى قائده سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ومن معه من الأجناد فقال: "

أما بعد، فإنني أمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال، فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو، وأقوى المكيدة في الحرب، وأمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراساً من المعاصي منكم من عدوكم؛ فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم، وإنما يُنصر المسلمون بمعصية عدوهم لله، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة؛ لأن عددنا ليس كعددهم، ولا عدتنا كعدتهم، فإن استوينا في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة، وإن لم ننصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا، واعلموا أن عليكم في سيركم حفظاً من الله يعلمون ما تفعلون، فاستحيوا منهم، ولا تعملوا بمعاصي الله وأنتم في سبيل الله، ولا تقولوا: إن عدونا شر منا فلن يسلط علينا وإن أسأنا، فرب قوم سلط عليهم شرٌّ منهم، كما سلط على بني إسرائيل لما عملوا بمساخط الله كفره المجوس ﴿فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا﴾ (الإسراء: من الآية 5). واسألوا الله العون على أنفسكم، كما تسألونه النصر على عدوكم...".⁽²⁾

والجندي المسلم يدرك عظيم أجر المتقين، أولئك الذين هم في جناتٍ ونهرٍ، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿۱﴾ فِي مَعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقَدَّمٍ﴾ (القمر: 54-55). فيحرص على أن يكون أحدهم.

ومما سبق يظهر لنا السر في تشديد الله على عباده بضرورة لزوم التقوى في العديد من الآيات، ومنها:

- 1- قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ مَقِيبًا﴾ (النساء: 1).
- 2- وقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: 102).

(1) تفسير الحسن البصري، مرجع سابق، جـ1، ص71.

(2) أثر الإسلام في تكوين الشخصية الجهادية للفرد والجماعة، د.محمد نعيم ياسين، ص45.

فقد أمرت الآيتان الكريمتان العباد بلزوم التقوى بصريح النص.

جاء في تفسير ابن كثير: "سأل عمرُ أبي بن كعب عن التقوى فقال له: أما سلكت طريقاً ذا شوك؟ قال: بلى، قال: فما عملت؟ قال: شمريت واجتهدت، قال فذلك التقوى⁽¹⁾. وكيف يمكن للجندي المسلم أن ينزع إزار التقوى والخشية، وهو يعلم أن معية الله تبارك وتعالى إنما تكون مع المتقين، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ (النحل:128). يقول الإمام الشنقيطي: "وهذه المعية خاصة بعباده المؤمنين، وهي بالإعانة والنصر والتوفيق"⁽²⁾.

وكذلك فالمجاهد يعلم عظيم الجزاء الذي أعده الله لعباده المتقين، حيث رهن قبول الأعمال كلها، ونيل الجزاء عليها، بتقوى الله فيما يعسر استقصاؤه، ومن ذلك:

- 1- قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (المائدة: من الآية27).
- 2- وكذلك قال في جزائهم: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ (الحجر:45).
- 3- وقال: ﴿يَوْمَ نَخْشِرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ (مريم:85).
- 4- وقال كذلك ﴿وَأُنزِلَتْ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (الشعراء:90).
- 5- وقال أيضاً: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعِجَمٍ ﴿١٧٨﴾ فَكَهِنَ بِمَا آتَاهُمْ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ (الطور:17-18).

قد بينت الآيات السابقة طبيعة جزاء المتقين.

ونختم هذه النقطة اختصاراً بأيتين تبيينان جزاء أهل الخشية والخوف من الله، حيث قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ (الملك:12). وقال كذلك: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ (الرحمن:46).

رابعاً/ يذكر الله في ساحة المعركة، ويتضرع إليه:

الذكر هو جهاد اللسان في المعركة، ولعل جهاده أمضى من جهاد الحسام والبنوقية، وهو الذي يرجح كفتنا على كفة عدونا، فالذكر والدعاء يجلبان معية الله لنا، فإن كان الله معنا فمن علينا!، وهو الرامي الحقيقي، وكل ما نصنعه في المعركة إنما هو بذل الأسباب لا غير، قال جل شأنه: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتُمْ إِذْ رَمَيْتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ (الأنفال: من الآية17).

(1) مختصر تفسير ابن كثير، مرجع سابق، ج1، ص28.

(2) أضواء البيان، مرجع سابق، ج2، ص468.

يقول القرطبي: "نزلت الآية إعلماً بأن الله تعالى هو المميت والمقدر لجميع الأشياء".⁽¹⁾

لذا فقد دعانا الله تبارك وتعالى إلى لزوم ذكره، والتضرع إليه في المعركة لينصرنا على عدونا، فقال جل شأنه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الأنفال: 45).

وجاء في القرطبي: "لو رُحِّصَ لأحد في ترك الذكر لرُحِّصَ لذكريا عليه السلام، يقول تعالى: ﴿أَلَا تَكَلَّمَ النَّاسُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا مَرْمَرًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا﴾ (ال عمران: من الآية 41)، ولرخص للرجل يكون في الحرب، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأنفال: من الآية 45).⁽²⁾

* الذكر المستحب عند القتال:

قوله تعالى على لسان أصحاب طالوت: ﴿رَبَّنَا افْرغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أقدامَنَا وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: من الآية 250).⁽³⁾
خامساً/ يُجَدِّدُ تَوْبَتَهُ:

إن الجندي المسلم إنسانٌ كغيره من الخلق، يُصِيبُ وَيُخْطِئُ، يَطِيعُ وَيَعْصِي، وإيمانه كذلك يزيد وينقص، فكان لا بد أن يتصف الجندي المسلم في جيشنا الإسلامي بالتوبة والأوبة، فإذا ما أخطأ لا يصبر على خطأ، بل يأتي ربه نادماً خاشعاً ذليلاً، مقراً بذنبه، راجياً رحمة ربه، سائلاً الله أن لا يُؤتَى الجيش الذي هو فيه من قبله، لأنه يدرك خطورة المعاصي على الجيش، وأثرها في ميزان النصر والهزيمة، أولئك الذين قال الله فيهم: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَكَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (ال عمران: 135).

ودعوة التوبة موجهة لكل مؤمن؛ استجابة لقوله تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (النور: من الآية 31).
سادساً/ يطلب الآخرة:

إذا أصبح الجندي من طلاب الآخرة عزف عن الدنيا، واستحقر متاعها، ونظر إليها كما ينبغي أن يكون؛ إنها زائلة، وما عند الله هو خير وأبقى؛ استجابة لقوله تعالى: ﴿وَالْآخِرَةُ

(1) تفسير القرطبي، مرجع سابق، جـ4، ص330.

(2) تفسير القرطبي، مرجع سابق، جـ4، ص384.

(3) تفسير القرطبي، مرجع سابق، جـ4، ص384.

حَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ (النساء: من الآية 77)، ولا يمكن لطالب الآخرة الصادق أن يسقط في وحل المادة وظلامها⁽¹⁾.

المطلب الثالث الإعداد السلوكي والأخلاقي

إن الإعداد السلوكي والأخلاقي مهم جداً بالنسبة للجندي المسلم ، إذ إنه يعكس سلوكه طبيعة الأفكار والمبادئ التي يحملها، والناس تنظر للدعوات والأفكار من خلال سلوك أفرادها، ومن هنا تعين علينا أن نشير بشكل مختصر إلى بعض الأخلاق التي يتوجب على الجندي امتثالها، والتي يمكن إجمالها في الفروع الخمسة التالية :

الفروع الأول / الصدق :

هو الخلق الذي يلزم المؤمن في كل أحواله وأموره، فلا يمكن لمؤمن أن يتعدى الصدق إلى غيره، وإلا فليس بمؤمن، وهو صادق مع الناس جميعاً، لأن هدى الإسلام الذي تغلغل في كيانه علمه أن الصدق رأس الفضائل، ورأس مكارم الأخلاق، وهو يقود صاحبه إلى البرّ المفضي إلى الجنة.⁽²⁾

عن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ: "إنَّ الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكون صديقاً، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً".⁽³⁾

والمؤمن لا يخالف نداء الله إلى سواءه، وهو يسمعه ينادي عليه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (التوبة: 119).

هذه الآية جاءت ضمن الآيات التي نزلت بشأن كعب بن مالك يوم أن رفض أن يقدم اعتذاراً كاذباً للنبي ﷺ، فجاءته التوبة من السماء في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (التوبة: 118 - 119).⁽⁴⁾

(1) تبصير المؤمنين بفقہ النصر والتمكين في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص 406.

(2) شخصية المسلم ، مرجع سابق، ص 1635.

(3) صحيح: أخرجه البخاري في كتاب "الأدب"، باب (69) قول الله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين" ح 6094، ص 1063.

(4) لباب النقول في أسباب النزول، للسيوطي، ص 153، المصنف الحديث، ص 212.

نعم الجندي كعب ﷺ ، فقد أعطاه الله من الحجة والبيان ما يقنع به محاوريه، إلا أنه أبى أن يُنمق قولاً يُخادع به، وذلك رغم أن كل من تخلف قد اختلقوا الأعدار، واستغفر النبي ﷺ لهم، إلا هو وهلال بن أمية، ومرارة بن الربيع ﷺ.

ويُعقب ابن مسعود ﷺ على الآية قائلاً: " الكذب لا يصلح منه جد ولا هزل، واقرأوا إن شئتم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (التوبة: 119) (1).

وأرى أنه من الضروري أن أذكر هنا بعض صور الصدق التي ينبغي على الجندي المسلم أن يتحلى بها:

1- صدق الانتماء:

وهو أن يكون الجندي صادقاً في انتمائه وولائه لله ورسوله والذين آمنوا، لذا نجد أن الآية السابقة قد نزلت في إطار معالجة ظاهرة التخلف عن الغزو، وكذلك جاءت في أعقاب آيات التوبة، وكأنها وصية الله لنا بأن التخلف عن الغزو يمثل ثلماً في صدق انتماء الرجل، لذا كانت الوصية للثلاثة الذين خلفوا، ولنا جميعاً بتقوى الله، والخروج للغزو مع الصادقين. ومما يعزز هذا القول آية الأحزاب، حيث يقول الله تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا بَدِيلًا﴾ (الأحزاب: 23)، فقد جاءت تتوسط آيات تتحدث عن الجهاد والقتال، ونجد الآية التي تليها مباشرة تتحدث عن المنافقين الذين خذلوا المؤمنين في حفر الخندق، وتسلبوا لواءً، وقالوا: ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً..، فقال الله تعالى فيهم: ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ عَافِئًا رَّحِيمًا﴾ (الأحزاب: 24)، ولما كان النفاق كذباً في الانتماء، كان المراد بالصدق المذكور صدق الانتماء. والله تعالى أعلم.

2- الصدق في قلب المعركة.

مما يشير إلى أن الصدق أكد ما يكون على الجندي المقاتل في سبيل الله، أن الله تبارك وتعالى قد أكد عليه في أصعب المواطن؛ عند رص الصفوف، والتحام الجموع، فقال جل شأنه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُعَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَتْهُمْ بِنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾ (الصف: 2-4).

فلا يليق بالجندي المسلم الذي يدافع عن خير عقيدة، وعن أصح دين، أن يكون كاذباً، سواء في قوله، أو في انتمائه وفعله؛ بأن يفر، أو يضعف ويجبن أمام عدوه.

(1) مختصر تفسير ابن كثير، مرجع سابق، ج2، ص177.

ما أروع الجندي المسلم الذي لا يعرف للكذب باباً، ولا للزور طريقاً، ولا للمدح الكاذب شكلاً، لا يتملق، ولا يراوغ، فهو صادق، صدوق، يقول الصدق وإن كان فيه مهلكة ظاهرة.

الفرع الثاني / الحذر واليقظة :

الجندي أياً كان موقعه فهو مستأمن على ثغر من ثغور الإسلام، وإن المسلمين ما أمنوا إلا اتكالاً عليه بعد الله ، والأعداء يتربصون ليل نهار، ويتحينون أي فرصة للانقضاض على المسلمين، لذا تعين على الجندي أن يكون يقظاً حذراً، استجابة لأمر الله تبارك وتعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ ﴾ (النساء: من الآية 71) فقد أمر الله تعالى المؤمنين بأخذ الحيطة و الحذر.

والجندي الحذر اليقظ يصعب على عدوه مهاجمته ومباغتته في زمان ومكان غير متوقعين.

ومما يجلب الكوارث والمصائب للجيش المسلم استهانتة بعوده، أو الاعتماد على الكثرة، أو كلاهما معاً، فما كان سبب هزيمتنا في الجولة الأولى من حنين إلا يوم أن أعجبتنا كثرتنا، قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ ﴾ (التوبة: من الآية 25).

وتطبيقاً لمبدأ الحذر واليقظة، كان المسلمون الأولون في الحرب لا ينامون ولا يُنيمون، وكان من مزايا خالد بن الوليد ﷺ أنه كان لا ينام ولا ينييم وما أصدق المثل العربي القديم: (إذا كان عدوك نملة، فلا تنم له).⁽¹⁾

تشريع صلاة الخوف للحفاظ على الحذر:

وتظهر أهمية الحذر إذا علمنا أن إحدى الحكم من تشريع صلاة الخوف هو الحفاظ على مستوى مرضٍ من الجاهزية عند الجنود، والإبقاء على روح الحيطة والحذر، ولم يكن هذا بمفهوم النص بل بمنطوقه قال تعالى: ﴿ وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَكُنْتُمْ أَصْحَابَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ ورائِكُمْ وَتِلْكَ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغفلُونَ عَنْ أَسْلِحِكُمْ وَأَمْتِعِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا

(1) فن القيادة في الإسلام، مرجع سابق، ص 267.

جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرَضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنْ
اللَّهُ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿النساء: 102﴾.

* سبب النزول: عن أبي عياش الزرقى (1) قال: كنا مع رسول الله ﷺ بعسفان (2)، فاستقبلنا
المشركون وعليهم خالد بن الوليد، وهم بيننا وبين القبلة، فصلى بنا النبي ﷺ الظهر فقالوا: قد
كانوا على حال لو أصبنا غرتهم، ثم قالوا تأتي عيهم صلاة هي أحب إليهم من أبنائهم
وأنفسهم، فنزل جبريل بهذه الآيات بين صلاة الظهر والعصر: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ
الصَّلَاةَ﴾ (النساء: من الآية 102) (3).

الفرع الثالث/ الوفاء بالعهد :

إن أعظم ما يمكن أن يتصف به الجندي المسلم صفة الوفاء بالعهد، فما كانت في
إنسان إلا رفعت مكانته وزانته، وما نزعته من إنسان إلا أردته وشانته، فالجندي المسلم إن
أعطى وعداً أو عهداً وفى به؛ لأنه يعلم جيداً معنى قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ
مَسْئُولًا﴾ (الإسراء: من الآية 34). ، فالمرء يُسأل يوم القيامة عن العهد سواء كان مكتوباً، أو غير
مكتوب.

يقول ابن كثير: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ﴾ أي الذي تعاهدون عليه الناس، والعقود التي تعاملونهم
بها، فإن العهد والعقد كل منهما يُسأل صاحبه عنه (4).

ويقول سيد قطب: "يسأل الله جل جلاله عن الوفاء به، ويحاسب من ينكث به وينقضه،
وقد أكد الإسلام على الوفاء بالعهد وشدد؛ لأن هذا الوفاء مناط الاستقامة، والثقة، والنظافة في
ضمير الفرد وفي حياة الجماعة" (5).

والجندي الذي يفي بالعهد والوعد فهو كذلك لا يغدر من باب أولى، فعن ابن عمر
رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة، يرفع
لكل غادر نواء، فقليل: هذه غدرة فلان ابن فلان" (6).

(1) أبو عياش الزرقى الأنصاري، اختلف في اسمه فقليل: هو زيد بن الصامت، ويقال ابن النعمان، ويقال اسمه عبيد بن معاوية،
وقيل عبدالرحمن بن معاوية الصامت. (الإصابة في تمييز الصحابة، مرجع سابق، ج-7، ص294).

(2) عسفان: اسم لقرية جامعة بين مكة والمدينة (لسان العرب، ج-6، ص250).

(3) لباب النقول، ص97، والحديث صحيح رواه النسائي (1549-1550)، وأحمد (404/3 - 59/4، 60). وصححه الألباني.

(4) مختصر تفسير ابن كثير، مرجع سابق، ج-2، ص377.

(5) في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج-4، ص2226.

(6) صحيح: أخرجه الإمام مسلم في صحيحة، (كتاب الجهاد والسير) باب (4) تحريم الغدر، ح1735، ص924.

التاريخ يثبت وفاء المسلمين:

ويشهد التاريخ للمسلمين ببالغ احترامهم للمعاهدات، والمهادنات التي أبرموها مع غيرهم، فقد كانوا يحرصون حرصاً شديداً على نصها وروحها، ولم يحاولوا البتة أن ينقضوا أيّاً منها، وكذلك نجد في تاريخنا الإسلامي احترام المسلمين لما أعطاه السابقون منهم لغيرهم من عهود، فهذا قدوتنا ﷺ قد كتبت لنصارى نجران عهداً يطمئنهم فيه على أنفسهم وملتهم وأموالهم.. الخ. فلما التحق حبيبننا المصطفى ﷺ إلى الرفيق الأعلى، خشى أهل نجران أن يتغير موقف الخليفة أبي بكر الصديق ﷺ من العهد والهدنة معهم، فأكد لهم الصديق ﷺ حرص المسلمين على الوفاء بما قطعوه من عهود، فجدد لهم العهد الذي منحه لهم رسول الله ﷺ، وكذلك فعل باقي الخلفاء الراشدين مع نصارى نجران، وعليه فالجندي ينبغي أن يكون سفير خير وهدى لدعوتنا، ملتزماً بأخلاقنا السمحة.

وفي مقابل وفاء المسلمين نجد غيرهم لا يباليون بنقض العهود، وذلك كنقض قريش لصلح الحديبية، ونقض أهل جزيرة قبرص العهد الذي أخذه المسلمون عليهم عندما فتحوا الجزيرة سنة 28هـ، وكذلك نجد "تقفور" ملك الروم ينقض العهد مع الخليفة "هارون الرشيد"، ولعل من أشنع نقض العهود ما حدث من الفرنجة من تسليم غرناطة إليهم بشروط بلغت السبعة والسنتين شرطاً سنة 897هـ، وقد نقضوا تلك العهود بعد التسليم مباشرة، وعملوا بالمسلمين أشنع أشكال القتل وأقاموا محاكم التفتيش.. الخ⁽¹⁾.

الفرع الرابع: الأمانة:

إن الجندي هو صورة دعوتنا السمحة التي تنتقل في الأرجاء، لذا يجب أن تكون هذه الصورة صافية، بهية، جميلة، ليعجب الناس بها، وتؤسر لها قلوبهم، والأمانة من أجمل ملامح تلك الصورة، فكم يحب الناس الأمين، ويكسبونه ثقتهم، ولقد استطاع حبيبننا ﷺ أن يحوز على لقب الصادق الأمين من أهل مكة، فقد كان موضع ثقتهم، ومحط أمانتهم. وإذا كان خلق الأمانة مطلوب لكل مسلم فهو أكثر أهمية للجندي؛ لأنه الذي يُستأمن على الغنائم والأموال، ويدخل الدور والقصور.

ويستحيل للجندي المسلم الذي تربي على القرآن أن يضيع أمانة استؤمن عليها، أو يأخذ حقاً ليس له، وقد حفظ قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً﴾ (النساء: 58).

(1) مجلة الجندي المسلم، العدد 112.

فقد أمرت الآية بصريح نصها بتأدية الأمانة، وفي الحديث عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: "أد الأمانة إلى من أتمنك ولا تخن من خانك" (1). ما تشمله الأمانة:

تمتد الأمانة لتشمل كل ما فرضه الله على المرء المسلم، من أحكام، وآداب، وأخلاق، لكن بعض الناس يقصر الأمانة في الأمانات التي في معنى الودائع، يقول الشيخ محمد الغزالي: "والعوام يقصرون الأمانة في أضيق معانيها وآخرها ترتيباً، وهو حفظ الودائع، مع أن حقيقتها في دين الله أضخم وأثقل" (2).

ونجد أن ابن كثير قد تناول ما تتضمنه الأمانة فقال: "وهو يعم جميع الأمانات الواجبة على الإنسان، من حقوق الله تعالى عز وجل على عباده من الصلاة، والزكاة، والصيام، والكفارات والنذور وغير ذلك، مما هو مؤتمن عليه لا يطلع عليه العباد، ومن حقوق العباد بعضهم على بعض؛ كالودائع وغير ذلك؛ مما يؤتمن به من غير إطلاع بينه على ذلك، فأمر الله عز وجل بأدائها، فمن لم يفعل ذلك في الدنيا أخذ منه ذلك يوم القيامة" (3). سموً وأمانة جندي مسلم:

جاء في كتاب سقوط المدائن: "لما هبط المسلمون المدائن وجمعوا الأقباض أقبل رجل بحق⁽⁴⁾ معه فدفعه إلى صاحب الأقباض، فقال والذين معه: ما رأينا مثل هذا قط، وما يعدله ما عندنا ولا يقاربه، فقالوا: هل أخذت منه شيئاً؟ فقال: أما والله لولا الله ما أتيتكم به. فعرفوا أن للرجل شأنًا، فقالوا: من أنت؟ فقال: لا والله لا أخبركم لتحمدوني، ولا غيركم ليقرظوني، ولكني أحمد الله، وأرضى بثوابه، فأتبعوه رجلاً حتى انتهى إلى أصحابه فسأل عنه، فإذا هو عامر بن قيس⁽⁵⁾". (6)

هكذا يكون الجندي المسلم؛ يحمده الله، ويرضى ثوابه، أمين لا يخون، ولكن هذه الدعوة لا تقف عند الجند بل تتعداه إلى القيادة، وإذا أردنا أن يشيع هذا الخلق في الجند فليتعزز في القيادة، والناس على دين ملوكهم، ولنتذكر قول سعد لأمير المؤمنين عمر رضي الله عنهما: "عفت فحفوا، ولو رعت لرتعوا".

وأرى أن أسجل هنا بعض صور الأمانة، ومنها الأربع التالية:

- (1) صحيح: أخرجه أبو داود في سننه كتاب (البيوع) باب (81) في الرجل يأخذ حقه من تحت يده، ح3534، ج3، ص1531.
- وأخرجه أحمد في مسنده (414/3)، والبيهقي في سننه 271/1.
- (2) خلق المسلم للغزالي، مرجع سابق، ص45.
- (3) مختصر تفسير ابن كثير، ج1، ص405.
- (4) الحق: هو الجراب أو الكيس.
- (5) عامر بن قيس الأنصاري ابن عم الجلاس بن سويد، عامر بن قيس الأشعري ويقال أنه اسم أبي بزرذ لأخو أبي موسى. (الإصابة في تمييز الصحابة، مرجع سابق، ج3، ص596).
- (6) سقوط المدائن، وهزيمة الدولة الساسانية، أحمد عادل كمال، ص64.

1- وضع الشخص في موضعه:

وحتى يكون الشخص في موضعه لا يكفي الصلاح، بل لابد من الكفاءة العلمية والقوة العملية؛ حيث إننا نجد أن نبي الله يوسف عليه السلام لم يرشح نفسه لإدارة شئون البلاد المالية لنبوته، أو تقواه، أو موقعه الاجتماعي، بل لحفظه، وعلمه فقال تعالى على لسانه: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْهَا﴾ (يوسف: 55).

يقول الغزالي: "ومن المعاني العظيمة للأمانة وضع كل شيء في المكان الجدير به، واللائق له، فلا يسند منصب إلا لصاحبه الحقيقي به، ولا تملأ وظيفة إلا بالرجل الذي ترفعه كفايته إليها".⁽¹⁾

2- إتقان العمل:

ومن الأمانة أن يحرص المرء على تأدية واجبه كاملاً في العمل الذي يناط به، وأن يستنفذ جهده في إبلاغه تمام الإحسان... فإن استهانة الفرد بما كلف به وإن كان تافهاً -تسبب شيوع التفريط في حياة الجماعة كلها، ثم استشرء الفساد في كيان الأمة برمته.⁽²⁾

3- عدم استغلال المنصب لمصلحة شخصية:

ومن الأمانة أن لا يستغل الرجل منصبه الذي عُين فيه، لجلب المنافع والمصالح إلى شخصه أو أقربائه، وكذلك فإن من خيانة الأمانة ابتكار أساليب ملتوية، وطرق مختلفة، لتحصيل زيادات مالية.

عن عبدالله بن بريدة⁽³⁾ عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: "من استعملناه على عمل فرزقناه رزقاً فما أخذ بعد ذلك فهو غلول".⁽⁴⁾

فقد اعتبر الحديث الأخذ من المال العام بلا إذن غلواً؛ لأنه اختلاس من مال الجماعة الذي يُنفق في حقوق الضعفاء والفقراء، ويرصد لما ينفع المجتمع، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (آل عمران: من الآية 161).

جزاء الملتزم:

أما الملتزم في وظيفته، ويأنف من خيانة الواجب الذي استؤمن عليه؛ فهو عند الله من

المجاهدين، قال ﷺ: "العامل على الصدقة بالحق، كالغازي في سبيل الله حتى يرجع إلى بيته".⁽¹⁾

(1) خلق المسلم للغزالي، مرجع سابق، ص46.

(2) خلق المسلم للغزالي، مرجع سابق، ص48.

(3) عبدالله بن بريدة بن الحصيبي بن الأسلمي، أبو سهل (سير أعلام النبلاء، مرجع سابق،)

(4) صحيح: أخرجه أبو داود في سننه، كتاب (الخراج والإمارة والفيء)، باب (10)، في أرزاق العمال، ح2943، ج3، ص1286.

4- حفظ السر:

ومن الأمانة حفظ السر، فكم من البيوت فضحت لعدم حفظ أمانة السر، وكثير من الناس لا يباليون بالأسرار التي استؤمنوا عليها، وهذه طامة كبرى يترتب عليها من العواقب ما لا يعلمه إلا الله، يقول الشيخ محمد الغزالي: "فكم من حبال تقطعت، ومصالح تعطلت، لاستهانة بعض الناس بأمانة المجلس، وذكرهم ما يدور فيه من كلام منسوباً إلى قائله، أو غير منسوب".⁽²⁾

فعن جابر بن عبدالله، قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا حدث الرجل بالحديث ثم التفت؛ فهي أمانة".⁽³⁾

السكوت على فساد، ليس من الأمانة:

يظن بعض الناس أن من الأمانة عدم البوح بما يدور في المجالس المكريية والإفسادية، وهذا اعتقاد خاطئ، بل إن الأمانة تقتضي أن يصل الحديث إلى من بيده الأمر لتقويم الاعوجاج.

ويقول الشيخ محمد الغزالي: "وعلى كل مسلم شهد مجلساً يكر فيه المجرمون بغيرهم ليلحقوا بهم الأذى، أن يسارع إلى الحيلولة دون الفساد جهده طاقته".⁽⁴⁾

الفرع الخامس: الحرص على مكارم الأخلاق:

أكتفى بذكر أربع نقاط في باب الإعداد السلوكي والأخلاقي؛ وذلك لأهميتها للجندى المسلم، ونختم هذه النقطة -الإعداد السلوكي والأخلاقي- بضرورة الحرص على مكارم الأخلاق ليبقى الباب مفتوحاً لأي سلوك نبيل، أو خلق كريم لم نأت عليه في هذه العجالة. ونبدأ بالحديث عن أحسن الناس خلقاً، الذي امتدحه ربه من فوق سبع طباق فقال تعالى في حقه ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: 4)، فعن الحسن في تأويله للآية قال: "أدبه القرآن".⁽⁵⁾ فما أروع مكارم الأخلاق، ونبينا يجعل مبعثه كله ما كان إلا ليتم به مكارم الأخلاق، وفي المقابل فالسوء كله في الأخلاق الدنيئة قال بعض البلغاء: "الحسنُ الخلق من نفسه في راحة، والناس منه في سلامة، والسيئ الخلق الناس منه في بلاء، وهو من نفسه في عناء".⁽⁶⁾ العبادات تهذب الأخلاق:

(1) صحيح: أخرجه أبو داود في سننه، كتاب (الخراج والإمارة والفيء)، باب (7)، في أرزاق العمل، ح2943، ج3، ص1283.

(2) خلق المسلم للغزالي، مرجع سابق، ص50.

(3) حسن: أخرجه أبو داود في سننه، كتاب (الأدب) باب (37) في نقل الحديث، ح4868، ج4، ص2077.

(4) خلق المسلم للغزالي، مرجع سابق، ص50.

(5) تفسير الحسن البصري، مرجع سابق، ج2، ص357.

(6) أدب الدنيا والدين لأبي الحسن البصري الماوردي، ص177، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، فيصل عيسى البابي الحلبي.

ومما يهذب الأخلاق العبادات، فالعبادات في الإسلام ليست طقوساً مبهمه من النوع الذي يربط الإنسان بالغيوب المجهولة، ويكلفه أداء أعمال غامضة، وحركات لا معنى لها، فالفرائض والعبادات تُعوّد المرء أن يحيا بأخلاق صحيحة؛ فعلى سبيل المثال حينما أمرنا الله تعالى بالصلاة قد بين لنا بعض حكمها فقال جل شأنه: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ (العنكبوت: من الآية 45). والدليل في الآية واضح.

وفي الزكاة قال: "﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾" (التوبة: من الآية 103). حيث إذا ظهرت نفس المرء ترقى في مدارج الأخلاق.

وفي الصيام قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة: 183). وتحقيق التقوى يعني التربع على قمة الأخلاق.

وفي الحج قال: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (البقرة: 197). والدليل في الآية واضح.

هذه هي العبادات في الإسلام فإذا لم يستفد المرء منها ما يزكي قلبه، وينقي لبه، ويهذب بالله وبالناس صلته فقد هوى، هكذا نرى خطورة الأخلاق، فهي من المعاني السامية، والأهداف الاستراتيجية في الإسلام.⁽¹⁾

وبعد.. فهل أدركنا المعنى البعيد للأخلاق؟!، إنها أبرز ما ميزت هذه الأمة، عن غيرها، تلك التي تجعل من المجتمع المسلم لحمة واحدة، وجسداً واحداً، لا يجد الشيطان فيه سبيلاً، فعلى جنودنا الميامين، ومجاهدينا المظفرين أن يحرصوا كل الحرص على مكارم الأخلاق، تلك التي تأسر القلب، وتسرق اللب، وتأخذ الفؤاد.

المطلب الرابع

الإعداد الدعوي والحركي

إن المهمة الكبرى للجندي المسلم هي الدعوة إلى الله تبارك وتعالى، والداعية إلى الله لا بد وأن يكتسب من الصفات الدعوية؛ ما يمكنه من التربع على عروش القلوب، وأن يجمع

(1) خلق المسلم للغزالي، مرجع سابق، ص 9.

من الصفات الحركية ما يمكنه من عرض الإسلام بصورته المشرقة البهية الحية النابضة بالحياة، الصالحة لهذا الزمان ولكل زمان.

لذا لا بد من إعداد الجندي المسلم إعداداً يؤهله لهذه المهمة العظيمة؛ ليكون لها خير سفير، يتحرك وهو يمتلك المفاتيح، والتي تمثلها الصفات الدعوية والحركية للجندي المسلم. ويمكن إجمال الصفات الدعوية والحركية المطلوبة من الجندي المسلم في الفروع الخمسة التالية:

الفرع الأول: داعية إلى الحق والمعروف:

- 1 - قال تعالى: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ (الأعراف: 181).
- 2 - وقال كذلك: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران: 104).
- 3 - وقال أيضاً: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَيَتَّكِبْ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾﴾ (المدثر: 1-4).
- 4 وقال: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (فصلت: 33).

فقد نذبت كل الآيات السابقة إلى الدعوة إلى الله، ومنها يتبين أن الجندي عندنا ليس محارباً فقط، بل هو داعية، فلا يرفع سيفه إلا على أولئك المتألهين الذين يريدون استعباد الناس، وتسخيرهم لخدمتهم، أو على أولئك المغتصبين المعتدين، كي يسترد حقه، أما المهمة الأصلية للمسلم فهي الدعوة إلى الله، ولا يُستثنى من ذلك أحد، فالتكليف فرض عين لكنه مرهون بالاستطاعة، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها، أو إلا ما آتاها. وبالنظرة العامة إلى دعوة الله يظهر أنها لا تتحسر في مجال، ولا تتجمد عند وسيله، ولا توصف بشكل واحد، فبمقدور المسلم أن يكون داعياً إلى الله بالقدوة الصالحة، فلو كان أبكم لا يقوى على الكلام، ألا يستطيع أن يكون داعياً إلى الله بقلمه، فإن لم يستطع فبعمله.. وهكذا ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها.

الفرع الثاني/ الحرص على نفع الناس، ودفع الضر عنهم:

ومما ينبغي أن ينغرس في أعماق الجندي المسلم أنه يسعى لجلب النفع للناس، وحياتهم من أي تهديد، ودفع الضر عنهم، ويحب دوماً لهم الخير، ويقدمه لهم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الحج: 77).

والخير يشمل كل ما انتدبنا الله إليه، ورغبنا فيه؛ من أنواع البر، وضروب العبادات، لتأهل بذلك إلى الفلاح الذي هو الفوز بالجنة بعد النجاة من النار⁽¹⁾.
وإن التحرك في المجتمع بهذا الشعور يجعل المرء يحس أنه بين أهله وإخوانه، وهذا يُؤد في نفوس من يحيطون به، ويعيشون معه حباً قلبياً سواء ظهر هذا الحب أم بقي دفيناً في القلب.

الفرع الثالث: الإيمان بالواقعية والعملية:

ونبدأ بالحديث عن الواقعية، ثم نتناول العملية:

أولاً: الإيمان بالواقعية:

في الوقت الذي نرتقي فيه بالجندي المسلم، إلى معالي الأخلاق، وفضائل القيم، وروائع السلوك، ومدارج المتقين، ومراتب المخلصين، نريد من الجندي أن لا يُحلق في السماء كثيراً، فينسى أنه يعيش على الأرض، فإن فكر شطاً، وإن خطط بالغ.. لا .. إن الجبل الذي نريد، والجندي الذي نطمح إليه هو الذي يرتقي في سلم الروحانية، لكنه يدرك وهو في هذه المراتب العالية الواقع بكل أبعاده.

- وقفات مع الواقعية في القرآن الكريم:

وإن المنتبغ لآيات الكتاب العزيز يتأكد له صدق هذه النظرية، فالإسلام لم يبتعد عن

الواقعية، وإنما سما بها إلى مدارج متقدمه، ويتضح لنا ذلك من خلال النقاط التالية:

1- تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ، وَأَخِذْ بِالْأَسْبَابِ:

نجد أن الله جل وعلا في الوقت الذي أكد لنا أنه الرامي الحقيقي، في قوله ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾ (الأنفال: من الآية 17). قد دعانا إلى الإعداد، والأخذ بالأسباب، وذلك تعاطياً مع الواقعية، إذ إنه بمقدوره تعالى أن يحقق لنا الغلبة دون بذل أي جهد، لكنها رسالة الله لجنوده في الأرض أن يتحركوا وفق واقعهم فقال تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ وَعَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَأَخْرِبُونَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ (الأنفال: 60).

يقول القرطبي: "أمر الله سبحانه المؤمنين بإعداد القوة للأعداء بعد أن أكد تقديماً التقوى، فإن الله سبحانه لو شاء لهزمهم بالكلام، والتقل في وجوههم، وبحفنة من تراب، كما فعل رسول الله ﷺ، ولكنه أراد أن يبتلي بعض الناس ببعض بعلمه السابق، وقضائه النافذ:"⁽²⁾.

(1) أيسر التفاسير، مرجع سابق، جـ3، ص501.

(2) تفسير القرطبي، مرجع سابق، جـ8، ص364.

2- التكليف حسب الاستطاعة:

ومن عظيم رحمة الله بنا أنه لا يكلف نفساً إلا وسعها، أو إلا ما أتاها، وذلك مراعاة منه تعالى لأحوالنا وواقعنا، فكيف له وهو العليم الخبير أن لا يقدر استطاعتنا، ويكلفنا بما لا نطيق، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل إن ربنا رحيم يعفو بعد ذلك عن كثير... ومن الآيات التي تؤكد هذا المعنى:

1- قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ (البقرة: من الآية 286).

2- وقوله في سورة الأنعام: ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (الأنعام: من الآية 152).

3- وقوله تعالى في سورة الطلاق: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ (الطلاق: من الآية 7).

يقول الإمام القرطبي في تفسيره لآية البقرة: "نص الله تعالى على أنه لا يكلف العباد من وقت نزول الآية عبادة من أعمال القلب، أو الجوارح إلا وهي وسع المكلف وفي مقتضى إدراكه وبنيته، وبهذا انكشفت الكربة عن المسلمين في تأولهم أمر الخاطر".⁽¹⁾

وقدر التكليف قد يختلف من شخص لآخر، فأصل التكليف الذي وقع على جميع المكلفين، لكن القدر الذي يُؤدى من التكليف، أو الشكل الذي يكون عليه، يختلف حسب الطاقة الفردية للمكلفين، فالقدر المطلوب من العالم يختلف عن القدر المطلوب من غيره، والقدر المطلوب من الصحيح يختلف عن القدر المطلوب من السقيم.

3- الواقعية في كل العبادات:

إن الملاحظ للتكاليف العبادية على المسلم، يجد أن الله تبارك وتعالى راعى فيها أحوال المكلفين ومن أمثلة ذلك:

أ- الصلاة: حيث نجد أن الله تعالى قد شرع صلاة الخوف للخائفين، والقصر للمسافرين، وعدم القيام للمرضى والقاعدين،.. الخ.

ب- الصيام: فقد عفا الله فيه عن المريض والمسافر وغير المستطيع فقال في شأنه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَارَكْتُمْ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: 184).

(1) تفسير القرطبي، مرجع سابق، ج3، ص365.

ج- الجهاد: وكذا في الجهاد فقد تجاوز الله تعالى فيه عن الأعمى والأعرج والمريض وغيرهم فقال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ﴾ (النور: من الآية 61). حيث رفعت الآية الإثم عن المرض، والأعرج، والأعمى، إذا ما تخلفوا عن الجهاد.

ثانياً: الإيمان بالعمل والتطبيق:

إن الحديث السابق عن الواقعية لم يكن لأجل التباطؤ، أو الاتكال، أو التراخي، وإنما كان لأجل ما بعده، فالإسلام لم يكن يوماً دين نظرية وكلام وحسب، بل هو دين عمل وتطبيق. وقد اقترن في قرآننا الإيمان بالعمل، فلا نكاد نجد آية يذكر فيها الإيمان و إلا ويردف بالعمل، حيث اقتربنا في القرآن بلفظ " آمنوا وعملوا " خمسون مرة⁽¹⁾، دون الآيات التي بالمعنى.

- دعوة للعمل:

ومن هنا كانت الدعوة للعمل، وضرورة عدم التكاثر والقعود، حتى أن توبة التائب تبقى كلاماً ما لم تتبع بعمل يؤكدها، فقال جل ثناؤه: ﴿إِنَّمَا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٦٧﴾ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾ (الفرقان: 70-71). وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾ (القصص: 67).

فقد بينت الآيات أن تبديل السيئات إلى حسنات، وقبول التوبة، والفلاح ينترتب على الإيمان المقرون بالعمل الصالح.

وأما من توقف براحلته عند حدود القول، فقد عُد من المنافقين؛ لأنه لم يصدق إيمانه بالفعل، قال تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَجْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ (الأحزاب: 23). هؤلاء هم العاملون على صنفين، ثم أرسل مباشرة رسالة تهديد للقاعدين عن تصديق الإيمان بالعمل، فقال جل شأنه: ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ عَافِئًا رَحِيمًا﴾ (الأحزاب: 24).

يقول ابن كثير: " ليس لكم ولا لأهل الكتاب النجاة بمجرد التمني؟ بل العبرة بطاعة الله تعالى وإتباع ما شرعه على ألسنة الرسل الكرام".⁽²⁾

الفرع الرابع: الإيمان بالعمل الجماعي:

(1) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبدالباقي، ص594، دار الحديث، ط1422-2001م

(2) مختصر تفسير ابن كثير، مرجع سابق، ج1، ص440.

لابد للجندي المسلم حتى ننتصر في معركة التحرير، أن يؤمن بالعمل الجماعي؛ لأن العمل الفردي لا يثمر، وإن أثمر فثماره محدودة، وآثاره محصورة، ولأن العمل الفردي ينتهي بانتهاء الفرد سواء كان رحيلاً، أو سجناءً، أو إبعاداً، وأما العمل الجماعي، فلا تسقط فيه الراهية، ولا يتأثر برحيل أفرادها، فالفكرة قد غرست في النفوس، وتبناها المجموع، وانطلقوا للعمل في سبيلها، وكذلك فإن العمل الفردي أكثر عرضه للخطأ والانحراف؛ لأن الموجه له هو ذلك الفرد المجتهد، وقد يجانب الصواب فتكن كل جهوده في مهب الريح، والشيطان أقرب ما يكون من الواحد، وهو من الاثنين أبعد، وأبعد ما يكون من الجماعة، ولأن اليد الواحدة لا تصفق، والاتحاد قوة، ولا يأكل الذئب من الغنم إلا القاصية، فلا بد من تربية أجناد دعوتنا، وأفراد أمتنا، وقادة جيوشنا، على أهمية العمل الجماعي وضرورته، وإن كان يختلف أحياناً مع التطلعات الفردية، والأحلام الوردية، وذلك استجابة لقوله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ (آل عمران: من الآية 103).

قال ابن مسعود: "حبل الله: الجماعة".⁽¹⁾

ورحم الله ابن المبارك يوم قال: "إن الجماعة حبل الله فاعتصموا منه بعروته الوثقى لمن دنا".⁽²⁾

وهذا النبي ﷺ يأمر بلزوم الجماعة، ويجعل الجنة ثمنها، فعن عمر أن النبي ﷺ قال: "... عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد، من أراد بحبوبة الجنة فليلزم الجماعة..."⁽³⁾.
العمل الجماعي، ضرورة كبرى:

لا يختلف مؤمنان في أن العمل لإعادة حكم الله في الأرض فرض لازم في عنق كل مسلم، ولأن معظم تكاليف هذا الدين جماعية، ولا يستطيع المسلم أن يمارس دينه كما يريد الله إلا في مجتمع مسلم، وإن بناء المجتمع المسلم مهمة عظيمة لا يقوى عليها فرد، فلزم الاتحاد، والاجتماع، والعمل في جماعة لإنجاز هذا الدور، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.⁽⁴⁾
وأخيراً... فإن الإيمان بالعمل الجماعي، تحت راية التوحيد، والاعتصام بكتاب الله المجيد، ضرورة واجبة لأجل التغيير.

الفرع الخامس: التوازن والاعتدال:

(1) الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، م2، ج2، ص517.

(2) الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ج2، ص518.

(3) حسن صحيح: أخرجه الترمذي، في كتاب (الفتن) باب (7) ما جاء في لزوم الجماعة، ح2165، ج4، ص213.

(4) الدعوة الإسلامية فريضة شرعية وضرورة بشرية، د. صادق أمين، ص38، دار التوزيع والنشر الإسلامية.

كل فضيلة تقع بين رذيلتي الإفراط والتفريط، وكلاهما يؤدي إلى الهلكة، والمطلوب هو التوازن في الفكر، والاعتدال في المواقف، والجيل الذي نسعى إلى تكوينه، والجنود الذين نريدهم في جيش الفتح القادم، هم الذين لا يميلون إلي اليمين، ولا ينحرفون إلى الشمال، ولا يغرقون في الماديات، ولا يوغلون في الروحانيات؛ أعطوا لربهم حقاً، ولأهلهم حقاً، ويعطون بعد ذلك كل ذي حق حقه، يأخذون بالعزائم، ولا يغفلون الرخص، منهجهم البشارة، لا فنتهم التيسير، ويجتنبون التعسير. (1)

يقول تعالى ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (البقرة: من الآية 143).

قد بينت الآية الكريمة الحالة الوسطية التي يريدنا الله أن نكون عليها، فهي وسطية في التصور والاعتقاد، والتفكير والشعور، والعلاقات والارتباطات، ووسطية في كل شيء. (2)

يقول الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله: "وأما الأمة الإسلامية، فقد جمع الله لها في دينها بين الحقين؛ حق الروح، وحق الجسد، في روحانية جسمانية، وإن شئت قلت: إنه أعطاها جميع حقوق الإنسانية، فإن الإنسان جسم وروح، حيوان وملك، فكأنه قال: جعلناكم أمة وسطا تعرفون الحقيقة وتبلغون الكمالين". (3)

هكذا أراد الله تعالى لأمتنا أن تكون.. وما الأمة إلا بمجموع أفرادها، فلزم خواصها من الدعاة والمجاهدين، أن يتسموا بما تنسم به أمتهم.

وكما أننا نريد الجندي المعتدل، نريد الجندي المتوازن، والتوازن يكون في الأمور كلها، ونسوق في هذا المقام مثالا على التوازن في الإنفاق.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ (الإسراء: 29).

فقد بينت الآية الكريمة أن نهاية كل مسرف بخيل قعدة كقعدة الملوم المحسور، فالبخيل يصل بتعاضم بخله، إلى مرحلة يقف فيها حسيراً، أو يصاب ماله بجائحة يتحسر عندها على حرمانه نفسه وأهله والمسلمين ما امتلك من مال، أو في الآخرة يوم يكوى به في نار جهنم فيتحسر على عدم إنفاقه له في وجوه الخير.

وكذلك المسرف ينتهي به إسرافه إلى وقفة الحسير فهو لم يكن متوازناً في نفقاته فوصل إلى مرحلة لا يجد فيها ما ينفق فتحسر، وفي الآخرة يكون حسيراً لأنه خالف منهج الله، وعاصي أمره.

(1) تبصير المؤمن بفقته النصر والتمكين، مرجع سابق، ص412.

(2) في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج1، ص131.

(3) تفسير القرآن العظيم المعروف بتفسير المنار، محمد رشيد رضا، ج2، ص7، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1423هـ - 2002م.

يقول سيد قطب: " والتوازن هو القاعدة الكبرى في المنهج الإسلامي، والغلو كالتفريط يُخل بالتوازن".⁽¹⁾

المطلب الخامس

الإعداد النفسي

إن الإعداد النفسي من أهم جوانب الإعداد وأخطرها، إذ إن أي إنسان لا يُهيئ نفسياً لاستقبال أمر ما يكون عليه شاق، فمثلاً إن مرض الرجل قبيل وفاته يمثل إعداداً نفسياً لأهله ومحبيه، وعلم الأبوين بجهاد ابنهما يجعلهما مستعدان لاستقبال خبر استشهاده، والنماذج في ذلك كثيرة، والمرء إذ ما عُهد إليه بمهمة ما على حين غره نجده يرتبك في أدائه، ويتعثر في تعبيره، وما ذلك إلا بسبب عدم التهيئة النفسية لهذا الرجل، لذلك فإن الإداري الناجح هو ذاك الذي يهيئ القاعدة التي يقودها إلى القرار الذي يعتزم اتخاذه... ولنا أروع أسوة في كتاب الله تعالى في مسألة تحريم الخمر وكذلك تحريم الربا، والقضاء على ظاهرة الرق في المجتمع المسلم....

بعض الصفات النفسية للجندي المسلم:

أذكر بعض الصفات النفسية التي نسعى إلى تحقيقها في الجندي المسلم، موزعة

على الفروع الخمسة التالية:

الفروع الأول/ الإيثار:

إنه من أروع الصفات النفسية التي ينبغي أن يربى عليها الجندي المسلم، إنه الذي يمتد ليصل إلى كل شيء في الحياة، سواء كان في المال، أو النفس أو غيرها...

ويعرفه الإمام القرطبي رحمه الله بقوله: "الإيثار هو تقديم الغير على النفس وحفظها الدنيوية، رغبة في الحظوظ الدنيوية، وذلك ينشأ عن قوة اليقين، وتوكيد المحبة، والصبر على المشقة".⁽²⁾

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ بَوَّأُوا الدَّامِرَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنَنَفْسِهِ فَاُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتْلِحُونَ﴾ (الحشر: 9).

سبب النزول: عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فبيعت إلى نسائه، فقلن: ما معنا إلا الماء، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من يضم، أو يضيف هذا؟" فقال رجل من الأنصار: أنا، فانطلق به إلى امرأته، فقال: أكرمي ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: ما عندنا إلا قوت صبياني، فقال: هيئي طعامك، وأصلي سراجك، و نوّمي صبيانك إذا أرادوا عشاء، فهيات طعامها، ونومت

(1) في ظلال القرآن، مرجع سابق، جـ4، ص2223.

(2) الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، جـ9، ص285.

صبيانها، ثم قامت كأنها تصلح سراجها فأطفأته، فجعلنا يريانه أنهما يأكلان فباتا طاويين، فلما أصبح غدا إلى رسول الله ﷺ فقال: "ضحك الله الليلة أو عجب من فعالكما"، فأنزل الله ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنَهُ فَاُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾⁽¹⁾.

فقد امتدح الله في الآية الأنصار لما فيهم من الإيثار، ومحبة إخوانهم المهاجرين. يقول الشهيد سيد قطب رحمه الله: "والإيثار على النفس مع الحاجة قمة عليا، وقد بلغ إليها الأنصار بما لم تشهد البشرية له نظيراً، وكانوا كذلك في كل مرة وفي كل حالة بصورة خارقة لمألوف البشر قديماً وحديثاً"⁽²⁾.

- إيثار الأرواح:

ومن الجدير بالذكر أن الإيثار لا يقتصر على الأمتعة والأموال، بل يمتد إلى الأرواح، وقد ذكر أصحاب السير مواقف بطولية للصحابة في إيثار الأرواح والتي منها ما كان يوم أحد حيث قال النبي للصحابة حين غشيه القوم: "من رجل يشري لنا نفسه؟" فقام زياد بن السكن⁽³⁾ في نفر خمسة من الأنصار فقاتلوا دون رسول الله ﷺ رجلاً ثم رجلاً، يُقتلون دونه، حتى كان آخرهم زياد، أو عمارة بن يزيد، فقاتل حتى أثبتته الجراح، ثم فاءت فئة من المسلمين، فأجهضوهم عنه، فقال رسول الله ﷺ أدنوه مني، فأدنوه منه، فوسده قدمه، فمات وخده على قدم رسول الله ﷺ⁽⁴⁾.

وتترس أبو دجانة دون رسول الله ﷺ بنفسه، فأخذت النبل تقع في ظهره وهو منحن عليه، حتى أصبح كالقنفذ⁽⁵⁾.

- الشح حاجب عن كل خير:

إننا نريد من أجنادنا أن يتخذوا من الأنصار قدوة، ومن الإيثار خلقاً لازماً، فالذي يؤثر اليوم أخاه بدرهم قليلة يؤثر غداً دينه ودعوته بدمه وروحه ونفسه وماله، والعكس بالعكس فصاحب الشح الذي يبخل اليوم على إخوانه، أو على دعوته وأمته، سيبخل غداً بما هو أعظم؛ لأن شح النفس معوق عن كل خير، أياً كان شكل البذل في المال، أو في العاطفة، أو في الجهد، أو في الحياة عند الاقتضاء، لذا نجد أن الله تعالى يؤكد في ذات الآية أن من يوق شح نفسه فهو المفلح فقال: ﴿وَمَنْ يُوقِ شَحْنَهُ فَاُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الحشر: من الآية 9).

(1) صحيح: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب (مناقب الأنصار) باب (10)، قول الله عز وجل: ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، ح3798، ص637.

(2) في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج6، ص3526.

(3) زياد بن السكن بن رافع بن امرئ القيس الأنصاري. (الإصابة في تمييز الصحابة، مرجع سابق، ج1، ص382).

(4) السيرة النبوية، ابن هشام، ج2، ص30، تحقيق: طه عبدالرؤف سعد، فيصل عيسى البابي الحلبي.

(5) السيرة النبوية، ابن هشام، مرجع سابق، ج2، ص31.

ومما يدفع إلى البخل والشح حب الدنيا والمال والولد، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴿٨﴾ وَإِنَّ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٩﴾ وَإِنَّ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿١٠﴾﴾ (العاديات: 6-8).

الفرع الثاني/ حماسة القلب:

لا فائدة من جندي حماسة قلبه مفقودة، وعزيمته مبتورة، فالإنسان تحركه العزيمة، وتدفعه الحماسة، لذا لا بد للجندي المسلم من إرادة ترفعه، وحماسة تدفعه، وعقيدة تثبته، قال تعالى في شأن رفع الحرج عن الضعفاء، والذين لا يجدون ما ينفقون: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيِبُهُمْ فَنِغِضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾ (التوبة: 92).

لقد رفع الله تعالى الحرج عن الضعفاء والفقراء، بعدم استطاعتهم إما على الحركة والجهد، أو على البذل والإنفاق، لكن هذا المنع صادق صدقاً في قلوبهم، وإخلاصاً في نياتهم، وحماسة في أرواحهم؛ فأذرف الدمع من العيون؛ حزناً ألا يجدوا ما ينفقون، وشتان بين من يُمنع فييكي، وبين من يطلب فييكي.

يقول سيد قطب رحمه الله معلقاً على هؤلاء الفقراء: "بمثل هذه الروح انتصر الإسلام، وبمثل هذه الروح عزت كلمته، فلننظر أين نحن من هؤلاء، ولننظر أين أرواحنا من تلك العصابة، ثم لنطلب النصر والعزة إن استشعرنا من أنفسنا بعض هذه المشاعر، و إلا فلنسدد ولنقارب والله المستعان".⁽¹⁾

جهاد القاعدين:

من كان صادقاً في نيته، متحمساً قلبه للجهاد فإن الله تعالى يمنحه أجر المجاهدين. فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال يوم تبوك: "لقد تركتم في المدينة أقواماً، ما سرتهم مسيراً، ولا أنفقتهم من نفقة، ولا قطعتم من وادٍ؛ إلا وهم معكم فيه" قالوا يا رسول الله: وكيف يكونون معنا وهم بالمدينة؟ قال: "حبسهم العذر"⁽²⁾. فقد بين الحديث أن بعض الذين تخلفوا من الصادقين ذهبوا بالأجر وكأنهم في الغزو، وما كان لهم ذلك إلا لضيق أيديهم، وصدق نياتهم، وحماسة قلوبهم.

يقول الدكتور محمد نعيم ياسين: "من أجل هذا أوجب الله على المسلم إن لم تمكنه الظروف من المشاركة الفعلية في قتال الكفار، أن يشارك بقلبه وروحه، فيحدث نفسه بالجهاد، ويسأل الله تعالى الشهادة بصدق؛ حتى يظل مستعداً نفسياً لنزول العدو، وحتى إذا أزفت ساعة

(1) في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج3، ص1686.

(2) صحيح: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب (35) من حبسه العذر عن الغزو، ح2839/ص470.

القتال، وتمكن من الخروج إليه، لم يكن هناك ما يثبطه، ولم يكن ذلك غريباً على نفسه ولا ثقيلاً على روحه".⁽¹⁾

هذا يظهر الحكمة من حث النبي ﷺ على أن يحدث المسلم نفسه بالغزو، فعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: "من مات ولم يغز، ولم يحدث نفسه بغزو، مات على شعبة من نفاق".⁽²⁾

وأرى أن أساس هذه الحماسة إحساس المجاهد بأنه جندي من جنود الله، يحارب أعداء الله، وأن الله عز وجل في معيته ينصره ويدافع عنه.

الفرع الثالث/ سكينه النفس:

إن الجندي المؤمن يمتلك سلاحاً لا يمتلكه غيره من الأجناد، وهو من أعظم نعم الله التي منحها الله لعباده المؤمنين، إنه سلاح السكينه النفسية، وقد أولاها جل وعلا للمؤمنين في حروبهم مع الكافرين.⁽³⁾

قال جل ثناؤه: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لَيَسِّرْ دَاوُدَ إِيمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (الفتح:4).

حيث بينت الآية الكريمة أن الله قد أختص بالسكينه عباده المؤمنين.

وقال كذلك في ذات السياق: ﴿وَالزَّمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ (الفتح: من الآية26).

وأى شيء يمكن أن يدخل على النفس السكينه والطمانينه أكثر من هذه التقوى التي ألزمتها الله عباده المؤمنين.

وتقوى المؤمن تبعده عن الشطط والانحراف، وتأخذ به إلى الاعتدال في حالة تقلب الدهر عليه، في سرائه وضرائه، وفي حال شدته ورخائه، وهي التي تربط على قلبه فتبقيه ثابتاً على الإيمان إذا ما تعرض للمحنة والابتلاء.

وتقوى الله تجعل المسلم يُسلم بقضاء الله وقدره، وأي راحة كهذه فهو يؤمن أن ما أصابه لم يكن ليخطأه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه قال تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَالْتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (التوبة:51).

الرؤية واضحة أمام المؤمن مما جعله أكثر سكينه، فجهاده ذو حدين رابحين قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ تَرَوْنَ بَنِي إِدْرِيسَ الْحُسَيْنِيِّ وَيَحْنَ تَرَضَّ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بَعْدَ ابْنِ عَنُودِهِ أَوْ بَأْيَدِنَا

(1) أثر الإسلام في تكوين الشخصية الجهادية للفرد والجماعة، مرجع سابق، ص50.

(2) صحيح: أخرجه النسائي في سننه، كتاب (الجهاد) باب(2)،التشديد في ترك الجهاد ح3097، ج3، ص305.

(3) من خصائص النفس البشرية في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص47.

فَتَرَبُّوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ﴾ (التوبة:52). فلما نصر وإما شهادة..
محروم السكينة:

إن من حرم السكينة يصبح فريسة سهلة للخوف والقلق والأرق، الذي يحطم
المعنويات، ويشل الفكر، ويجعل صاحبه في اضطراب دائم، ومن هنا ندرك أهمية هذا السلاح
في حربنا مع أعداء الله. فقال جل ثناؤه: ﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوا مِنْهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَّاصِيهِمْ وَقَذَفَ
فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرَبَقًا يُغْمَلُونَ وَيَأْسُرُونَ فَرِيقًا﴾ (الأحزاب:26).

حيث نزلت هذه الآية في شأن يهود بني قريظة الذين أعانوا الأحزاب في حربهم، وقد
أخذ الخوف منهم مأخذه، وبلغ ذروته؛ وكان بفضل الله السلاح الذي فتح الله به علينا يومها، إذ
إنه بالمنطق العسكري نجد أن الكفة في صالح بني قريظة، فالمواد الغذائية متوفرة، والمياه
متوفرة، والحصون منيعة، وفي المقابل نجد أن المسلمين يعانون البرد القارس، والجوع
الشديد، وهم في العراء، ويضاف إلى ذلك شدة التعب الذي أصابهم لا سيما أنهم ما وضعوا
لباس حربهم من الخندق بعد. (1)

وأرى أن أذكر في هذا المقام أهم السبل إلى تحصيل السكينة، في ستة بنود:
1- الذكر.

قال تعالى ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَنَطَمَنُ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد:28).

فقد صرحت الآية بظاهر نصها أن الذكر طريق تحصيل السكينة، والطمأنينة فالقلوب
تستأنس بالذكر وتسكن.

2- التسليم بقضاء الله وقدره:

قال تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (التوبة:51).

وقال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (التغابن:11).

تقرر الآيتان أن الأمر لله، وما يصيب المرء من هم أو حزن إلا بإذنه تعالى، وهذا
يجعل الإنسان مسلماً بقضاء الله، راضٍ بما يقضيه.

3- إدراك أن مقاصد الأشياء النهائية لا يعلمها إلا الله تعالى:

قال تعالى ﴿فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (النساء: من الآية19).

حيث جاءت هذه الكلمات القرآنية تعقيباً على العلاقات الزوجية، التي قد تتوتر أحياناً،
وكذلك فقد جاء ذات المعنى عند الحديث عن فريضة الجهاد، إذ إن النفس الإنسانية تنفر من
كل ما يمكن أن يبعدها عن لذاتها، والجهاد منها، لذا فقد أكد الله لنا أن ما نظنه شراً يحوى في

(1) الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري، ص352، دار إحياء الكتب العربية، ط2، 1411 هـ - 1991م.

داخله الخيرات الكثيرة، حيث قال جل ثناؤه: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: 216).

4- إدراك المؤمن لسر وجوده:

جزء كبير من البشرية يعيش في أرق وقلق دائمين؛ لأنهم لم يدركوا لوجودهم سرّاً، ولحياتهم هدفاً، حتى بعض الذين ولدوا لأبوين مسلمين فعرفوا أنهم مسلمون، وما عرفوا بعدها شيئاً... ففي النفس البشرية أسئلة كثيرة تحتاج إلى إجابة والتي منها: ما العالم؟، ما الإنسان؟، من أين جاء؟ من صنعهما؟... الخ⁽¹⁾.

وقد شاطر القرآن الإنسان تساؤلاته، بل أثارها في آياته فقال جل ثناؤه: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ أم خلقوا السماوات والأرض بل لا يوقنون﴾ (الطور: 35-36).

إلا أن القرآن قد قدم إجابة شافية متفقة مع الفطرة الإنسانية فبين الغاية من خلق السماوات والأرض فقال: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بِبَيْنِهِمْ لَعَلَّكُمْ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (الطلاق: 12).

وبيّن الغاية من خلق الإنسان فقال جل ثناؤه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ما أريد منهم من مرنقٍ وما أريد أن يُطعَمون﴾ (الذريات: 56-57).

بهذه الأجوبة القرآنية اهتدى المؤمن إلى سر وجوده، ووجود العالم كله، وأصبح بذلك متمتعاً، بالسكينة النفسية؛ فهو يدرك أنه خليفة الله في أرضه، خلق لعبادته، والحياة هبة من الله، والموت قدر من الله، والدنيا مزرعة لطاعة الله، والآخرة موعد الحصاد والجزاء.⁽²⁾

5- الشعور بمعية الله، وأنس الوجود:

فإذا أدرك المؤمن أنه في معية الله جل جلاله، لم يخفه شيء، لذا نجد إجابة موسى عليه السلام تخرج وهو في منتهى السكينة، وذلك حينما تبعه فرعون بجيشه، فقال قوم موسى إنا لمدركون، فكانت الإجابة ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ (الشعراء: 62). وذات معنى الإجابة كانت من الحبيب ﷺ يوم الهجرة في الغار حينما قال له أبو بكر لو نظر أحدهم أسفل قدميه لرآنا، فقال تعالى على لسان نبيه: ﴿لَا تَخْزَنُ لِنَاسٍ أَلْفًا مَعَنَا﴾ (التوبة: من الآية 40).⁽³⁾

(1) الإيمان والحياة، مرجع سابق، ص 95.

(2) الإيمان والحياة، مرجع سابق، ص 97.

(3) الإيمان والحياة، مرجع سابق، ص 117.

وعلى الجندي المؤمن أن يشعر بأنس الوجود، لأن المؤمن موصول بالوجود كله، ويتناسق معه، ويرتبط به.

6- عدم العيش بين (لو) و(ليت):

يقول الدكتور يوسف القرضاوي: "وإن من أهم عوامل القلق الذي يفقد الإنسان سكينته النفس وأمنها ورضاها هو تحسره على الماضي وسخطه على الحاضر، وخوفه من المستقبل".⁽¹⁾

فما ينبغي للمؤمن أن يبقى رهينة لبيت ولو، وإلا فقد كل شيء، فقد الأولى والآخرة، فقد الصحة والعافية، فقد الحاضر والمستقبل.

لذا فالمؤمن لا يبالغ في فرحه، وكذلك في حزنه، اتزان عاطفي ونفسي دائم، قال تعالى ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (الحديد: 23).

فقد بينت الآية المنهج الوسطي للمسلم في التعامل مع الأمور، فهو إذا حزن اعتدل في حزنه، وإذا فرح لم يبالغ في فرحه.

الفرع الرابع/ اجتناب العجلة والتسرع:

إن جاز لأحد أن يتعجل الأمر قبل نضجه فلا يمكن أن يجاز ذلك للجندي المسلم؛ لأن عمله لا يحتمل الأخطاء، فالخطأ قد يبني عليه كارثة، والعجلة والتسرع أبرز ما يوقع المرء في الخطأ، ومن هنا كان لابد للجندي المسلم من تغليب العقل على العاطفة والطبع، فلا يتحرك إلا في الوقت المناسب، ولا يسكن كذلك إلا في الوقت المناسب.

ومن الأهمية أن نشير إلى أن هذا الطبع متأصل في النفس الإنسانية⁽²⁾. قال تعالى: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ (الانبياء: من الآية 37)، وقد يفوت على المرء خيراً كبيراً، أو يمتد إلى ما يضره.

1- استعجال المرء في طلب الخير قد يفوته عليه:

إن هذه النظرية معلومة لدى العسكريين، وكذلك فهي معرفة عند المؤمنين الذين يرتلون آيات الكهف ليجدوا قصة استعجال أقد صاحبها خيراً لاستعجاله، وهي قصة نبي الله موسى عليه السلام مع الرجل الصالح "الخضر". فقد نبه الخضر موسى عليه السلام فقال: ﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا (الكهف: 67-68). وبالفعل لم يصبر موسى عليه السلام

(1) الإيمان والحياة، مرجع سابق، ص 121.

(2) من خصائص النفس الإنسانية في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص 96.

لعلمه الظاهر حتى تتضح له الأمور، ويتعرف على النتائج، والشرط كان من قبل أن يصمت موسى ولا يسأل حتى يحدث له ذكرا، فسارع موسى بالنقد و السؤال، وإصدار الأحكام، ليخسر موسى ﷺ في الجولة، ويعلن الرجل الصالح الفراق بقوله: «هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ سَأْتِيكَ بِأَوَّلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا» (الكهف:78).⁽¹⁾

2- استعجال الإنسان قد يمتد إلى ما يضره:

قال تعالى: «وَلَوْ يَعْلَمُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتَعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقَضَىٰ إِلَيْهِمْ أَجْلَهُمْ» (يونس: من الآية 11). فقد يدرك المرء أن ما يتعجله يحمل في طياته شراً، إلا أنه تحت ظرف ماء، أو ضغط نفسي يصر على إنفاذه قال تعالى: «وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا» (الاسراء: 11). إلا أن لطف الله وإحسانه بعباده كبير، فلا يتعجل لهم الشر كما يتعجل لهم الخير.

يقول الشيخ محمد رشيد رضا: "والعجل من غرائز الإنسان القابلة للتأديب والتثقيف كي لا تطغى به فتورده الموارد... فأما استعجاله بالخير والحسنة فلشدة حرصه على منافعه، وقلة صبره عنها، وأما استعجاله بالضرر والسيئة فلا يكون لذاته بل لسبب عارض كالغضب، والجهل، والعناد، والاستهزاء، والتعجيز، وقلمًا يكون مقصوداً بنفسه إلا للنجاة مما هو شر منه، كما يفعل اليايسون من الحياة..."⁽²⁾

ومن هنا نوصي جنود جيشنا الإسلامي أن لا يستعجلوا، وأن يفكروا قبل أن يقدموا، فقد يكون ما يستعجله الجندي طمعاً، يورده المهالك.

الفرع الخامس / التواضع:

التواضع من أهم الصفات النفسية التي ينبغي أن تتحقق في الجندي، وذلك لأن الجندي يعتبر اليد الضاربة للدولة أو الجماعة، وإن منح الجندي العدة والعتاد، قد يغريه ويدفعه ذلك إلى ظلم الخلق، والتعالي عليهم، فإن كان هذا الجندي متواضعاً ما زاد بهذه المكانة التي وُضع فيها، أو بالقوة التي منحها، إلا تواضعاً، لذا ينبغي أن يُعد الجندي المسلم ليكون متواضعاً؛ لأن المتواضع لا يتوانى عن تنفيذ أي أمر يوجه إليه، ولا يمكن أن يتعالى على خلق الله، أو يظلم، أو يجهل، أو أي شيء آخر.

قال تعالى: «تِلْكَ الدَّامِرُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ» (التقصص: 83).

فقد بينت الآية أن الفوز بالآخرة إنما يتحقق لأولئك الذين يمشون على الأرض هوناً، ولا يريدون علواً في الأرض، ولا يعتزرون بأنفسهم، وألئك هم المتواضعون حقاً.

(1) من خصائص النفس البشرية في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص 99.

(2) تفسير المنار، مرجع سابق، جـ 11، ص 267.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله".⁽¹⁾

ذكر عن المسيح عليه السلام قوله: "طوبى للمتواضعين في الدنيا، هم أصحاب المناير يوم القيامة، طوبى للمصلحين بين الناس في الدنيا، هم الذين يرثون الفردوس يوم القيامة..."⁽²⁾

المبحث الثاني:

الإعداد العسكري للجندي المسلم

قد أفردت هذا الجانب بالحديث؛ وذلك لأنه جانب يستقل به الجندي عن غيره من أفراد المجتمع المسلم، ولعله أبرز أشكال الإعداد المقصودة في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ مِرْبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ (الأنفال: 60).

وأتناول في هذا المبحث مطلبين، أحدهما يبحث في الإعداد العسكري العام، وثانيهما يسلط الضوء على الإعداد العسكري الخاص، وفيما يلي تفصيل ذلك:

(1) صحيح: أخرجه مسلم في كتاب (البر والصلة والآداب) باب (19)، استحباب العفو والتواضع، ح2588، ص1353.

(2) إحياء علوم الدين، للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي، ج4، ص1257، دار الوثائق، القاهرة، ط1420هـ-2000م.

المطلب الأول: الإعداد العسكري العام.

أتناول في هذا المطلب؛ الخصائص والصفات التي تعتبر أبعاديات في العمل العسكري، سواء كان جندياً في جيش نظامي، أو تطوعي، أو في مجموعة عسكرية تقوم بتنفيذ مهام خاصة.

ولا يخفى على متخصص أن هذه المرحلة من أهم المراحل، فهي التي يتم فيها نقل الإنسان من الحياة التي يكون فيها سيد قراره، إلى حياة الجندية، والانضباط، والطاعة، والمخاطرة... فتغرس فيه تقاليد الجندية العسكرية.⁽¹⁾

ويمكن إجمال ألوان الإعداد العام في الفروع الأربعة التالية:

الفروع الأول/ التدريب:

وأريد بالتدريب هنا؛ المستوى الأدنى من المهارات والقدرات التي تؤهل المواطن العادي للانخراط في الأعمال العسكرية بغض النظر عن أشكالها ومضامينها. فبالتدريب يستطيع الجندي تحقيق أفضل النتائج، بأقل الخسائر في الجيش؛ سواء في الأرواح، أو المعدات، وكما قيل: (قليل من العرق في التدريب، يوفر كثيراً من الدم في المعركة)، وقد طالب الإسلام الجندي بالتدريب على استخدام سلاحه بمهارة في جميع الظروف، وكافة الأحوال.

قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تظَلُمُونَ﴾ (الأنفال: 60)

يقول الشيخ محمد رشيد رضا في القواعد العسكرية الحربية التي ضمتها خلاصة سورة الأنفال: " القاعدة الأولى: وجوب إعداد الأمة كل ما تستطيعه من قوة لقتال أعدائها فيدخل في ذلك عدد المقاتلة، والواجب أن يستعد كل مكلف للقتال، لأنه قد يكون فرضاً عينياً في بعض الأحوال...".⁽²⁾

ويقول كذلك: " أمر الله عباده المؤمنين بأن يجعلوا الاستعداد للحرب التي علموا أن لا مندوحة عنها؛ لدفع العدوان والشر، ولحفظ الأنفس، ورعاية الحق والعدل والفضيلة".⁽³⁾

ويمكننا إجمال ألوان التدريب المطلوبة في النقاط الثلاث التالية:

(1) النظرية الإسلامية في تقاليد الجندية وآداب الحرب، اللواء/ محمد جمال الدين محفوظ، ص17، دار الإعتصام.

(2) تفسير المنار، مرجع سابق، جـ10، ص130.

(3) تفسير المنار، مرجع سابق، جـ10، ص55.

أولاً/ الرماية والقنص:

ونعالج مسألة الرماية من خلال تسليط الضوء على النقاط الثلاث التالية:

1- الرمي من أفضل أشكال القتال:

وهو أفضل أنواع التدريب وألزمها، وأكثرها أهمية، إذ إنه المقصود المباشر من الآية السابقة الذكر؛ وذلك بنص حديث رسول الله ﷺ، فعن عقبة بن عامر قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول: "وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة؛ ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي"⁽¹⁾ والدلالة في الحديث واضحة.

يقول محمد رشيد رضا: "قد جعل النبي ﷺ الرمي أفضل أنواع القتال؛ وذلك لأن رمي العدو عن بعد بما يقتله أسلم من مصاولته على القرب بسيف، أو رمح، أو حربة"⁽²⁾.

وخلاصة القول في الرماية: أنها أفضل أنواع المقاتلة سواء كانت بالسهم، أو الرماية بالبندقية، أو بالصواريخ، أو غيرها من الأسلحة التي تقوم على الرماية ودقة التصويب؛ وذلك لأن الرماية تجنب الجندي المصاولة المباشرة، وبذلك يتحقق قدر أكبر من السلامة للجندي المقاتل، لذا ينبغي على كل مؤمن أن يحرص على تعلم الرمي بما توفر لديه من أسباب ذلك. ثانياً/ التدريب على استخدام الأسلحة المختلفة:

قال تعالى: ﴿وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ مِرْبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَظْلَمُونَ﴾ (الأنفال: 60).

في كل يوم تظهر أسلحة جديدة، منها؛ الخفيفة والثقيلة، الدفاعية والهجومية، الجوية والأرضية، وغيرها الكثير، وحتى يحقق المسلم الإعداد لابد من التدريب على هذه الأسلحة. وهنا يُطلب من العسكريين خاصة، ومن أفراد المجتمع المسلم عامة العمل بقدر الاستطاعة للتدريب على جميع أنواع الأسلحة المتاحة.

يقول الشيخ محمد رشيد رضا وهو يتحدث عن وجوب الإعداد: "ويدخل فيه السلاح، وهو يختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة والأحوال، وقد كثرت أجناسه وأنواعه، وأصنافه في هذا الزمان، فمنه البري، والبحري، والهوائي، ولكل منها مراكب وسفائن لمباشرة القتال"⁽³⁾. ثالثاً/ التدريب على ركوب الخيل، وقيادة العربات المختلفة:

والحكمة من التدريب على ركوب الخيل، وقيادة العربات، أنها ظهور يحمل عليها الجند لبلوغ مرادهم، وكلما تفوقت ناقلات الجند زادت الأسهم المشيرة إلى إمكانية الانتصار، فهي تساعد الجندي على الهجوم، وتقيهم ضربات العدو، وتعينهم على تنفيذ خططهم التي

(1) صحيح: أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب (الإمارة)، باب (52) فضل الرمي والحث عليه ..، ح1917، ص1026.

(2) تفسير المنار، مرجع سابق، ج10، ص56.

(3) تفسير المنار، مرجع سابق، ج10، ص131.

وضعوها للمعركة، ولا يستطيع أحد أن يتنبأ بالمجريات الجزئية للمعركة، وعليه فينبغي على كل الجند أن يكونوا مدربين علي قيادة ناقلات الجند التي تحملهم أياً كانت.

ومن هنا نفهم سر اهتمام النبي ﷺ بالخييل، حتى إننا نجد بعض المحدثين قد خصصوا في كتبهم أبواباً للخييل.

فعن أبي هريرة ؓ قال رسول الله ﷺ: "الخييل معقود في نواصيها الخير إلي يوم القيامة". (1) حيث جعل النبي ﷺ الخييل مجلبة للخير والنصر.

* القيادة المتقنة للناقلات:

وأرى أنه مما تجدر الإشارة إليه أن مهارة القيادة سواءً للفرس، أو العربية الحديثة تقوى وتضعف حسب الممارسة، فكلما زادت الممارسة للركوب زادت المهارة، وكأن النبي ﷺ لم يرد تدريباً عابراً، بل يريد بلوغ ذروة المهارة في قيادة الخييل والظهور كلها.

ومما يؤكد هذا المعنى أن النبي ﷺ قد أجرى سباقاً للخييل في زمانه، والسباق لا يكون إلا للمهرة، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: "أجرى النبي ﷺ ما ضمّر من الخييل من الحفياء إلى ثنية الوداع، وأجرى ما لم يُضمّر من الثنية إلى مسجد بني زريق". (2)

ونختم بالنصح لكل مسلم؛ أن يبادر للتدريب على قيادة السيارات والعربات الحديثة، ولتكن النية امتثالاً لتوجيه النبي ﷺ، وجهاداً في سبيل الله تعالى.

الفرع الثاني/ الانضباط

لا يمكن أن يكون للجندية والعسكرية معنى إن تجردت عن الانضباط، فأروع ما يميز الجندي عن غيره انضباطه، حتى أخذ الناس يطلقون على المنضبط في حياته اليومية "عسكري" لأنها أبرز صفاته.

- الطاعة أبرز مظاهر الانضباط:

يُعرف اللواء الركن محمد جمال محفوظ الانضباط بأنه: "الحالة العقلية ومقدار التدريب التي تجعل الطاعة والسلوك السليم، أموراً غريزية في جميع الظروف". (3)

إذا فالسمع والطاعة، والسلوك السليم أهم مظاهر الانضباط العسكري، ومن هنا ندرك السر في تركيز الحكومات والجماعات على ترسيخ مبدأ الطاعة لدى أفرادها، سواء كانت مسلمة أم كافرة؛ وذلك لأنها أبرز ضمان لتحقيق الأهداف، وبلوغ الغايات.

والسمع والطاعة أبرز ما يميز المؤمنين الصادقين.

(1) صحيح: أخرجه النسائي في سننه كتاب (الخييل) ح3564، ج3، ص565.

(2) صحيح: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب (الجهاد والسير) باب (56)، السبق بين الخييل، ح2868.

(3) النظرية الإسلامية في تقاليد الجندية وآداب الحرب، اللواء الركن/ محمد جمال الدين محفوظ، ص20، دار الاعتصام.

قال تعالى: ﴿أَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفِرُّ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (البقرة: 285).

هذه هي العصبية المؤمنة الصادقة، التي التزمت بكل شيء، ثم بعد ذلك ورغم التزامها تضرع إلى الله بأن يغفر لها ما يمكن أن يقع من تقصير في الالتزام، أو تراخي في التنفيذ، فهو شعور بالعجز عن توفية آلاء الله حق شكرها. (1)

وإن من أبرز أسباب فلاحنا كأمة مسلمة أننا رفعنا لافتة عريضة مكتوب عليها "سمعنا وأطعنا" فكانت سبب التميز والفلاح، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (النور: 51)

يقول الشهيد سيد قطب رحمه الله في تفسيره لهذه الآية: "فهو السمع والطاعة بلا تردد ولا جدال ولا انحراف، السمع والطاعة المستمدان من الثقة المطلقة في أن حكم الله ورسوله هو الحكم وما عداه الهوى؛ النابعان من التسليم المطلق لله..". (2)

لذا أرى أنه من الضروري أن أقف مع ملامح هذه الطاعة، وطبيعتها، وحدودها، ويمكن إجمال ذلك في النقاط الخمس التالية:
أولاً/ طاعة مخصوصة:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ (النساء: من الآية 59) .
فالطاعة لا تكون للجهال وأصحاب المصالح الشخصية، والأهواء النفسية، والسلطة الإجرامية، وإنما تكون طاعتنا مخصوصة لله تبارك وتعالى، ولرسوله ﷺ، ولأولي الأمر؛ الذين يحملون مسئولية الأمة، فكرية كانت كالعلماء، أم إدارية كانت كالرؤساء والزعماء.
يقول الحسن: "﴿وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾، العلماء". (3)

ويقول السعدي في تفسير الآية: "أمر بطاعته، وطاعة رسوله، وذلك بامتنال أمرهما، الواجب والمستحب، واجتناب نهيهما، وأمر بطاعة أولي الأمر، وهم: الولاة على الناس، من الأمراء والحكام والمفتين، فإنه لا يستقيم للناس، أمر دينهم ودنياهم، إلا بطاعتهم والانقياد لهم، طاعة لله، ورغبة فيما عنده" (4). فالطاعة في الإسلام مخصوصة لله ورسوله وأولي الأمر.
ثانياً/ طاعة محدودة:

(1) في ظلال القرآن، مرجع سابق، جـ1، ص343.

(2) في ظلال القرآن، مرجع سابق، جـ4، ص2527.

(3) تفسير الحسن البصري، مرجع سابق، جـ1، ص286.

(4) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مرجع سابق، ص163.

يقول الشهيد سيد قطب رحمه الله في تفسيره للآية السابقة: "والنص يجعل طاعة الله أصلاً؛ وطاعة رسوله أصلاً كذلك، بما أنه مرسل منه، ويجعل طاعة أولي الأمر منكم تبعاً لطاعة الله وطاعة رسوله، فلا يكرر لفظ الطاعة عند ذكرهم، كما كررها عند ذكر الرسول ﷺ ليقدر أن طاعتهم مستمدة من طاعة الله، وطاعة رسوله ﷺ بعد أن قرر أنهم (منكم) بقيد الإيمان وشرطه... وطاعة أولي الأمر (منكم)... في حدود المعروف المشروع من الله، والذي لم يرد نص بحرمة".⁽¹⁾

فطاعة الله مطلقة، وطاعة رسوله ﷺ كذلك، وأما طاعة أولي الأمر فهي مقيدة في مساحة المباح، محدودة بالشرع، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. عن علي ﷺ أن رسول الله ﷺ بعث جيشاً وأمر عليهم رجلاً، فأوقد ناراً، وقال ادخلوها، فأراد ناس أن يدخلوها، وقال الآخرون: إنا قد فررنا منها، فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال للذين أرادوا أن يدخلوها: "لو دخلتموها لم تزالوا فيها إلى يوم القيامة" وقال للآخرين قولاً حسناً وقال: "لا طاعة في معصية الله، إنما الطاعة في المعروف".⁽²⁾ ثالثاً/ طاعة مبصرة:

قد دأبت غالبية قيادات الجيوش المعاصرة على تربية الجند على الطاعة المطلقة العمياء لقيادتهم، دون سابق تفكير، أو مناقشة. يقول فريدريك الأكبر: "انظر إلى هؤلاء الرجال، لو اختبرتهم واحداً واحداً لوجدتهم يكرهونني، لكنهم متى اجتمعوا في صفوفهم وعلموا أن الضباط وراءهم بالسوط فإنهم يضطربون خوفاً، ويكفي أن أمرهم حتى يلقوا بأنفسهم في النار دون تفكير؛ لأنهم يجهلون كل شيء حتى الغرض الذي يقاتلون من أجله"⁽³⁾.

شتان شتان بين هؤلاء الجند.. وأولئك الصادقين الصابرين الذين كانوا تحت إمرة الحبيب ﷺ لو اختبرناهم واحداً واحداً لتبين لنا كلما اختبرنا واحداً أنه أشد حباً من سابقه لقائده.. وهذا ما ظهر من سواد بن غزيرة⁽⁴⁾ حينما كان خارجاً عن الصف في بدر فضربه النبي ﷺ بقضيب في يده على بطنه وقال: استقم يا سواد، فقال: أوجعتني يا رسول الله، وقد بعثت بالحق والعدل فأقذني⁽⁵⁾ من نفسك فكشف الرسول ﷺ عن بطنه وقال: استقد يا سواد، فما كان

(1) في ظلال القرآن، مرجع سابق، جـ2، ص691.

(2) صحيح: أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب (الإمارة) باب (8) وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية، ح1840، ص990.

(3) النظرية الإسلامية في تقاليد الجندية وآداب الحرب، مرجع سابق، ص21.

(4) سواد بن غزيرة الأنصاري، من بني عدي بن النجار، وقيل هو حليف لهم. (الإصابة في تمييز الصحابة، جـ3، ص217).

(5) أقذني: من القود وهو القصاص، أي أمكني من القصاص منكم على ما أوجعتني،

من سواد إلا أن اعتنقه وقَبَل بطنه، فقال له النبي ﷺ: ما حملك على ذلك؟ فقال: يا رسول الله، قد حضر ما ترى فأردت أن يكون آخر العهد (بك) أن يمس جلدي جلدك.⁽¹⁾

أما الحباب بن المنذر فيقف في وجه قائده يناقشه في أمره قائلاً: "يا رسول الله، هذا منزل أنزلك الله فليس لنا أن نتقدم عنه أو نتأخر، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ فقال: بل هو الرأي والحرب والمكيدة، فقال: يا رسول الله، ليس لك هذا بمنزل، فانهض بالناس حتى تأتي أدنى ماء من القوم، فأني أعرف غزارة مائه، وكثرته فننزله ونغور ما عدها من الآبار ثم نبي عليه حوضاً فنملؤه ماءً فنشرب ولا يشربون، فقال الرسول ﷺ: لقد أشرت بالرأي"⁽²⁾.

عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: "على المرء المسلم السمع والطاعة، فيما أحب وكره، إلا أن يؤمر بمعصية، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة"⁽³⁾. والدلالة في الحديث واضحة.

رابعا/ طاعة وإن كرهت النفس:

لقد خلق الله الناس مختلفين، فالأمر الذي يتفق مع بعضهم، قد يختلف مع البعض الآخر، لذا فقد تعينت الطاعة على ما أحب المرء وكره.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "عليك السمع والطاعة، في عسرك ويسرك، ومنشطك ومكرهك، وأثره عليك"⁽⁴⁾.

فالجندي إن اعتقد أن السمع والطاعة عبادة يتقرب بها إلى الله تعالى، استطاع أن يخضع نفسه وهواه لما يرى فيه نجاته.

خامسا/ أكمل صور الانضباط:

وأكمل صور الانضباط إن يفعل المرء ما يعرف، أو يعتقد أنه حق حتى في غيبة الأوامر والرقابة، ويحافظ على الطاعة والسلوك السليم في جميع الظروف، وفي ظل المؤثرات، والضغوطات المختلفة.⁽⁵⁾

وهذا النوع من الانضباط لا يتأتى إلا من خلال الشعور الدائم بالرقابة الإلهية، وتكوين وازع داخلي يتحكم في أفعال الجندي، قال تعالى: ﴿الْمُرْتَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يُكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُمْ رَايَ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِغِيظِ اللَّهِ مِنْ آخَرِهِمْ وَلَا هُمْ يَأْتُونَ بِشَيْءٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْشَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا

(1) نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، الشيخ محمد الخضير، تحقيق سمير أحمد العطا، ص105، دار الحديث، ط1، 1422هـ-2001م.

(2) نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، مرجع سابق، ص103.

(3) صحيح: أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب (الإمارة)، باب (8)، وجوب طاعة الأمراء في غير معصية .. ح1839، ص990.

(4) صحيح: أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب (الإمارة) باب (8) وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، ح1836، ص989.

(5) النظرية الإسلامية في تقاليد الجندية وآداب الحرب، مرجع سابق، ص20.

كَانُوا ثَمَّ يَنْبَهُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (المجادلة: 7). وقوله: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا نَحْنُ بِهَا نَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلْمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابَسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (الأنعام: من الآية 59).
 تبين الآيتان رقابة الله الدائمة لكل شيء، فإذا تعمق هذا في نفس الجندي يكون دؤوب العمل عظيم العطاء.

الفرع الثالث/ الدهاء، وقوة المكر بالأعداء:

ونعالج مسألة الدهاء من خلال إلقاء الضوء على النقاط الأربع التالية:

أولاً / مفهوم الدهاء في العسكرية الحديثة:

" تلك الأعمال التي تهدف إلى التحايل، والخداع، والحصول على فائدة محددة"⁽¹⁾.

وبالجملة أرى أن الدهاء العسكري يعني تضليل العدو، وإخفاء الحقيقة عنه، وإرغامه على تبني تصورات غير صحيحة نتيجة مخادعته، فيقوم العدو بوضع كل تصورات، وترتيب جميع خطته بناءً على هذه الحقيقة المزيفة فيقع في الشرك؛ وذلك لتوفير أسباب النصر، وتقليل الخسائر.

ثانياً / التأصيل الشرعي للدهاء في الحرب:

قال تعالى: ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قِيلَ وَعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرِجَهَا مِنْ وَعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ (يوسف: 76).
 حيث تظهر الآية دهاء نبي الله يوسف عليه السلام من خلال البدء بأوعية إخوانه الفارغة ثم الإتيان على الوعاء الذي به الصواع.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: " الحربُ خُدعةٌ"⁽²⁾.

فالجندي المسلم يحرص وهو يخوض المعارك ضد أعدائه على إيجاد أسباب النصر، وابتكار أساليب جديدة لحرب العدو، وإنزال أشد الخسائر فيه، وهذا يتطلب من الجندي أن يُعمل عقله جيداً، وأن يلجأ إلى مخادعة عدوه، والحديث السابق قد فتح المجال أمام جميع جنودنا للتخطيط على قاعدة المكر بالعدو، وهذا كله ضمن الخطة العامة التي وضعها قادة وأمرأء الحرب.

يقول الإمام النووي: " واتفق العلماء على جواز خداع الكفار في الحرب، وكيف أمكن الخداع، إلا أن يكون فيه نقض عهد، أو أمان فلا يحل، وقد صح في الحديث جواز الكذب في ثلاثة أشياء، أحدها في الحرب"⁽¹⁾.

(1) الدهاء في الحرب، مرجع سابق، ص 15.

(2) صحيح: أخرجه البخاري في كتاب (الجهاد والسير)، باب (157)، الحرب والخدعة ح 3030، ص 500.

يقول الإمام بن حجر معقباً على الحديث السابق: " وفي الحديث إشارة إلى استعمال الرأي في الحرب، بل الاحتياج إليه أكبر من الشجاعة"⁽²⁾.

ثالثاً/ الدهاء عند المسلمين، وعند غير المسلمين:

الفرق باختصار شديد أن الدهاء والخداع عند المسلمين مضبوط بحدود شرعية لا يجوز تخطيها، حيث يظهر ذلك من خلال قول الإمام النووي السابق.

يقول الإمام العيني: " الخداع في الحرب جائز كيف ما يكون إلا بالأيمان والعهود، والتصريح بالأيمان فلا يحل شيء في ذلك"⁽³⁾.

أما عند غير المسلمين: فالدهاء لا تحده حدود، ولا تضبطه قيود، يلهثون خلف تحقيق المصلحة دون مراعاة أي أدب للحرب، وشعارهم الغاية تبرر الوسيلة.

قال تعالى: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدِكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأنفال: 62).

إن المتأمل في الآية يتأكد له حقيقة خداع هؤلاء المجرمين؛ هذا الخداع المتجرد عن كل معاني الإنسانية العامة، وآداب الصراع، لذا فقد أشار الله تعالى إلى نبيه ﷺ أن هؤلاء لا يراعون عهداً، فإن استخدموا العهود لتنفيذ بعض مخططاتهم، فإن حسبك الله هو كافيك، ومانعك من مكرهم وكيدهم.

رابعاً/ صور من دهاء المسلمين:

إن من أبرز صور الدهاء عند المسلمين، ما كان يوم الخندق من فعل نعيم بن مسعود، حيث أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إني قد أسلمت، وإن قومي لم يعلموا بإسلامي، فمرني بما شئت، فقال رسول الله ﷺ: إنما أنت فينا رجل واحد، فخذل عنا إن استطعت، فإن الحرب خدعة" وصنع ما صنع من زرع بزور الشك والريب في صفوف الأحزاب⁽⁴⁾.

* الدهاء العسكري يتجلى في كل غزواته ﷺ:

إن المتتبع لتاريخ غزوات النبي ﷺ يتبين له عظيم الدهاء العسكري في تخطيطه ﷺ، إذ إن جميع عناصر الدهاء العسكري تتوفر في الخطوات العملية عند كل غزوة من الغزوات .. والتي من أبرزها:

- السرية - الاستطلاع - التمويه - المباغثة

(1) صحيح مسلم بشرح النووي، مرجع سابق، جـ6، ص265.

(2) فتح الباري، مرجع سابق، جـ6، ص158.

(3) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، للإمام بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العيني، جـ14، ص275، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(4) السيرة النبوية لابن هشام، مرجع سابق، جـ3، ص138-140. وقوله ﷺ (الحرب خدعة) ورد في حديث صحيح في البخاري، ح3030، ص500.

ففي غزوة بدر، أمر النبي ﷺ بما يلي⁽¹⁾:

1- قطع الأجراس من أعناق الإبل للتمويه حتى لا تعلم القبائل والمارة والرعاة بهم.

2- إرسال دوريات استطلاعية أمام الجيش.

3- اتباع الطرق غير المطروقة، وذلك لتحقيق المفاجأة التي هي هدف الدهاء.

وأما في غزوة خيبر:

فقد خرج رسول الله ﷺ من المدينة يريد خيبراً، فنزل بواد يقال له: الرجيع، بين غطفان التي كانت تناصر اليهود وخيبر؛ وذلك ليحول بينهم وبين أن يمدوا أهل خيبر بالمساعدة، وقد كانت غطفان بعد سماعها قدوم النبي ﷺ قد أعدت عدتها لنصرة يهود خيبر، فلما نزل النبي ﷺ في هذا الوادي ظنت غطفان أن النبي ﷺ قد خالف إليهم فرجعوا على أعقابهم وأقاموا في أموالهم وأهليهم، وخلوا بين رسول الله ﷺ وخيبر.⁽²⁾

الفرع الرابع/ اللياقة البدنية، والقوة الجسمية:

لا بد للجندي المسلم من قوة عضلية، وسلامة جسمية، ولياقة بدنية، إذ إن سلامة الجسم وقوته تؤهله لأداء دوره على أكمل وجه، ومن هنا نعرف سر تقديم طالوت ليكون قائداً للجنود.

قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ (البقرة: من الآية 247).

يقول الإمام القرطبي: "وبين لهم نبيهم تلييل اصطفاء طالوت، وهو بسطته في العلم الذي هو ملاك الإنسان، والجسم الذي هو معينه في الحرب، وعدته عند اللقاء"⁽³⁾.

فالجهد الذي هو مشتق من المجاهدة، والمكابدة لشدة ما فيه من الأعباء والمهام، يحتاج إلى أجسام مرنة رشيقة قوية، وسواعد وعضلات فولاذية، لا تكمل ولا تمل حتى نهاية المعركة؛ يستطيع المرء بها أن يصرع المشاق والمخاوف، ويتغلب على المشي الطويل، والركض العنيف، والقفز البعيد، ويشق عباب الغبار الكثيف، واللهب والدخان المخيف.

- قوة موسى عليه السلام:

إن قوة موسى وأمانته هما اللتان رشحتاه للزواج والعمل، وهما اللتان ساعدتاه على قيادة بني إسرائيل، وتخليص قومه من عبودية فرعون، والكل يطمع في القوي، ويرجو الأمين، فالقوي في كل ميدان له أثر، قال تعالى متحدثاً عن ابنة شعيب وهي تطلب من أبيها أن يستأجره للعمل بسبب قوته وأمانته: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾

(1) الدهاء في الحرب، مرجع سابق، ص 83.

(2) الرحيق المختوم، مرجع سابق، ص 410.

(3) الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ج 2، ص 209.

(الفصل:26). فهذه ابنة شعيب تطمع في القوي، وتطلب من أبيها بكل صراحة ووضوح أن يستأجره.

المطلب الثاني:

الإعداد العسكري الخاص.

يهدف الباحث من هذا المطلب إلى ذكر بعض الإعدادات الخاصة بدوائر عسكرية معينة، إذ إن المطلوب من الجندي النظامي، يختلف في بعض جوانبه عما هو مطلوب من الجندي المتطوع، أو الجندي في مجموعة ذات مهمة خاصة، لذا رأيت تخصيص هذه المساحة للحديث عن الإعداد الخاص بكل دائرة عسكرية على حده، وفق الترتيب للفروع الأربعة التالية:

الفرع الأول: الجيش النظامي، وشروط التجنيد.

الفرع الثاني: الجيش الاحتياطي.

الفرع الثالث: المجموعات العسكرية ذات المهمات الخاصة.

الفرع الرابع: النساء والفتيان في الجيش الإسلامي، أو في الشئون العسكرية (التدريبات الخاصة بالنساء والفتيان).

وفيما يلي تفصيل ذلك:

الفرع الأول/ الجيش النظامي، وشروط التجنيد:

في هذا الفرع أتناول بإذن الله الحديث عن بدايات تشكيل الجيش كمؤسسة دائمة، وطبيعة التدريب فيه، وشروط التجنيد. أولاً/ بدايات تكوين الجيش الإسلامي:

لم تكن العرب في الجاهلية، تعرف شيئاً عن الجيش النظامي، وكذلك الحال في عهده ﷺ حيث كان الجيش يتشكل عند الحروب فقط، ولهذا لم تكن له معسكرات مخصصة لإقامته بصورة دائمة، ولم يكن أفرادُه ينقطعون عن أعمالهم التي يزاولونها من أجل الكسب والعيش، فحياتهم تُمارس بشكل طبيعي حتى إذا ما دُعوا إلى القتال تركوا كل شيء وتحشدوا لمواجهة العدو، وينتهي الجيش بانتهاء القتال⁽¹⁾.

لقد كان هذا الأسلوب في تنظيم الجيش كافياً في عهد النبوة، وكذلك في عهد الخليفة الأول أبي بكر الصديق، لكن عندما اتسعت الفتوحات، وشملت ما كان تحت أيدي ملوك الفرس والروم، لم يعد هذا الأسلوب مؤدياً للغرض؛ لا سيما مع المحاولات المتكررة من

(1) تفسير الطبري، مرجع سابق، ج-7، ص285.

هؤلاء الملوك لاستعادة سيطرتهم على البلاد التي أخرجوا منها، وهنا رأى المسلمون أنه لا بد من تفريغ قسم من المكلفين بالجهاد لحياة الجندية، وأن يكونوا تحت السلاح بشكل دائم، وأن تجري عليهم الأرزاق لقاء انقطاعهم للحياة العسكرية، بحيث تغنيهم وأهليهم عن هموم السعي وطلب الرزق.

وتم توزيع هؤلاء المقاتلين على مختلف الأقاليم في الدولة الإسلامية، وأقيمت المعسكرات والمدن الخاصة بهم، ليكونوا على أهبة الاستعداد، فإذا ما صدرت لهم إشارة الدفاع، أو الهجوم كانوا أيدٍ ضاربة في العدو⁽¹⁾.

ثانياً/ طبيعة التدريب:

حيث ينقسم إلى قسمين:

1- التدريب الفردي. 2- التدريب الجماعي.

1- التدريب الفردي: ويقصد به تدريب المقاتل على استخدام سلاحه بمهارة في جميع الظروف وكافة المواقع⁽²⁾. وكل ما ورد في المطلب الأول من الإعداد العام للجندي، يمكن إدراجه تحت هذا العنوان، وهذا يشير إلى تركيز الإسلام على التدريب الفردي للجندي؛ لأنه الأساس المتين لبناء الوحدة العسكرية.

2- التدريب الجماعي: ويقصد به تدريب الجندي ضمن وحدته العسكرية من أصغر مستوى حتى أعلى مستوى؛ لتكون جميع الوحدات العسكرية قادرة على أداء واجباتها في مختلف مراحل الحرب، سواء كانت منفردة، أو متعاونة مع الوحدات الأخرى⁽³⁾.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُيُوتٌ مَرصُوصَةٌ﴾ (الصف:4).

يقول الإمام الطبري رحمه الله: "يقاتلون في سبيل الله صفاً مصطفاً، كأنهم في اصطفافهم هنالك حيطان مبنية قد رصت، فأحكم وأتقن فلا يغادر منه شيئاً"⁽⁴⁾.

إن هذه الحالة التي ترسمها الآية من النظام والترتيب والاصطفاف، والتداخل المخطط التي ينبغي أن يكون عليه الجيش الإسلامي، يؤكد أنه لم يكن وليد المعركة وإنما كان ثمرة لفترة طويلة من التدريب الدقيق في إطار المجموع، وللتدريب الجماعي أهمية عسكرية ونفسية كبيرة تظهر لنا لاحقاً بإذنه تعالى.

وأرى أن الآية كما تدل بنصها على تقارب الجنود واصطفافهم كالجدار، فإنها تدل بمفهومها على أن يكونوا صفاً متحداً كالبنين المرصوص في التوجه والتأخي والإيثار،

(1) الجهاد والقتال في السياسة الشرعية، مرجع سابق، جـ2، ص990.

(2) العسكرية الإسلامية وقادتها العظام، مرجع سابق، ص35.

(3) العسكرية الإسلامية وقادتها العظام، مرجع سابق، ص35.

(4) تفسير الطبري، مرجع سابق، جـ7، ص285.

والالتزام بخطة القيادة التي قد يتفرق فيها الجيش إلى أكثر من موقع، بحيث لا يشكلون بنياناً مرصوصاً مادياً واحداً، ففي غزوة أحد كان قطاع الجيش كالبنيان المرصوص، وكان يشترط جزءاً منفرداً هناك على الجبل، والمحصّل: لا يشترط تجمع الجيش في مكان واحد كالبنيان، بل قد يتفرق إلى عدة جبهات وإلى كثير من المواقع، والحكمة ضالة المؤمن. ثالثاً: شروط التجنيد:

شروط التجنيد تقابل عند الفقهاء بشروط وجوب الجهاد (1).

وقد أجمالها الفقهاء في سبعة شروط هي (2):

1- الإسلام. 2- البلوغ. 3- العقل. 4- الحرية.

5- الذكورة 6- السلامة من الضرر 7- وجود النفقة.

الشرط الأول/ الإسلام:

وذلك لأن نصوص التكليف في الإسلام قد خصت المؤمنين (3) قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ

حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾ (الأنفال: من الآية 65). فالتحريض يكون للمكلفين بالجهاد، وهم، المؤمنون، كما بينت الآية الكريمة.

عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: خرج رسول الله ﷺ قبل بدر فلما كان بحرة الوبرة (4) أدركه رجل قد كان يذكر منه جرأة ونجدة، وفرح أصحاب رسول الله ﷺ حين رأوه، فلما أدركه قال لرسول الله ﷺ: جئت لأتبعك وأصيب معك، قال له رسول الله ﷺ: "تؤمن بالله ورسوله؟" قال: لا، قال: "فارجع، فلن أستعين بمشرك"، قالت: ثم مضى، حتى إذا كنا بالشجرة أدركه الرجل، فقال له كما قال أول مرة، فقال له النبي ﷺ: كما قال أول مرة، قال: "فارجع فلن أستعين بمشرك"، قال: ثم رجع فأدركه بالبيداء، فقال له كما قال أول مرة: "تؤمن بالله ورسوله؟" قال: نعم، فقال له رسول الله ﷺ: "فانطلق" (5).

وتجدر الإشارة هنا أنه وقع خلاف كبير بين الفقهاء حول مسألة الاستعانة بغير المسلمين في الجيش الإسلامي، أو بعض الأعمال العسكرية، وخالصة هذا الخلاف (6):
الأحناف والشافعية: يجيزون قتال غير المسلمين مع المسلمين ضد العدو، وكذلك في رواية الإمام أحمد بن حنبل عند الحاجة.

(1) الجهاد والقتال في السياسة الشرعية، مرجع سابق، جـ2، ص 994.

(2) الفقه الإسلامي وأدلته، مرجع سابق، جـ8، ص 5851.

(3) الجهاد والقتال في السياسة الشرعية، مرجع سابق، جـ2، ص 995.

(4) حرة الوبر: موضع على نحو أربعة أميال من المدينة.

(5) صحيح: أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب (الجهاد) باب (51)، كراهة الاستعانة في الغزو بكافر، ح1817، ص 977.

(6) الجهاد والقتال في السياسة الشرعية، مرجع سابق، جـ2، ص 1046.

أما المالكية: فيمنعون الاستعانة بغير المسلمين في القتال، ولكنهم يجيزون التحاقهم بالجيش الذاهب إلى قتال، مع تحديد نشاطهم العسكري في الأمور غير القتالية.
الشرط الثاني/ البلوغ:

وذلك لأن البلوغ شرط من شروط التكليف بالأحكام الشرعية أصلاً⁽¹⁾.

عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "رفع القلم عن ثلاثة: عن الصبي حتى يبلغ، وعن النائم حتى يستيقظ، وعن المعتوه حتى يبرأ"⁽²⁾. فقد بين الحديث أن التكليف مرفوع عن الصبي حتى يبلغ، وبالتالي فلا يجب عليه الجهاد حتى لو كان النفير عاماً.
الشرط الثالث/العقل:

العقل شرط التكليف، يقول الدكتور وهبة الزحيلي: "فأما الإسلام والبلوغ والعقل فهي شروط لوجوب سائر الفروع الشرعية"⁽³⁾.
الشرط الرابع: الحرية.

قال تعالى: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (التوبة: من الآية 41).

فالعبد لا مال له، ولا يملك نفسه، فلم يشمل الخطاب، حتى لو أمره سيده لم يلزمه، لأنه ليس من أهل هذا الشأن، وليس القتال من الاستخدام المستحق للسيد"⁽⁴⁾.
الشرط الخامس/ الذكورة:

عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: استأذنت النبي صلى الله عليه وسلم في الجهاد فقال: "جهادكن الحج"⁽⁵⁾.

هذا الحديث هو الأصل في إعفاء المرأة من فريضة الجهاد، يقول ابن بطال: "دل حديث عائشة على أن الجهاد غير واجب على النساء، ولكن ليس في قوله (جهادكن الحج) أنه ليس لهن أن يتطوعن بالجهاد، وإنما لم يكن عليهن واجباً، لما فيه من مغايرة المطلوب منهن، من الستر، ومجانبة الرجال"⁽⁶⁾.

وعليه فإن المرأة معافاة من فريضة الجهاد، وذلك في جهاد الطلب، وأما في جهاد الدفع فالأمر مختلف.

(1) الجهاد والقتال في السياسة الشرعية، مرجع سابق، جـ2، ص95.

(2) صحيح: أخرجه أبو داود في سننه، كتاب (الحدود) باب (16)، في المجنون يسرق أو يصيب حداً، ح4402، جـ4، ص1883.

(3) الفقه الإسلامي وأدلته، مرجع سابق، جـ8، ص5851.

(4) الجهاد والقتال في السياسة الشرعية، مرجع سابق، جـ2، ص995.

(5) صحيح: أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب (الجهاد والسير) باب (62)، جهاد النساء، ح2875، ص475.

(6) فتح الباري، مرجع سابق، جـ6، ص76.

قال تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ (النساء: من الآية 34). حيث إن الذكورة، والقوة الجسمية المميزة، مما اختص الله به الرجل دون المرأة على الغالب.

الشرط السادس/ السلامة من الضرر:

قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ﴾ (النور: من الآية 61). ذكر القرطبي عن ابن عباس: "لما نزلت ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾، قال أهل الزمّانة: كيف يا رسول الله؟ فنزلت: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ﴾، أي لا إثم عليهم في التخلف عن الجهاد لعماهم، وزمانتهم، وضعفهم" (1).

وقال تعالى في سورة التوبة: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرْجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (التوبة: 91).

يقول القرطبي: "الآية أصل في سقوط التكليف عن العاجز؛ فكل من عجز عن شيء سقط عنه" (2)... فبينت الآية أنه لا حرج على المعذورين، وهم قوم عرف عذرهم؛ كأرباب الزمّانة، والهرم، والعمى، والعرج، وأقوام لم يجدوا ما ينفقون، فقال ليس على هؤلاء حرج، ﴿إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ إذا عرفوا الحق، وأحبوا أوليائه وأبغضوا أعداءه.

ومما سبق يتضح أن أصحاب العلل قد سقط عنهم فرض الجهاد، ويبقى باب التطوع قائماً. الأعداء تختلف من عصر إلى عصر:

لقد كان الأعرج وصاحب المرض المزمّن في العصور الماضية لا يستطيع أن يشارك في الجهاد، لأن القتال قديماً كان يعتمد بشكل كلي على القوة البدنية، والخفة الحركية، أما اليوم فقد اختلفت طبيعة الحروب وأدواتها، فباتت على الغالب حروب إلكترونية، وتقنية، وهذا يعني فسح المجال أمام أصحاب الإعاقات للمشاركة في الجهاد، فمثلاً الأعرج البين يستطيع أن يجلس على قاعدة الصواريخ ويسدد نحو الهدف المطلوب، وبناء على ما سبق فإن مساحة الأعداء قد تختلف من عصر إلى عصر، لذا ينبغي أن يترك لصاحب السلطة في هذا الأمر تقدير السلامة المطلوبة للاشتراك في القتال، وتقدير الأعداء التي تعفي أصحابها من توجيه وجوب الجهاد عليهم (3).

الشرط السابع: وجود النفقة.

(1) الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، جـ8، ص551.

(2) الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، جـ8، ص551.

(3) الجهاد والقتال في السياسة الشرعية، مرجع سابق، جـ2، ص998.

قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَمَرْسُولَهُ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (التوبة: 91)

جاء في تفسير المنار: "﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ﴾ هم الفقراء الذين لا يجدون مالاً ينفقون به على أنفسهم إذا خرجوا للجهاد، ويتركون لعيالهم ما يكفيهم، وكان المؤمنون يجهزون أنفسهم للقتال، فالفقير ينفق على نفسه، والغني ينفق على نفسه، وعلى غيره بقدر سعته كما فعلوا في غزوة تبوك، إذا لم يكن للمسلمين بيت مال غني ينفق منه النبي ﷺ على الغزاة، وهذا العذر خاص بالمال، ويزول إذا كان للأمة في بيت المال ما ينفقون منه"⁽¹⁾.

الفرع الثاني/ الجيش الاحتياطي:

ولمعالجة موضوع الجيش الاحتياطي، أتناول هنا المقصود بهذا الجيش، ثم أقدم التأسيس القرآني له، وبعد ذلك أشير إلى مسألة التسليح للجيش الاحتياطي. أولاً/ المقصود بالجيش الاحتياطي:

ويقصد بالجيش الاحتياطي؛ كل مسلم مكلف بالجهاد، وهو خارج الجيش النظامي الذي تفرغ للجهاد والرباط، ويُستدعى الجيش الاحتياطي عند الحاجة إليه⁽²⁾، واستدعاء الجيش الاحتياطي يكون غالباً في حالة النفير العام.

يقول محمود شيت خطاب: "قاعدة النفير العام في الحرب الاجتماعية الحديثة تنص على حشد عشرة بالمائة فقط من تعداد السكان للحرب؛ إذ تبدأ الجندية من سن ثمانية عشر عاماً غالباً، وتنتهي خدمة الاحتياط من سن تسع وثلاثين سنة للرجل، وأربع وثلاثين سنة للمرأة، أما المسلمون في حربهم فقد استطاعوا حشد أربعين بالمائة من تعداد نفوسهم؛ إذ تبدأ الجندية من سن السادسة عشر، أو الخامسة عشر عاماً، وتشمل كل قادر على الجهاد... ولا تنتهي في سن معينة، ويبقى المسلم مجاهداً ما دام قادراً على حمل السلاح"⁽³⁾.

ومما سبق يتبين لنا أن جيش الاحتياط مواطنون عاديون يمارسون حياتهم بشكل طبيعي فإذا دعت الحاجة، تجمعوا من كل حذب وصوب ليكونوا جيشاً جديداً إلى جانب الجيش النظامي، وفي الأنظمة المعمول بها في البلاد العربية، أو الغربية فإن المواطن يُستدعى للجندية كل فترة زمنية، يمارس الجندية، ويستعيد مهاراته التدريبية، إلا أن ذلك يكون بعد توفر شروط الجندية فيه.

(1) تفسير المنار، مرجع سابق، جـ10، ص513.

(2) الجهاد والقتال في السياسة الشرعية، مرجع سابق، جـ2، ص1003.

(3) الجهاد والقتال في السياسة الشرعية، مرجع سابق، جـ2، ص1003.

ثانياً/ التأصيل القرآني لفكرة الجيش الاحتياطي:

الأصل في هذا الباب قوله تعالى: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (التوبة: 41)
المقصود بالخفة والثقل في قوله: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾:

يقول سيد قطب رحمه الله: "انفروا على كل حال، وجاهدوا بالنفوس والأموال، ولا تلتمسوا الحجج والمعاذير، ولا تخضعوا للعوائق والتعلمات"⁽¹⁾.

وقد اختلف المفسرون في معنى الخفة والثقل فقالوا: أغنياء وفقراء، وقالوا: ركبانا ومشاة، وقالوا: مشاغيل وغير مشاغيل، وقالوا: كهولاً وشباناً⁽²⁾.

وخلاصة المعنى الذي أراه ما ذكره الطبري في تفسيره: "وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب أن يقال: إن الله تعالى أمر المؤمنين بالنفر لجهاد أعدائه في سبيله، خفافاً وثقلاً، وقد يدخل في الخفاف كل من كان سهلاً عليه النفر لقوة بدنه على ذلك، وصحة جسمه وشبابه، ومن كان ذا يسر بمال وفراغ من الاشتغال، وقادراً على الظهر والركاب، ويدخل في الثقال كل من كان بخلاف ذلك، من ضعيف الجسم، وعليه، وسقيمه، ومن معسر من المال، ومشتغل بضیعة ومعاش، ومن كان لا ظهر له ولا ركاب، والشيخ ذو السن والعيال"⁽³⁾.

إنه أعظم جيش:

وبهذا المفهوم يتبين لنا أن الجيش الاحتياطي في البلاد الإسلامية يشمل عدداً كبيراً جداً من أهل البلاد التي كُتب عليها النفير العام، فلا يكاد يُستثنى إلا الأطفال، والشيوخ، والنساء اللواتي لا يستطعن حمل السلاح، وهكذا يكون من أعظم الجيوش المحاربة وأكثرها عدداً.

ثالثاً/ التسليح للجيش الاحتياطي:

قال تعالى: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (التوبة: 41).

فقد بينت الآية في شطرها الثاني المصدر المالي للتسليح في جيش الاحتياط، والذي كان يعتبر في السابق المصدر الرئيسي لجيوش المسلمين.

(1) في ظلال القرآن، مرجع سابق، جـ3، ص1657.

(2) مختصر تفسير ابن كثير، مرجع سابق، جـ2، ص144.

(3) تفسير الطبري، مرجع سابق، جـ4، ص122.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم" (1).

يقول الشيخ محمد رشيد رضا في تفسير الآية: "أي جاهدوا أعداءكم الذين يقاتلون في سبيل الطاغوت من العلو والفساد في الأرض، ببذل أموالكم وأنفسكم في سبيل الله الموصلة إلى الحق وإقامة ميزان العدل، فمن قدر على الجهاد بماله وبنفسه معاً وجب عليه الجهاد بهما، ومن قدر على أحدهما دون الآخر وجب عليه ما كان في قدرته منها" (2).

وقال تعالى كذلك: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (الحجرات: 15)

حيث جعل الله تبارك وتعالى الجهاد بالنفس والمال دليل صدق إيمان الرجل.

- التسليح اليوم:

إذا احتاجت إحدى الدول إلى حشد الجيش الاحتياطي فإن الدولة تقوم بتوفير السلاح الكامل لهم، وعلى هذا أغلب الجماعات والحركات العسكرية القائمة اليوم، ويتم إعادة السلاح إلى الجهة التي قامت بتسليح المتطوعين سواء كانت رسمية، أو شعبية عند انتهاء المهمة، ووضع الحرب لأوزارها.

رابعاً/ دور الجيش الاحتياطي:

في بعض الأحيان قد يمتلك بعض المتطوعين، وأفراد الجيش الاحتياطي مهارات لا يمتلكها النظاميون المتفرغون، لذا لا بد من استشارتهم في رغباتهم، والبحث عن نقاط قوتهم، ثم التأكد من صحة ذلك، واستخدامهم كل حسب قدراته وامكانياته.

وفي هذا الصدد يقول الدكتور محمد خير هيكل: "وعلى المسؤولين عن وحدات الجيش الاحتياطي مراعاة ما يصلح له كل فرد منهم ووضعهم في الموقع الذي يعطى فيه أفضل ما يملكه من خبرات، وطاقات، مما يكون له دور فعال في إحراز النصر وكسب المعارك" (3).

وليس ضرورياً أن يقوم جميع المتطوعين بمهام عسكرية، فمن الممكن القيام بمهام مدنية في الجيش، كإعداد الطعام، ونقل المصابين وتطبيبهم، وتجهيز الأسلحة والمعدات،... الخ، وأعمال الجيش كثيرة جداً.

(1) صحيح: أخرجه أبو داود في سننه، كتاب (الجهاد) باب (18)، كراهية ترك الغزو، ح2504، ج3، ص1084.

(2) تفسير المنار، مرجع سابق، ج1، ص408.

(3) الجهاد والقتال في السياسة الشرعية، مرجع سابق، ج2، ص1011.

قال الزهري: "خرج سعيد بن المسيب⁽¹⁾ إلى الغزو وقد ذهب إحدى عينيه، فقيل له: إنك عليل، فقال استنفر الله الخفيف والثقيل، فإن لم يمكني الحرب كثرت السواد وحفظت المتاع"⁽²⁾.

الفرع الثالث/ المجموعات العسكرية ذات المهمات الخاصة:

ونقصد بها تلك المجموعات التي تُشكل لإنجاز مهمة معينة من المهمات العسكرية مثل؛ الاختطاف، والاعتقال، وممارسة حرب العصابات، سواء كانت هذه المجموعات تتبع لجهات رسمية أو شعبية، حيث يتلقى أفرادها تدريباً خاصاً، ويعتمدون وسائل خاصة، غالباً ما تكون غاية في التعقيد.

ويمكننا معالجة موضوع المجموعات الخاصة من خلال النقاط السبع التالية:

أولاً/ شرعية هذه المجموعات:

لقد كتب الله علينا قتال الأعداء فقال: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: 216).

وقد جاءت السنة النبوية تبين أساليب وطرق هذا القتال الذي نخوضه ضد أعداء الله تعالى، ومنها المجموعات الخاصة، حيث إننا نجد أن النبي ﷺ قد استخدمها في حربه ضد الأعداء.

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَخْصِرُواهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (التوبة: 5).

قال القرطبي معقياً على قوله: ﴿وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ﴾: "المرصد هو الموضع الذي

يرقب فيه العدو، ... وفي هذا دليل على جواز اغتيالهم قبل الدعوة"⁽³⁾.

ومعلوم أن عمليات الرصد، والاعتقال من دور المجموعات ذات المهام الخاصة،

وعليه فإن هذه الآية تدل على شرعية هذه المجموعات، والله أعلم.

لقد أورد الإمام البخاري في صحيحه ضمن كتاب المغازي باباً أسماه "قتل كعب بن

الأشرف" وذكر فيه حديث قتل كعب والذي يمثل عملية اغتيال بالمعنى المعاصر، فعن جابر

(1) سعيد بن المسيب بن حَزْب بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم القرشي المخزومي أحد العلماء الأثبات، والفقهاء الكبار، ومن أعلم التابعين. (تحرير تقريب التهذيب لابن حجر العسقلاني، جـ2، ص43، مؤسسة الرسالة، ط1، ص1997).

(2) الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، جـ4، ص486.

(3) الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، جـ4، ص424.

بن عبد الله رضي الله عنهما قال: (قال رسول الله ﷺ: "من لعب بن الأشرف، فإنه قد آذى الله ورسوله". فقام محمد بن مسلمة⁽¹⁾ فقال: يا رسول الله، أتحب أن أقتله؟ قال: "نعم". قال: فأذن لي أن أقول شيئاً، قال: "قل...".⁽²⁾ .

وكذلك فقد أخرج البخاري عن البراء بن عازب ؓ قال: "بعث رسول الله ﷺ رهطاً إلى أبي رافع فدخل عليه عبدالله بن عتيك⁽³⁾ بيته ليلاً وهو نائم فقتله"⁽⁴⁾ .

قال الحافظ أحمد بن حجر: "وفي هذا الحديث من الفوائد؛ جواز اغتيال المشرك الذي بلغته الدعوة، وأصر، وقتل من أعان على رسول الله ﷺ بيده، وماله، أو لسانه، وجواز التجسس على أهل الحرب، وتطلب غرتهم، والأخذ بالشدّة في محاربة المشركين، وجواز إيهام القول للمصلحة، وتعرض القليل من المسلمين للكثير من المشركين"⁽⁵⁾ .

إن سياسة عمليات الاغتيال لم تكن حالة شاذة وانقضت، وإنما هي سياسة مع كل المارقين المحادين المعاندين، الذين لا يُعالجون إلاّ بهذه الطريقة.

إن أعداءنا يمارسون عداوتهم، ويواصلون حربهم علينا، فإذا ما شعروا أنهم قد باتوا وقودها، سكنوا وأطفأوا نار حربهم بأيديهم، ولعل الرعب هو أبرز ما تنتج عمليات اغتيال رؤوس الكفر، فإذا ما علمت قيادة الإجرام أنها شخصياً من سيدفع ثمن الغطرسة والعريضة كفت وانتهت.

يقول منير الغضبان معقّباً على حادثة اغتيال أبي رافع، ومتحدثاً عن أهمية عمليات الاغتيال قائلاً: "فهي تنتهي إلى إبادة رؤوس الكفر... وتطالعنا كذلك الآثار الضخمة لهذه العملية، التي أشعلت الرعب في صفوف اليهود في خيبر، وعرفوا أن يد المسلمين تطالهم في مضاجعهم، وتجتثهم من بين أحضان نسائهم، وتجتالهم من منيع حصونهم"⁽⁶⁾ .
الخلاصة:

ومما سبق يتبين شرعية هذه المجموعات التي توكل لها مهمات خاصة سواء كان ذلك لجانب الجيش النظامي، أو في حالة العجز عن تكوين الجيش النظامي، حيث تقوم هذه المجموعات فتننصر من الأعداء المجرمين، وتفقد العدو أمنه، وتشعره بالخوف الدائم، قال

(1) محمد بن مسلمة بن سلمة بن خالد بن عدي بن مجدعة بن حارثة بن الخزرج بن عمرو بن مالك الأوسي الأنصاري الحارثي، كنيته أبا عبدالله، وأبا سعيد، ولد قبل البعثة باثنتين وعشرين سنة، ومات بالمدينة عام 46 هـ وهو ابن سبع وسبعين سنة. (الإصابة في تمييز الصحابة، ج6، ص33-35).

(2) صحيح: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب (المغازي) باب (15)، قتل كعب بن الأشرف، ح4037، ص682.

(3) عبدالله بن ابي بن عتيك الأزدي، استشهد باليمامة. (الإصابة في تمييز الصحابة، مرجع سابق، ج4، ص29).

(4) صحيح: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب (المغازي) باب (قتل أبي رافع)، ح4038، ص682.

(5) فتح الباري، مرجع سابق، ج7، ص345.

(6) المنهج الحركي للسيرة النبوية، مرجع سابق، ج2، ص357.

تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ ﴿٤٠﴾ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (الشورى: 39-40).

ثانياً/ طريقة التنظيم في المجموعات ذات المهمات الخاصة:

إن طبيعة التنظيم في المجموعات الخاصة تتطلب أخذ أقصى درجات الحيطة والحذر،

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا بُرَاتٍ فَأَنْفِرُوا جَمِيعاً﴾ (النساء: 71).

يقول الشهيد سيد قطب: "إنها الوصية للذين آمنوا من القيادة العليا، التي ترسم لهم المنهج، وتبين لهم الطريق... خذوا حذرکم من عدوكم جميعاً، وبخاصة المندسين في الصفوف من المبطلين"⁽¹⁾.

لذا لا بد من مراعاة قواعد الحذر عند التنظيم، إذ إن هذه المرحلة من أخطر المراحل، ولها ما بعدها، فإن استطاع أحد المندسين اختراق الصف، والترقي في السلم التنظيمي لأي دولة، أو حركة، معنى ذلك أنها تسير في خطر شديد، لذا فالحذر الحذر.

والخطر قد لا يكون من إمكانية تسرب أحد المندسين إلى الصف، ولكن قد يكون بسبب سوء الاختيار، فيتم وضع أناس في مواقع لا تناسبهم، فتنتج عن ذلك الكوارث المتعاقبة، لذا يجب مراعاة التالي:

1- الدقة في الاختيار

ما أروع اختيار النبي ﷺ لحذيفة في الخندق، سأل رجل من أهل الكوفة حذيفة ﷺ عن صحبته لرسول الله ﷺ فقال له: "يا ابن أخي والله لقد رأيتنا مع الرسول ﷺ بالخندق، فالتفت إلينا وقال: "من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع، أسأل الله تعالى أن يكون رفيقي في الجنة"، فما قام رجل من القوم، من شدة الخوف، وشدة الجوع، وشدة البرد، فلما لم يبق أحد، دعاني رسول الله ﷺ فلم يكن لي بد من القيام حين دعاني، فقال: "يا حذيفة اذهب فادخل مع القوم، فانظر ماذا يصنعون، ولا تحدثن شيئاً حتى تأتينا"⁽²⁾.

إن اختيار النبي ﷺ لحذيفة لم يكن اختياراً عابراً، وإنما اختياراً مدروساً، إذ إن مثل هذه المهمة الخاصة أنسب ما تكون إلى حذيفة ﷺ، وهو المعروف بقدراته الاستخبارية الفائقة، وحسه الأمني المرهف، وذاته هو من ائتمنه النبي ﷺ على أسماء المنافقين فكان كاتم سر النبي ﷺ، ومنه نستفيد أن المهمة الخاصة بحاجة إلى مواصفات خاصة في رجال مخصوصين.

2- التجنيد على مراحل:

(1) المنهج الحركي للسيرة النبوية، مرجع سابق، ج2، ص705.

(2) السيرة النبوية لابن هشام، مرجع سابق، ج3، ص140.

حتى يؤمن جانب العاملين فلا بد من إحسان اختيارهم ابتداءً، والأصل في التنظيم والتجنيد للمجموعات الخاصة أن يكون بمبادرة من قيادة هذه المجموعات وذلك لحاجتها، إذ إنه لا داعي لعملية التجنيد إذا لم تكن هناك حاجة، فالتجنيد المفتوح يكون في الجيش النظامي والاحتياطي، أما في المجموعات ذات المهام الخاصة فيكون فقط تحت الحاجة.

ثالثاً/ أمن المجموعات ذات المهام الخاصة:

إذا كان الأمن مهم لأي عمل، فإن أهميته تتضاعف في عمل المجموعات ذات المهمات الخاصة، إذ إن غالبية مهامها تكون مبنية على السرية المطلقة، لذا فلا بد من اتخاذ كافة إجراءات الأمن والسلامة لضمان نجاح المهمة المطلوب تنفيذها، والتي نلخصها في النقاط الثلاث التالية:

1- ضرورة الأمن للمجموعات الخاصة:

إن المنتبِع يجد في الكتاب العزيز الكثير من الآيات التي تدعو إلى اتخاذ التدابير الأمنية في المهام الخاصة، وذلك مثل:

أ- أصحاب الكهف:

فقد كَفَّ فِتْيَةَ الكَهْفِ بعدما بعثهم الله تعالى من مرقدهم أحدهم ليأتي لهم بالطعام وكانت الوصية: ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرُوا أَيُّهَا أَنْزَكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَيُنَاطِفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بَكُمْ أَحَدًا﴾ (الكهف: من الآية 19).

والتلطف هنا تعني أن يذهب المكلف ليشتري الطعام ويعود في لطف وخفاء.⁽¹⁾ إن المهمة الخاصة التي كُلف بها أحدهم تتطلب التخفي لبلوغها وتحقيقها، فكانت الوصية والأمر بذلك.

ب- أخت موسى عليه السلام:

إن المهمة التي كُلفت بها أخت موسى تندرج تحت عمل المجموعات الخاصة، قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْاُخْتَةُ فُصَيْبَةُ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (القصص: 11).

وهذه المهمة تقتضي التخفي لنجاحها، لذلك نجد أخت موسى الذكية قد استرقت النظر ولم تجعل أحداً يشعر بما تفعل، إذ إنه لو انكشف أمرها لكان موسى الرضيع ضحية لفشلها والله أعلم.

(1) أيسر التفاسير في كلام العلي الكبير، للجزائري، مرجع سابق، ج-3، ص246.

جاء في تفسير القرطبي: "﴿فَبَصَّرْتَهُ بِعَنْ جُنْبٍ﴾ أي بعد قاله مجاهد، وقال ابن عباس: ﴿عَنْ جُنْبٍ﴾ أي عن جانب"⁽¹⁾، وقال قتادة: ﴿فَبَصَّرْتَهُ بِعَنْ جُنْبٍ﴾ جعلت تنظر إليه وكأنها لا تريده"⁽²⁾.

ومن كل ما ذكر ندرك الحس الأمني المرهف الذي تتمتع به أخت موسى عليه السلام وهي تقوم بمهمة خاصة.

2- عناصر أساسية لتحقيق اليقظة والحذر:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا بَأْسًا وَنِعْمًا﴾ (النساء: 71)، حيث يمكن

تحديد العناصر الأساسية لتحقيق الحذر في النقاط الثلاث التالية:

أ- الانتباه الدائم، وترك الغفلة، واستصحاب اليقظة، وإدراك ما يدور حولنا.

ب- الكلمة المسئولة: فلا يكون المرء ثرثاراً يقول ما يفيد، وما لا يفيد؛ وذلك لأنه يعلم أن كل كلمة يقولها تسجل عليه، ويحاسب عليها، فإذا تعود المسلم في كل حياته على ذلك فإنه يلقى بظلاله على أسلوب المسلم الأمني. قال تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (ق: 18).

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً، أو ليصمت..."⁽³⁾.

إن الكلمة في ديننا لها قدرها ووزنها، ولا تطلق جزافاً، أو تسلية، وإنما تكون فيما يلزم وينفع، وقد قيل: ما على الأرض شيء أحوج إلى طول السجن من اللسان، وليس كل ما يُعلم يُقال، وليس كل ما يقال قد حضر أهله، ولا كل من حضر أهله قد حان وقته.

ج- لطافة التحرك: وهو التحرك الذي لا يحدث ضجة، ولا يثير غباراً، ولا يترك أثراً، ولا يكون روتينياً، ولا مفضوحاً، قال تعالى: ﴿وَكَيْبًا طَفًّا وَلَا يَشْعُرْنَ بِكُمْ أَحَدًا﴾ (الكهف: من الآية 19).

ويدخل في إطارها كل الإجراءات الأمنية لضمان إنجاز العمل، سواء كانت اللطافة فيما يتعلق بأزمة الاجتماعات، أو أمكنتها وشكلها، أو تتعلق بجانب الحركة الفردية للشخص، أو غير ذلك.

3- قواعد أمنية أساسية لرجل المهمات الخاصة.

(التخفي، التمويه، التضليل)

(1) الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ج-7، ص229.

(2) مختصر تفسير ابن كثير، مرجع سابق، ج-3، ص7.

(3) صحيح: أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب (الإيمان)، باب (19) الحث على إكرام الجار...، ح47، ص49.

وهذه القواعد قد استخدمها النبي ﷺ في هجرته، وفي معظم غزواته، وسائر حياته، وكذلك استخدمها موسى عليه السلام قال تعالى: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا﴾ (القصص: من الآية 15).

هذا نبي الله موسى يتخذ إجراءات الأمن والسلامة، لضمان تحقيق مهمته، وقد اختلف المفسرون في وقت الغفلة والمقصود بها، فقال ابن عباس: بين العشاء والعتمة، وقال سعيد بن جبير وقتادة: وقت الظهيرة والناس نيام، وقال ابن زيد: كان فرعون قد نابز موسى وأخرجه من المدينة، وغاب عنها سنين، وجاء الناس على غفلة بنسيانهم لأمره، وبُعد عهدهم به وكان ذلك يوم عيد. (1)

وعلى كلِّ فإن جميع التأويلات تؤكد اتخاذ موسى لكل أسباب الأمن، والحيطه، والحذر، فإن كان هذا من قيل نبي من أنبياء الله، ففي حقنا أولى وألزم قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدِهِ﴾ (الأنعام: من الآية 90).

أ - التخفي:

ونقصد به؛ مجموعة من العمليات، والممارسات، والطرق، والأساليب السرية، أو العلنية، التي يمارسها طرف ما على الصعيد الذاتي، أو الخارجي، بهدف إخفاء هويته الحقيقية عن الخصم للحفاظ على سلامة العمل الجهادي، وتشمل هذه الطرق؛ التنكر في الشكل، أو الزي، أو السواتر الأمنية المتعددة. (2)

ولابد للمتخفي من سواتر على تخفيه، بحيث يكون هناك ساترٌ منطقيٌ يناسب المهمة المراد تنفيذها.

وينبغي معرفة آلية العدو في كشف المتخفين، والانتباه إلى أن المبالغة في أساليب التنكر والتخفي يفضي إلى كشف المتخفي.

ب - التمويه:

ونقصد به مجموعة من العمليات السلوكية العلنية، التي يمارسها فرد، أو جماعة بهدف إخفاء حقيقة التحركات والأشياء، بظاهر يدل على خلافه، وإظهار صورتها بأنها عادية لا تنثير الشبهة لدى الخصوم (3).

- التمويه في سيرة نبي الله يوسف عليه السلام:

ولقد سجل لنا الكتاب العزيز قصة سيدنا يوسف بكل ما تتضمنه من قواعد في هذا الباب، ومن هذه المواقف ما قام به من تفتيش أوعية إخوته قبل وعاء شقيقه المقصود. قال

(1) الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ج-7، ص232.

(2) صراع الأدمغة، إسلام ناصر، مرجع سابق، ص16، ط1، 1995م.

(3) صراع الأدمغة، مرجع سابق، ص59.

تعالى: ﴿فَلَمَّا جَهَنَّهُمْ بِجَهَنَّتِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي مَرَحِلٍ أُخِيهِ ثُمَّ أَذِنَ مُؤَذِّنٌ أَيُّهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾ (يوسف: 70). فبعد الإعلان بترك يوسف عليه السلام المجال لإخوته ليصدروا حكمهم على السارق حسب عادة بلادهم، (من وجد في رحله فهو جزاؤه)، وبذلك يصل يوسف عليه السلام إلى مراده، قال تعالى: ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أُخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرِجَهَا مِنْ وِعَاءِ أُخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِنَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ (يوسف: 76). حيث استطاع يوسف عليه السلام تنفيذ المهمة التي يريد دون إشعار الخصم بذلك.

ج - التضييل:

وهي مجموعة من الخطط، والوسائل، والأساليب، التي يستخدمها طرف ضد طرف؛ بهدف تضييله عن هدفه الرئيسي.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾ (الفرقان: من الآية 17).

فالمجرمون على ظهر الأرض يُضللون أتباعهم، ويقلبون لهم الأمور، ويعكسون لهم الصورة، حتى يبدوا الحق في نظرهم باطل، والباطل حقاً.

وهذا هو ذاته الأسلوب الذي اعتمده قريش لتضييل الخلق عن نبيهم صلى الله عليه وسلم فأخذوا ينشرون الأكاذيب، والأكاذيب قال تعالى: ﴿وَقَالَ الْكَاذِبُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ (ص: من الآية 4).

إن هذه الحملة المسعورة من قبيل قريش كانت تستهدف تضييل الناس عن الهدف الأهم لمحمد صلى الله عليه وسلم، وهو تبليغ رسالة الإسلام في صورتها المشرقة.

والتضييل قد يكون في الجانب الإعلامي، أو الفكري، أو العقائدي، كما يكون في الجانب العسكري والأمني.

رابعاً/ من مهمات المجموعات الخاصة:

إن مهمات المجموعات الخاصة تتعدد وتتنوع وتفرع، ونحن هنا نقدم نماذج محدودة لبعضها، متمثلة في النقاط الخمس التالية:

1- الاستطلاع:

وهي مهمة يكلف بها فرد، أو مجموعة من الأفراد؛ لجمع المعلومات عن الأعداء، وكشف خباياهم، والتعرف على نقاط ضعفهم. (1)

لقد سجل القرآن العديد من المواقف التي تقوم على الاستطلاع والتي منها ما قامت به أخت موسى عليه السلام يوم أن أرسلتها أم موسى عليها السلام حيث قال تعالى: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّبِهِ فَبِصْرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (القصص: 11).

(1) فرسان الشهادة، إسلام ناصر، ص72، ط1، 1994م.

إن أخت موسى تنفذ مهمة استطلاعية، تراقب تطورات قضية أخيها موسى عليه السلام. وكذلك قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ (التوبة: من الآية 5). فالمرصد هو الموضع الذي يراقب فيه العدو، أو يراقب منه⁽¹⁾.

- سرية عبد الله بن جحش:

فقد كلف النبي ﷺ مجموعة خاصة لتقوم بدور الاستطلاع، إنها سرية عبد الله بن جحش⁽²⁾، وقد أعطاه النبي ﷺ كتاباً مختوماً لا يفتحه إلا بعد أن يسير يومين ثم ينظر فيه، فسار عبدالله يومين، ثم فتح الكتاب فإذا فيه: "فامض حتى تنزل نخلة"⁽³⁾ فتربص بها قريشاً، وتعلم لنا من أخبارهم"⁽⁴⁾.

2- ممارسة حرب العصابات:

وحرب العصابات هي نوع من الحروب الخاطفة التي تعتمد على إمكانيات محدودة، لمجموعة قليلة، في مواجهة جيوش نظامية ذات إمكانيات عالية⁽⁵⁾.

وقد يُوكل إلى هذه المجموعات ممارسة حرب العصابات مع العدو، وتاريخ هذا النوع من القتال حافل بالنجاحات، إذ إنك تجعل العدو يقاتل عدواً لا يعرف لهجومه مكاناً، ولا زماناً، فيصعب عليه مواجهته.

وقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ (التوبة: من الآية 5). يؤكد شرعية هذه الحرب، وقد

سبق الحديث عنها في شريعة المجموعات الخاصة.

يقول كامل الشريف: "قد يظن البعض أن حروب العصابات، أو الحروب غير النظامية بصفة عامة، هي أعمال فوضوية لا هدف لها، ولا نتيجة من ورائها... والواقع أن هذا النوع من القتال، لا يمكن أن يقوم به إلا رجال يؤمنون إيماناً عميقاً بعدالة الفكرة التي يحاربون من أجلها"⁽⁶⁾.

3- الاختطاف:

هو عملية فدائية معقدة، يتم خلالها أسر شخص معين، من مكانه الذي يأمن فيه على نفسه لتحقيق عدة أهداف⁽⁷⁾.

(1) الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ج4، ص424.

(2) عبدالله بن أبي أحمد بن جحش بن رثاب الأسدي. (الإصابة في تمييز الصحابة، ج5، ص7).

(3) نخلة: موضع بين مكة والطائف.

(4) نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، الشيخ محمد الخضري، ص96، دار الحديث، ط1، 1422هـ-2001م.

(5) فرسان الشهادة، مرجع سابق، ص67.

(6) الإخوان المسلمون في حرب فلسطين، كامل الشريف، ص83، الزهراء للإعلام العربي.

(7) فرسان الشهادة، مرجع سابق، ص164.

وأرى أن عملية الاختطاف قد تشمل أكثر من شخص من الأعداء، وقد تكون عمليات الاختطاف معينة، أو غير معينة.

اختطاف غلامين من قريش:

قد حرص النبي ﷺ على القيام بعملية استخباراتية قبيل يوم بدر واختار لها ثلاثة من قادة المهاجرين؛ علي بن أبي طالب، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، حيث ذهبوا إلى ماء بدر فوجدوا غلامين يستقيان لجيش مكة فألقوا القبض عليهما، وجاءوا بهما إلى الرسول ﷺ وقد أجرى النبي ﷺ معهما عملية استجواب تفيده في قيادة المعركة⁽¹⁾.

4- ضرب اقتصاد العدو:

كذلك فإن من المهام التي قد تقوم بها المجموعات الخاصة، تهديد اقتصاد العدو وضربه، وذلك من خلال استهداف طرق التمويل، والمصانع الهامة، وقد استخدم النبي ﷺ هذا النوع من الحرب؛ وذلك من خلال تهديد التجارة، وتحويل طرقها إلى هاجس يطارد التجار، حتى أصبحت قوافل قريش غير آمنة حين تسلك هذه الطرق، فكان لذلك أسوأ الأثر على تجارة قريش التي تعيش عليها⁽²⁾.

5- الاغتيال:

هو عملية عسكرية أمنية، تستهدف القضاء على أحد قادة العدو، ولا بد فيها من توفر التنظيم الدقيق، والعناصر ذات الإمكانيات اللازمة⁽³⁾. وقد تحدثنا عن شرعيته وجوازه في الإسلام في بداية نقطة المجموعات الخاصة.

الفرع الرابع/ النساء والفتيان في الجيش الإسلامي، أو في الشؤون العسكرية. (التدريب الخاص بالنساء والفتيان).

تحدثت في الفروع الثلاثة السابقة عن الجيش النظامي، وجيش المتطوعين، والمجموعات الخاصة، وفي هذا الفرع أتناول الحديث عن المرأة والصبي، وعلاقتها بالعمل العسكري، وطبيعة التدريب المطلوب منهما.

1- تدريب النساء:

بناء على ما ذهب إليه العلماء من إمكانية مشاركة المرأة في الأعمال الجهادية غير مباشرة القتال للأعداء في حالة جهاد الطلب، والمشاركة الفعلية في حالة جهاد الدفع، فهذا

(1) الرحيق المختوم، مرجع سابق، ص233.

(2) دراسة في السيرة، د. عماد الدين خليل، ص175، دار النفائس، ط13، 1412هـ-1991م.

(3) موسوعة الجهاد، مرجع سابق، ص504.

يعني أن تدخل المرأة في إطار الإعداد والتأهيل للدور الذي يفترض أن تقوم به، سواء كان في جهاد الطلب، أو في جهاد الدفع⁽¹⁾.

يقول محمد خير هيكل: "إننا نرى أنه يجب على الدولة الإسلامية أن تعد مراكز تدريب للنساء يتعلمن فيها استعمال السلاح، وشئون القتال؛ وذلك لأنه ما دام يمكن أن يصبح الجهاد فرض عين على المرأة، فمن الواجب إعدادها لمثل هذه الحال، لكي تتمكن من القيام بهذا الفرض"⁽²⁾.

وإذا كان الحديث يدور عن تدريب المرأة في حالة وجود دولة وقوة ومنعة للمسلمين، فإن الحديث عن تدريبها اليوم أكد وأوجب؛ لما تعيشه الأمة المسلمة من عدوان على أرضها وأبنائها، وهذا التدريب يكون حسب الإمكانيات، وبما يناسب طبيعة المرأة وظروفها.

ويمكن إجمال أشكال التدريب للمرأة في النقاط الأربع التالية:

أ- **التدريب على استخدام الأسلحة الخفيفة، والرشاشة، بمختلف أنواعها، لا سيما السلاح المستخدم من جنود الأعداء.**

ب- **التدريب على الإسعافات الأولية، وبالنظر إلى طبيعة الصراع الدائر في أرضنا فلسطين، وفي بلاد العراق، نرى أن المعارك قد انتقلت إلى الأزقة والشوارع والديار، فإذا ما كانت النساء مدربات على الإسعاف الأولي، أمكنهن أن ينقذن حياة الجرحى الذين يصابون ويسقطون أمام أعينهن، ولا يستطعن أن تقدمن لهم شيئاً، بل في كثير من الأحيان يساهم الجهل بطرائق الإسعافات في تعجيل منية الجريح.**

ج- التدريب على المهارات البعيدة عن المواجهة:

وذلك كتدريب المرأة على التصنيع، حيث فقدنا في جهادنا ضد دولة الكيان الصهيوني الغاصب لأرضنا آلاف الشهداء والجرحى، وفي المقابل لم تتكبد الحركة النسوية إلا القليل من هذه الخسائر فلو حملت المرأة عبء التصنيع فهذا يعني أن توفر عدداً من المجاهدين للمهام الميدانية.

وكذلك تدريب المرأة على الأعمال الهندسية والبرمجية التي قد تتفوق فيها على الرجال وهي تجلس في بيتها، حيث إنها تجد من الوقت ما لا يجده الرجال.

د- التدريب على مهمات خاصة:

وذلك كأن تكون المرأة استشهادية في ذات بيتها، فإذا ما دهم العدو هذا البيت، وفي حالة اطمئنان العدو أن لا مقاومين داخل البيت، تقوم هي بتفجيرها على رؤوس الغاصبين،

(1) صحيح مسلم بشرح النووي، مرجع سابق، ج6، ص401.

(2) الجهاد والقتال في السياسة الشرعية، مرجع سابق، ج2، ص1024.

وضربت المجاهدة الشهيدة سناء قديح زوجة المجاهد الشهيد باسم قديح⁽¹⁾ مثلاً رائعاً في هذا الباب؛ حيث لفت نفسها بحزام ناسف، وحينما اقتحم جنود الاحتلال الصهيوني بيتها قامت بتفجير الحزام الناسف في وسط الجنود، مما أوقع فيهم خسائر فادحة.

2- تدريب الصبيان:

أما التدريب بالنسبة للصبيان فلا بد وأن يتفق مع طبيعة دورهم في الجهاد، ويمكن

إيجازه في النقاط الأربع التالية:

أ- التدريب على الأسلحة الخفيفة: وهذا يمكن أن يتحقق من خلال إقامة معسكرات كشفية تدريبية تعد لهذا الخصوص.

ب- التدريب على كيفية الرصد، ومتابعة حركة العدو من نقاط قريبة.

ج- التدريب على الرمي الصائب، وهذا يمكن أن يتحقق بأي آلة رمي، مثل أسلحة الألعاب وغيرها.

د- التدريب على عمل البريد والنقل، بحيث يجيد هذا الدور بشكل جيد .

ويمكن أن يضاف إلى هذه الألوان من التدريب نقاط كثيرة تناسب دور الصبي في هذه

المرحلة من عمره.

المبحث الثالث:

الإعداد الشخصي والنفسي للقائد

الجندي طريق القيادة، والقائد لا يولد قائداً، وإنما ترشحه جديته الناجحة، وعطاؤه المتواصل عبر رحلته مع الجندي، لذا ناسب أن نوّكد في بداية هذا المبحث أن كل ما قيل في حق الجندي من نظريات ومتطلبات ينبغي أن تُشكل حجر الأساس بالنسبة للقائد، وما نذكره في هذا المبحث هو إضافة على ما سبق لكنه يخص القادة، فالأصل أن كل قائد جندي، وليس كل جندي قائد.

ويدور حديثي في هذا المبحث حول مطلبين؛ أولهما: وقفات مع القائد والقيادة،

وثانيهما: يتعرض لصفات القائد، وخصائصه، والله الموفق.

المطلب الأول:

وقفات مع القائد والقيادة.

(1) باسم قديح: هو أحد مقاتلي كتائب القسام من المنطقة الشرقية بمدينة خان يونس بفلسطين واستشهد يوم 2004/3/21 م .

يمثل موقع القائد أخطر ثغر للجماعة، فكلما كان القائد قوياً، استطاع أن يتجاوز بجماعته كل المنعطفات والأخطار، لذا فإن النجاح في إعداد القائد، يعني النجاح في تحقيق الأهداف، وأتاول في هذا المطلب أربعة فروع وهي:

الفرع الأول: تعريف القيادة والقائد.

الفرع الثاني: أهمية القيادة.

الفرع الثالث: مفهوم القيادة في الإسلام.

الفرع الرابع: نظرية الإسلام في إعداد القيادة.

وفيما يلي تفصيل ذلك:

الفرع الأول/ تعريف القيادة والقائد:

- 1- القيادة لغة: القيادة: مصدر قائد وهو مقدمة الشيء، يقال قائد الجبل: أي أنفه، والقائدة من الإبل التي تتقدم الإبل⁽¹⁾.
- 2- القيادة في اصطلاح أهل الإدارة: هي عملية تحريك مجموعة من الناس باتجاه مخطط، وذلك بتحفيزهم على العمل باختيارهم⁽²⁾.
- 3- وأما القائد: هو الشخص الذي يوجه ويرشد الآخرين، ويُنتظر منه ممارسة دور مؤثر في تحديد وانجاز أهداف الجماعة التي يقودها⁽³⁾.

الفرع الثاني/ أهمية القيادة:

تمثل القيادة الرأس من الجسد، ضياعها أخطر عوائق التمكين، إن صلحت؛ صلحت الأمة، وإن فسدت؛ فسدت الأمة، والناس على دين ملوكهم، يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه مؤكداً هذا المعنى: "إن الناس لا يزالون مستقيمين ما استقامت لهم أئمتهم"⁽⁴⁾، ويقول عثمان بن عفان رضي الله عنه: "إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع القرآن"⁽⁵⁾.

ويقول الأستاذ مصطفى مشهور: "بقدر ما تكون القيادة قوية ويقظة وعلى مستوى جيد من الكفاءة، بقدر ما تكون الحركة سديدة، ويكون العمل والإنتاج وسلامة السير"⁽⁶⁾.

ومن هنا فقد أدرك الأعداء خطورة أن تكون في الأمة المسلمة قيادة راشدة فعملوا جهدهم لإفسادها وإشغالها بدنيايا الأمور، ثم بحز رأسها، وإنهاء وجودها، وتنصبت قيادة باغية،

(1) لسان العرب، مرجع سابق، ج-7، ص531.

(2) دليل التدريب القيادي، د. هشام يحيى الطالب، ص25، ط2، 1416هـ-1995م.

(3) دليل التدريب القيادي، مرجع سابق، ص52.

(4) التمكين للأمة الإسلامية في ضوء القرآن الكريم، محمد السيد محمد يوسف، ص183، دار السلام، ط8، 1422هـ-2004م.

(5) التمكين للأمة الإسلامية في ضوء القرآن الكريم، مرجع سابق، ص183.

(6) القائد القدوة على طريق الدعوة، مصطفى مشهور، ص13، دار التوزيع والنشر الإسلامية.

لا تسعى إلا إلى تحقيق مصالحها، وبلوغ مآربها، وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم، كأنهم خشب مسندة، يحسبون كل صيحة عليهم. يقول المستشرق الصهيوني (برنارد لويس): "إن غياب القيادة العصرية المتقنة: القيادة التي تخدم الإسلام بما يقتضيه العصر من علم وتنظيم، قد قيدت حركة الإسلام كقوة منتصرة، ومنع غياب هذه القيادة الحركات الإسلامية من أن تكون منافساً خطيراً على السلطة في العالم الإسلامي، لكن هذه الحركات يمكن أن تتحول إلى قوى سياسية محلية هائلة إذا تهيأ لها هذا النوع من القيادة"⁽¹⁾.

- الأمة المسلمة في ظل قيادة راشدة حكيمة:

إن وجود القيادة الحكيمة يعني أن يعيش الناس في أمن وأمان، وسلامة وإسلام، وعدل وإحسان، وقد عاشت الأمة المسلمة هذا اللون من الحياة فترة طويلة من الزمن، وتمتع بهذا كل من سكن أرضنا الإسلامية، يهودياً كان، أو نصرانياً، أو غير ذلك، حتى باتت دور القضاء، ومجالس الاحتكام خاوية لا يدخلها أحد، فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يتولى القضاء زمن أبي بكر الصديق عاماً كاملاً لم يختصم إليه اثنان في قضية.

وعليه فالقيادة الراشدة المخلصة تعني النجاة والفلاح، فمنها يكون التصميم والتخطيط، ومنا يكون العزم والتنفيذ، عندها نحيل الحلم حقيقة، والأمنية واقعاً⁽²⁾.

الفرع الثالث/ مفهوم القيادة في الإسلام:

القيادة في الإسلام هي المسؤولية والأمانة في الدنيا، ثم الخزي لمن فرط بها في الآخرة، وهي كذلك البناء والإصلاح، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِن مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ (الحج:41).

قال الحسن وأبو العالية في بيان الفئة المقصودة: "هم هذه الأمة إذا فتح الله عليهم أقاموا الصلاة"⁽³⁾.

فالقيادة في الإسلام تعني تنقية ولاء الأفراد والقائد ليكون خالصاً لله، والسعي الجاد لأجل تحقيق الأهداف الإسلامية الكبرى، وهي تقوم على مبادئ أساسية منها⁽⁴⁾:

أ- الشورى: وقد أكد القرآن الكريم ضرورة الالتزام بها من قبل القائد مع أهل الرأي والنصح، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (الشورى:38)

(1) التمكين للأمة الإسلامية، مرجع سابق، ص185.

(2) القيادة والجنديّة في الإسلام، القيادة، د. محمد السيد الوكيل، ص10، دار الوفاء، ط3، 1408هـ-1988م.

(3) الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ج6، ص387.

(4) دليل التدريب القيادي، مرجع سابق، ص54.

ب- **العدل**: فقد أمرنا الله به فقال جل وعلا: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (النساء: 58).

ج- **حرية الفكر**: يقول الدكتور هشام الطالب: "على القائد أن يوفر المناخ المناسب للنقد البناء، وأن يطالب به شخصياً، وللأعضاء حق التعبير الحر عن آرائهم وإبداء اعتراضاتهم والمطالبة بالرد على أسئلتهم واستفساراتهم"⁽¹⁾.

الفرع الرابع/ نظرية الإسلام في إعداد القادة:

قد وفر الإسلام المناخ المناسب، والأرضية الخصبة التي تصلح لإنبات القيادات الناجحة المؤثرة، ويمكن أن يتضح ذلك من خلال المراحل الآتية لصناعة القائد⁽²⁾:

1- التحلي بصفات القيادة وأخلاقيها:

فقد دعا الإسلام كل المسلمين إلى التحلي بالأخلاق المؤهلة للقيادة، حيث إننا نجد كل صفات القائد الناجح تجمعت في قائدنا الأول ﷺ وقد دعانا القرآن الكريم إلى اعتباره الأسوة والقوة، فقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (الأحزاب: من الآية 21).

2- اكتساب القائد لصفات المقاتل:

الجندية طريق القيادة، حيث إن امتلاك الجندي لصفات المقاتل الفذ، يعني تهيئته للقيادة، وهذا ما أرشد إليه الإسلام، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَأَخْرَبِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُوهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ (الأنفال: 60).

وعن عقبة بن عامر قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول: "وأعدو لهم ما استطعتم من قوة، ألا إن القوة الرمي. ألا إن القوة الرمي. ألا إن القوة الرمي"⁽³⁾.

ومما سبق نلاحظ حرص الإسلام على أن يتقن الجند مهاراتهم القتالية، والتي من أبرزها الرمي، وبالتالي إذا أتقن الجندي غالبية مهارات الجندية، فهو تهيئة له كي ينتقل إلى مرحلة القيادة.

3- المشاركة في التخطيط للمعارك:

(1) دليل التدريب القيادي، مرجع سابق، ص 55.

(2) فن القيادة في الإسلام، مرجع سابق، ص 193.

(3) صحيح: أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب (الإمارة) باب (فضل الرمي ...)، ح 1917، ص 1026.

حيث إن مشاركة الجندي في وضع الخطط، يعني تهيئته للقيادة، وهذا يتحقق في الإسلام من خلال الشورى التي على القائد أن يمارسها مع جنوده، قال تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ (آل عمران: من الآية 159).

4- توضيح الأهداف للجنود:

وهذا أيضاً يسهم في بناء الشخصية القيادية لدى الجندي، أما إن كان كالألة التي تتحرك بالضغط على مفتاحها، فهذا يعني تحطيم شخصية الجندي، وقد حرصت المدرسة الإسلامية على تربية جنودها وفق رؤية واضحة، وأهداف بيّنة.

وتوضيح الأهداف للجنود، يُنمي الشخصية، ويعطيهم الثقة، ويسهل عليهم تنفيذ العملية، بأعلى كفاءة، وأقل وقت، ويعزز كذلك الثقة بالقائد، والاستعداد لبذل الغالي والنفيس لتحقيق الهدف.

5- تولي القيادة الفعلية لبعض المهام القتالية المحدودة:

إن تولي القيادة الفعلية هو تنويع للجهود التي تستهدف إعداد القادة وتدريبهم، ومن هنا فعلى القيادة الحكيمة الرائدة أن تختار النوابغ من الجنود، وتكفهم بقيادة مهام قتالية محدودة؛ لممارسة مهاراتهم، واكتشاف قدراتهم، وهذا ما صنعه النبي ﷺ مع الصحابة، من خلال تكليفهم بقيادة السرايا، والتي بلغ عددها نحو 57 سرية.

وهكذا كلما أثبت الجندي قدرته على النجاح يعطى فرصة أكبر، ومساحة أوسع حتى يصبح قائد فذاً.

ومن الجدير بالإشارة ضرورة أن لا يأخذ القائد العام في هذه المرحلة نظرية الندية، فهذا القائد الجديد هو غرس القائد العام، ويفترض أن يفرح بغرسه، إذ أصبح يُؤتي أكله، قال تعالى: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الْأَنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سَوْقِهِ يُعْجِبُ الزَّرْعَ الْمَرْءَ لِيُغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (الفتح: 29).

أي أن هذا الزرع أخرج أفراخه، فوازته أفراخه في الثبات، والاستواء، والحسن، فأعجب هذا الزرع زراعته، وهذا هو الأصل؛ أن المرء يُعجب بغرسه ويُسر.

المطلب الثاني:

صفات القائد، وخصائصه.

كي ينجح القائد لا بد وأن يتميز عن جنده وأتباعه، وإلا تزعزعت الثقة فيه، وأضحى الرعية لا يرون له فضلاً عليهم، ويمكننا تلخيص هذه الصفات التي يجب أن يتحلّى بها القائد في الفروع الأحد عشر التالية:

الفرع الأول / المبادأة والمبادرة:

فالقائد مبادئ ومبادر، ولديه رؤية للمستقبل، ومتفاعلاً مع الأحداث، ومؤثراً فيها، وليس منتظراً لتداعياتها.

ويمكن لنا أن نستدل على ذلك بموقف الهدهد الرائع الذي سجلته سورة النمل، هذا الهدهد الذي يمثل قائداً ميدانياً في جيش سليمان عليه السلام، إنه المبادئ المبادر، والمستشعر لطبيعة دوره، فلم ينتظر توجيهاً من سليمان عليه السلام؛ لإدراكه أن هذه المهمة تتدرج ضمن الأهداف العامة لسيدته سليمان، قال تعالى: ﴿وَتَقَدَّ الطَّيْرُ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَمْرِي الْهُدُودُ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٢٣﴾ لَأَعِدَّنَّ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ فَكَثَّ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطُ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ نَبَأٌ بَيِّنٌ ﴿٢٥﴾ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ (النمل: 23).

يقول الأستاذ مصطفى مشهور عن القائد: "ولا بد له من التصرف الحكيم العاقل إزاء كل قضية أو موقف"⁽¹⁾.

ما ينبغي للقائد أن تكون مواقفه وقراراته عبارة عن ردود أفعال، أو نتيجة لدوافع معينة، فالقائد مبدع مبتكر، مبادر، مبادر.

الفرع الثاني / تقبل الآراء الأخرى وتشجيعها:

القائد الناجح من يثق بقدراته وبنفسه، ولا يرى في مقترحات الجند، أو في آرائهم المخالفة نديةً وخطورة على منصبه وموقعه، فالضعيف هو الذي لا يقبل النقاش والمحاورة، وأما القائد القوي فلا يرى في مراجعة الجند إلا حياً له، وحرصاً عليه، وتعزيزاً لمكانته، ولا يرى بأساً في العدول عن رأيه، وتبني الرأي المخالف، وإن كان صاحبه جندياً بلا موقع، بل إن الأمر يتعدى ذلك إلى تشجيع الأفكار المخالفة للاستفادة منها.

هذا المعنى الذي يمكن لنا أن نأخذه من قوله تعالى على لسان الهدهد: ﴿فَكَثَّ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطُ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ نَبَأٌ بَيِّنٌ﴾، إن هذه المخالفة الجريئة من الهدهد تؤكد أن سيده قد رباه على القول الصريح، وشجعه على المخالفة التي يرى فيها الفائدة، وأما المخالفة لأجل المخالفة والمجادلة، أو بيان ضعف القائد، فهي مرفوضة مقبلة.

يقول الدكتور عبدالله القادري: "إن القائد المسلم الذي يكون توافقاً إلى معرفة الحق، وما فيه المصلحة، يلج بنفسه على جنوده لإظهار ما عندهم من الحجج والأدلة، ويسمع آراءهم،

(1) القائد القدوة على طريق الدعوة، مرجع سابق، ص 37.

ويقلب وجهات نظرهم؛ طمعاً في الوصول إلى ما فيه صلاح للإسلام والمسلمين، وحباً في إشراك جيشه في تقرير الرأي الأخير الذي لا يتحمل مسؤوليته وحده"⁽¹⁾.

- ضرورة الاستفادة من الآراء المطروحة:

إن القائد الناجح هو من يدرس المقترحات والآراء المقدمة إليه ويوظفها بشكل صحيح، فلا يتعالى عليها، ولا يستخف بها، وقد سجل لنا القرآن الكريم موقفاً رائعاً في هذا الإطار، حيث يقف سليمان عليه السلام صاحب الملك والسلطان، صاحب النبوة والشريعة، مستمعاً إلى نملة لا تكاد ترى، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا تَوَّأَ عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّ ضَاحِكاً مِّنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ (النمل 18-19).

يقول قادة التسويق: "إن وضع سياسة تسعيرية، أو تشكيل أية رؤية للتعامل مع العملاء، لا بد أن يستشار فيها كل العاملين حتى الذين يتعاملون مع العميل؛ لأنهم وإن لم يكونوا مؤثرين في العناصر الأساسية للعملية التسويقية، إلا إنهم ماهرون بلا شك في قراءة وجه العملاء، وأكثر الناس معرفة بانطباعاتهم عن السلعة التي تقدم"⁽²⁾.

وفي سورة النمل قدم لنا القرآن الكريم مثلاً لامرأة كانت لا تقطع أمراً حتى تستشير القادة وأهل الرأي، قال تعالى: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَتُوبَنِي فِي أُمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾ (النمل: 32).

الفرع الثالث/استغلال الوقت، وتوظيفه بشكل جيد:

الوقت أتمن ما مالك الإنسان، وأخطر شيء في حياته، فهو سلاح ذو حدين، إما أن يقود للسعادة والجنة، أو يصبح وبالاً على صاحبه فيرميه بالبؤس والشقاء، ثم النار والعياذ بالله، فالوقت هو الحياة، وهو المال، وهو النجاة، وهو الهلاك كذلك، فمن اغتم وقته نجا، ومن ضيعه خسر، هذا ما نأخذه من قصة القائد الذي يصاحبنا رحلتنا هذه، حيث يختار سليمان عليه السلام لتنفيذ مهامه الأسرع انجازاً، قال تعالى على لسانه: ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٢٠﴾ قَالَ عِفْرِيثُ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٢١﴾ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ

(1) الجهاد في سبيل الله، مرجع سابق، ج2، ص39.

(2) من مقال على موقع إسلام أون لاين على شبكة الإنترنت بعنوان: "الإشارات القرآنية للصفات القيادية".

الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآه مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوِيَ الْآشْكَرَ أَمْ أَكْثَرُ
وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿38-40﴾ (النمل: 38-40).

إن الفترة التي كان يجلسها سليمان للقضاء هي من الصبح حتى الظهر⁽¹⁾، إلا أنه لم يقبل أن تمكث مهمة الإتيان بالعرش كل هذه الفترة الزمنية، فأخذ يبحث عن طريقة أسرع لإنجاز المهمة.

- القائد العسكري أحوج ما يكون إلى الوقت:

إن اللحظة في حسابات القائد العسكري لها أهميتها، فهي قد تكون سبباً في تحقيق انتصار كبير، أو هزيمة ساحقة، وكم من عملية لم يفصل بينها وبين الفشل الأكيد سوى لحظة واحدة، ومن هنا لا بد من سباق الزمن لتحقيق الهدف وبلوغ الغاية، يقول الأسير الفلسطيني حسن سلامة في مذكراته حول عمليات الثأر للقائد الفلسطيني الشهيد يحيى عياش: "وكانت وصايا الأخ الضيف⁽²⁾ لي بعدم الإطالة، والسرعة في العمل، وعدم الإكثار من الاتصالات، أو كثرة المراسلة.." ⁽³⁾.

الفرع الرابع/ تدريب الجنود لما سيواجههم من مشكلات:

على القائد الذي يسعى إلى تحقيق النجاح في مهامه، وأن يدرّب جنوده على ما يمكن أن يواجههم من عقبات أثناء تنفيذ المهمة؛ لأنهم إذا أدركوا طبيعة المشكلة، وتدريبوا على معالجتها لم يصعب عليهم التغلب عليها إذا واجهتهم في الميدان، وهذا يبقى مستمراً مع كل مهمة جديدة، بحيث توضع فرضيات للإشكالات قبل التنفيذ، ويختار لها علاجاً مناسباً، قال تعالى مخاطباً نبيه موسى ﷺ: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رآهَا تُهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَكُمُّ يَعْقَبُ يَا مُوسَى لَا تخَفِ إِنِّي لَا يخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِنْ مِنْ ظَلَمٍ ثُمَّ بَدَلْ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخَرُّجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ (النمل: 10-12).

وهكذا نجد أن الله القادر على كل شيء يترك موسى ﷺ يُعد نفسه لطبيعة المهمة التي سيقدم عليها، إذ ليس من المناسب أن يُفاجأ النبي موسى بطبيعة معجزته أمام فرعون، لذا كان لا بد من التدريب السابق.

(1) في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج-5، ص2641.

(2) محمد الضيف: قائد الجناح العسكري لحركة المقاومة الإسلامية حماس في فلسطين.

(3) عمليات الثأر المقدس، حسن سلامة، ص40، بدون دار نشر وتاريخ طباعة.

الفرع الخامس / المتابعة المستمرة:

كل عمل لا يتابع ينقطع وينتهي، والقائد الناجح يجب عليه أن يتابع عمله أولاً بأول، ويتابع جنده ومرؤوسيه ليقى دوماً في صورة آخر التطورات، وهذا ما نلاحظه في حديث الله تعالى عن نبيه سليمان عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَتَقَدَّ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَمْرِي الْهُدُودَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿20﴾ لَأَعْدِبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ (النمل: 20-21).

يقول الشهيد سيد قطب: "كما ندرك من افتقاد سليمان لهذا الهدد سمة من سمات شخصيته: سمة اليقظة والدقة والحزم، فهو لم يغفل عن غيبة جندي من هذا الحشد الضخم من الجن، والإنس، والطير، وهو يسأل عنه في صيغة مترفعة مرنة جامعة: ﴿مَا لِيَ لَا أَمْرِي الْهُدُودَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾، ويتضح أنه غائب، ويعلم الجميع من سؤال الملك عنه أنه غائب بغير إذن! وحينئذ يتعين أن يؤخذ الأمر بالحزم، كي لا تكون فوضى، فالأمر بعد سؤال الملك هذا السؤال لم يعد سراً، وإذا لم يؤخذ بالحزم كان سابقة سيئة لبقية الجند"⁽¹⁾.

وهكذا نفهم أن نبي الله سليمان لا يتفقد وحسب، بل ويتخذ الإجراءات العقابي المناسب، ولا يظلم في ذلك إذ أن العقاب سيقع بعد سماع حجة الجندي الغائب حيث استنتى بقوله ﴿أَوْ لَيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾.

الفرع السادس / التركيز على الأداء الجماعي:

قد يسول الشيطان للقائد في لحظة ما أن يعتمد على قدراته الفردية في العمل؛ لسبب طيب، أو غير ذلك، لكن ما ينبغي أن يدرك هنا أن التحرك الفردي مهما بلغ من الإبداع يبقى تحركاً محدوداً وضعيفاً، وقد لا يؤتي ثماره، فأياً كانت دوافع التفرد بالعمل والتفويض، فهي مضمومة، وإن بدا فيها النجاح أحياناً، ومما يمكن أن يتسرب إلى نفس القائد؛ أن تنفيذ الأعوان لعمل ما قد يحسب لهم، وهذا خطأ فادح، ومؤشر خطير على طريقة تفكير القائد، إذ إن القائد هو رسول لفكره ولجماعته.

وهذا ما نجده في وصف القرآن للجماعة العاملة لنصرته من الرعييل الأول، حيث كانوا معاً وصفاً واحداً، والجميع يعمل على تحقيق الهدف المرسوم، قال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ مِرْحَمَاءٌ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرْمٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى

(1) في ظلال القرآن، مرجع سابق، جـ5، ص2638.

عَلَى سُوْقِهِ يُعْجِبُ الزُّمْرَانَ لِيُعْطِيَهُمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿الفتح: 29﴾.

حيث يشير تعبير الآية إلى حالة التناغم الجماعية التي كانت تظللهم، فهم المتراحمون بينهم، تراهم وكأنهم جسد واحد في الركوع، والسجود، وسائر حالاتهم، قلوبهم غاية في التآلف بأمر الله، قال تعالى: ﴿وَالَّذِي أَيْدِكَ بِنَصْرِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ ﴿ وَالْف بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَكَانَ اللَّهُ أَلْفَ بَيْنِهِمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (الأنفال: 63)

وهكذا يبدو لنا كيف كانت حركة القائد الأول، رغم أنه كان لا ينطق عن الهوى، وأعطى من الامتيازات ما لم يعطه أي قائد على وجه الأرض، إلا أن حركته كانت حركة جماعية، وتركيزه كان على الأداء الجماعي، وحتى القتال الذي يحبه الله تعالى هو القتال الذي يكون في سبيل الله وفي تضامن مع الجماعة المسلمة داخل الصف⁽¹⁾.

- ذو القرنين يهتم بالأداء الجماعي:

فقد أتى الله ذي القرنين من القوة ما يغنيه عن مساعدة الآخرين له، حيث قال تعالى في شأنه: ﴿وَسَأَلُونَا عَنْ ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَابْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبِيًّا ﴾ (الكهف: 83-84). إلا أنه وبرغم هذه القوة الخارقة التي منحت له لم يغفل عن ضرورة مشاركة الآخرين، ولاسيما في الأمور التي تعنيهم، إذ إن ذلك يزرع الإيجابية في نفوسهم، ويمنحهم الثقة والأمل، قال تعالى: ﴿ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَبًا ﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿ قَالُوا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّا يَا جُوحٌ وَمَأْجُوحٌ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَيَّ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿ آتُونِي زُبُرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿ فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴿ قَالَ هَذَا مَرْحَمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴾ (الكهف: 92-98).

نلاحظ من خلال الآيات الكريمة أن ذي القرنين لم يكتفِ بدعوة هؤلاء القوم للنفاعل والمشاركة، بل قام بتوزيع الأدوار عليهم؛ فطلب منهم أن يأتوه بزبر الحديد⁽²⁾، ثم طلب منهم أن ينفخوا وهكذا ...

الفرع السابع/ يدرك أنه الأسوة والقوة لجنوده:

(1) في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج6، ص3552.

(2) زبر الحديد: قطع الحديد (تيسير الكريم الرحمن، مرجع سابق، ص463).

فإذا علم القائد أنه أسوة لجنوده، عندها يستطيع أن يحسن توجيههم، فإن رغب فيهم شيئاً بدأ بنفسه، ولا يفرض عليهم أمراً حتى يكون هو أول الملتزمين به، وكما قيل "إن فعل رجل في ألف رجل، أفعل من قول ألف رجل في رجل"⁽¹⁾.

وقد عاب الله تعالى على بني إسرائيل أمرهم الناس بالمعروف دون أن يأتوه، فقال تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تُلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (البقرة: 44).
وأما في حقنا فقد اعتبر مخالفة الفعل للقول مقْتاً كبيراً فقال: ﴿كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَعْمَلُونَ﴾ (الصف: 3).

وهذا الحبيب ﷺ إذا ما نزل الوحي بأمر كان أول الملتزمين؛ ليكون قدوة لهم بفعله، فحينما نزلت آيات المزملة تحدد زاد الدعاة، عاشها هو واقعاً عملياً منذ نزلت حتى لحق بالرفيق الأعلى، بل كان إذا منعه مانع عن قيام الليل يصلى ما يقابلها في النهار، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: "كان رسول الله ﷺ إذا فاتته الصلاة من الليل من وجع أو غيره، صلى من النهار ثنتي عشرة ركعة"⁽²⁾.

وهكذا يكون القائد الناجح، يحمل كل ما يحمله الجند، ويضيف إليه الأمانة، والمسئولية المتولدة عن القيادة.

وأما القائد الخاسر فهو الذي يمثل لجنده قدوة سيئة، والقدوة السيئة تؤتي ثمارها السيئة. يقول الدكتور عبدالله القادري: "الفرد، أو الجماعة، أو الشعب من الناس مولعون بالافتداء بقادتهم وزعمائهم، فتراهم يتبعونهم في كثير من أفعالهم وصفاتهم"⁽³⁾.

- النزول إلى ميدان الجهاد:

قد كان النبي ﷺ يشارك أصحابه في كل مراحل الجهاد سواء كان ذلك في الإعداد، أو في ساحة المعركة.

فأما مشاركته ﷺ في الإعداد، فذلك كحفر الخندق، ونقل التراب، وتكسير الصخر، يقول ابن هشام: "فعمل فيه رسول الله ﷺ ترغيباً للمسلمين في الأجر؛ وعمل معه المسلمون فيه، فدأب فيه ودأبوا"⁽⁴⁾.

وأما مشاركته ﷺ الفعلية في الميدان فقد كانت في معظم الغزوات والمعارك التي كانت في عصره، يقول ابن هشام متحدثاً عن النبي ﷺ وموقفه يوم حنين: "وانحاز رسول الله

(1) منهج الرسول في غرس روح الجهاد في نفوس أصحابه، مرجع سابق، ص 85.

(2) صحيح: أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب (صلاة المسافرين...) باب (18)، جامع صلاة الليل...، ح 746، ص 356.

(3) الجهاد في سبيل الله حقيقته وغايته، مرجع سابق، ج 1، ص 56.

(4) السيرة النبوية لابن هشام، مرجع سابق، م 2، ج 3، ص 129.

ﷺ ذات اليمين، ثم قال: "أين أيها الناس؟ هلموا إليّ، أنا رسول الله ﷺ، أنا محمد بن عبدالله" (1).

وهكذا تبدو لنا المشاركة الفعلية له ﷺ في ميدان القتال، بل يكون أشجع المقاتلين وأثبتهم في المواجهة.

الفرع الثامن / الدهاء، والتصرف الحكيم:

إذا كان أي مدير، أو قائد بحاجة إلى دهاء وحكمة حتى يستطيع تحقيق مراده، فإن القائد العسكري أشد حاجة إلى هذا الدهاء، وهذه الحكمة؛ كي يتخذ قراره السريع الصائب، إذ إن القائد العسكري أكثر قائد يتعرض للمفاجأة، وقد تكون هذه المفاجأة في شيء لم يحسب حسابها، وفي لحظات حاسمة، فقد يفاجأ وهو في الميدان بفقد عزيز، أو فقد القائد العام، أو تغيير الخطة العسكرية للعدو... الخ.

ففي حق بلقيس قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ (النمل: 42).

يقول الشهيد سيد قطب: "إنها مفاجأة ضخمة، لا تخطر للملكة على بال، فأين عرشها في مملكتها، وعليه أفعالها وحراسها، أين هو من بيت المقدس مقر ملك سليمان؟ وكيف جيء به؟ ومن ذا الذي جاء به؟ ولكن العرش عرشها من وراء هذا التغيير والتكثير!! ترى تنفي أنه هو بناء على تلك الملابس؟ أم تراها تقول: إنه هو بناء على ما تراه فيه من أمارات؟ وقد انتهت إلى جواب ذكي أريب: ﴿قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ﴾ لا تنفي، ولا تثبت، وتدل على فراسة وبديهة في مواجهة المفاجأة العجيبة" (2).

يقول العماد حسن توركماني: "في حالة تساوي القوى والإعداد القتالي للطرفين سيكون النصر في الميدان من نصيب ذلك القائد الذي يتمتع بمستوى أعلى من الصفات العقلية في مجال التنبؤ، والبداهة والمخيلة الإبداعية" (3).

- إمارة خالد بن الوليد:

قد خرج خالد بن الوليد في الجيش يوم مؤتة على أنه جندي، وإذا بالقائد الأول يستشهد، ثم الثاني، فالثالث، وأصبح الجيش بلا قائد، فأخذ الراية ثابت بن أقرم (4) أخو بنى

(1) السيرة النبوية لابن هشام، مرجع سابق، م2، ج4، ص61.

(2) في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج5، ص2642.

(3) الدهاء في الحرب، مرجع سابق، ص35.

(4) ثابت بن أقرم بن ثعلبة بن عدي بن الجد بن عجلان. (الإصابة في تمييز الصحابة، ج1، ص382).

العجلان، فقال: يا معشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم، قالوا: أنت، قال: ما أنا بفاعل، فاصطلح الناس على خالد بن الوليد، فلما أخذ الراية استعمل حنكته العسكرية في إدارة المعركة، ووضع خطته العسكرية الذكية لإنقاذ الجيش من مصير مظلم؛ فانهز حتى انصرف بالناس، وقد عد ذلك انتصار لخالد في هذه المعركة⁽¹⁾.

فأي مفاجأة أعظم من هذه، ولكن القائد الناجح استطاع بفضل من الله ومنه أن يواجه المفاجأة وينجو بجيشه.

وكذلك يُسجل لخالد موقفه في اليرموك؛ حينما جاءت رسالة عزله، متضمنةً كذلك خبر وفاة القائد العام، الخليفة الراشد، أبو بكر الصديق، حيث حذر الرسول من أن ينشر الخبر، وواصل المعركة حتى أتم النصر على الروم ثم، أعلن خبر الرسالة وسلم القيادة لأبي عبيدة؛ عامر بن الجراح⁽²⁾.

- ركننا القرار الصحيح والسريع:

إن القرار الصحيح والسريع، لا بد وأن يقوم على ركيزتين، أو ركنين⁽³⁾:

أولاً: القابلية العقلية للقائد، فبمقدار ما يتمتع القائد بالذكاء والفتنة، وتصور الأمور على حقيقتها، كان أقرب إلى القرار السريع الصائب.

ثانياً: المعلومات الصحيحة، فلا بد للقائد أن يستند في قراره على معلومات صحيحة، وهذا يتطلب من القائد أن يتابع أخبار عدوه أولاً بأول.

والقائد المسلم عليه دوماً أن يستعين بالله ويتوكل عليه، ويسترشد بالإخلاص والتقوى، والله يدبر له شأنه، ويقدر له خيره، ولن يضيعه.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (فصلت: 30).

الفرع التاسع/المعرفة، والخبرة بأمور الحرب ومبادئها:

الأصل في القائد أن يكون أكثر الناس دراية بما يفقد، فلا يكفي في القيادة التقوى والورع، بل لابد من المعرفة النظرية، والخبرة العملية، والتطبيقات الميدانية.

والخبرة بالعمل أصل من أصول نجاحه، فلا بد للقائد العسكري أن يتمتع بخبرة فائقة في شؤون الحرب وفنونها، والخبرة كذلك برجاله وسلاحه وعدوه أيضاً.

(1) السيرة النبوية لابن هشام، مرجع سابق، م، 2، جـ، 4، ص12.

(2) البداية والنهاية، مرجع سابق، م، 4، جـ، 7، ص13.

(3) فن القيادة في الإسلام، مرجع سابق، ص187.

وهكذا نلاحظ أن السبب الذي قدم طالوت للقيادة رغم عدم شهرته، وقلة أمواله، إنما هو علمه وخبرته في القيادة العسكرية، حيث قال تعالى في شأنه: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَرَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلِكَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: 247).

وقد نجح في مهمته أيما نجاح، والفضل في ذلك يعود لله أولاً، ثم لخبرته، وعلمه في إدارة الجيوش والمعارك.

يقول ابن عباس في شأن طالوت: "كان طالوت يومئذ أعلم رجل في بني اسرائيل وأحمله وأتمه، وزيادة الجسم مما يهيب العدو" (1).

ويقول ابن تيمية: "والقوة في كل ولاية بحسبها؛ فالقوة في إمارة الحرب ترجع إلى شجاعة القلب، وإلى الخبرة بالحروب، والمخادعة فيها، فإن الحرب خدعة، وإلى القدرة على أنواع القتال من رمي، وطعن، وضرب، وركوب، وكر، وفر، ونحو ذلك" (2).

الفرع العاشر / إسناد الأمور إلى الأكثر كفاءة:

ومن مواصفات القائد الناجح، إسناد الأمور إلى أهلها الأكثر كفاءة، ومعلوم أن الأمور العسكرية كثيرة ومتنوعة؛ فمنها ما يحتاج إلى الشجاع الخبير بأساليب الحرب، وأحوال العدو، ومنها ما يحتاج الأكثر أمانة؛ مثل أمين الصندوق، وأمين المخازن والمؤمن... وهكذا. فعلى القائد أن يضع كل عامل في مكانه المناسب ليقوم بما هو أهل له من أنواع الجهاد، فلا يقدم شخصاً لقرابة، أو نسب، ولا يؤخر آخر لفقر، أو نقص جاه، فإن التزام القائد بهذه القاعدة يمنحه الفلاح والنجاح، ويجعل قيادته تثمر ثماراً حسنة.

- سليمان عليه السلام يبحث عن الأكثر أهلية:

والذي ينظر في قصة سليمان عليه السلام ويتأمل في قيادته لجنده يلاحظ أنه كان يبحث في إسناد المهمات إلى الأكثر أهلية، والأسرع إنجازاً، قال تعالى: ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ قال عِفْرِتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ قال الذي عنده علم من الكتاب أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ (النمل: 38-40).

(1) الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ج2، ص209.

(2) الجهاد في سبيل الله حقيقته وغايته، مرجع سابق، ج2، ص13.

فقد أسند سليمان عليه السلام مهمة جلب العرش إلى الذي عنده علم من الكتاب لأنه الأكثر أهلية.

ومن سياق الآية نستفيد جواز الإعلان عن المهمة؛ لاكتشاف مهارات الجند و إمكاناتهم، إذ إنه من الممكن أن يكون في الجند من يمتلك من المهارات الشيء الكثير، لكنه بحاجة إلى محك واكتشاف.

ووضع الرجل المناسب في المكان المناسب هو منهج النبي ﷺ، فاختيار العباس يوم حنين لينادي على أصحاب الشجرة لكونه أجهر الناس صوتاً، يؤكد هذا، حيث يقول العباس ﷺ: "وكنت امرءاً جسماً شديد الصوت"⁽¹⁾.

الفرع الحادي عشر/ القدرة على التخطيط

من أبرز ما ينبغي أن يتمتع به القائد القدرة على التخطيط، وبقدرة ما يمتلك القائد من مهارات التخطيط، بقدر ما يحقق النجاحات، ويتجنب المفاجآت، ويتغلب على العقبات، قال تعالى: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (آل عمران: 121).

حيث إن التوزيع المسبق من قبل القائد للمقاتلين لا بد وأن يأتي ضمن خطة مدروسة وموضوعة.

يقول القرطبي: "فمعنى ﴿تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ تتخذ لهم مصاف"⁽²⁾.

ويقول سيد قطب معقّباً على الآية السابقة: "والإشارة هنا إلى غدو النبي ﷺ من بيت عائشة رضي الله عنها وقد لبس لأمته ودرعه؛ بعد التشاور في الأمر، وما انتهى إليه من عزم على الخروج من المدينة للقاء المشركين خارجها، وما أعقب هذا من تنظيم الرسول ﷺ للصفوف، ومن أمر للرماة باتخاذ موقفهم على الجبل"⁽³⁾.

إن كل ما في الآية يؤكد وجود خطة محكمة، فغدو النبي ﷺ، وخروجه مبكراً يعني تنفيذ لشيء مرسوم، وتوزيعه للجنود، وأمره للرماة، بل وصيته لهم بأن لا يبرحوا أماكنهم تؤكد وجود تصور كامل لسير المعركة، وقدرة فائقة على التخطيط، وتقدير الأمور، واتخاذ الإجراءات الوقائية لكل المحاذير، وكذلك حفر الخندق يوم الأحزاب، يؤكد روعة وإبداع التخطيط لدى النبي ﷺ.

(1) السيرة النبوية لابن هشام، مرجع سابق، م2، ج4، ص62.

(2) الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ج2، ص540.

(3) في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج1، ص467.

إن هذه المهارة لدى القائد، تقلل من المفاجآت والمباغطات، وتجنب الجيش الحلول الارتجالية المرتبكة.

إن القائد بشر كأبي بشر، لكنه كلما اكتسب جديداً من صفات الكمال والحسن؛ زادت ثقة جنوده ومرؤوسيه فيه، ورضوا بقيادته.

وأخيراً أسرد بعض الصفات التي يحتاج إليها القائد، والتي منها: التمتع بروح الدعابة، ومعرفة نفسيات الجنود، والاهتمام بقضاياهم، ونظافة اليد والجيب والسمعة، والتفوق الروحي، واللين والشفقة على الجنود، والثبات على الحق، وتجنب كل ما يشين، ثم التربع على رأس كل قضية.

الفصل الثالث

الواجبات والحقوق بين الجندي والقيادة، في ضوء القرآن الكريم.
وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول:

واجبات الجند وحقوقهم.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: واجبات الجند.
المطلب الثاني: حقوق الجند.

المبحث الثاني:

واجبات القائد وحقوقه.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: واجبات القائد.
المطلب الثاني: حقوق القائد.

المبحث الثالث:

نموذج لقائد وجندي قدمهما لنا القرآن الكريم.

الفصل الثالث

الواجبات والحقوق بين الجندي والقيادة في ضوء القرآن الكريم.
قد ينسى القائد أو الجندي في غمرة عمله بعض واجباته، وقد يجهل القائد أو الجندي بعض حقوقه، لذا أتناول في هذا الفصل الحديث عن واجبات الجند وحقوقهم، ثم واجبات القيادة وحقوقها، ثم أعرض نموذجاً من القرآن الكريم لقائد وجندي، وهو نموذج طالوت القائد، مع داود الجندي، والله موفق.

المبحث الأول

واجبات الجند، وحقوقهم.

أتناول بإذن الله في هذا المبحث الحديث عن الواجبات التي يتعين على الجندي المسلم أن يؤديها، ثم نبين بعد ذلك ما له من حقوق.

المطلب الأول:

واجبات الجنـد.

حيث نجل بإذن الله الحديث عنها من خلال الفروع الست التالية:

الفرع الأول: الولاء.

الفرع الثاني: السمع والطاعة.

الفرع الثالث: حماية الإسلام والدفاع عنه.

الفرع الرابع: التعاون.

الفرع الخامس: حفظ أسرار الجيش والدولة.

الفرع السادس: الحفاظ على السلاح.

وفيما يلي تفصيل ذلك:

الفرع الأول / الولاء:

1- المقصود بالولاء في اللغة والاصطلاح:

أ - الولاء لغة:

المولى هو الناصر، يقال تولاك الله: أي وليك الله بمعنى ناصرك الله⁽¹⁾.

فالولاء هو الانضمام، والتأييد على اختلاف درجاته.

ب - الولاء اصطلاحاً:

(1) لسان العرب، مرجع سابق، ج9، ص407،406.

الولاية هي النصر، والمحبة، والإكرام، والاحترام، والكون مع المحبين ظاهراً وباطناً⁽¹⁾.
2- الولاء يكون بناء على رابطة العقيدة والإيمان:

ربط الله تبارك وتعالى قلوب المؤمنين برباط الإيمان، فأغناهم به عن كل رابطة،
والجندي المسلم لا يمنح ولاءه إلا لأخيه المسلم جندياً كان أم قائداً، قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ
بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ (التوبة: من الآية 71).

ولا يقبل أن يوالي غير المسلمين مهما كانت علاقتهم به؛ لأنه يدرك خطورة فعلته قال الله
تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ
عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا مَرْضِيَ
اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (المجادلة: 22).

وفي ذات السياق قال أيضاً: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ (المتحنة: من الآية 1).
وقال كذلك: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يُوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ
اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (المائدة: 51).

إن جميع الآيات السابقة صريحة في نهى المؤمنين أن يوادوا من حاد الله ورسوله، مهما
كانت قرابته، أو يتخذهم أولياء.

يقول الإمام الطبري في تفسيره لآية المائدة: "إن الله تعالى ذكره نهى المؤمنين جميعاً أن
يتخذوا اليهود والنصارى أنصاراً وحلفاء على أهل الإيمان بالله ورسوله وغيرهم، وأخبر أنه من
اتخذ نصيراً وحليفاً وولياً من دون الله ورسوله والمؤمنين، فإنه منهم في التحزب على الله وعلى
رسوله والمؤمنين، وأن الله ورسوله منه بريئان"⁽²⁾.

كما أن الآيات تعزز مبدأ المفاصلة بين أصحاب العقيدة الصحيحة، والعقيدة الباطلة.
3- الحب من صور الولاء:

وعلينا أن نعلم أن الولاء قائم على قاعدة الحب.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "فأما حب القلب وبغضه وإرادته وكرهته، فينبغي أن تكون
كاملة جازمة، لا توجب نقص ذلك إلا بنقص الإيمان، وأما فعل البدن فهو بحسب قدرته، ومتى

(1) الولاء والبراء في الإسلام، محمد بن سعيد القحطاني، ص90، دار الرشاد.

(2) تفسير الطبري، مرجع سابق، ج3، ص116.

كانت إرادة القلب وكرامته كاملة تامة، وفعل العبد معها بحسب قدرته فإنه يعطى ثواب الفاعل الكامل" (1).

4- عدم الولاء لا يعني الإكراه والعداء، والتسامح لا يعني التبعية والولاء:
في الوقت الذي نؤكد فيه على ضرورة موالة المؤمنين ومعاداة الكافرين، نؤكد أن هذا العداء مرتبط في الجانب العقدي، أما فيما يتعلق بالأخلاق، والتعاملات المختلفة، فتكون وفق قاعدة التسامح لا الولاء والبراء.

يقول الشهيد سيد قطب: "إن سماحة الإسلام مع أهل الكتاب شيء، واتخاذهم أولياء شيء آخر، ولكنهما يختطان على بعض المسلمين الذين لم تتضح في نفوسهم الرؤية الكاملة لحقيقة هذا الدين ووظيفته.... وإن المسلم مطالب بالسماحة مع أهل الكتاب، لكنه منهي عن الولاء لهم بمعنى التناصر والتحالف معهم" (2).

5- سقوط أي ولاء لا يتفق ورابطة العقيدة.
فأي ولاء لا يقوم على رابطة الإيمان والعقيدة، ولا يتفق معها هو ولاء باطل ساقط أيًا كان؛ رباط بنوة، أو أبوة، أو أخوة، أو زوجية، أو قرابة.
رابطة البنوة:

فقد أسقط الله تعالى رابطة البنوة يوم أن جاءت إجابته على نبيه نوح عندما ذكر وعد الله له بنجاة أهله من الطوفان فقال: ﴿رَبِّ إِنِّي مِنْ أَهْلِي وَإِن وَعْدُكَ الْحَقُّ﴾ فكان الرد من الله: ﴿يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ (هود: من الآية 45-46). حيث نفى الله عز وجل أن يكون الولد الكافر لنوح من أهله، رغم أنه أتى من صلبه.
رابطة الأبوة:

لقد رفض نبي الله إبراهيم عليه السلام العلاقة بأبيه آزر يوم رآها تتعارض مع عقيدته فقال تعالى مخبراً عن موقف إبراهيم: ﴿وَأَعْتَرُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيحًا﴾ (مريم: 48).

وقد أمرنا الله تعالى بالتخلي عن هذه الرابطة إن تعارضت مع رابطة الإيمان والعقيدة فقال جلّ وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَىٰ الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ

مِنْكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (التوبة: 23).

(1) الولاء والبراء في الإسلام، مرجع سابق، ص 139.

(2) في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج 2، ص 909-910.

يقول القرطبي في تفسيرها: "ظاهر هذه الآية أنها خطاب لجميع المؤمنين كافة، وهي باقية الحكم إلى يوم القيامة في قطع الولاية بين المؤمنين والكافرين"⁽¹⁾.
رابطة الزوجية:

قد خانت هذه العلاقة زوجتي نوح ولوط، ولم تُغنِ عنهما من الله شيئاً.
قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَاتَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ﴾ (التحریم:10).

يقول الإمام القرطبي: "فلم يغنِ نوحٌ ولوطٌ عن امرأتهما من الله لما عاقبهما على خيانتها لأزواجهما شيئاً، ولم ينفعهما أن كانت أزواجهما أنبياء"⁽²⁾.

وبالجملة فإن الإسلام لم يعتبر سوى علاقة الإيمان، ورابطة العقيدة كي يبني عليها الولاء والبراء، وأما سواها فلا وزن له في دائرة الولاء ولكن يعتبر في دائرة التسامح، وحسن التعامل، بل ذهب الإسلام إلى أشد من ذلك وهو تهديد كل أولئك الذين يقدمون على رابطة الإيمان فقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَمْرُؤُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَبِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تُرَضُّوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَٰسِقِينَ﴾ (التوبة:24).

الفرع الثاني / السمع والطاعة:

سبق وأن تناولت السمع والطاعة كخلق، وفي هذا الموطن نؤكد علي السمع والطاعة كواجب لازم للجندي في جيشه، فلا معنى للجيش بدونه، بل لا معنى لأي حضارة، أو أمة بدونه، فهو الذي يضبط الأهواء، ويوجه السلوك، ويُقوِّم الجنوح؛ فيصبح الصف المسلم متناسقاً، متناغماً، متماسكاً، كأنه بنيان مرصوص، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُورٌ﴾ (الصف:4).

يقول الدكتور محمد إبراهيم نصر: "الطاعة: هي السمة البارزة في أخلاق الجندي، لا نصر، ولا عز، ولا استقرار، ولا أمان إذا لم تكن هذه السمة هي العلامة البارزة في أخلاق الجندي"⁽³⁾.

(1) الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ج4، ص440.

(2) تفسير الطبري، مرجع سابق، ج7، ص332.

(3) منهج الإسلام في تربية الجندي المسلم، مرجع سابق، ص96.

ويمكن أن أوضح طبيعة هذا الواجب من خلال النقاط الثماني التالية:

1- الاستئذان رمز للالتزام والطاعة:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذِنَ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (النور:62).

لقد ضبط الإسلام سلوك الجنود، وعلمهم كيف يلتزمون بأوامر القيادة، فلا يكون تصرفهم عشوائياً صادراً عن مجرد الهوى والرغبة، بل لا بد وأن ينسجم مع الموقف العام، ويؤذن به من قبل القيادة، لذا فقد امتدح الله تعالى في الآية السابقة المؤمنين بهذا السلوك، وقد استخدم في التعبير أداة الحصر "إنما" ليشير إلى أن المؤمن الحقيقي، والجندي المخلص الوفي، من يكون الاستئذان خلقاً له وسلوكاً⁽¹⁾.

يقول الإمام القرطبي: "وظاهر الآية يقتضي أن يستأذن أمير الإمرة الذي هو في مقعد النبوة، فإنه ربما كان له رأي في حبس ذلك الرجل لأمر من أمور الدين"⁽²⁾.
2- البقاء وترك الاستئذان، أولى:

وكذلك مما نستفيده من الآية السابقة أن مغالبة النفس، وقهر الظرف أولى من الاستجابة للعذر، وطلب الإذن.

يقول الشهيد سيد قطب: "وقد تكون هناك ضرورة ملحة، ويتبقى حرية التقدير لقائد الجماعة ليوازن بين المصلحة في البقاء، والمصلحة في الانصراف، ويترك له الكلمة الأخيرة في هذه المسألة التنظيمية يدبرها بما يراه، ومع هذا يشير إلى أن مغالبة الضرورة، وعدم الانصراف هو الأولى؛ وأن الاستئذان والذهاب فيهما تقصير، أو قصور يقتضي استغفار النبي ﷺ للمعتذرين ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ وبذلك يقيد ضمير المؤمن، فلا يستأذن وله مندوحة لقهر العذر الذي يدفع به إلى الاستئذان"⁽³⁾.

3- الالتزام بقرار الأمير، طاعة لله تعالى:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ (النساء: من الآية59).

وقد ورد عن أبي سلمة بن عبد الرحمن أنه سمع أبا هريرة ؓ يقول: إن رسول الله ﷺ

(1) القيادة والجندي في الإسلام، (الجندي)، مرجع سابق، ص91.

(2) الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ج6، ص596.

(3) في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج4، ص2535.

قال: " من أطاعني، فقد أطاع الله، ومن عصاني، فقد عصى الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصى أميري فقد عصاني" (1).

فالأية والحديث يبينان لنا خطورة المخالفة لقرار القيادة المؤمنة، وذلك على اعتبار أن طاعة الأمير تمثل طاعة الله تبارك وتعالى، لذا جاء التشديد النبوي على الطاعة في كل الأحوال فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " اسمعوا وأطيعوا، وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبه" (2)، حيث عالج الحديث ما قد يقع من الجندي من التردد في السمع والطاعة نتيجة تحفظ على شخصية الأمير، ولم يغفل النبي صلى الله عليه وسلم أن يعالج التردد الناتج عن طبيعة القرار الصادر عن القيادة فقال صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي يرويه عبدالله بن عمر رضي الله عنه: "السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره، ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة" (3).

4- المؤمنون التزام دون إبطاء:

إن من أبرز ما ميّز جنودنا المؤمنين سرعة التزامهم، ودقة تنفيذهم، دون إبطاء، أو تردد، وذلك في سائر أحوالهم، وفي جميع أوقاتهم، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ (الأحزاب: 36).

يقول سيد قطب: "إنه الاستسلام المطلق ليد الله تقود خطاهم، وتصرف حركاتهم، وهم مطمئنون لليد التي تقودهم، شاعرون معها بالأمن والثقة واليقين، سائرون معها في بساطة ويسر ولين، وهم مع هذا يعملون ما يقدرون عليه، ويبدلون ما يملكون كله، ولا يضيعون وقتاً، ولا جهداً ولا يتركون حيلة، ولا وسيلة" (4).

إذا كان هذا الالتزام الحديدي من قبل أفراد المجتمع المسلم بالأوامر الشرعية، والتوجيهات القيادية، فكيف إذا بأفراد الجيش المسلم.

5- أروع التزام ... الطاعة مع الشعور بالتقصير:

إن أبرز ما تميزت به أمتنا المسلمة أنها رفعت لافتة: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ

الْمَصِيرُ﴾ (البقرة: من الآية 285).

(1) صحيح: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب (الأحكام)، باب (1) قوله تعالى (أطيعوا الله و...)، ح 7137، ص 1228.

(2) صحيح: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب (الأحكام)، باب (4)، السمع والطاعة للإمام .. ، ح 7142، ص 1229.

(3) صحيح: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب (الأحكام)، باب (4)، السمع والطاعة للإمام .. ، ح 7144، ص 1229.

(4) في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج 5، ص 2867.

فما أروع هذه الطاعة، وهذا الالتزام الذي يشعر الجندي معه بالتقصير، فيلجأ إلى الاستغفار؛ لأجل حط الخطايا الناتجة عن تصور عدم تمام الالتزام على النحو الذي يرضي الله تعالى.

يقول الشهيد سيد قطب: "ومع السمع والطاعة.. الشعور بالتقصير والعجز عن توفية آلاء الله حق شكرها، وفرائض الله حق أدائها، والالتجاء إلى رحمة الله لتتدارك تقصيرهم وعجزهم"⁽¹⁾.
6 - الالتزام والطاعة طريق الفوز والفلاح:

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ (النور: 52).
وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (النور: 51).

فقد جعل الله جل وعلا الطاعة له ولرسوله طريقاً نحو الفوز المبين، والفلاح الكبير، فأى تحريض أعظم من هذا التحريض على السمع والطاعة، ومن هنا ندرك سر الالتزام التام الذي يكون عليه الجندي في جيشه.

ويواصل القرآن تشجيعه للمؤمنين نحو الالتزام فيجعل ثمن الطاعة صحبة الأنبياء والشهداء قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ (النساء: 69).

7- ترك الالتزام طريق الانهزام:
قد تربي المؤمنون على السمع والطاعة منذ اللحظات الأولى التي خالط فيها صفاء الإيمان بشاشة قلوبهم، إلا أن هذا جميعه كان يدور في محيط التربية النظرية، إلى أن جاء الدرس العملي حينما وقعت المخالفة من المسلمين يوم أحد، فكان لا بد من هذا الدرس العملي رغم مرارته وقسوته.

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا أَصَابَكُمْ مِصْيَبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلِهَا قُلْتُمْ إِنَّا هَذَا قُلُوبًا هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (آل عمران: 165).

فالمصيبة التي أصابتنا، أو الهزيمة التي ألمت بنا، إنما كانت من عند أنفسنا، وذلك بسبب مخالفة الرماة لأمر قائدهم ﷺ.

(1) في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج1، ص343.

إن هذا الدرس المرقد أثمر في نفوس المؤمنين، ورسخ عندهم عقيدة الالتزام التام، ففي اليوم التالي لأحد نادى منادى الجهاد لمطاردة المشركين، فما تخلف أحد من أجناده أحد الذين لم تتدخل جراحهم بعد.

قال تعالى: ﴿فَلْيُحَذِّرِ الَّذِينَ يَخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (النور: من الآية 63).

عن ابن عباس: الفتنة هنا القتل، وعن عطاء: الزلازل والأهوال⁽¹⁾، وفي الآية تهديد صريح بمعاقبة المخالفين لأمر الله، أو رسوله، أو أئمة المسلمين وقادتهم.
8- الالتزام وإمكانية النقاش:

إن الالتزام لا يعني تحريم النقاش، وتجريم المناقشين، بل كفل الإسلام للجندي أن يناقش ويراجع القائد وذلك بنية إظهار الحقيقة، وتبين الصواب، فلا يحجر على عقول الجنود، ولا تحتكر القيادة في شخصية الأمير.

إن التفرد بالرأي يعني توجيه المجموع وفق عقلية فرد واحد، يتنبه عند اتخاذ قراره إلى جانب، أو أكثر الجوانب، لكنه قد يخفى عليه بعض الجوانب في الجهة المقابلة، فيصبح قراره ناقصاً لا يصلح، وقد يُورد المهالك.

وفي تاريخنا وسيرتنا ما يؤكد حق الجندي في النقاش وإبداء الرأي وتسجيل الملاحظة بين يدي قائده، وذلك بكل قوة وجرأة، لكنه يكون في غاية الأدب، فلا يصل قط بجرأته إلى الوقاحة.
إن الحوار الذي دار بين الجندي الشاب الحباب بن المنذر، وبين أعظم قائد عرفته الدنيا ﷺ يوم بدر يؤكد هذا بشكل قاطع⁽²⁾.

يقول الدكتور محمد السيد الوكيل معقلاً على قوله الحباب للنبي ﷺ: "إن الحباب ﷺ بهذه المقالة يظهر روعة الجندية في الإسلام، ويوضح أرقى درجات الطاعة والالتزام"⁽³⁾.
وكذلك قصة مفاوضة الرسول لغطفان يوم الخندق، ونزول الرسول ﷺ على رأي السعديين ابن معاذ وابن عباد في قطع هذه المفاوضات⁽⁴⁾.

وختاماً: فما ينبغي أن نفهمه هو أنه لا تناقض بين الالتزام كواجب من واجبات الجنود، وبين حرية الرأي والنقاش، ذلك لأن الالتزام إنما يتحتم إذا ما تمت الخطة، واستقر الرأي، وواجهنا العدو، فإذا بدا للجندي رأي، أو كانت له مشورة، فعليه أن يظهر الالتزام أولاً، ثم يبدي

(1) الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ج6، ص597.

(2) الرحيق المختوم، مرجع سابق، ص234.

(3) القيادة والجندية في الإسلام، الجندية، مرجع سابق، ص102.

(4) السيرة النبوية لابن هشام، مرجع سابق، م2، ج3، ص134.

رأيه، فإن كان صواباً وقبلته القيادة، نفذته وأخذت به، وإلا فالالتزام بأمر القيادة واجب، وعليه أن يخضع ويلتزم.

الفرع الثالث/ حماية الإسلام والدفاع عنه:

لهذا الهدف نفر المؤمنون، وهبّ المخلصون، وتدريب المتدربون، وهجر أهلهم الصادقون. لهذا الهدف جُنّد الجنود، وقطعت الحدود، وقامت الجيوش المسلمة.. لهذا الهدف ... جاهد الأتقياء، وسقط الشهداء، وسالت الدماء. وإن حماية الإسلام لا تعني الاعتداء على الآخرين، ومصادرة حرياتهم، وإطهادهم، بل الحماية تكون بإزالة الطواغيت المتسلطة على رقاب الشعوب والأمم، وتحول بينها وبين الهدى، وتمارس عليها التضليل.

يقول الشهيد سيد قطب: "والإسلام بوصفه دين الحق الوحيد القائم في الأرض، لا بد أن ينطلق لإزالة العوائق المادية من وجهه؛ ولتحرير الإنسان من الدينونة بغير دين الحق؛ على أن يدع لكل فرد حرية الاختيار، بلا إكراه منه، ولا من تلك العوائق المادية كذلك" (1).

ومن واجبات الجندي المسلم وهو يقوم على حماية الإسلام ما يلي:

1- الدفاع عن المستضعفين

إن أبرز أولويات الجندي وهو يرباط على ثغور الإسلام، ويدافع عن حياضه، هو حماية المستضعفين والمقهورين والمظلومين، قال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تَقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾ (النساء: 75).

يقول القرطبي في تأويله للآية: "﴿وَمَا لَكُمْ لَا تَقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ حض على الجهاد، وهو يتضمن تخليص المستضعفين من أيدي الكفرة المشركين الذين يسومونهم سوء العذاب، ويفتنونهم عن الدين، فأوجب تعالى الجهاد لإعلاء كلمته، وإظهار دينه، واستتقاذ المؤمنين الضعفاء من عباده، وإن كان في ذلك تلف النفوس" (2).

إن أعداء الإسلام يرقبون كل فرصة ضعف لأمة الإسلام، فإن حلت فلا يراعون عندها إلا ولا ذمة، والتاريخ أكبر شاهد، فلم ننس قط ما صنعه الصليبيون بنا في حروبهم المختلفة، إن

(1) في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج3، ص1633.

(2) الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ج3، ص245.

في فلسطين على أرض القدس يوم سقوطها، حيث ذبح مئات الآلاف من النساء والأطفال والشيوخ الأبرياء، وإن في الأندلس حيث تجلت هذه الحروب في أبشع صورها يوم نقضوا عهدهم، وعذبوا الملايين من المسلمين، وقتلوا مئات الآلاف في إجمام لم يعرف التاريخ له نظيراً، ولا ننسى ما صنعه ريكاردوس الإنجليزي يوم قتل أمام معسكر المسلمين، ثلاثة آلاف أسير سلموا أنفسهم إليه، بعد أن قطع على نفسه العهد بحقن دمائهم، ومنذ أن سقطت خلافتنا الإسلامية تداعت علينا الأمم من كل حدب وصوب، الجميع يريد أن ينال منا، وينهش لحمنا، وانتشر الاضطهاد في كل أرض وواد؛ في أريتريا من قبل نصارى الحبشة، وفي الصومال، وبورما، والفلبين حيث الإجمام الصليبي عليهم، وأما كشمير فحدث عن إجمام الهندوس ولا حرج، وفي أذربيجان ووحشية الأرمن، في كل موقع يُباد الآلاف بل مئات الآلاف، ويضطهد الأحياء ويشردون⁽¹⁾.

إن هذا الإجمام بحاجة إلى قوة تردعه، لذا كان من أبرز واجبات الجندي المسلم حماية الإسلام، والدفاع عن المستضعفين.

2- حماية الأرض من الفساد:

وعلينا أن نعلم أنه إذا طمست معالم الإسلام، وذهب أهله، فلن تسلم المعابد جميعها، وسيحل الفساد في الأرض قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمُ بَعْضًا لَهَدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَكَيْتَصَرَّنَ اللَّهُ مِنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحج: 40).

وقال كذلك: ﴿وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمُ بَعْضًا لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (البقرة: من الآية 251).

يقول محمد رشيد رضا: "إنه لولا إذن الله للناس بمثل هذا الدفاع لهدمت جميع المعابد التي يذكر فيها اسم الله تعالى؛ كصوامع العباد، وبيع النصارى، وصلوات اليهود (كنائسهم) ومساجد المسلمين بظلم عباد الأصنام ومنكري البعث والجزاء"⁽²⁾.

إذا فقد وجب علينا أن نجمع أسباب القوة لنحفظ الحماية للإسلام والمسلمين، وننشر العدل في ربوع العالمين.

الفرع الرابع/ التعاون:

(1) الصربيون، خنازير أوربا، د. عبدالحى الفرملوي، ص18-19، دار الاعتصام، ص1992م.

(2) تفسير المنار، ج11، ص241.

التعاون الذي به تُتجز الأمور، وتنفذ المهمات، وتتجح الخطط، وتبلغ الغايات. التعاون الذي يجعل من القليل كثيراً، ومن الصغير كبيراً. والجبال من الحصى، والمرء بإخوانه، والبركة في المجموع.

ولكي نزداد يقيناً بأهمية التعاون ننظر إلى عدد المساجد والمؤسسات الخيرية المختلفة في بلاد الإسلام نجدها لا تكاد تعد ولا تحصى، وإذا حسبنا التكاليف المالية الأساسية والجارية لهذه المساجد والمؤسسات تبين لنا أن أعظم دولة لا تستطيع أن تحتل هذا مالياً.. إلا أننا نجده يتم بتعاون أفراد ضعفاء قد تصل مساهمة الفرد إلى أقل من نصف دولار واحد، لكنه الأمر بالتعاون.

وأما عن واجب التعاون للجندي المسلم فيمكن تقسيمه إلى ثلاث نقاط:

1-التعاون في الرأي. 2-التعاون في التخطيط. 3-التعاون في التنفيذ.

وفيما يلي تفصيل ذلك:

1- التعاون في الرأي:

نجد في بعض الأحيان أناساً أو جنوداً ييخلون بأرائهم، أو يستهترون بها، أو يمنعهم الحياء من إبدائها، وهذا تقصير في حق الأمة إذ إنه لربما يكون الرأي الدفين، أو الحبيس بخلاً، هو الموصل إلى طريق آمن لأمتنا نحو مجدها وعزها.

فَلَمَ الْبَخْلُ بِالْأَرْءِ، وَقَدْ جَعَلْنَا اللَّهَ تَعَالَى جَسَداً وَاحِداً، وَأَوْلِياءَ لِبَعْضِنَا الْبَعْضُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة: 71).

يقول الشهيد سيد قطب: "فالولاية تحتاج إلى شجاعة وإلى نجدة وإلى تعاون وإلى تكاليف"⁽¹⁾.

فالتعاون من أول الأمور التي تتدرج ضمن حق الولاية التي تربط بعضنا ببعض.

وقد أمرنا جل وعلا بالتعاون فقال: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ (المائدة:

من الآية 2).

يقول القرطبي: "وهو أمر لجميع الخلق بالتعاون على البر والتقوى، أي ليعن بعضكم

بعضاً"⁽²⁾.

وأبسط أشكال التعاون وأولاها هو التعاون بالرأي.

- على القيادة استقبال آراء الجند:

(1) في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج3، ص1675.

(2) الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ج3، ص424.

في الوقت الذي الذي يؤكد فيه الإسلام على ضرورة التعاون بالرأي من قبل الجنود وتجريم البخل به، لا ننسى أن نؤكد على ضرورة أن تفتح القيادة باب استقبال الآراء والمقترحات، وأن تعمل على دراستها جيداً من قبل المختصين والخبراء حتى لا يصبح التعاون بالرأي فكرة مفرغة من مضمونها، أو احتواء لموقف الآخرين.

قال تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (آل عمران: من الآية 159).

ولأهمية هذه النصيحة نجد أن النبي ﷺ قد أخذ عليها البيعة من أصحابه رضوان الله عليهم فعن جرير بن عبدالله قال: "بايعت النبي ﷺ على النصح لكل مسلم"⁽¹⁾.

وصورها وكأنها الدين كله، فعن تميم الداري أن النبي ﷺ قال: "الدين النصيحة" قلنا لمن؟ قال: "لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم"⁽²⁾.

عن الحسن أنه قال: "ما تشاور قوم إلا هدوا وأرشد أمرهم ثم تلا: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ (الشورى: من الآية 38)".⁽³⁾

2- التعاون في التخطيط:

قد أمرنا الله تعالى بالإعداد للغزو فقال: ﴿وَلَوْ أَمَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً﴾ (التوبة: 46).

والخطة من أبرز ما يعد لخوض المعركة، فالمعركة التي لا يخطط لها تؤول إلى الفشل والهزيمة غالباً.

والتعاون هو الأسلوب الأمثل لوضع خطة محكمة، وقد يخطر ببال بعض الجند خطأ لا تجول ببال القادة ولو طرفة عين، وقد تكون أفضل من خططهم، لذا فإن مشاركة أهل الاختصاص في وضع الخطة لا سيما أصحاب الرأي والحكمة والخبرة منهم يساهم في إقرار خطة قوية، تحظى بنسبة نجاح عالية جداً، إذ إنها جمعت بين عمق فكر القيادة، وحرقة الجند ورغباتهم، وكذلك فإن الجند يقدمون على تنفيذها بكل حرارة وقوة؛ لأن فشلها يعني فشلهم، فهم مشتركون في وضعها.

ومما يجدر الإشارة إليه في هذا المقام أنه بعد إقرار الخطة العسكرية لا يكشف منها إلا قدر الحاجة خشية بلوغها الأعداء.

3- التعاون في التنفيذ:

(1) صحيح: أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب (الإيمان)، باب (23)، بيان أن الدين النصيحة ح56، ص53.

(2) صحيح: أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب (الإيمان)، باب (23)، بيان أن الدين النصيحة، ح55، ص53.

(3) تفسير الحسن البصري، مرجع سابق، ج2، ص272.

وهذا هو العنصر الأهم، وفقدانه الخطر الأكبر، إذ لو فقدت فلا فائدة من المقترحات والكلمات، والبرامج والخطط؛ لأن الهزيمة تكون حتمية، والخسارة أكيدة.

ومن هنا فإن التعاون في الميدان يجب أن يكون فوق كل رأي وخلاف، وتنفيذ الأمر واجب شرعي، عسكري، على من صدر في حقه، والتردد في تنفيذه يُعد خيانة لله، ولرسوله، وللمؤمنين، وهو الصدق الذي أشار الله إليه في قوله: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَجْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَلُوا بُدْيَاهُمْ﴾ (الأحزاب: 23).

يقول الشوكاني: "لم يغيروا كما غير المنافقون" (1).

إن الميدان هو يوم الصدق؛ صدق الانتماء؛ وصدق الوفاء؛ وصدق البلاء، وقد حذر الله الذين يقولون ما لا يفعلون، وتوعدهم بحلول غضبه وعقابه فيهم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (الصف: 2-3).

يقول القرطبي: "هذه الآية توجب على كل من ألزم نفسه عملاً فيه طاعة أن يفي بها" (2).
وختاماً فإن التعاون هو من أهم الأسباب التي ينعقد بها النصر، ويتحقق بها الظفر.

الفرع الخامس/ حفظ أسرار الجيش والدولة:

قد تناولت في نقطة إعداد الجندي أخلاقياً وسلوكياً قضية حفظ السر بشكل كافٍ، لكن هنا نذكرها كواجب عسكري لازم للجندي، بأن يحفظ أسرار الجيش الذي هو أحد أفرادها، والدولة التي يعيش في كنفها، وإذا كان التشديد على حفظ السر في سائر الأيام فإنه أكد وأكثر حاجة زمن الحرب والمجابهة، فلربما يفشي أحد الجنود سراً بقصد، أو بغير قصد فيصل ذلك إلى الأعداء فيكون سبباً في هلاك جيش كامل، وسقوط دولة قائمة.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (الأنفال: 27).

يقول محمد رشيد رضا معقلاً على الآية: "فالآية عامة وتشمل كل خيانة... فلا تخونوا أماناتكم فيما بينكم وبين أولياء أموركم من الشئون السياسية ولا سيما الحربية، وفيما بينكم بعضكم مع بعض في المعاملات المالية وغيرها" (3).

(1)فتح القدر للشوكاني، مرجع سابق، ج4، ص385.

(2) الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ج9، ص326.

(3) تفسير المنار، مرجع سابق، ج9، ص554.

وعن أبي هريرة قال: كان الرسول ﷺ يقول: "اللهم إني أعوذ بك من الجوع؛ فإنه بئس الضجيع، وأعوذ بك من الخيانة؛ فإنها بئست البطانة"⁽¹⁾.

وإن تسريب أسرار جيش الدولة المسلمة هو خيانة بلا ريب.

ولعل قصة نزول آية الأنفال السابقة تؤكد عظيم جرم من أفضى سر الجيش المسلم، فقد ذكر القرطبي أنها نزلت في أبي لبابة بن عبد المنذر حين أشار إلى بني قريظة بالذبح، فيقول أبو لبابة: "والله ما زالت قدماي حتى علمت أنني قد خنت الله ورسوله" فلما نزلت الآية شد نفسه على سارية من سواري المسجد وقال: والله لا أدوق طعاماً ولا شرباً حتى أموت أو يتوب الله علي⁽²⁾.

فقد بينت الآية القصة السابقة أن الخيانة لا تقتصر على الكلام بل تقع بالإشارة كما فعل الصحابي الجليل أبو لبابة ﷺ، وبالتالي فإن تقديم أي معلومات صغيرة كانت أم كبيرة، مباشرة كانت أم غير مباشرة، شفوية أم مكتوبة، سريعة أم بطيئة، تتدرج ضمن خيانة الله ورسوله والمؤمنين. وعليه فيحرم على الجندي المسلم أن يدلي بأي معلومات كانت تحت أي ذريعة كانت.

الفرع السادس / الحفاظ على السلام:

من المعلوم أن السلاح في القتال قرين الروح، وهو أعز شيء على الإنسان في تلك اللحظة، والجندي بدون سلاحه كالشاة الجلاء التي لا قرن لها، ولا تستطيع قتالاً، ولا ثباتاً، ولا دفاعاً، ولو لم يكن هناك دافع للحفاظ على السلاح سوى أنه أمانة لكفى ذلك.

ومن هنا توجب على الجندي أن يحافظ عليه، ويعتني به، ولا يستهتر في التعامل معه، يخصص له مكاناً لا يتعرض فيه للضياع، أو السرقة، أو العبث، أو التلف، وفي نفس الوقت يمكنه الوصول إليه بسهولة في أي لحظة.

وكذلك يتعين على الجندي أن يتفقد سلاحه، ويتأكد من سلامته وصلاحيته للاستعمال، والقيام بصيانتته حال وجود أي عطل فيه دون تسويق⁽³⁾.

المطلب الثاني:

حقوق الجنود.

لم يكن الإسلام كغيره من أنظمة القهر والاستبداد، التي لا تراعي حقوقاً لغير أهل الحكم والسلطة، وإنما تميز بأن أعطى كل ذي حق حقه، إذ ليس من العدل والإنصاف أن تكلف إنساناً

(1) حسن: أخرجه أبو داود في سننه، كتاب (الصلاة)، باب (367)، في الاستعاذة، ح1547، ج2، ص665.

(2) الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ج4، ص338.

(3) الجهاد سبيلنا، مرجع سابق، ص188.

ما بواجب من الواجبات ثم بعد أن يؤديه تعطيه ظهره، وتدير له كتفك، ذلكم ولا شك هو عين التعسف والظلم، الذي يأباه الإسلام، وكل أصحاب الفطر السوية، والمنطق السليم.

وخشية أن تتدثر هذه المعاني النبيلة في زحمة الحياة، وتحت ضغط العمل والقيادة، نذكر

هنا بعض الحقوق للجندي المسلم ونجملها في الفروع الأربعة التالية:

الفرع الأول/ الرفق بالجند، والحفاظ على أرواحهم.

الفرع الثاني/ احترام آراء الجند.

الفرع الثالث/ القيام على مصالح الجند وقضاء حوائجهم.

الفرع الرابع/ العدل والمساواة بين الجند.

وفيما يلي تفصيل ذلك:

الفرع الأول/ الرفق بالجند، والحفاظ على أرواحهم:

فالرفق منهج عام في ديننا الحنيف ومبدأ من مبادئه، ومطلب دائم من كل مسلم؛ لأنه ما كان في شيء إلا زانه، وما نزع من شيء إلا شانه.

لذا على القيادة أن تكون رفيقة بالجنود، فلا ترهقهم، ولا تحملهم أكثر من طاقتهم، وأن تنزلهم منازل السلامة، وأن تجنبهم موارد الهلاك، وأن يؤذن لهم لرؤية أهلهم، ولقضاء حوائجهم.

قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ (البقرة: من الآية 185)

يقول الإمام القرطبي في تأويله لآية البقرة: "والوجه عموم اللفظ في جميع أمور الدين، كما قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمُ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾"⁽¹⁾. فإذا كانت إرادة الله لنا اليسر فكيف تكون إرادتنا لبعضنا البعض بالعسر.

وعن عائشة رضي الله عنها أن الرسول ﷺ قال: "يا عائشة إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي سواه"⁽²⁾.

وعن عائشة رضي الله عنها كذلك أن النبي ﷺ قال: "إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه"⁽³⁾.

قال النووي: "ومعنى يعطي على الرفق، أي يثبت عليه ما لا يثبت على غيره"⁽¹⁾.

(1) الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ج1، ص 681.

(2) صحيح: أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب (البر والصلة والآداب) باب (23)، فضل الرفق، ح 2593، ص 1355.

(3) صحيح: أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب (البر والصلة والآداب) باب (23)، فضل الرفق، ح 2594، ص 1355.

وقد بَوَّب البخاري في صحيحه باباً سماه قول النبي ﷺ " يسروا ولا تعسروا"، ومما جاء فيه عن أبي هريرة: أن أعرابياً بال في المسجد، فثار عليه الناس ليقعوا به فقال رسول الله ﷺ: "دعوه وأهريقوا على بوله ذنوباً من ماء، أو سجلاً من ماء، فإتما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين" (2).

وتوضيحاً لحق الرفق نشير إلى جملة من النقاط:

1- الرفق يوثق العلاقة، ويغرس المحبة:

قال تعالى: ﴿وَكُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَنَقَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (آل عمران: من الآية 159).

فالخطاب في الآية موجه للنبي ﷺ، فإذا كان الناس يمكن لهم أن ينفضوا من حول النبي ﷺ إذا كان فظاً، فما ظنكم بنا.

جرت العادة عند بعض ضباط العرب في زماننا المعاصر أن يكون أحدهم متعالياً، جافاً، غليظاً في تعامله مع الجنود، وهو يرى في ذلك ضرورة لتمييز الضابط عن الجندي، ويصبح الجندي أسرع طواعية، نعم قد يصبح الجندي أسرع طواعية، لكنه لا يكون أكثر طواعية، إذ إن الطاعة الحقيقية هي التي تبني على الرغبة والحب، لا على الرهبة والخوف.

وإذا كان الرفق يغرس المحبة في قلوب المتخاصمين إذا حل بأرضهم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (فصلت: 34). فكيف صنيعه فيما دون المخاصمة.

2- الرفق لا يعني التسيب والترهل:

يجب علينا أن نعلم أن الرفق لا يعني التسيب والترهل، وترك الحزم والشدة التي تكون مناسبة في موضعها، فنحن في أمس الحاجة إلى رجال أشداء، أهل قوة وبأس؛ ليحملوا عبء الجهاد، ويكابدوا الأهوال، ويقهروا الصعاب، فاللين له موضع لا يصلح إلا فيه، ولو وضع في غير موضعه لأفسد.

ولا يتصور أحد أن معنى الرفق أن يُعطى الجندي إجازة والصفوف ملتحمة، والعدو يريد أن يببب خضراعنا، ويكسر شوكتنا، ويعقب الدكتور محمد السيد الوكيل على هذه الحالة قائلاً: "بل

(1) صحيح مسلم بشرح النووي، مرجع سابق، ج8، ص362.

(2) صحيح: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب (الأدب) باب (قول النبي ﷺ "يسروا ولا تعسروا")، ح6128، ص1068.

إن القيادة نفسها لو أرادت والحالة هذه أن ترفق بجنودها لرفض الجنود ذلك الرفق الذي يأتي في غير أوانه، ويوضع في غير موضعه"⁽¹⁾.

3- طبيعة الرفق في القتال:

لقد كفانا أميرنا عمر بن الخطاب عناء الاجتهاد فسجل لنا ذلك في رسالته إلى النعمان بن مقرن⁽²⁾ والتي جاء فيها: "بسم الله الرحمن الرحيم: من عبدالله أمير المؤمنين عمر إلى النعمان بن مقرن سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد فإنه قد بلغني أن جموعاً من الأعاجم كثيرة قد جمعوا لكم بمدينة نهاوند، فإذا أتاك كتابي هذا فسر بأمر الله، وبعون الله، وبنصر الله، بمن معك من المسلمين، ولا توطئهم وعرأ فتؤذيهم، ولا تمنعهم حقهم فتكفرهم، ولا تدخلهم غيضة"⁽³⁾ فإن رجلاً من المسلمين أحب إليّ من مائة ألف دينار"⁽⁴⁾.
- مثال لعدم الرفق بالجنود:

هذا أمير جيش ولأه عمر رضي الله عنه، فسار بالجيش حتى بلغ جبلاً، وانتهى الجيش إلى نهر ليس عليه جسر، فقال أمير الجيش لرجل من أصحابه: انزل فانظر لنا مخاضه نجوز فيها وذلك في يوم شديد البرد، فقال الرجل: إني أخاف إن دخلت الماء أن أموت. فأكرهه، فدخل، فقال: يا عمراه يا عمراه، ثم لم يلبث أن هلك، فبلغ ذلك عمر وهو في سوق المدينة، فقال: يا لبيكاه، يا لبيكاه، وبعث إلى أمير الجند فنزعه، وقال: لولا أن تكون سنة بعدي، لأقدت منك. لا يعمل لي عملاً أبداً"⁽⁵⁾.

وختاماً فإن القائد الفذ هو الذي يعتبر الجندي رصيلاً حقيقياً له، فهو عنده أعلى من نتائج المعركة، ولا يفرط في جندي واحد إلا لمصلحة محققة للإسلام والمسلمين، وهذا المعنى الذي أكده عمر رضي الله عنه في رسالته للنعمان حيث قال: "إن رجلاً من المسلمين أحب إليّ من مائة ألف دينار، نعم الإنسان أعلى ما نملك، وهو القيمة الحقيقية على هذه الأرض، والأمة التي تستهتر برجالها أمة ضائعة.

(1) القيادة والجندي في الإسلام (الجندي)، مرجع سابق، ص186.

(2) النعمان بن عمرو بن مقرن. (الإصابة في تمييز الصحابة، ج6، ص449).

(3) الغيضة: الموضع يكثر فيه الشجر ويلتف، (المعجم الوسيط)، ص701.

(4) الفاروق عمر، لمحمد حسين هيكل، ج2، ص24.

(5) القيادة والجندي في الإسلام (الجندي)، مرجع سابق، ص190.

فالرفق الرفق، الرفق أيها القادة، الرفق أيها المسئولون، وتأملوا وصية نبيكم لكم، قال ﷺ:
" اللهم من ولي أمر أمي شيئاً، فشق عليهم فاشقق عليه، ومن ولي أمر أمي شيئاً، فرفق
بهم، فارفق به"⁽¹⁾.

الفرع الثاني/ احترام آراء الجند:

إن الإسلام وهو يُكون دولته لم يُرد من أتباعه أن يكونوا صوراً متحركة يميلون حيث
يشار إليهم، ويوافقون إذا طُلب منهم، ويمتنعون حين لا يكون المسئول موافقاً، ولكنه يريد منهم أن
يكون كل شخص منهم حارساً أميناً على الدولة المسلمة وأنظمتها، يبذل جهده العقلي بجانب جهده
العضلي المشكور؛ لأجل الارتقاء بأمنته إلى أسمى درجة.

لكن الإسلام في ذات الوقت قد أكد على ضرورة احترام آراء هؤلاء الجند، ومناقشتها،
والأخذ بها إذا وافقت المصلحة العامة، والأمثلة على ذلك كثيرة، ونكتفي هنا بمثال نهاوند حيث
تحصنت جيوش الفرس بأسوار المدينة وأحاطوها بالأسلاك الشائكة فكانوا لا يخرجون إلا إذا
وجدوا في الخروج مغنماً، فخشي النعمان بن مقرن على المسلمين وطلب أهل الرأي أن يشيروا
عليه، فكانت الآراء بأن يشدد الحصار، إلا أن طلحة بن خويلد كان له رأياً آخر فقال: أرى أن
تبعث إليهم فرقة من جيش المسلمين يرمونهم بالسهم، فعندئذ ينظر العدو فيراهم قلة، فيخرجون
لمقاتلتهم، ويكون الجيش متخفياً عن أعينهم، فإذا خرجوا لقتالهم تظاهروا بالصمود ثم التقهقروا
فيتبعهم القوم، ولم يشكوا في هزيمتهم، وتظل الفرقة في صمودها وتقهرها حتى يلجئوا إليها،
وعندئذ نبرز لهم فنقاتلهم، وينصرنا الله عليهم، وقد أعجب الجميع بهذه الخطة، فاعتمدها النعمان
، وأوكل تنفيذها إلى القعقاع بن عمرو، فنفذها بكل دقة، وكتب الله لنا بها الغلبة على الفرس،
وسمي فتح نهاوند بفتح الفتوح.⁽²⁾

الفرع الثالث/ القيام على مصالح الجند، وقضاء حوائجهم:

الناس مع من يعتني بهم، ويقوم على مصالحهم، ويسهر على راحتهم، ويقضي حوائجهم،
ويقف إلى جانبهم، والجنود هم جزء من هؤلاء البشر الذين يُسرون بالمساندة، ويسعدون
بالمؤازرة، ويصبحون عبيداً لأهل الفضل والمعروف، وصدق من قال: (الإنسان عبد الإحسان).

(1) صحيح: أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب (الإمارة) باب (5)، فضيلة الإمام العادل.....ح1828، ص982.

(2) القيادة والجنديّة في الإسلام، الجنديّة، مرجع سابق، ص208.

ومن هنا لا بد للقيادة من القيام على مصالح هؤلاء الجند، والوقوف إلى جانبهم وقت الأزمات، والعمل قدر المستطاع لقضاء حوائجهم، عندها يشعر الجندي برباط لا ينفصم، وبوثاق لا ينقطع، وبصلة لا تنتهي.

يقول الدكتور محمد السيد الوكيل: "فمن واجبات القيادة في الإسلام القيام على مصالح الجنود لتحقيق سعادتهم في الدنيا والآخرة، ومن حق الجنود المقرر شرعاً المطالبة بها إذا أهملت القيادة، أو قصرت في تقديمها، أو القيام لتحقيقها"⁽¹⁾.

ويمكننا تلخيص أبرز حوائج الجند في النقاط الثلاث التالية:

1- الإحسان للجنود ضرورة:

قال تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (البقرة: من الآية 195).

وقال أيضاً: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (المائدة: من الآية 13).

فلو لم يكن للإحسان من فضيلة سوى أنه يجلب محبة الله لكفى ذلك.

يقول الشهيد سيد قطب: "ومن حب الله للإحسان وللمحسنين، ينطلق حب الإحسان في قلوب أحبائه، وتنبثق الرغبة الدافعة في هذه القلوب، فليس هو مجرد التعبير الموحى ولكنها الحقيقة كذلك وراء التعبير"⁽²⁾.

- الكلمة الطيبة.. إحسان:

القائد الذي لا يستطيع أن يقضي حوائج جنده، فيكفيه عن ذلك كلمة طيبة، وشعور نبيل، وتضامن حسن، فهذا يقطع على الشيطان حباله، وينزع من القلب أحقادَه، يغذي شجرة الخير، قال تعالى: ﴿الْمُتْرَكِينَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُوْتِي أَكْثَرَهَا كُلِّ حِينٍ يَأْذُنُ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (إبراهيم: 24-25). وهكذا تكون الكلمة الطيبة كالشجرة الطيبة، التي تؤتي أكلها كل وقت؛ فينتفع الناس بها.

وفي الحديث الصحيح عن شعبة قال: قال النبي ﷺ: "اتقوا النار ولو بشق تمره، فإن لم يكن فبكلمة طيبة"⁽³⁾.

2- الأمن أبرز مصالح الجنود:

الأمن مسئولية القيادة، وعليها أن توفره لجنودها، لأنهم إن فقدوا الأمن، انشغلوا به عن

(1) القيادة والجندي في الإسلام، الجندي، مرجع سابق، ص 214.

(2) في ظلال القرآن، ج1، مرجع سابق، ص 475.

(3) صحيح: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب (الأدب) باب (34)، طيب الكلام، ح 6023، ص 1053.

واجباتهم، وهو من أخطر مسائل الإنسان.

ما أصعب تلك اللحظات التي يفقد الإنسان فيها أمنه، تدور عينه يتقرب القدر، المجهول، عذابات تتراكم عليه بعضها فوق بعض، والوقت عندها يتوقف عن الحركة، ولا يجلب هذا الجندي الذي فقد الأمن إلا الوبال.

وقد ذكرنا الحبيب ﷺ بنعمة الأمن فقال: "من أصبح منكم آمناً في سربه معافى في جسده، عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا"⁽¹⁾. فلا معنى للحياة في هذه الدنيا مجردة عن الأمن، لذا فقد صور الحديث أن من حاز الأمن فكأنما حاز الدنيا من أطرافها.

3- التعليم من حاجات الجند:

أذكر هذا الحق تحديداً لأن غالبية الجنود يتوقفون عن دراستهم لأجل الالتحاق بالجيش، وبعد فترة يشعر الجندي بحاجته الماسة للتعليم؛ إذ إن العقل يكون قد بدأ يأخذ منه مأخذه، وينظر إلى أقرانه، فيستفز، وتعلو همته للتعليم، لذا فلا ينبغي أن يمنع استجابة لأول أمر سماوي في ديننا، قال تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (العلق: 1-5).

وأما في حق المقاتلين والمنشغلين في الأمور العسكرية فقد قال جل وعلا: ﴿فَلَوْلَا تَقَرَّرْنَا مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لَيُبْتَغَىٰ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (التوبة: من الآية 122).

يقول القرطبي: "هذه الآية أصل في وجوب طلب العلم ... وطلب العلم ينقسم إلى قسمين: فرض على الأعيان؛ كالصلاة والزكاة والصيام ... وفرض على الكفاية؛ كتحصيل الحقوق، وإقامة الحدود، والفصل بين الخصوم ونحوه"⁽²⁾.

الفرع الرابع/ العدل والمساواة بين الجنود:

ومن حق الجنود كذلك، أن لا يُحابي أحدٌ على حساب أحدٍ، فهم جميعاً سواء، القضاء بينهم بالعدل، والفصل يكون بالإنصاف والحق، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ (النحل: من الآية 90).

بالعدل قامت السماوات والأرض، وبالعدل توزن أعمار الأمم والحضارات، فالعدل يُعمر، والظلم يُدمر.

(1) حسن غريب من هذا الوجه: أخرجه الترمذي في سننه، كتاب (الزهد) باب (34)، ح 2346، ج 4، ص 303.

(2) الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ج 4، ص 604.

يقول الشهيد سيد قطب في تأويل آية النحل السابقة: "لقد جاء هذا الكتاب لينشئ أمة وينظم مجتمعاً، لينشئ عالماً وقيماً نظاماً... جاء بالعدل الذي يكفل لكل فرد، ولكل جماعة، ولكل قوم قاعدة ثابتة للتعامل، لا تميل مع الهوى، ولا تتأثر بالود والبغض، ولا تتبدل مجارة للصهر والنسب، والغنى والفقير، والقوة والضعف، إنما تمضي في طريقها تكيل بمكيال واحد للجميع، وترن بميزان واحد للجميع"⁽¹⁾.

- الناس أمام ميزان العدل سواء:

إن قصة سواد بن غزيرة يوم بدر تؤكد أن العدل والقضاء لا نظر فيه لموقع ومكانة الخصمين، فقد جاء في السير: "... وبينما يعدل النبي ﷺ الصفوف وقع أمر عجيب، فقد كان في يده قدح يعدل به، وكان سواد بن غزيرة مستتبصلاً من الصف، فطعنه في بطنه بالقدح، وقال: "استو يا سواد"، فقال سواد: يا رسول الله، أوجعتني فأقذني، فكشف عن بطنه وقال: "استقد"، فاعتقه سواد وقبل بطنه..⁽²⁾.

فالخصم في قصتنا هو خير من دب على الأرض ﷺ، ولم يمنعه موقعه كقائد للجيش وللأمة أن يخضع للعدل، وينتصب أمام ميزان الحق.

ومما جاء في أول خطبة لأبي بكر بعد خلافته لرسول الله ﷺ قوله: "أما بعد، أيها الناس إني وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوي عندي حتى أريح عليه حقه إن شاء الله، والقوي فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه إن شاء الله..."⁽³⁾.

لقد وضع أبو بكر يديه على الموضع الصحيح، العدل والمساواة، واستحقر من رغب المحاباة وإن كان قوياً.

وأما عمر بن الخطاب ﷺ فجاء في خطبة خلافته: "ولست أدع أحداً يظلم أحداً أو يتعدى عليه حتى أضع خده على الأرض، وأضع قدمي على الخد الآخر حتى يذعن للحق، وإني بعد هذه وتلك أضع خدي على الأرض لأهل العفاف وأهل الكفاف"⁽⁴⁾.

فالعدل العدل... العدل أساس الملك، ﴿وَلَا يَجْرِمَكُمْ شَتَّىٰ أَنْ تُؤْمِرُوا عَلَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هَوَاقِرٌ لِلتَّقْوَىٰ﴾ (المائدة: من الآية 8).

(1) في ظلال القرآن، مرجع سابق، جـ4، ص2190.

(2) الرحيق المختوم، مرجع سابق، ص239.

(3) جولة تاريخية في حياة الخلفاء الراشدين، مرجع سابق، ص17.

(4) جولة تاريخية في حياة الخلفاء الراشدين، مرجع سابق، ص87.

المبحث الثاني واجبات القائد، وحقوقه.

لا شك أن للقائد حقوقاً، كما عليه واجبات، فإذا أدى القائد واجباته، فله أن يأخذ حقوقه، وفيما يلي نقدم تفصيلاً لواجبات القائد، وحقوقه في المطلبين التاليين:
المطلب الأول:
واجبات القائد.

إن واجبات القائد متعددة وكثيرة، وكلما ترقى كلما زادت عليه الواجبات والأعباء، وهذه الواجبات حتمية لا يجوز التفريط فيها، أو في شيء منها، لا سيما وأن واجبات القيادة الإسلامية نابعة من الوحي الإلهي الذي أوحاه الله إلى نبيه ﷺ. وأقصد بالقيادة الإسلامية هنا كل من خوله الله سلطة أياً كانت مساحتها، وقوتها؛ وبالتالي يدخل في هذا الإطار الخليفة، والوزراء، وقادة الجيش، والقضاة، وكل من ولى أمر شيء فهو قائد له.

ويمكن لنا أن نجمل هذه الواجبات في الفروع الستة التالية:

- الفرع الأول: تنفيذ الشريعة وتطبيق الإسلام.
- الفرع الثاني: نشر الدعوة.
- الفرع الثالث: تحمل المسؤولية.
- الفرع الرابع: المحافظة على أرواح الجنود.
- الفرع الخامس: تأهيل الجنود وتطويعهم.
- الفرع السادس: وضع كل إنسان في الموضع الذي يناسبه.

الفرع الأول / تنفيذ الشريعة وتطبيق الإسلام:

أول واجبات القائد أن يطبق الإسلام، وينفذ الشريعة الإسلامية السمحة فيما يمتلك من سلطة وقيادة، فما أمر الله بتنصيب الخليفة إلا ليقوم شرعه، وينفذ حكمه، ويحرس دينه، فإذا لم يقوم بذلك، فلا خير في وجوده، قال تعالى: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾ (المائدة: 49).

قال ابن عباس: "إن جماعة من اليهود منهم كعب بن أسد، وعبدالله بن سوريا، وشاس بن قيس، قال بعضهم لبعض: اذهبوا بنا إلى محمد لعلنا نفتته عن دينه، فأتوه فقال: يا محمد؛ قد

عرفت أننا أحبار اليهود وأشرفهم، وأنا إن اتبعناك اتبعنا اليهود ولن يخالفونا، وإن بيننا وبين قوم خصومة ونحاكمهم إليك، فتقضي لنا عليهم، ونحن نؤمن بك ونصدقك، فأبى ذلك رسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يُنْتُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾⁽¹⁾.

فإن كان رفض الحكم بغير ما جاء به الإسلام مع اليهود وخصومهم فسق، فمن باب أولى أن يرفض الحكم بغير ما أنزل الله فيما بين المسلمين.

والشريعة تؤخذ كل لا يتجزأ، فلا يقبل إقامة الدين، وإهمال الدولة، قال تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ (البقرة: من الآية 85).

والعبرة في تطبيق الشريعة بالواقع لا بالشعارات والدعايات، يقول الدكتور محمد السيد الوكيل: "وبالجملة فإن تنفيذ الشريعة، يجب أن يكون عملاً تطبيقياً، لا فكراً نظرياً، يعيشه الناس في المجتمع الإسلامي واقعاً ينعمون به، لا فلسفة يتطلعون إليها"⁽²⁾.

ولهذا فإن الله عز وجل قد وصف الذين يعطلون شريعته في الحكم بأخس الصفات وأبجحها فقال تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (المائدة: من الآية 44).

وقال: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (المائدة: من الآية 45).

وقال أيضاً: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (المائدة: من الآية 47).

ومن هنا فإن القائد هو المسئول عن تطبيق الشريعة في دائرة قيادته وإدارته وحكمه ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، فالرجل قائد في بيته، وعليه تنفيذ شريعة الله في حدود مسئوليته، وصدق النبي ﷺ حيث يقول في الحديث الذي يرويه عنه عبدالله بن مسعود ﷺ: "كلكم راعٍ ومسئول عن رعيته: فالأمير الذي على الناس فهو راعٍ عليهم، ومسئول عنهم، والرجل راعٍ في أهل بيته، وهو مسئول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده، وهي مسئولة عنهم، والعبد راعٍ على مال سيده، وهو مسئول عنه، ألا فكلكم راعٍ، وكلكم مسئول عن رعيته"⁽³⁾.

والحفظ الحقيقي للمسئولية وأدائها، لا يتم إلا بمراعاة ما أمر الله تعالى به في المساحة التي يُسأل عنها العبد.

(1) أسباب النزول للواحي، مرجع سابق، ص 134.

(2) القيادة والجندي في الإسلام، (القيادة)، مرجع سابق، ص 119.

(3) صحيح: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب (العق) باب (كراهية التناول على الرقيق)، ح 2554، ص 412.

الفرع الثاني / نشر الدعوة:

إن نشر الدعوة هدف عام للمسلم في حياته، وهي التي من أجلها أرسل الله الرسل، وبعث الأنبياء، وأذن بالجهاد، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (التوبة: 33).

وإظهار الإسلام على الأديان كلها، إنما يتحقق من خلال الدعوة إليه، لذا فهو من أهم واجبات القائد المسلم، أياً كان موقعه، فالكل ينشر دين الله ورسالته بما أوتى من قوة، وبما مُنح من سلطة مهما كانت صغيرة.

وذلك لأن الدعوة إلى الله تعالى هي واجب على كل مسلم ومسلمة، قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ (النحل: من الآية 125).

ففي الآية أمر جلي لكل مسلم بالدعوة إلى الله تعالى؛ وعليه فالدعوة إلى الله تعالى متعينة على كل مسلم، أما التفرغ لها فلا يتعين على الجميع وإنما يكفي أن تقوم به طائفة من الجماعة. قال تعالى ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران: 104).

يقول ابن كثير: "والمقصود من الآية أن تكون فرقة من هذه الأمة متصدية لهذا الشأن وإن كان ذلك واجباً على كل فرد من الأمة بحسبه"⁽¹⁾.

والدعوة إلى الله يؤديها كل فرد بما استطاع، فمن كانت مقدرته في الدعوة الجماعية مارسها، ومن انحصرت إمكانياته في الدعوة الفردية سقط الواجب عنه بفعلها، وهكذا يتدرج التكليف حتى يصل إلى الابتسامة، أو ما دونها؛ لتمثل إسقاطاً للواجب العيني في الدعوة إلى الله تعالى، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ (سورة الطلاق: من الآية 7).

ويمكننا تسليط الضوء على واجب الدعوة من خلال النقطتين الآتيتين:

1- جهاد الطلب لأجل الدعوة:

إن جهاد الطلب لم يكن إلا لأجل نشر دعوة الله، ولو أتتحت فرصة نشرها بالحسن لما جاز لنا أن نقاتل الناس، إن مهمة الجيش الإسلامي في جهاد الطلب أن يحرر الناس من عبوديتهم

(1) مختصر تفسير ابن كثير، مرجع سابق، ج1، ص306.

القهرية للطواغيت والجبابة، ويمنحهم فرصة اختيار ما يريدون من دين، قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ (البقرة: من الآية 256).

فالآية الكريمة صريحة في دعوتها لنا بأن لا نكره أحداً على الدخول في دين الإسلام؛ لأنه بيّن واضح، جليّ في دلائله وبراهينه، لا يحتاج إلى أن يُكره أحد على الدخول فيه، بل من شرح الله صدره للإسلام دخل فيه على بصيرة، ومن ختم على سمعه وبصره؛ فإنه لا يفيد الدخول في الدين مكرهاً⁽¹⁾.

2- الدعوة في كل الظروف:

إن مما ينبغي على كل مسلم أن يدركه، أن الدعوة إلى الله تعالى هي مهمته الأساسية، فإذا كان في وظيفته، كان الموظف الداعية، وإن كان في جهاده، كان المجاهد الداعية، وإن كان في سفره، كان المسافر الداعية، وإذا كان في أهله ومجتمعه كان الداعية الداعية، وإذا كان القائد كانت المسؤولية أكبر وأصبح القائد الداعية... وهكذا.

مما يؤكد أن نشر الدعوة من أهم واجبات القيادة:

إن الرسول ﷺ لم يكن يستقر به المقام في المدينة بعد صلح الحديبية، حتى كتب إلى الحكام في أقطارهم المختلفة يدعوهم إلى الله تعالى، ويرغبهم في الدخول في الإسلام؛ فكتب إلى قيصر ملك الروم، وإلى المقوقس صاحب مصر، وإلى النجاشي ملك الحبشة، وإلى كسرى ملك الفرس، وإلى هوزة بن علي صاحب اليمامة، وإلى الحارث بن أبي أشمر الغساني صاحب دمشق، وإلى آخرين⁽²⁾.

الفرع الثالث/ تحمل المسؤولية:

على القائد أن يدرك جيداً حجم المسؤولية الملقاة على كاهله، وأن يتحملها، ويقوم عليها، ويكون على قدرها.

قال تعالى: ﴿وَقَفُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ (الصافات: 24). فالله تعالى يسأل كل راع عما استرعاه؛ أحفظ أم ضيع، وهذا عمر بن عبدالعزيز لم يكن في زمانه من هو أكثر منه تزيناً وتعطراً، لكنه

(1) مختصر تفسير ابن كثير، مرجع سابق، ج1، ص 231.

(2) الرحيق المختوم، مرجع سابق، ص 392-405.

حينما تولى الخلافة، لم يُعد يبالي بشيء من هذا، وانشغل بأمانته، وقام على مسؤوليته، حتى شحبت لونه، واخشوشن جلده، ونحل جسمه⁽¹⁾.

وفي الحديث الصحيح عن عبدالله بن عمر قال: قال النبي ﷺ: "كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته..."⁽²⁾. ففي الحديث دعوة إلى القيام بواجب المسؤولية أيًا كانت، وذلك لأن المرء موقوف بين يدي الله، ومحاسب ومسئول أمام الله تعالى عن قيادته.

ومن هنا فعلى القائد تحمل جميع مسؤولياته التي يملئها عليه موقعه الذي فيه، من اتخاذ القرار، وتحمل تبعات القرار، وكذلك تحمل مسؤوليته في جميع الأزمات التي تقع في دائرة قيادته.

الفرع الرابع/ المحافظة على أرواح الجند:

إن من أهم واجبات القائد العسكري المحافظة على أرواح جنده، وتأمين أسباب السلامة لهم، وحمائتهم بالقدر المستطاع، والقائد الذي يفرط في جنده لا يستحق أن يكون قائداً، ويوشك أن ينهزم وينهار، وأما القائد الذي يعتني بجنده ويحافظ على أرواحهم يستطيع أن يحقق ما يريد بأقل الخسائر، وبأسرع وقت؛ لأنه يكون بذلك قد حاز على ثقة جنده، فإذا تولدت الثقة أخلص الجند في عملهم⁽³⁾.

ويمكننا توضيح طبيعة المحافظة على أرواح الجند من خلال النقطتين التاليتين:

1- حرص النبي ﷺ وصحابته على أرواح الجند:

إن المنتبِع لسيرته ﷺ وقيادته لجيوشه، يتأكد له هذا المبدأ بشكل كبير جداً، ونلاحظ ذلك في الشواهد التالية:

أ- وضعه ﷺ الحراسة على جبل أحد، وتأكيد عليه بعدم مغادرة مواقعهم مهما كانت الظروف⁽⁴⁾.

ب- وكذلك في غزوة ذات الرقاع حيث خشي الرسول ﷺ أن يهاجمه بنو غطفان وندب للحراسة فاستجاب لدعوته ﷺ عمار بن ياسر، وعبادة بن بشر وتناوبا معاً الحراسة⁽⁵⁾.

والأمثلة على ذلك متعددة وكثيرة في حياته ﷺ، وأبو بكر ﷺ كان يحرص على جنوده
2- دقة التخطيط، حفاظ على الجند:

(1) صور من حياة التابعين، د. عبدالرحمن الباشا، ص80، دار الأدب الإسلامي، ط15، 1997-1418هـ.

(2) صحيح: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب (قوا أنفسكم وأهليكم نارا) باب (82)، ح5188، ص926.

(3) فن القيادة في الإسلام، مرجع سابق، ص198.

(4) الرحيق المختوم، مرجع سابق، ص284.

(5) الرحيق المختوم، مرجع سابق، ص428.

يندرج ضمن المحافظة على أرواح الجند، أن لا يغامر القائد بهم في مهمة غير مدروسة جيداً، أو حتى يأذن لبعض جنده للمغامرة في مسائل غير مأمونة النتائج. لذا فإن القائد الذي لا يضع الخطة المحكمة لأجل إنجاز مهمة جنده، فهو مستهتر بأرواحهم، ولا يحرص على سلامتهم. بل لا بد من أن يتعدى الأمر من وضع الخطة إلى النزول إلى الميدان، فيساهم القائد في تحديد أماكن النزول، وأوقات التحرك، ومحاور التقدم.. الخ.

الفرع الخامس / تأهيل الجند وتطويرهم:

ومن واجبات القائد كذلك، أن يتواصل مع جنده تأهيلاً وتطويراً، ويسعى بهم دوماً نحو أفضل مستوى ممكن، ولنعلم أن مهارة الجندي إن لم تنمى خبت وضعفت. قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ مِرْيَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِمُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ (الأنفال:60). وتأهيل الجند، والارتقاء بمستواهم القتالي من أوجه الإعداد. وفي الحديث عن عقبة بن عامر أنه سمع النبي ﷺ يقول: "من علم الرمي ثم تركه، فليس منا، أو قد عصي"⁽¹⁾.

فقد تضمن الحديث تشديداً، وتحذيراً من ترك الرمي؛ لأن الترك يعني اضمحلال المهارة وفقدانها، وعليه فهي دعوة ضمنية إلى مواصلة الممارسة والتدريب والتطوير. وأرى أن تطوير الجند لا يقف عند الجانب العسكري بل يتعداه إلى الجانب الإيماني، فمن واجبات القائد أن يرتقي بالمستوى الإيماني لدى الجند، وذلك من خلال تخولهم بالمواعظ، والكلمات الرقيقة، وندبهم للقيام، والصيام، والذكر، والدعاء، وتنظيم الأنشطة الإيمانية الخاصة بهم، وليكن القائد دوماً إمامهم في ذلك.

الفرع السادس / وضع كل إنسان في الموضع الذي يناسبه:

ومن واجب القائد أيضاً أن يضع كل إنسان في موضعه الذي هو أنسب له، فإذا اختل هذا الميزان فعلينا أن ننتظر الهلاك للجيش، أو المؤسسة التي يُسند فيها الأمر لغير أهله، ويكون هذا

(1) صحيح: أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب (الإمارة) باب (فضل الرمي والحث عليه)، ح1917، ص1026.

القائد خائناً لله، ولرسوله، ولكل المسلمين، ووضع الشيء في موضعه من أرقى أنواع الأمانة التي سبق الحديث عنها، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (الأنفال:27).

قد نهتنا الآية بصريح ألفاظها عن خيانة الأمانة؛ إذ إن في ذلك الهلاك والضياع، فقد أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إِذَا ضَيَعَتِ الْأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ" قال: كيف إضاعتها يا رسول الله؟ قال: "إِذَا أَسْنَدَ الْأَمْرَ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ"⁽¹⁾.
وإذا كان ضياع الأمانة يشير إلى قرب القيامة والنهاية للعالم، فإن إسناد الأمر لغير أهله في أي مؤسسة يعني قرب قيامة هذه المؤسسة.
فلا يولى الجبان قيادة الكتيبة، ولا يولى الخائن مخازن التموين، وهكذا يوضع كل إنسان في مكانه الأنسب له.

المطلب الثاني: حقوق القائد.

أتناول في هذا المطلب حقوق القائد، ويمكن تحديدها في الفروع الثلاثة التالية:

الفرع الأول: الطاعة.

الفرع الثاني: المساندة والمناصرة.

الفرع الثالث: النصح والتسديد.

الفرع الأول / الطاعة:

وهي من أبرز حقوق القائد على جنده، وقد سبق أن تناولناها بشكل مفصل في مسألة واجبات الجندي، ونذكرها هنا كحق للقائد على جنده، إذ إنه لا معنى للقيادة، أو الإمارة بلا طاعة. والطاعة واجبة على الجندي بدليل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (النساء:59). والقائد هو ولي الأمر للجندي، وبالتالي تجب طاعته ما لم يأمر بمعصية لنا عليها من الله برهان.

(1) صحيح: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب (الرقاق) باب (رفع الأمانة)، ح6496، ص1126.

والأحاديث في هذا الباب كثيرة جداً، نكتفي هنا بذكر حديث واحد للإيجاز وهو ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "اسمعوا وأطيعوا، وإن استعمل⁽¹⁾ عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبه"⁽²⁾.

لم يترك الحديث مجالاً لأحد، فالقائد له حق الطاعة، وإن كان عبداً زنجياً كأن رأسه زبيبة، لصغر رأسه وسواده. صاحب حق الطاعة:

إن صاحب حق الطاعة هو خليفة المسلمين وإمامهم الذي تسلم السلطة بطريق شرعي، أو من ينوب عنه في متابعة أعماله المختلفة، أو من يُعينهم الإمام لمتابعة مهام معينة⁽³⁾. وختاماً.. فإن مدرسة الطاعة تعني أن يتكون جيشٌ من الأبطال والصناديد، يسرون بنفس راضية وفق إشارة قائدهم، مع تمام إدراكهم لمهمتهم، يسقطون اعتباراتهم الشخصية أمام الموقف العام، فيظهرون وكأنهم شخص واحد.

الفرع الثاني/ المساندة والمناصرة:

إن عبء القيادة تكاد من ثقله أن تخرّ الجبال هدّاً، والقيادة مسئولية عظيمة، وأمانة كبيرة، وإن القائد إذا لم يجد حوله من الأعوان والأبطال فلن يستطيع أن ينفذ خطته، ويطبق برامجه، ومن هنا كان له الحق في المساندة، والمناصرة ما دام يقود بأوامر الله، ويحكم بكتاب الله، ويقود إلى الخير، ويهدي إلى الرشاد.

إن مساندة مثل هذا الأمير السائر على طريق الخير يعني نصره للحق، ومؤازرة للخير؛ إذ إن نصره الحق تتحقق بمساندة أهله، ومشاركة دعائه.

والنصوص القرآنية التي تؤكد حق النصر للقيادة كثيرة ومتعددة، أكتفي في هذا المقام

بثلاثة نصوص:

1- قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَمِرْقٌ كَرِيمٌ﴾ (الأنفال: 74).

فقد حصر الإيمان عند تلك الفئة التي آمنت، وهاجرت نصره لصاحب الدعوة الحق، أو

(1) استعمل: أي جعل أميراً وعملاً عليكم.

(2) صحيح: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب (الأحكام) باب (السمع والطاعة للإمام ..)، ح7142، ص1229.

(3) الجهاد والقتال في السياسة الشرعية، مرجع سابق، ج2، ص1099.

تلك الفئة التي آمنت، ونصرت بأرضها ومالها؛ الإمام الأول لهذه الدعوة ، ثم وعدهم مغفرة منه ورزق كريم⁽¹⁾.

وعليه نفهم أن نفي الإيمان الحق عن من آمن ولم ينصر بالهجرة، أو الإيواء، يعني أن النصره واجبة على الأتباع والجنود لأمرهم وهي ذات الوقت حق له.

2- قال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الأعراف: من الآية157).

فقد بين الله جل وعلا في الآية الكريمة أن طريق النجاة والفلاح، إنما تكون بالاتباع والنصرة، لصاحب دعوة الإيمان والخير⁽²⁾.

إن الإيمان وحده لم يكن كافياً للفلاح والنجاة؛ لأن الإيمان الحقيقي هو ما وقر في القلب وصدقه العمل؛ والعمل لصاحب الإيمان بالفكرة هو نصرة أهلها، وتعزيز قوتها، وإقامة كيانها.

3- قال تعالى ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (الحشر:8).

بينت الآية أن الصادق في إيمانه، من ينصر الله ورسوله، وبيئتي بذلك فضلاً من الله ورضواناً، وإن من أشكال نصرة الله؛ أن تنصر دعوته، وتتاصر أوليائه العاملين لنشر دينه، وبذلك لا يتحقق الصدق في الإيمان بعيداً عن نصرة دعائه. درجات المناصرة:

إن المناصرة درجات ومراتب، فبعض المسلمين يطبق أعلى مراتبها، وبعضهم يطبق أوسط مراتبها، والبعض الآخر لا يطبق إلا أدنى مراتبها، ويمكن تلخيص درجات المناصرة في النقاط الثلاث التالية:

أ- المناصرة بالنفس والمال والسنان. ب- المناصرة بالقول واللسان.

ج- المناصرة بالقلب والوجدان.

أ- المناصرة بالنفس والمال والسنان:

وأعني بها المشاركة الفعلية بما امتلك المرء من قدرة ومال؛ وذلك استجابة للصفقة الربانية المعروضة في سورة التوبة، حيث قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعُودًا عَلَيْهِمْ حَفًّا فِي التَّوَمَّةِ وَالْأَنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا

(1) تفسير الطبري، مرجع سابق، ج4، ص70.

(2) تفسير الطبري، مرجع سابق، ج3، ص509.

بِيعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿التوبة: 111﴾.

وكذلك سعياً نحو الفلاح الذي وُعد به من ناصر بنفسه وماله، حيث قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ مَا تُكْفِرُونَ ۗ لَقَدْ جَاءتْكُمْ آيَاتُهُ لَعَلَّكُمْ أَتَّعِفُونَ﴾ (الحجرات: 15).

فأعلى مراتب النصر، النصر بالنفس والمال، وقد وصف الله تعالى أهل هذا النوع من النصر بأنهم الصادقون كما بينت الآية في ذيلها.

وقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُجِيبُكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (الصف: 10-11).

فالآية بينت أن التجارة بالنفس والمال تأتي في المرتبة الأولى، لكن من المسلمين من يشارك فتتخصص مشاركته بنفسه لسبب، أو لآخر، ومنهم من تتخصص مشاركته بماله، لسبب، أو لآخر، فهذه المشاركة هي من أعلى درجات النصر، لكنها تأتي في المرتبة الثانية بعد النفس والمال معاً. وبهذا تكون المراتب:

المرتبة الأولى: المشاركة بالنفس والمال معاً.

المرتبة الثانية: المشاركة بالنفس فقط.

المرتبة الثالثة: المشاركة بالمال فقط.

ب - المناصرة بالقول واللسان:

إن هذا اللون من المناصرة يقف عند حدود الدعم القولي والكلامي، ولا يتعدى إلى المشاركة كما في الدرجة الأولى.

وهذه الدرجة من المناصرة تطلب من المسلم إذا عجز عن المناصرة بالمشاركة الفعلية، أو المالية، لسبب أو آخر.

وهكذا يكون رديفاً لهذه القيادة بلسانه وقوله؛ يقارب ويسدد، ويدعم ويُنظر، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (الأحزاب: 70).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (الأحزاب: 70).

ج - المناصرة بالقلب والوجدان:

قد يصل المسلم إلى مرحلة لا يقوى معها على أي شكل من أشكال المناصرة السابقة، عندها يُكتفى منه بالمناصرة القلبية، والدعوة في ظهر الغيب، والنصيحة والمواساة.

وأقصى ما يصاب به المرء في حياته تخلي إخوانه عنه في وقت عصيب، إذ إن النصره المؤازرة فيه تفعل مالا يفعله السيف، فما ظنك إن كانت كلمة مواساة.

الفرع الثالث/ النصح والتسديد:

ما أروع النصيحة للقائد عندما تخرج من قلب محب، وفؤاد حريص، فهو أكثر الناس حاجة إلى هذه النصيحة، التي ترسم له الصورة التي لا يراها؛ فالقائد وهو في غمرة أعماله ومشاغلة قد تفوته بعض اللطائف والدقائق، يظن أن لا أثر لها على الأرض، في الوقت الذي يكون أثرها في نفوس رعيته كبيراً، فهو في هذه الحالة يحتاج إلى نصح وتذكير؛ ليستدرك ما فاتته، فأى مرآة أعظم من مرآة المسلم لأخيه المسلم.

وكم كانت النصيحة نافعة لنبي الله موسى عليه السلام من رجل مغمور جاءه يسعى من أقصى المدينة، قال تعالى: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لَيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ (القصص: 20).

إن نصيحة الرجل المغمور الذي لم تذكر الآية اسمه كانت سبباً بعد إذن الله في نجاة نبي الله موسى عليه السلام.

فالنصيحة تعني أن يرى القائد بأعين جميع جنده ومعاونيه ومناصريه، وعندها يستطيع أن يقترب بدرجة كبيرة من القيادة المثالية؛ التي تلبي حاجات رعيته.

ومن هنا ندرك معنى أن يجعل النبي صلى الله عليه وسلم النصيحة وكأنها الدين كله، فعن تميم الداري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "الدين النصيحة" قلنا: لمن؟ قال: "الله ولكتابه، ولسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم" (1).

لولا مكانة النصيحة وأهميتها لما صورها النبي صلى الله عليه وسلم على أنها الدين كله، وقد عدّ ضمن من تجب لهم النصيحة أئمة المسلمين، ومن هنا توجب على الجند أن يؤدوا واجبهم تجاه قائدهم بنصحه.

ولأهمية النصيحة فقد كان المؤمنون في الصدر الأول يبايعون النبي صلى الله عليه وسلم عليها فعن جرير بن عبدالله رضي الله عنه قال: بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على: إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم (2).

(1) صحيح: أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب (الإيمان) باب (بيان الدعوة النصيحة)، ح55، ص53.

(2) صحيح: أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب (الإيمان) باب (بيان الدعوة النصيحة)، ح56، ص53.

بل إن الخيرية التي حازتها الأمة المسلمة لم تكن إلا بسبب بذلها النصيحة، وعدم قبولها بالضميم والفساد، قال تعالى: ﴿كُتِبَ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَهُمْ مُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (آل عمران: من الآية 110).

فإذا كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للناس كافة واجب على المسلمين، فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على المستوى الداخلي أكثر وجوباً؛ لأن الخلل إن حل بالقيادة كان أكثر خطراً على الأمة وصدق الشاعر إذ يقول:

يا معشرَ القراءِ يا ملحَ البلدِ ما يصلحُ الملحَ إذا الملحُ فسد؟!!

وختاماً.. فإن النصيحة حق من حقوق القيادة؛ فعلى الجند والرعية أن يبذلوها؛ إحقاقاً للحق، وإنصافاً للناس، ورفعاً للحرج، وأخذاً بيد القيادة نحو صورة مثالية ناصعة.

المبحث الثالث:

نموذج لقائد وجندي قدمهما لنا القرآن الكريم

أتناول بإذن الله تعالى في هذا المبحث قصة طالوت وجالوت، وما تضمنته من الحديث عن داود الجندي وعن طالوت القائد، التي سجلتها سورة البقرة، بحيث يتم استخلاص الفوائد العسكرية منها، والله الموفق.

قال تعالى: ﴿لَمَّا تَرَى إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لَنَبِيِّ لَهُمْ ائْتِنَا مَلِكًا نَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أَخْرَجَنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاؤُنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلِكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكُفِّرُوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ وَلَكُلِّ فِئَةٍ قَلِيلٌ فَلَمَّا خَلَّصْتُمُ الْيَمِينَ قَالَ إِنِ اللَّهُ مُتَّبِعِكُمْ فَتَبِعُونِي فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهَ كَرُمٌ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٨﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ صَبْرًا وَتَبَّتْ أَقْدَامُنَا وَأَنْصَرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥٠﴾ (البقرة: 246-251).

إن القرآن العظيم قدم لنا نماذج رائعة في ميادين مختلفة، وجوانب متعددة، نقف في هذا المبحث على أحد هذه النماذج، ألا وهو طالوت، الذي قدم لنا مثلاً رائعاً في القيادة العسكرية الناجحة، وفي صفات القائد العسكري، وكذلك قد تضمنت القصة نموذجاً رائعاً لجندي مغمور صغير، استطاع بشجاعته أن يحسم المعركة لصالح أهله.

* وقفات مع آيات قصة طالوت:

حيث أتناول فيما يلي تحليلاً لبعض ما تضمنته الآية من الإشارات المفيدة في باب القيادة والجندي إن شاء الله تعالى.

- الوقفة الأولى/ واجب القيادة:

قال تعالى: ﴿لَمَّا تَرَى إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾ (البقرة: من الآية 246).

إن الاقتراح المقدم إلى نبي الله الذي لم تذكر الآية اسمه⁽¹⁾ كان من قبيل الملائكة من بني إسرائيل وفي هذا إشارة إلى دور المجالس الشورية، والقيادية، والإدارية في تحسس هموم الرعية، والسعي الحثيث لأجل راحتهم، وتوفير الحياة الكريمة لهم، وما ينبغي لمن توكّل له مهمة قيادية أن يغفل عن دوره مهما كانت الظروف.

نستفيد هذا من كلمة " الملائكة " فالملأ هم أشرف الناس الذين امتلأوا مما يحتاج الناس إليه⁽²⁾.

- الوقفة الثانية/ القائد أولاً:

﴿إِذْ قَالُوا لَنَبِيِّ لَهُمْ أبعثْ لَنَا مَلِكًا نَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (البقرة: من الآية 246).

قد تضمنت الآية أمراً لا يتحقق العمل بدونه، ولا يتم إلا به، وهو الاصطفاف خلف قائد ورئيس، والجهاد من أبرز الأعمال الجماعية، وعليه فقد جاء طلب الملائكة من نبيهم بأن يختار لهم ملكاً يقودهم في حربهم ضد المعتدين والظالمين، وأكدت الآيات أن القتال تحت لواء هذا الأمير لا يعني بحال أي تأثير على النية الأصلية؛ وهي القتال في سبيل الله تعالى، فنحن نقاتل ونعمل مع القيادة في سبيل الله، وابتغاء رضوانه.

-الوقفة الثالثة/ التذكير بالمعاني الأصلية:

﴿أبعثْ لَنَا مَلِكًا نَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (البقرة: من الآية 246).

قد تضمنت الآية ضرورة التذكير بالمعاني الأساسية الأصلية؛ كي تبقى راسخة في النفس فلا تنسى مع زحمة الأحداث والمهام، وتعاقب الأزمنة والأيام، وهذا لا يعني بحال من الأحوال الإشارة إلى ضعف المعاني الأصلية والأساسية عند من يتم تذكيرهم بذلك، ولكن تُذكر لتبقى حالة الصلة معها قائمة، ومن هنا جاء قول الملائكة ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، رغم أن هذه المسألة في عرف المؤمنين من البديهيات والمسلمات، وقد تكرر ذلك بعد أقل من سطر حيث ذكروا ذلك مرة أخرى، فقال الله تعالى على لسانهم: ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا﴾ (البقرة: من الآية 246).

- الوقفة الرابعة/ التنصير بالعواقب:

﴿قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا﴾ (البقرة: من الآية 246).

(1) قيل هو أشمويل بن بالي بن علقمة بن يرخام بن اليهو بن تهو بن صوف بن علقمة بن ماحث بن عموصا بن عزريا، (قصص الأنبياء لابن كثير، ص 413).

(2) الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ج 2، ص 206.

قد كان نبي بني اسرائيل فطناً ذكياً، لذا خشي أن يكون هذا الكلام الذي ذكره الملائكة هو
إلا نتيجة انفعالات وتأثيرات لما يعانونه من ذل على يد العمالقة الجبارين فيصرهم بالعواقب، وما
يمكن أن يحدث لو كُتِبَ عليهم القتال، وفي ذلك إشارة إلى ضرورة التذكير بعواقب الأمور، لا
سيما عند من يعيش حالة من الضغط.

- الوقفة الخامسة/ اختبار القول:

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ (البقرة: من الآية 246).

إن القيادة الحكيمة هي التي تقطع الشك باليقين، وتختبر القول بالعمل، وإن كثيراً من
الناس والأفراد يُشبعونك حديثاً وقولاً، فإذا ما طُلبَ من هؤلاء تطبيق ما يرسمون في خيالاتهم
على الأرض، تولوا إلا قليلاً منهم وهم معرضون.

و مثل هذا القرار يقطع على المتفلسفين رحلتهم الخيالية، ويجعلهم لا يعودون لمثله أبداً،
أو يظهر هذا المحك صدق نيتهم، وقوة فكرتهم، وصحة قولتهم، وعندها نكون قد ظفرنا بهذا
الخير ووجهناه إلى حيث ينفع.

ومن هنا فعلى القيادة ألا تبقى أصحاب النظريات دون اختبار، وإلا أحدثوا بلبلة وفوضى
في المجتمع، أو في الصف على الأقل.

- الوقفة السادسة/ أخذ الفكرة لا الشخص:

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ﴾

(البقرة: من الآية 247).

إن الفكرة التي تقدم بها الملائكة كانت رائعة ومناسبة، وكان طمع الملائكة أن يوكل لأحدهم
منصب من يقوم عليها، لكن الحكمة القيادية رأت أن تأخذ الفكرة وتختار الأكفأ لتطبيقها، فإن
صحت نية هؤلاء المقترحين، عملوا مع من تم اختياره لإنجاحها، وتحقيقها على الأرض، وإن
كانت ثمت مآرب شخصية، وأعراض دنيوية؛ رأيتهم ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت.
وعليه فالحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها، ولا يمنعنا أن نأخذ بهذه
الفكرة أنها خرجت من وعاء رُغب عنه.

إن الأخذ بالفكرة دون الشخص يحقق أهدافاً كبيرة والتي منها:

- 1- إظهار مدى المصداقية لدى المقترح، إذ إن المخلص يعنيه تحقيق الفكرة، ولا يعنيه على يد من
تتحقق لا سيما أنه صاحب الفضل فيها، والدال على الخير كفاعله.
- 2- إن الأخذ بالفكرة الصالحة يجعل الأمر يسقط في أيدي أصحاب الأغراض العدائية، الذين
يتسربلون بسربال الحرص، والمصلحة، وما شابه ذلك.

3- تشجيع كل صاحب فكرة على تقديمها، إذ إننا نجد من المخلصين الذين تحترق قلوبهم خوفاً على أمتهم ووطنهم الكثير، هؤلاء الذين يمتثلون أفكاراً ومشاريع لكنهم لا يستطيعون تولي مهمة تنفيذها، فإذا وجدوا من يُصغي لهم دون أن يُكلفهم تنفيذها، بادروا بتقديمها.

ويبقى أن أشير في النهاية إلا أن صاحب الفكرة دائماً يكون أكثر الناس فهماً لها، وأحياناً الأكثر قدرة على تطبيقها، ومن هنا يحبز أن يكون قريباً من القائد ليشارك معه في تنفيذ الفكرة.

- الوقفة السابعة/ المال ليس معياراً في التقديم والتأخير للقيادة:

﴿وَلَمْ يُؤْتِ سَعَةً مِنَ الْمَالِ﴾ (البقرة: من الآية 247).

فقد تقدم الملاً من بني اسرائيل بطعن في أهلية طالوت للقيادة، بأنه ليس من أهل المال، إلا أنه لم يُلتفت إلى هذا الطعن، ولم يُرد عليه، بل مضى القرآن الكريم في بيان مقومات القيادة العسكرية، وبناءً عليه لا ينبغي للمال أن يُدرج ضمن مؤهلات القيادة، والله وأعلم.

- الوقفة الثامنة/ مقومات القيادة العسكرية:

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَرَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ (البقرة: من الآية 247).

قد اصطفى الله تبارك وتعالى طالوت الفقير المغمور ليكون ملكاً على بني اسرائيل، ويتولى قيادتهم في الحرب، وبين الله تبارك وتعالى تعليل اصطفاؤه؛ وهو ما لخصه جل وعلا في نقطتين جامعتين:

الأولى: البسطة في العلم: ويقصد بها سعة العلم في المجال الذي سيتولى فيه القيادة، والتي يشار إليها في زماننا بالتخصص، والقوة المهنية التي تساعد على التدبير.

الثانية: القوة في الجسم: فقوة الجسم في الحروب خير معين، وهي التي تمنحه المهابة والوقار، وهي مقومة للشجاعة، وأرض للفكرة الصحيحة، على قاعدة العقل السليم في الجسم السليم.

وصدق الشاعر يوم أن قال معدداً صفات الجدير بالاختيار للقيادة:

فقلّدوا أمركم الله دركمـــــو رحب الذراع بأمر الحرب مضطلعاً

لا مترفاً، إن رحاء العيش ساعده ولا إذا عَضَ مكروه به خشعاً⁽¹⁾.

وقد جاء في كتاب قصص القرآن عن صفة طالوت ما نصه: "وكان طالوت رجلاً بادناً⁽²⁾، فارعاً⁽³⁾، وافي التقطيع⁽¹⁾، شديد الأسر⁽²⁾، له عينان يلمح الناظر إليه أن وراءهما قلباً ذكياً، وجناناً فتياً، ولكنه لم يكن رجلاً بعيد الصيت، أو معروف الذكر"⁽³⁾.

(1) تفسير المنار، مرجع سابق، جـ2، ص399.

(2) البادن: الجسيم.

(3) الفارع: الطويل المرتفع.

- الوقفة التاسعة/ الله الأمر:

قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلِكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: من الآية 247).

فالأمر في كل المسائل لله، يؤتي ملكه من يشاء، وينزع ملكه ممن يشاء، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير.

قال تعالى: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَدْعُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥٤﴾ بَنَصْرٍ اللَّهُ يَنْصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (الروم: 4-5).

فإذا جاء قضاء الله في أمر ما فما على المرء إلا أن يسلم ويرضى بما كتب الله ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَالًّا مُّبِينًا﴾ (الأحزاب: 36).

فإذا رضي المسلم وسلم فسيجد في طريقه هذه أفضل، وأحسن مما كان يريد لأن الله هو البصير بالعباد، والعالم بما يصلح لهم، قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ لِمَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (الملك: 14).

- الوقفة العاشرة/ إنهاء الريب قبل المواجهة:

قال تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (البقرة: 248).

إن المواجهة تحتاج إلى كل جهد، وكل فرد من أفراد الرعية، بل لكل نفس من أنفاسهم؛ لأن المواجهة تعني خسارة أو فوز، ولا يوجد فيها حلول وسط غالباً، وعليه فلا بد للقائد أن يقطع دابر كل ريب باليقين، وكل فوضى بالحسم، وكل ظلم بالعدل؛ ليتحرك إلى عدوه ومعه كل أجناده على أتقى قلب جندي منهم، ومن خلفهم الألسنة تلهج بالدعاء، والأفئدة تخشع لرب الأرض والسماء، بل أنفاس الأطفال، والشيوخ، والبهائم تحمل لهم أمنية النصر، وبهذا يمكن لنا أن نحوز الغلبة.

لذا فقد حرص نبي الله لئلا يترك من بعد موسى المذكور في الآيات، على إنهاء الفوضى والبلبلة التي عمت، وقطع الريب والشك الذي تسلل إلى النفوس، بالدليل واليقين الكامل، وأكرمه الله بدليل على صدق اختياره لطالوت، فأنزل الملائكة تحمل التابوت الذي سلب منهم من

(1) وفي التقطيع: ضخم القامة.

(2) شديد الأسر: قوي النبوة.

(3) قصص القرآن، محمد أحمد جاد المولى، ص150، دار الكتب العلمية.

قبل فيه سكينه من الله لهم، وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون، فما كان أمام هؤلاء من خيار سوى التسليم الكامل بملك طالوت.

من هنا فعلى القائد قطع دابر أي شك، أو ريب قبل المواجهة.

- الوقفة الحادية عشرة/ الاختبارات القبلية(1):

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ

مِنِّي﴾ (البقرة: من الآية 249).

الجميع يستطيع القول، لكن المواقف هي التي تميز صاحب القول الصادق من غيره، والمعركة والمواجهة لا مجال فيها للتجربة؛ فالأمر يتعلق به بقاء، أو فناء، لذا كان واجباً على القائد الناجح أن يختبر قدرات جنده، ومصداقيتهم للمواجهة قبل وقوعها، وبذلك يستطيع الحركة على نور وبصيرة، ويضع خطته وفقاً لمعطيات هذا الاختبار القبلي.

هذا بالتحديد ما صنعه القائد المختار طالوت مع جيشه، عند اختبارهم بالنهي عن الشرب من النهر في ظل العطش الشديد إلا غرفة باليد، إنه اختبار صعب لكن لا بد منه، إذ إنه يقود جيشاً من أمة مغلوبة، عرفت الهزيمة والذل في تاريخها، مرة بعد مرة، وهو يواجه جيش أمة غالبية، فلا بد إذن من قوة كامنة في ضمير الجيش تقف به أمام القوة الظاهرة الغالبة، وهذه القوة الكامنة لا تكون إلا في الإرادة، تلك التي تضبط الشهوات والنزوات، وتصمد للحرمان والمشاق، وتستعلي على الضرورات والحاجات، وتؤثر الطاعة، وتحتمل تكاليفها، وبالفعل وقع ما كان يخشاه

طالوت: ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾ (البقرة: من الآية 249). (2)

- الوقفة الثانية عشرة/ لا تصحبوا الخبال(3):

قال تعالى: ﴿فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ (البقرة: من الآية 249).

إن الخبال الضعيف المتعلق بالدنيا إذا خرج مع الجيش المقاتل؛ فإن ضره على الجيش أقرب من نفعه، فلن يصنع أكثر من أن يُذكر بالدنيا، ويُعدّد مخاوف الموقف، ويدعو بالسلامة، وإذا ما بدت المواجهة تنشر الهلع والرعب في قلوب الجنود، وفتح لهم باب الهرب، لذا فإن ترك هؤلاء أولى من اصطحابهم، قال تعالى: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَكَأُوضَعُوا خِلالَكُمْ

يَعُونُكُمْ فَالْمُنَّةَ وَفِيكُمْ سَمَاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلَيْهِمُ بِالظَّالِمِينَ﴾ (التوبة: 47).

(1) الاختبارات القبلية: أي الاختبارات السابقة.

(2) في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج1، ص268.

(3) الخبال: هو الذي ينشر الأراجيف والفساد، (الجامع لأحكام القرآن، ج4، ص491).

فقد تضمنت الآية الكريمة تعزية للمؤمنين في تخلف المنافقين، وبيان الفائدة من تخلفهم، وخطورة خروجهم في الجيش، إذ إنهم ينشرون الأراجيف، ويتحركون بينكم بالنميمة والفساد، وفيكم من يستمع لقولهم المثبط الخبيث، أو فيكم من يسمع أخباركم وينقل لهم⁽¹⁾، لذا فإن ترك هؤلاء أولى من اصطحابهم.

- الوقفة الثالثة عشرة/ مراعاة الواقعية:

قال تعالى: ﴿إِلاَّ مَنْ اعْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾ (البقرة: من الآية 249).

في ذات الوقت الذي يسعى القائد إلى تنقية جيشه من الضعفاء، عليه أن يكون واقعياً، ولا ينسى أن هؤلاء الجند بشرأ، بحاجة إلى أسباب البقاء والحياة، لذا فإن حرمانهم من الماء مطلقاً يعني تعريضهم للهلاك، وهنا ظهرت حنكة القائد المختار فقال ﴿إِلاَّ مَنْ اعْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾.

تلك التي تقي من الهلاك، وتبل الظمأ، ولكنها لا تشير بالرغبة في التخلف.

- الوقفة الرابعة عشرة/ جنود مدرسة الإيمان، لا يعرفون الخذلان:

قال تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُوا اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ

الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة: من الآية 249).

في تلك اللحظات التي تخلى فيها أصحاب النفوس الضعيفة عن قيادتهم، كان الموقف النبيل لأهل الإيمان، الذين يوقنون أنهم ملاقوا الله، بالثبات وإعلان أن النصر بيد الله. وعليه فالفائدة التي نأخذها؛ أن يحرص القائد دوماً على المستوى الإيماني لجنده، فإذا كانت المواجهة لم يخذلوه.

- الوقفة الخامسة عشرة/ إن ينصركم الله فلا غالب لكم:

قال تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُوا اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ

الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة: من الآية 249).

إنه الميزان الجديد، الذي لا يدركه أهل المادة، وأصحاب النفوس الضعيفة، والهمم الوضيعة، فلا يدرك حقيقته إلا من صفت نفسه، وتعمق الإيمان واليقين في قلبه، لذا فقد جرى بهذه القاعدة لسان الفئة القليلة، تلك التي صبرت على العطش في سبيل الله، وغالبت الخوف يوم أن رأت جموع جالوت الطاغية، وطلبت الشهادة في سبيل الله، وأيقنت أن النصر من عند الله، ف جاء الإعلان: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (البقرة: من الآية 249).

(1) الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ج1، ص 491.

يقول الشهيد سيد قطب: " هذه هي القاعدة في حس الذين يوقنون أنهم ملاقوا الله. القاعدة: أن تكون الفئة المؤمنة قليلة؛ لأنها هي التي ترتقي الدرج الشاق حتى تنتهي إلى مرتبة الاصطفاء والاختيار، ولكنها تكون الغالبة؛ لأنها تتصل بمصدر القوي؛ ولأنها تمثل قوة الله الغالب على أمره، القاهر فوق عباده" (1).

فالنصر عند المؤمنين لا يتحقق بالمعايير الأرضية فقط، بل تتدخل فيه الإدارة السماوية، التي تحيل كل معايير أهل الأرض إلى أسباب، بل قد تتقلب القاعدة تماماً إذا شاعت إرادة الله، فيغلب الضعيفُ القوي، وما ذلك على الله بعزيز، وقد تواترت الآيات القرآنية التي تعضد ذلك ومنها:

1- قوله تعالى ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمنَ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (آل عمران: 160).

إذا تنزل النصر من عند الله، تحققت الغلبة للفئة المؤمنة مهما كانت قوتها.

2- قوله تعالى: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ (الأنفال: من الآية 10).

ففي الآية تأكيد واضح على أن مصدر النصر إنما يكون من عند الله تعالى.

3- قوله تعالى: ﴿فَهَزَمُوهُمْ بِأَذْنِ اللَّهِ﴾ (البقرة: من الآية 251).

فالأمر بيده، ونصر المؤمنين بيده، وهزيمة المجرمين بيده أيضاً، فهي القاعدة الثابتة تأتي ليزداد بها المؤمنون يقيناً، وتكشف لهم التصور الكامل لحقيقة ما يجري في هذا الكون، فالمؤمنون إذا هم ستار قدرته تعالى يفعل بهم ما يشاء، وليس لهم من الأمر شيء.

- الوقفة السادسة عشر/ الذكر والدعاء طريق الثبات والنصر:

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَسَرُواْ وَلَجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُواْ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَبَتِّتْ أقدامنا وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: 250).

قد صورت الآيات الكريمة الحالة التي كانت عليها الفئة القليلة المؤمنة من التضرع والدعاء، والذكر والرجاء، وهم يخوضون معركتهم مع العدو الظالم، وهذا ما أكدته آية الأنفال حيث قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الأنفال: 45).

فقد كلفنا الله تعالى إذا ما واجهنا عدونا أن نذكره جل وعلا؛ وذلك لأن أي أمر مهما كان جلاً يسقط أمام ذكر الله، واستحضار عظمته تعالى.

(1) في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج1، ص269.

لذا فعلى الجندي أن يبقى لسانه رطباً بذكر الله، وقلبه خافقاً من خشية الله جل وعلا.
- الوقفة السابعة عشرة/ داود المغمور، جندي مخلص:
قال تعالى: ﴿وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ﴾ (البقرة: من الآية 251).

إنه أروع مثال للجندي المقاتل، فداود عليه السلام لا يزال فتى، بل إن وجوده في الجيش لم يكن رسمياً، وإنما كان يصحب أخوة له، فلما برز جالوت يدعو للمناجزة عندما التقى الجمعان، خاف الجنود بطشه، وهابوا صولته، وهو يزداد غروراً بنفسه، واستخفافاً بالفئة القليلة المؤمنة، وما خرج إليه أحد إلا رده جريحاً، أو أرداه قتيلاً، ومع مرور الدقائق، يزداد الهلع، ويتعمق الخوف، ويعلمن طالوت عن جائزة من يقتل جالوت بأن يزوجه ابنته، ويجعل له الملك من بعده.

يا له من موقف هز كيان الفتى داود، وكبر عليه أن يرى عملاقاً كافراً يتحدى ويصول ويجول، فانطلق إلى طالوت وطلب منه الإذن بمبارزة جالوت فاستصغر طالوت شأنه، وخشي عليه بطش هذا الجبار، لكن داود مُصرٌ إصراراً كبيراً على الخروج له، ويُقدِّم لطالوت الأدلة والبراهين على قوته وقدرته، فلما رأى طالوت الصدق في لهجته، والعزم في نيته، قال له: دونك وما تريد، ثم ألبسه ثيابه، وقلده سيفه، لكن داود لم يتعود على هذه الثياب، فخلع ثياب الحرب، واحتمل عصاه، واحتقب مقلاعه، واصطحب أحجاراً ملساء، قيل أنها نادته وهو في طريقه للمعركة، وخرج له في عزم مضاء، وإيمان صادق، ولما رأى جالوت مبارزه غلاماً حديث السن، صغير الحجم، لا يحمل سيفاً، ولا يتكذب قوساً، هزئ به، واحتقر شأنه، وقال له: ما هذه العصا التي تحملها؟! أكلباً تطارده، أم غلاماً مثلك تتاجزه؟! أين سيفك وترسك؟ فقال داود: لك درعك وترسك، وسيفك ونشابك، أما أنا فإني أتيتك باسم الله، وسترى عما قريب، أهو السيف الذي يقتل، أم هي إرادة الله وقدرته.

وأخرج أحجاره ووضعها في المقلاع، وسدده نحو جالوت فإذا هو مشجوج الرأس، مثخن الجراح، ليسقط بعد ذلك صريعاً⁽¹⁾.

ولعل في قصة داود هذه ثلثة من الفوائد، أذكر منها:

1- إن بعض الجنود المغمورين قد يمتلكون مهارات مميزة تفيد في حسم المعركة، لذا كان لا بد من العمل على اكتشافها وتفعيلها.

(1) قصص القرآن، مرجع سابق، ص156.

2- لا بد للجندي من امتلاك بعض المهارات القتالية المميزة، وإن كانت أولية، فقد يكون في موقف لا يستطيع فيه استخدام المهارات السائدة، أو عجز عن استخدام سلاحه لسبب أو آخر.

3- العبرة ليست بالعمر والسن، ولكن بالفهم والقدرة والعلم.

4- التشجيع والتعزيز مهم عند الجند، واستخدامه محمود، وقد ثبت عن النبي ﷺ في الحديث

الذي يرويه أبو قتادة ؓ أنه قال يوم حنين: "من قتل قتيلًا له عليه بينه فله سلبه"⁽¹⁾.

وختاماً .. فإن قصة طالوت قد حوت بين طياتها مجامع الدرر العسكرية، وما أتيت عليه لا يمثل أمام الكل، إلا نقطة من بحر، والله المستعان.

(1) صحيح: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب (المغازي) باب (55)، ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم ح4321، ص730.

الفصل الرابع النظريات القرآنية في الخطط العسكرية وبرامجها

وفيه مبحثان:

المبحث الأول:

التخطيط الإداري، والمالي، وبرامج التسليح.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التخطيط الإداري.

المطلب الثاني: التخطيط المالي.

المطلب الثالث: برامج التسليح.

المبحث الثاني:

أصول الحرب كما يعرضها القرآن الكريم.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مبادئ الحرب العسكرية في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: الحرب النفسية والإعلامية في القرآن الكريم.

المطلب الثالث: مبادئ الحرب من خلال النظرية العسكرية في سورة العاديات.

الفصل الرابع:

" النظريات القرآنية في الخطط العسكرية وبرامجها "

حوى القرآن الكريم درراً مكنونة في النظرية العسكرية، لا سيما وأنه قد سجل بعض المعارك التاريخية، وإن مهمني في هذا الفصل الكشف عن شيء من هذه الدرر، وخاصة في مجال الخطط العسكرية وبرامجها، والحرب ومبادئها، والمعارك وأصولها، حيث يدور حديثي من خلال مبحثين:

المبحث الأول:

التخطيط الإداري، والمالي، وبرامج التسليح.

إن العمل الناجح لا بد وأن يُسقى بتخطيط جيد، والخطأ في المعارك لا يُقبل، لذا وجبت الدراسة السابقة، والتخطيط السالف، وتقدير العقبات، ووضع الاحتمالات، ثم رسم الخطط والتصورات في ضوء العلم والمعطيات، وعليه فإنني أتناول في هذا المبحث الحديث عن التخطيط الإداري وأهميته، وأقدم هيكلاً تنظيمياً للجيش الإسلامي، وكذلك أبحث في التخطيط المالي ومصادر الحصول على المال، ثم أشير إلى برامج التسليح، ووجوب تصنيع السلاح في المطالب الثلاثة التالية:

المطلب الأول: التخطيط الإداري.

أحدثت في هذا المطلب عن أهمية التخطيط، ودوره في تحقيق النصر، وإشارات القرآن إليه، والهيكل التنظيمي للجيش الإسلامي، حيث ينتظم ذلك كله في فرعين:

الفرع الأول: الدور الإداري في تحقيق النصر.

إن التخطيط السليم يمثل أبرز الأسباب في تحقيق النصر والتمكين، بل إن النصر يتوقف في كثير من المواقف على قوة التخطيط الإداري، وحسن التنظيم العسكري، وإن الفشل في التخطيط يعني التخطيط للفشل، وبشكل عملي يعني خسارة عشرات الجنود، أو المئات، وإن الخطأ في التخطيط على الورق لا يكلف أكثر من ورقة جديدة، لكن التخطيط الخاطيء على الأرض يكلفنا الكثير الكثير⁽¹⁾.

وقد تضمن القرآن الكريم الكثير من الإشارات إلى ضرورة الإدارة والتخطيط، وكذلك فقد حرص النبي ﷺ على إعداد خطته في كل معاركه، ولعل السطور القادمة توضح هذه المسألة جيداً في النقاط الثلاث التالية:

أولاً: إشارات قرآنية حول أهمية الخطط الإدارية.

(1) دليل التدريب القيادي، مرجع سابق، ص106.

تضمن القرآن الكريم إشارات كثيرة حول أهمية الخطط الإدارية، وأكتفي هنا بثلاث آيات فقط للاختصار:

1- قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُوهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَظْلَمُونَ﴾ (الأنفال: 60).

فقد أمرنا الله تعالى في الآية الكريمة بالإعداد؛ والإعداد هو تهيئة الشيء للمستقبل⁽¹⁾، والتجهيز المسبق للأمر، وإن من أهم ما يُعدُّ هو الخطة؛ إذ إنها تقدم للإنسان صورة لما يُقدم عليه، وتضع بين يديه الاحتياجات، وتقدم له المتطلبات، وتوضح له العقبات، فيسير على هدى ونور، فإذا ما علمنا أن جميع أنواع الإعداد إنما تحتاج إلى خطط، فإعداد الجند يحتاج إلى خطة تدريبية، وإعداد السلاح يحتاج إلى خطة توضح مصادر التمويل، ومصادر الشراء، ونوعية الأسلحة المطلوبة، وتوفير المخازن، وآليات الاستخدام، وغير ذلك.

2- قال تعالى على لسان سيدنا يوسف عليه السلام: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ﴾ (يوسف: 47).

فقد قدم لنا القرآن الكريم نموذجاً رائعاً للتخطيط السليم الذي يقوم على أسس منطقية وعلمية، إنه نموذج سيدنا يوسف عليه السلام مع ملك مصر، حيث استطاع أن ينقذ مصر من مجاعة قادمة، تهدد الناس بالهلاك، والفضل في ذلك لله، ثم لتخطيطه السليم، وذلك عندما فسر رؤيا الملك، حيث وضع خطة لإنقاذ الناس من هذه المجاعة، فقال تعالى عن يوسف عليه السلام: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ﴾ (يوسف: 47).

حيث كانت خطة يوسف تقوم على مضاعفة الانتاج، وتقليل الاستهلاك، وتتنوع على ثلاث مراحل:

- المرحلة الأولى: تمتد عبر السنوات السبع الأولى، والمطلوب فيها التركيز على الزراعة، ومضاعفة الإنتاج، والادخار وفق مواصفات خاصة؛ للإبقاء على أكبر قدر ممكن من المخزون كما قال سبحانه: ﴿ذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ﴾، بالإضافة إلى حصر الاستهلاك في أضيق حدود.
- المرحلة الثانية: توزيع الطعام المخزون بما يكفي حاجة الناس خلال السنوات السبع العجاف، قال تعالى: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ﴾ (يوسف: 48)
- المرحلة الثالثة: الإبقاء على كمية من البذور مهما كانت المجاعة؛ وذلك لاستئناف الزراعة

(1) تفسير المنار، مرجع سابق، ج-10، ص55.

والإنتاج عند انتهاء السنوات العجاف، ويؤخذ هذا من قوله: ﴿إِنَّا قَلِيلًا مِمَّا تُخْصِنُونَ﴾ (يوسف: الآية 48).⁽¹⁾

3- قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُورٌ﴾ (الصف: 4).

قد بينت الآية أن القتال الذي يحبه الله تعالى هو ما كان في سبيله، ويأتي ضمن تضامن مع الجماعة المسلمة داخل الصف⁽²⁾.

إن تحقيق هذه الصورة التي يحبها الله من القتال لا تتحقق إلا من خلال خطة، فجعل المقاتلين صفاً كأنهم بنيان مرصوص، يحتاج إلى رؤية سابقة، وخطة مرسومة. ثانياً: التخطيط في حياة النبي ﷺ.

إن المتتبع لحياته ﷺ يجد التخطيط في كل جوانبها وأحداثها، سواء كان ذلك في الحياة الدعوية، أو العسكرية، ولا مجال في هذه العجالة لاستقراء جميع هذه المواقف، ولكني ألتقط صورتين فقط:

1- التخطيط في هجرته ﷺ:

إن المتأمل في كل خطوة من خطوات الهجرة يتأكد له دقة الدراسة والتخطيط الذي اعتمده النبي ﷺ في هجرته، بل هذه عائشة تؤكد أن النبي ﷺ جلس مع أبي بكر قبل الهجرة لترتيب مسألة الهجرة، وطلب من أبي بكر أن يخرج من بالدار؛ حفاظاً على سرية هذه الخطة⁽³⁾.

ويعقب المباركفوري على لقاء النبي ﷺ بأبي بكر قائلاً: "وبعد إبرام خطة الهجرة رجع إلى بيته ينتظر مجيء الليل"⁽⁴⁾.

وكذلك من الخطوات التي تؤكد وجود خطة أمره ﷺ لعلي أن ينام في فراشه، ومغادرة بيت أبي بكر من الباب الخلفي، والسير في الاتجاه المعاكس؛ فبدلاً من السير شمالاً نحو المدينة سار جنوباً، وكذلك وتوزيع الأدوار؛ فعبداً بن أبي بكر لنقل الأخبار، وأسماء لنقل الطعام، وعامر بن فهيرة لمحو آثار أقدامهم، وهكذا يتبين لنا استحالة أن تأتي هذه الإجراءات إلا ضمن خطة موضوعة بشكل دقيق، وفي وقت سابق⁽⁵⁾.

2- التخطيط في غزوة بدر.

لم يعتد العرب قبل بدر مقابلة جيوش منتظمة في صفوف، فقد كان جيش بدر منتظماً في صفوف متتالية عكس ما عرفه العرب من تجمهر المقاتلين بلا نظام.

(1) تبصير المؤمنين بفقہ النصر والتمكين، مرجع سابق، ص 301.

(2) في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج 6، ص 352.

(3) السيرة النبوية لابن هشام، مرجع سابق، م 1، ج 2، ص 89.

(4) الرحيق المختوم، مرجع سابق، ص 180.

(5) السيرة النبوية لابن هشام، مرجع سابق، م 1، ج 2، ص 89.

وقد جاء في الرحيق المختوم: "ولما تمَّ تعديل الصفوف أصدر النبي ﷺ أوامره إلى جيشه بأن لا يبدؤوا القتال حتى يتلقوا منه الأوامر الأخيرة، ثم أدلى إليهم بتوجيه خاص في أمر الحرب فقال: "إذا أكتبوكم⁽¹⁾ فارموهم، واستبقوا نبلكم، ولا تسلوا السيوف حتى يغشوكم"⁽²⁾.

يظهر لنا من خلال النقل السابق أن النبي ﷺ قد صَفَّ المقاتلين يوم بدر، وهذا لا يتحقق إلا في ظل خطة عسكرية، يكون التوزيع والاصطفاف جزءاً منها، وكذلك توجيهه المقاتلين إلى الرماية إذا أكثروهم، وأمره بالاحتفاظ بقدر من النبل، ثم بيانه لمواضع استخدام السيف في المعركة، كل هذا إنما يمثل خطة عسكرية يطبقها النبي ﷺ. وما يمكن أن نصل إليه في ختام هذه النقطة هو أن التخطيط أمرٌ ضروري، وواجب حتمي، لأجل الانتصار، وبلوغ الأهداف والغايات بإذن الله. ثالثاً: المكلفون بالتخطيط.

إن المكلف الأول بعملية التخطيط هو القائد، لكن القائد يمثل فرداً واحداً، فقد تغيب عنه بعض الجوانب الهامة والمؤثرة في تحقيق النتائج، لذا كان لابد للقائد من مجلس عسكري يقف إلى جانبه في التخطيط، والترتيب؛ تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ (الشورى: من الآية 38). وقوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ (آل عمران: من الآية 159)، بحيث يضم هذا المجلس بعض قادة الأسلحة والفرق، وبعض الخبراء العسكريين، وبعض الخبراء الفنيين، ويقوم برسم الخطط العسكرية، وإصدار أوامر التحرك، وإدارة غرف العمليات⁽³⁾.

ويمكننا في هذا المقام أن نشير إلى ثلاث نقاط تتعلق بالتخطيط القائم على الشورى:

1- من فوائد الشورى:

أ- بروز الآراء المتعارضة ليظهر أصوبها، وعلى القائد في ضوء ما ظهر له أن يُبدي براعة في صنع القرار واختياره أو تنزيجه، بحيث يشعر معه كل أعضاء المجلس أنهم مشتركون فيه.

ب- الوصول إلى قرار له حماية جماعية، فالقرار العسكري تترتب عليه حياة أو موت، وبالتالي فعلى القائد أن يستشير من حوله من أهل الرأي والخبرة؛ ليتحمل الجميع مسؤولية هذا القرار.

2- كل جندي يمكنه النصح في التخطيط:

لا يقف الأمر في التخطيط العسكري الإسلامي على المجلس العسكري، بل يكون هو

(1) أكتبوكم: كثروكم.

(2) الرحيق المختوم، مرجع سابق، ص 239.

(3) التعبئة الجهادية في الإسلام، مرجع سابق، ص 47.

المكلف الأول، وقد يمتد بعد ذلك ليصل إلى كل جندي بمبادرة منه، أو بتكليف من قائده، وذلك كما فعل الحَبَابُ بن المنذر في بدر حينما أشار على النبي ﷺ بتغيير مكان الجيش.

الفرع الثاني: الميكل التنظيمي للجيش الإسلامي.

كلما كانت القوة التنظيمية للجيش عالية كانت فرصته في النصر كبيرة، فالقوة التنظيمية إلى جانب الدقة الإدارية، تساهم بشكل كبير جداً في تحقيق الأهداف، وبلوغ الغايات بمشيئة الله.

وأدير الحديث في هذا الفرع من خلال النقاط الثلاث التالية:

أولاً: تطوير الجانب التنظيمي للجيش ضرورة واجبة.

يشهد العالم مع كل شروق شمس تطوراً جديداً، واكتشافاً حديثاً، وتقنية فريدة، وإن المراقب لحالة التطور والاكتشاف يوشك أن يُصعق لشدة التسارع والتحول الدائم والمذهل، لذلك فإن الإنسان الذي يغتر بإمكانياته، ويقنع بمستواه، أو يقع تحت الحصار المشدد، يجد نفسه بعد فترة قصيرة جداً أنه في ذيل القافلة، ولا قيمة للمهارات التي يمتلكها أمام المكتشفات الحديثة.

لذا فإنه يتعين على المسلم ألا يتوقف أمام عجلة الزمان؛ لأنها لا تعرف الوقوف، وأن يتحرك بكل قوة ليناكس الآخرين، ويسابق المكتشفين، ويكون من أوائل الفائزين، ولا ينتظر ما يتفضل به الغرب، أو الشرق علينا من فئات اكتشافاتهم وعلومهم.

وما يقال في سائر شؤون الحياة، يكون أكثر إلزاماً في الجانب العسكري والجهادي.. إذ لا بد وأن يتشكل الجيش الإسلامي وفق أحدث النظريات التنظيمية والإدارية، وليس المطلوب أخذها من علماء الغرب فقط بل نريدها كذلك من نتاج أبحاثنا، ومن ثمرة جهودنا و أعمالنا، وقد أثبتنا قدرتنا الفائقة عبر تاريخنا الطويل على الإبداع والابتكار، وقوتنا في تنظيم الجيش بأروع ما يكون.

ولا يقف حد التطوير للجيش الإسلامي عند الجوانب التنظيمية والإدارية؛ بل لا بد وأن يتعداه إلى كل ما يتعلق بالقضايا العسكرية؛ بل والحياتية، وذلك مثل تطوير الأسلحة، سواء البرية، أو البحرية، أو الجوية، وتطوير وسائل الاتصال، والوسائل المستخدمة في الحروب.

وعلينا أن نعلم أن هذا التطوير من أهم ما يُعدُّ لمواجهة الأعداء وتخفيفهم؛ استجابة

للأمر الإلهي: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ مِرَابِطِ الْخَيْلِ﴾ (الأنفال: من الآية 60).

فلا معنى للتجمد عند أشكال القوة التقليدية أمام التطور الباهر لأعدائنا في مختلف

مجالات القوة.

ويقول سيد قطب معقّباً على آية الأنفال السابقة: "لا تعدد العصبية المسلمة عن سبب من أسباب القوة يدخل في طاقتها"⁽¹⁾.

أخلص إلى القول بأنه يجب على قيادة الجيش المسلم النهوض به، وتطويره في شتى المجالات ليضاهي أقوى جيوش العالم، لنحقق الإعداد المطلوب، ونرهب الأعداء. ثانياً: مدى الاستفادة من التطور العسكري للأعداء. إن الأصل في المجتمع المسلم أن يُسابق الآخرين في الإبداع، والابتكار، والتطور، لكنه من الطبيعي أن يتحقق للأعداء اكتشاف لم نصل إليه رغم تفوقنا، فما هو الموقف من هذه المكتشفات المفيدة للجيش الإسلامي؟.

إن الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها، ويؤكد هذا موقف النبي ﷺ المستجيب لفكرة سلمان الفارسي بحفر الخندق، وهي فكرة فارسية لم يعهد لها العرب في معاركهم⁽²⁾.

وعندما جاء لعمر بن الخطاب ﷺ مال عظيم من البحرين حار في أمره، فقال رجل: يا أمير المؤمنين، إنما قد رأيت هؤلاء الأعاجم يدونون ديواناً⁽³⁾، ويعطون الناس عليه، فأمر بتدوين الدواوين⁽⁴⁾.

نخلص إلى أن كل مكتشف يتم عرضه على الدائرة الشرعية بالجيش؛ فإذا خلا من أي مخالفة شرعية، وحققت مصلحة راجحة للمسلمين عمل به.

ثالثاً: الدوائر التي يحتاجها الجيش الإسلامي:

لا ينبغي أن أضع رسماً تخطيطياً للجيش الإسلامي يمثل نموذجاً وحيداً يقتفى؛ وذلك لأن الهيكلية العسكرية التي أثبتت نجاحها في فترة ما قد تفشل في فترة أخرى، ومن هنا علينا أن نعلم أن الهياكل العسكرية للجيش تختلف من مكان لمكان، ومن زمان لآخر، وذلك حسب المعطيات والمتطلبات الموجودة، لذا أكتفي في هذا البند بذكر بعض الدوائر التي تعتبر أساسية، ولا بد من توفرها في الجيش الإسلامي، ثم أقدمها في رسم توضيحي.

1 - المجلس الإداري العسكري:

لا يعد هذا المجلس دائرة من الدوائر؛ بل يكون هو المشرف على الدوائر كلها. وقد تتعدد التسميات لهذا المجلس، لكن الضروري أن يتشكل هذا المجلس، ويقوم بممارسة دوره بشكل فعلي، بحيث يضم هذا المجلس قادة الأسلحة والفرق، وبعض الخبراء

(1) في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج3، ص1544.

(2) السيرة النبوية لابن هشام، مرجع سابق، م2، ج3، ص135.

(3) يلونون ديواناً: أي يتخذون سجلاً، أو أرشيفاً معلوماتياً يعتمدونه في توزيع الرواتب والأعطيات.

(4) جولة تاريخية في حياة الخلفاء الراشدين، مرجع سابق، ص91.

العسكريين، والفنيين، ويتولى قيادة الجيش، وإصدار القرارات، وأوامر التحرك، وكل ما يتعلق بإدارة الجيش⁽¹⁾.

ويترأس هذا المجلس القائد العام للجيش، ويكون هو أحد أبرز القادة العسكريين فيه. ويتشكيل هذا المجلس نحقق الشورى، «وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ» (الشورى: من الآية 38)، ونستجيب لأمر الإعداد «وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ مِرْبَاطِ الْخَيْلِ» (الأنفال: من الآية 60)؛ حيث إن التنظيم من أبرز صور الإعداد.

2- دائرة الأمن:

لقد أمرنا القرآن الكريم أن نأخذ بقواعد الأمن في جميع أعمالنا العسكرية، فقال «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا بُنَاتٍ أَوْ انْفِرُوا جَمِيعًا» (النساء: 71). فالآية صريحة جداً في الأمر بأخذ الحيطة والحذر، ولهذا يتعين على قادة الجيش إيجاد هذه الدائرة كي تقوم بدورها في توفير الأمن، ومن الضروري أن تضم دائرة الأمن الشعب التالية:

أ- شعبة الاستخبارات وجمع المعلومات:

بحيث تتولى هذه الشعبة مهمة الاستخبارات، وجمع المعلومات عن كافة تحركات العدو، وقراراته.

وقد سجل لنا القرآن الكريم موقف أم موسى عليها السلام، وهي تدرك أهمية الاستخبارات، وضرورة جمع المعلومات، فترسل ابنتها، وتوصيها بأن تبصر أخيها بشكل خفي، وهو في يد السلطة الفرعونية؛ قال تعالى: «وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصَّرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ» (القصص: 11).

ففي الآية دلالة على أهمية الاستخبارات وجمع المعلومات، حيث وشت كلمة «قُصِّيهِ» بضرورة تحصيل المعلومة من غير أن يحس بذلك أحد، وقد قامت بدورها جيداً، فبصرت به وكأنها مارة لا قصد لها فيه⁽²⁾.

وفي قصة سليمان والهدهد مع ملكة سبأ ما يؤكد هذا حيث أرسل سليمان عليه السلام الهدهد برسالة الدعوة، وأمره أن يختبئ في مكان قريب ليستمع ردود الفعل⁽³⁾، قال تعالى: «أَذْهَبُ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْفُهِ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ» (النمل: 28)، وقد تحسس الهدهد عليهم، وكانت نقطة الضعف عند بلقيس ملكة سبأ أنها تخشى من عواقب الأسر والذلة، حين قالت: «إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْنَزَةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَمْعَلُونَ» (النمل: 34).

(1) التعبئة الجهادية في الإسلام، مرجع سابق، ص 47.

(2) تيسير الكريم الرحمن، مرجع سابق، ص 589.

(3) الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ج 7، ص 172.

ومن هنا فقد هددهم سيدنا سليمان ﷺ بالذلة فقال: ﴿وَكُنْزِرِحَّتَهُمْ مِنْهَا أَذْلَةٌ وَهُمْ

صَاغِرُونَ﴾ (النمل: من الآية 37).

وقد اهتم النبي ﷺ بالاستطلاع أكثر من اهتمامه بالأمر القتالية الأخرى؛ لأن الحصول على المعلومات الكاملة والصحيحة معناه الوصول إلى القرار الصائب الصحيح، ويؤكد العدد الكبير للسرايا التي كان يرسلها ﷺ لمهام استخبارية، لا سيما بعد نزول الإذن بالقتال.

يقول المباركفوري: "قد بدأ المسلمون النشاط العسكري بالفعل بعد نزول الإذن بالقتال، وقاموا بحركات عسكرية هي أشبه بالدوريات الاستطلاعية، وكان المطلوب منها الاستكشاف والتعرف على الطرق المحيطة بالمدينة، والمسالك المؤدية إلى مكة"⁽¹⁾.

ومما يؤكد اهتمام النبي ﷺ بالعمل الاستخباراتي ما أخرجه مسلم في صحيحه من حديث حذيفة عن غزوة الأحزاب، حيث قال ﷺ: "ألا رجل يأتيني بخبر القوم، جعله الله معي يوم القيامة؟"⁽²⁾، وقد قام بهذه المهمة حذيفة بن اليمان ﷺ.

يوضح الحديث الأهمية التي يوليها النبي ﷺ للاستخبارات وجمع المعلومات، حيث يجعل من يأتيه بخبر الأحزاب رفيقاً له يوم القيامة.

وهذا عمر بن الخطاب يُوصي سعداً بن أبي وقاص قائلاً: "إذا وطئت أرض العدو، فأذك العيون بينك وبينهم، ولا يُخفَ عليك أمرهم، وليكن عندك من أهل العرب، أو أهل الأرض من تطمئن إلى نصحه وصدقه، فإن الكذوب لا ينفك خبره، وإن صدقك في بعضه، والغاش عين عليك، وليس عيناً لك"⁽³⁾.

وإن بث العيون يحتاج إلى فن ودراية في التعامل معهم، لذا أوصى مروان ابنه بشأن علاقة الجواسيس ببعضهم ببعض فقال: "واحذر أن يعرف بعض عيونك بعضاً، فإنك لا تأمن تواطؤهم عليك... واحذر أن يُعرف الجواسيس في عسكريك، أو يشار إليهم بالأصابع، وليكن منزلهم على كاتب رسالتك، وأمين سرك، ويكون هو الموجه لهم، ويدخل عليك مَنْ أردت مشافهته"⁽⁴⁾.

(1) الرحيق المختوم، مرجع سابق، ص 218.

(2) صحيح: أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد، باب (36) غزوة الأحزاب، ح 1788، ص 956.

(3) فن الحرب الإسلامي، مرجع سابق، ج 1، ص 44.

(4) فن الحرب الإسلامي، مرجع سابق، ج 1، ص 44.

ومما يدخل في عمل الاستخبارات عمل الطلائع؛ وذلك لتأمين الطريق للجيش، وهذه وصية عمر بن الخطاب رضي الله عنه لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه في القادسية: "وليكن منك عند دنوك من أرض العدو أن تكثر الطلائع، وتبث السرايا بينك وبينهم..."⁽¹⁾.

ب - شعبة أمن القيادات والأفراد:

إن مما يدخل في دائرة الأمن مهمة الحفاظ على سلامة القيادات، وكذلك الأفراد في الجيش الإسلامي، وبالتالي فعلى دائرة الأمن وضع الخطط والبرامج لحفظ أمن القيادات، وإيجاد الطرق المناسبة لتطبيقها، سواء كان ذلك فيما يتعلق بطريقة تحركهم، أو مسكنهم.. أو غير ذلك.

قال تعالى: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيًا إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَخْرُنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ (التوبة: من الآية 40).

حيث إن دخول النبي صلى الله عليه وسلم الغار يمثل إجراءً آمناً للإفلات من حملة المطاردة المسعورة التي تستهدفه وصاحبه، حفاظاً على القيادة المسلمة، لكي تواصل طريقها في الدعوة والجهاد.

وفي تشريع صلاة الخوف إجراءً آمناً للحفاظ على أرواح الجند، إذ إن الفئة القائمة بسلاحها خلف الفئة المصلية، إنما هي لمهمة الحفاظ على أمن الجند وسلامتهم، وفي هذا يقول تعالى: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ ورائِكُمْ وَكُنْ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَهُمْ وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْلَبُونَ عَنْ أَسْلِحِكُمْ وَأَمْتِعِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جَنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أذىٌ مِنْ مطرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرَضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً﴾ (النساء: 102).

ولنا في غزوة بدر شاهد آخر، وذلك عندما تولى سعد بن معاذ، ومجموعة من الأنصار، حماية النبي صلى الله عليه وسلم، فاختروا له مقراً؛ ليقود الجيش من خلاله، حيث قال سعد: "يا نبي الله ألا نبني لك عريشاً تكون فيه، ونعدُّ عندك ركائبك، ثم نلقى عدونا، فإن أعزنا الله، وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا، وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك، فلحقت بمن ورائنا من قومنا، فقد تخلف عنك أقوام يا نبي الله ما نحن بأشد لك حباً منهم، ولو ظنوا أنك تلقى حرباً ما تخلفوا عنك، يمنعك الله بهم يناصحونك ويجاهدون معك"⁽²⁾.

(1) العقد الفريد، لابن عبدبريه الأندلسي، مرجع سابق، م، 1، جـ، 1، ص 71، دار الفكر.

(2) الرحيق المختوم، مرجع سابق، ص 235.

وبعد موافقة النبي ﷺ على الفكرة تم اختيار فرقة من شباب الأنصار بقيادة سعد بن معاذ يحرسون رسول الله ﷺ، ويتمرسون حول مقر قيادته.

وبالتالي فإن ما سبق يشير بشكل واضح إلى ضرورة أن تأخذ دائرة الأمن ضمن مهامها المحافظة على سلامة القيادات؛ لأنهم أول المستهدفين من العدو.

ج- شعبة حفظ أمن المنشآت العسكرية:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا بُتَاتٍ أَوْ انْفِرُوا جَمِيعًا﴾ (النساء: 71).

ومن مهام دائرة الأمن أيضاً، حفظ أمن وسلامة المنشآت العسكرية التابعة للجيش، وذلك لأهمية هذه المنشآت، وهي غالباً ما تقع ضمن أولويات العدو.

ويدخل ضمن هذه المنشآت مصانع الأسلحة، ومخازن الجيش، وإن تحقيق الأمن لهذه المنشآت في العصر الحاضر لا يتوقف عند الحراسة؛ بل لابد من استخدام الطرق الحديثة مثل الرادارات، والكاميرات، وغيرها من الوسائل الحديثة، وكذلك تجدر الإشارة إلى ضرورة وجودها في أماكن سرية، أو أماكن خاصة لا يستطيع العدو اكتشافها بسهولة.

3- دائرة التموين:

وهي الدائرة المكلفة بإمداد القوات العسكرية بما يلزمها من المتطلبات الأساسية للحياة؛ كالطعام، والشراب، واللباس، والسكن.

إن قضية التموين قد تحدد مصير الجيش، وتؤثر على نتيجة المعركة؛ لأن انقطاع الإمدادات التموينية عن الجيش، يؤثر سلباً على نفسيات المقاتلين، لذا فعلى دائرة التموين تأمين الاحتياط الكافي من الزاد والماء، وعليها أن تضع خطة للطوارئ باختلاف احتمالاتها.

وفي الآية التي سبق الإشارة إليها في بداية الفصل من سورة يوسف (1)، التي تناولت الخطة الاقتصادية التي رسم ملامحها نبي الله يوسف لأجل الخروج بمصر من أزمتها الاقتصادية القادمة فقال تعالى على لسان يوسف عليه السلام: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ﴾ (يوسف: 47).

وإن الجيش وهو يخوض معركته يكون عرضة لأزمة اقتصادية، وعليه فيجب وضع خطة اقتصادية، وتشكيل دائرة متخصصة تقوم على مسألة التموين.

وقد كانت مسألة التموين على عصر النبي ﷺ مهمة تناط بالجندي، يقوم بتدبير نفسه، وتجهيز متاعه بشكل فردي، فإذا عجز جاء إلى النبي ﷺ يطلب معونة للخروج.

فعن أنس بن مالك أن فتى من أسلم قال: يا رسول الله، إني أريد الغزو، وليس معي ما أتجهز، قال: " انت فلان فإنه قد كان تجهز فمرض " فأتى فقال: إن رسول الله ﷺ يقرؤك

(1) انظر صفحة ص212.

السلام، ويقول: أعطني الذي تجهزت به، فقال: يا فلانة أعطه الذي تجهزت به، ولا تحبسي عنه شيئاً، فوالله لا تحبسي منه شيئاً فيُبارك لك فيه⁽¹⁾.

يظهر الحديث بشكل واضح أن الجندي هو من كان يجهز متاعه، ومن متاع الجندي مأكله ومشربه، كما يتضح أيضاً مسؤولية القائد في تدبير شأن من لم يستطع تجهيز نفسه. وقد ظهر الاهتمام بجانب التموين في عهد الخلفاء الراشدين، ثم خطا باهتمام أكبر في عهد الدولة العباسية، حيث كانوا يدخرون للجنود حاجتهم في مخازن خاصة، لحفظ أصناف الأموال، والقماش، والحبوب⁽²⁾.

4- دائرة الخدمات الطبية:

وهذه الدائرة من الدوائر الضرورية في تشكيلة الجيش المقاتل؛ لأن الجندي هو أكثر الأشخاص عرضة للإصابة، سواء كان ذلك أثناء التدريب، أو أثناء التصنيع، أو أثناء القيام بمهمة استطلاعية، أو جهادية، أو أثناء عمليات عسكرية، حيث إن وجود هذه الدوائر يساهم بشكل واضح وفعال في الحد من الخسائر البشرية.

والمطلوب أن تضم هذه الدائرة مجموعة من التخصصات الطبية المختلفة، ويتوفر لهم مشفى في مكان إقامة الجيش، وتزود بالأدوية اللازمة⁽³⁾.

ولقد كانت مهمة الخدمات الطبية على عهد رسول الله ﷺ توكل للنساء، حيث كانت النساء تخرج مع الجيش للقيام على خدمة المقاتلين، وتطبيب المجرّحين، ونقل جثث القتولين.

فعن الربيع بنت معوذ رضي الله عنها أنها قالت: "لقد كنّا نغزو مع رسول الله ﷺ نسقى العطشى ونداوي الجرحى، ونرد القتلى"⁽⁴⁾.

حيث يتضح من خلال الحديث أن هذه الوحدة موجودة ضمن دوائر الجيش، وقد أُسندت للنساء.

5- دائرة الخدمات الهندسية:

وهذه الدائرة تختص بتهيئة مواطن نزول الجنود، ودراسة الأرض، وتشخيص العقبات، وتجهيز الطرق الجبلية، والصحراوية، وإقامة التحصينات، والإشراف على عمليات حفر الخنادق، والأنفاق، وإقامة القناطر والجسور للجيش، وغيرها فيما يتعلق بالجانب الهندسي⁽⁵⁾.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (آل عمران: 121).

(1) صحيح: أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب (38) فضل إعانة الغازي، ح1894، ص1015.

(2) التعبئة الجهادية في الإسلام، مرجع سابق، ص96.

(3) التعبئة الجهادية في الإسلام، مرجع سابق، ص88.

(4) صحيح: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب (67) مداواة النساء والجرحى في الغزو، ح2882.

(5) التعبئة الجهادية في الإسلام، مرجع سابق، ص90.

فقد بينت الآية خروج النبي ﷺ، غدوة قبيل غزوة أحد ليوزع الجند على مواطن رباطهم وجهادهم، ويتخذ لهم مصافاً⁽¹⁾، وهذا العمل هو مهمة دائرة الخدمات الهندسية. وأرى أنه من الأهمية أن تضم هذه الدائرة مجموعة من المهندسين المختصين في المجالات الهندسية المختلفة لأن احتياجات الجيش تختلف وتتعدد.

6- دائرة التصنيع والصيانة:

إن أبرز النعم التي عدها الله على داود عليه السلام أن علمه الله صناعة السلاح، فقال تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِيَكُمْ مِنْ بِأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾ (الانبيا: 80).

واللبوس عند العرب السلاح كله، درعاً كان أو سيفاً، أو رمحاً، حيث يستطيع المسلم بهذا السلاح ان يدفع عن نفسه البأس الذي هو الحرب⁽²⁾.

وفي ذلك إشارة إلى أن الأمة التي تنشد العزة والكرامة، وتريد أن تدفع عن نفسها البأس والحرب لا بد من الاعتماد على التصنيع.

وتختص هذه الدائرة بعمليات تصنيع الأسلحة المختلفة، والإشراف على الورش والمصانع المختصة بذلك، وتعمل من خلال فريق من الخبراء والمهرة على اكتشاف أنواع جديدة من الأسلحة، وتطوير بعض الأسلحة المتوفرة، وإجراء ومتابعة التجارب الأولية لعمليات التصنيع أو التطوير.

وتضم هذه الدائرة قسماً لصيانة الأسلحة، والعناية بها، وتقديم أفضل الطرق لتخزينها.

7- دائرة التخطيط والتطوير:

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُيُوتٌ مَرْصُوصَةٌ﴾ (الصف: 4).

قد تضمنت الآية أمراً غير مباشر بضرورة التخطيط، وذلك من خلال تقريب ومحبة الله للذين يقاتلون في سبيله صفاً، إن تحقيق هذه الحالة التي يحبها الله إنما تحتاج إلى خطة يكون الاصطفاف وفقها، والذي لا أرى ضرورة أن يتحقق الاصطفاف للجنود على الأرض بل المهم أن يتحقق في المعركة من خلال إرادتها بشكل منظم ومتناسق، يكون لكل فريق دور مرسوم ومعروف، والله أعلم.

وهذه الدائرة تقوم بدراسة الأداء العام للجيش، وتهتم برسم السياسات، ووضع الخطط والبرامج لأجل الارتقاء بالوضع العام إلى أرفع مستوى ممكن، حيث تأخذ هذه الدائرة بعين الاعتبار الظروف الداخلية والخارجية، وتشخص مواطن الضعف، ومواطن القوة، وتنتظر في

(1) الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ج2، ص540.

(2) الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ج6، ص288.

الفرص وتوظيفها بشكل يخدم الخطة العامة، وتتعاوى مع المتغيرات، وتجدد الأولويات، وتوازن بين الحقوق والواجبات، وتضع البدائل، وتتوقع العقبات⁽¹⁾.

ويجب أن تضم هذه الدائرة مجموعة من الخبراء المتمرسين، والإداريين المتميزين، وأصحاب الرأي الفطنين.

وبعد وضع هذه الخطط، سواء كانت قصيرة المدى، أو بعيدة المدى، تُنقل إلى الجهات المعنية، والدوائر المختلفة لأجل تطبيقها وتنفيذها.

8- دائرة الحوسبة وتكنولوجيا الاتصال:

قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ مِرْبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَظْلَمُونَ﴾ (الأنفال: 60).

لقد ارتقى العالم في مجال الاتصال حتى أضحت كقرية صغيرة كما يُقال، وأصبح المرء يعجز عن متابعة التطور التقني المتلاحق حتى بات ما كان بالأمس أشبه بالمعجزة كالهاتف بأنواعه، والفضائية، والإنترنت وغيرها الكثير الكثير، أصبح ذلك جزءاً من الحياة اليومية للإنسان.

لذا فلا بد أن يضاف إلى هيكلية الجيش دائرة تعنى بهذا الجانب، تدرس تلك المكتشفات، وتعمل على توظيفها على نحو لا يلحق ضرراً بالجيش؛ وذلك كأن تتضمن المكتشفات أدوات تنصت، أو مراقبة، أو مراسلة، وكذلك ينبغي أن تكون هذه المكتشفات تتوافق مع آدابنا وأخلاقنا، ولا تخالف شريعتنا.

ويضاف إلى ذلك أن تقوم هذه الدائرة بتطوير عملها في مجال الحوسبة، وتصميم البرامج التي تسهل عملية المتابعة والإشراف.

وذلك كله يأتي في إطار الإعداد الذي يناسب عصرنا، وقد أمرنا به بمنطوق آية

الأنفال السابقة.

9- دائرة التأهيل والتدريب:

وقد سبق لنا الحديث عن التأهيل والتدريب بشكل مستفيض، لكن ما نود التأكيد عليه في هذا المقام هو ضرورة وجود دائرة مختصة في الجيش الإسلامي تقوم على التأهيل والتدريب، وتشرف عليه، وذلك من خلال وضع الخطط والبرامج التدريبية، وتحديد الأساليب والوسائل لتنفيذها، سواء كانت من خلال دراسة أكاديمية مختصة، أو من خلال دورات طويلة، أو قصيرة⁽²⁾، وهذه أيضاً مستفادة من ظلال آية سورة الأنفال: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ

(1) كيف نفهم الأمن، مرجع سابق، ص 89.

(2) تفسير المنار، ج 10، ص 55.

مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ مِرْبَاطِ الْخَيْلِ...﴾ (الأَنْفَال: 60).

بحيث يتولى هذه المهمة مجموعة من الخبراء والمدربين المختصين والمتميزين.

10- دائرة التوجيه والإفتاء:

وأرى أن تضم هذه الدائرة شعبتين، الأولى: للتوجيه، والإرشاد، والتعبئة، ونشر الفكر، وترسيخ العقيدة، وتعميق الفهم، وتوسيع العلم والفقہ لدى الجنود، وذلك حتى يصبح نمتلك جيشاً واعياً، ومفكراً، منتمياً انتماءً حقيقياً لهذا الدين.

قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾ (الأَنْفَال: من الآية 65).

فالتحريض على القتال يمثل التعبئة الجهادية بكل جزئياتها، حيث يأمر الله تعالى نبيه بأن يحث أتباعه وأجناده على قتال من أدبر عن الحق وناصبه العداة⁽¹⁾.

وكان يرافق الجيش الإسلامي دائماً في فتوحاته، من يرفع روحهم المعنوية والقتالية، ويذكرهم بفضل المجاهدين، ومكانة الشهداء، ويتلو عليهم القرآن، ويسرد عليهم القصص المشجعة⁽²⁾.

وأما الشعبة الأخرى فهي للإفتاء، وتبحث في شرعية الوسائل والطرق المبتكرة لدى الجيش، أو للنظر في شرعية تلك الوسائل المستوردة من بلاد غير بلادنا.

11- دائرة النقل والمواصلات:

وهذه الدائرة أيضاً لا تقل أهمية عن باقي الدوائر، لاسيما وأن الله تعالى قد خص الخيل التي هي أحد وسائل النقل بالذكر في آية الأنفال الشهيرة، فقال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ مِرْبَاطِ الْخَيْلِ﴾ (الأَنْفَال: من الآية 60). فقد ذكرت الآية الخيل مع كونه داخلاً في القوة، وهو أحد أشكالها، وذلك إنما كان لعظيم أهميته بالنسبة للمقاتل، حيث كانت الخيل تمثل للمقاتل أعظم وسيلة من وسائل النقل في ذلك العصر⁽³⁾.

ويدخل في هذا الإطار كل وسائل النقل العسكرية والمدنية التي يستعين بها الجندي على التنقل، وتنفيذ مهامه، ومنها اليوم، ناقلات الجند، والآليات المجنزرة، والدبابات، والطائرات، والسيارات المختلفة.

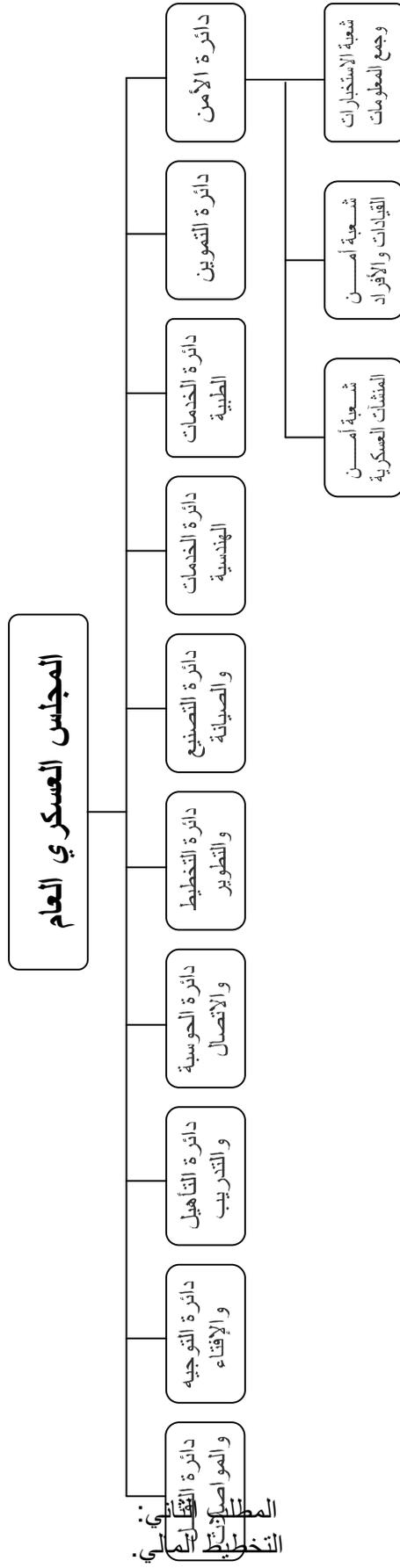
ويكون ضمن مهام هذه الدائرة توفير وسائل النقل المناسبة، والمتطورة، وتولي مهام النقل والمواصلات للجيش، كما تضم كذلك هذه الدائرة قسماً لصيانة المركبات المختلفة.

(1) تفسير الطبري، مرجع سابق، جـ4، ص63.

(2) التعبئة الجهادية في الإسلام، مرجع سابق، ص94.

(3) في ظلال القرآن، مرجع سابق، جـ3، ص1543.

وفي نهاية هذا المطب يمكن لي أن أقدم رسماً تخطيطياً يوضح توزيع الهيكل التنظيمي للجيش الإسلامي



قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ مِرْيَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ (الأنفال: 60).

حينما نتأمل الآية السابقة، ننظر في مبانيها، ونتبحر في معانيها، نجدها دالة بشكل واضح على ضرورة وجود المال، وأهمية توفيره، فهي تأمر بإعداد القوة المستطاعة، والتي من أبرزها مراكب الجند، والسلاح بمختلف أشكاله وأنواعه، سواء كان بحرياً، أو برياً، أو جوياً، وهذا النوع من الإعداد يحتاج إلى أموال طائلة، وموازنات كبيرة، لذا نجد الآية في نهايتها تدعو إلى الإنفاق في سبيل الله، فقال جل شأنه: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾.

لذلك لم يكتف ربنا سبحانه بشراء الأنفس، وإنما اشترى منا الأموال كذلك؛ ليتحقق الجهاد، فقال جل ثناؤه: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ (التوبة: من الآية 111).

وعليه فإن الواجب الشرعي يقتضي على الحركة الإسلامية اليوم أن تهتم بالجانب الاقتصادي، الذي تدعم من خلاله فكرة الإعداد، فالقوة الاقتصادية هي عصب الحياة، والناس لا تحسب للضعيف حساباً، وعليها أن تعتمد على مواردها الذاتية، وأن لا تمد يدها لدولة، أو جهة مهما كانت الظروف، وعلى المسلمين، وخاصة أصحاب رؤوس الأموال والتجار أن يدركوا دورهم، ويستوعبوا علم الاقتصاد الإسلامي، ويجعلوا جهادهم من هذه الزاوية، التي نشعر حيالها بضعف شديد، فيقيموا المؤسسات الاقتصادية المنسجمة مع الإسلام، وخاصة تلك التي تدر ربحاً وافراً للإعداد، وبناء الذات للمرحلة الفاصلة.

وفي السطور القادمة بإذن الله تعالى أجتهد في إلقاء الضوء على الخطة المالية للجيش الإسلامي، حيث يدور الحديث حول الفروع الثلاثة التالية:

الفرع الأول: أساسيات في الخطة الاقتصادية.

حيث أعالج من خلالها النقاط الأربع التالية:

أولاً: الإيمان والاستغفار، ركيزة التخطيط المالي في الإسلام.

إن أعظم ركيزة للتخطيط المالي في الإسلام هو الإيمان والاستغفار، وقد جاءت العديد

من النصوص القرآنية التي تحمل في صريح كلماتها هذا المعنى، ومنها:

1 - قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ (الأعراف: من

الآية 96). فقد ربطت الآية الكريمة بين الإيمان ونزول البركات من السماء، وخرجها من

الأرض، حيث تكون بركات السماء بالمطر، وبركات الأرض بالنبات⁽¹⁾.

2- وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمْ مِنْ مَرِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءٌ مَا يَعْمَلُونَ﴾ (المائدة:66). فكما أن الإيمان والتقوى سبيل البركات لأهل القرى المؤمنين، فهو كذلك لأهل الكتاب الأولين، حيث يخبر الله تعالى في هذه الآية أن لو أقام أهل الإنجيل إنجيلهم، وأهل التوراة توراتهم، لفتحت عليهم البركات، وأكلوا من فوقهم، ومن تحت أرجلهم.

يقول القرطبي: "جعل الله تعالى التقى من أسباب الرزق كما في الآية"⁽²⁾.

3- قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ (الطلاق: من الآية2-3). وهذه الآية أيضاً تربط بين التقوى وحصول الرزق ارتباط الجزاء بالشرط.

4- وقوله أيضاً على لسان نوح يخاطب قومه: ﴿قُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً ﴿۱﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً ﴿۲﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبْنِي بَيْنَكُمْ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً﴾ (نوح:10-12).

حيث بينت هذه الآية أن الاستغفار يجلب الرزق الوفير، حتى تصبح السماء مدراراً، والأموال والبنين إمداداً.

وبناءً على هذه النصوص، فإن كل تخطيط لا يراعى فيه هذه الركيزة مآله إلى زوال وانهايار، وإن انتعش قليلاً.

ويجدر أن أنه أن الأخذ بهذا الأصل لا يعني بحال من الأحوال ترك الأسباب الإجرائية لتحقيق النجاح الاقتصادي. ثانياً: ضرورة تشغيل الموارد المالية.

ومن الأسباب التي ينبغي التسليم بها، في وضع الخطط المالية للجيش الإسلامي أن لا نكتفي بالموارد المالية التي تغذي الصندوق، لأن الدخل مهما كان كبيراً يستنزفه الاستهلاك. لذا كان لابد من تشغيل تلك الأموال الواردة من الزكوات، والصدقات، والغنائم وغيره من الموارد المالية.

قال تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَاماً وَكَمَرْتُمْ قُوهُمْ فِيهَا وَكُتُوبُهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ (النساء:5).

فقد تضمنت الآية دعوة إلى تشغيل أموال اليتامى والسفهاء الذين لا يحسنون التصرف

(1) مختصر تفسير ابن كثير، مرجع سابق، ج2، ص38.

(2) الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ج3، ص586.

فيها؛ حتى لا تستهلك بالإففاق عليهم منها، وإنما ينفق عليهم من أرباحها، حيث يظهر هذا من قوله تعالى: ﴿وَأَرْزُقُوهُمْ فِيهَا﴾ ولم يقل: (وارزقوهم منها).

يقول الزمخشري معقباً على هذه الجزئية من الآية: "أي اجعلوا مكاناً لرزقهم بأن تتجروا فيها وتتربحوا؛ حتى تكون نفقتهم من الأرباح لا من صلب المال فلا يأكلها الإففاق"⁽¹⁾. وعليه فإن كان هذا التوجيه القرآني في أموال اليتامى والسفهاء، فكيف بأموال الدولة، والجيش فإن تشغيلها وتثميرها يكون من باب أولى.

ثالثاً: تضافر العمل الشعبي والرسمي في إنجاح الخطة الاقتصادية. إن أي خطة توضع لا يمكن أن يكتب لها النجاح دون تضافر الجهود على إنجازها، سواء كانت هذه الجهود شعبية أو رسمية، وهذا التضافر ينبغي أن يمتد ليصل لكل مراحل الخطة وجوانبها، سواء فيما يتعلق بتوفير الجانب المالي لإنجاحها، أو التسويق الإعلامي، أو المشاركة في استهلاك المنتج، وذلك استجابة لقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ (المائدة: من الآية 2).

يقول سيعد حوى: "ولابد أن يتضافر العمل الشعبي، والعمل الحكومي على تقوية اقتصاد الأمة الإسلامية"⁽²⁾.

ومما يُعاب على المستهلك المسلم تفضيله للمنتج الأجنبي على المحلي، مما يساهم في تدمير الاقتصاد المحلي لحساب الأجنبي، لذا فإن دور الفرد المسلم في إنجاح الخطة الاقتصادية الموضوعية للمساهمة في عملية الإعداد ينحصر في أمرين:

الأول: التسويق الإعلامي، والثاني: تفضيل المنتج الذي يدعم مشروع الإعداد على غيره. ولكني أرى أنه من الواجب عليّ أن أؤكد على ضرورة تواصل عملية الارتقاء بالمنتج المحلي ليصل إلى أعلى درجات الجودة العالمية، حتى لا يبقى أمام المستهلك عذر. وهذا يدفعنا إلى الحديث عن تهيئة الطاقات البشرية ذات الكفاءة والخبرة. رابعاً: تهيئة الطاقات البشرية وتوزيعها⁽³⁾.

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (التوبة: 122).

قد أشارت الآية الكريمة إلى ضرورة توزيع الطاقات البشرية كي تستمر المسيرة على نحو متوازن، ويوضع كل إنسان في موضعه المناسب، ولا يسند الأمر إلى غير أهله، وكذلك

(1) الكشف، للزمخشري، م، 1، جـ 10، ص 216، دار إحياء التراث العربي.

(2) جند الله تخطيطاً، مرجع سابق، ص 117.

(3) تبصير المؤمنين بفقهاء النصر، مرجع سابق، ص 315.

على القيادة أن تقوم على تهيئة الطاقة البشرية وفق مخططاتها المستقبلية، بحيث حينما نضع إنساناً في مكان ما يسد ثغرتة، وإذا أسندت المشاريع الاقتصادية إلى أهلها الذين يحرصون على نجاحها فلا تخش على شيء.

الفرع الثاني: الموارد المالية للجيش المسلم.

نظراً للنفقات الهائلة للجيش المسلم، لاسيما في عصرنا الحاضر، فقد تعددت الموارد المالية للجيش، فإذا ما نضب مورد من تلك الموارد ظلت الموارد الأخرى تمد الجيش بالمال. لذا نقف في هذا الفرع مع الموارد المالية للجيش المسلم، وأجملها في البنود الستة التالية⁽¹⁾:

1- الفياء والغنائم.

أ- الفياء: هو المال الذي يُؤخذ من الحربيين من غير قتال، أي بطريق الصلح؛ كالجزية⁽²⁾ والخراج⁽³⁾ والعشور⁽⁴⁾ المأخوذة من تجار الكفار⁽⁵⁾.

قال تعالى: ﴿وَمَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أُوجِفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا مَرْكَبٍ وَلَا كَنْ لَّهِ يُسَلِّطُ رَسُولُهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦٠﴾ مَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٦١﴾ (الحشر: 6-7).

فقد خص الله أموال الفياء بالنبي ﷺ يضعها حيث يشاء، وذلك بمنطوق الآية الأولى، فقسم النبي أموال بني النضير بين المهاجرين واثنين من المحتاجين من الأنصار، هما أبو دجانة سماك بن خرشة⁽⁶⁾، وسهل بن حنيف⁽⁷⁾.

أما بعد وفاته ﷺ فيكون سهمه وسهم قرابته من الفياء لجماعة المسلمين، يصرف في المصالح المتعددة للمسلمين؛ والتي منها النفقة على الجهاد والمجاهدين، وأسر الشهداء

(1) الجهاد والقتال في السياسة الشرعية، مرجع سابق، جـ3، ص1072.

(2) الجزية: هو مقدار من المال يفرضه الإمام على الذميين بدل حمايتهم، ودليل مادي على ذلك الولاء للدولة الإسلامية (الفقه الإسلامي وأدلته، مرجع سابق، جـ8، ص5878).

(3) الخراج: ما يؤخذ عن الأرض الخراجية التي فتحها المسلمون عنوة، فمن الإمام على أهلها، وتركها في يد أربابها، فيكون فيها الخراج (الفقه الإسلامي وأدلته، مرجع سابق، جـ3، ص1908).

(4) العشور: ما يأخذه العاشر الذي نصبه الإمام على الطريق ليأخذ الصدقات من التجار، حيث يدفع الذمي نصف العشر، والحربي يدفع العشر، وأما المسلم فيدفع ربع العشر. (الفقه الإسلامي وأدلته، مرجع سابق، جـ3، ص1907).

(5) الفقه الإسلامي وأدلته، مرجع سابق، جـ8، ص5894، و الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، جـ9، ص277.

(6) سماك بن خرشه، وقيل سماك بن أوس بن خرشه بن لوزان بن عبد ود بن زيد بن ثعلبة بن الخزرجي الأنصاري الساعدي المشهور بأبي دجانة فأعطاه الرسول سيفه يوم أحد، (أسد الغابة في معرفة الصحابة، مرجع سابق، جـ2، ص374).

(7) الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، جـ9، ص274.

والأسرى وغيره والأمر في تقدير احتياجات المسلمين متروك للإمام⁽¹⁾.

ب- الغنيمة: وهو المال الذي يُؤخذ عنوة من الكافرين في الحرب⁽²⁾.

قال تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ أُمَّتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلْنَا عَلَيْكُمْ عَبْدًا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقِيهِ الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الأنفال: 41).

قد بينت الآية أن غنائم الحرب تُخمس! فيُجعل خمسُ الله وللرسول ولذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل، والأخماس الأربعة الباقية تقسم على الجيش⁽³⁾.
والراجح أن سهم الله، وسهم رسوله، وسهم ذي القربى يُجعل في المصالح العامة للمسلمين، وذلك بعد وفاته ﷺ⁽⁴⁾.

وهكذا يتضح لنا أحد الموارد المالية للجيش المسلم وهو الفيء والغنيمة.

2- الزكاة الواجبة (سهم في سبيل الله).

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة: 60).

فقد حصرت الآية الكريمة مصارف الزكاة في ثمانية أبواب، وكان من ضمنها (في سبيل الله)، حيث يرى أبو حنيفة ومالك، والشافعي أن سهم (في سبيل الله) يصرف إلى الغزاة⁽⁵⁾.

وجمهور الفقهاء على أن الجهاد داخل في سبيل الله قطعاً⁽⁶⁾.

3- وجوب الجهاد بالمال:

قال تعالى: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (التوبة: 41).

فقد دلت الآية بظاهر نصها على وجوب الجهاد بالمال، وهذا عندما يكون الجهاد فرض عين على المسلمين، ويكون النفير عاماً.

يقول الدكتور محمد خير هيكل: "حين يكون الجهاد فرض كفاية يكون الجهاد بالمال فرض كفاية أيضاً....، أما حين يكون الجهاد فرض عين على جميع المسلمين لمداومة العدو

(1) الفقه الإسلامي وأدلته، مرجع سابق، جـ8، ص 5894.

(2) تفسير آيات الأحكام، للسايس، مرجع سابق، م2، جـ3، ص11.

(3) تفسير آيات الأحكام، للسايس، مرجع سابق، م2، جـ3، ص10.

(4) الفقه الإسلامي وأدلته، مرجع سابق، جـ8، ص5901.

(5) تفسير آيات الأحكام، للسايس، مرجع سابق، م2، جـ3، ص44.

(6) الجهاد والقتال في السياسة الشرعية، مرجع سابق، جـ2، ص1077.

لهم،... فإنه يجب على جميع المكلفين من ذوي القدرة المالية أن يُخرجوا من أموالهم ما يلزم لهذا القتال، كل بحسب قدرته..⁽¹⁾.

ومما سبق يتضح لنا أنه إذا ما كان الجهاد فرضاً عينياً يضاف الجهاد بالمال مورداً جديداً للموارد المالية العسكرية، وكذلك في حالة جهاد فرضاً عينياً يضاف الجهاد بالمال مورداً جديداً للموارد المالية العسكرية، وكذلك في حالة جهاد فرض الكفاية؛ فإنه إن عجزت الدولة، ولم يتقدم أحد من الميسورين لدفع متطلبات الجهاد؛ فإن الفريضة تُمدد لتصل إلى الجميع؛ حتى يتم تسديد احتياجات الجيش.

4- صدقات التطوع في سبيل الله:

قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْ سَمْعًا سَابِلًا فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: 261).

ذكر القرطبي أن هذه الآية نزلت في شأن عثمان بن عفان، وعبدالرحمن بن عوف رضي الله عنهما، وذلك عندما حث النبي ﷺ على الصدقة حين أراد الخروج إلى غزوة تبوك⁽²⁾.

عن أبي مسعود الأنصاري قال: جاء رجل بناقة مخطومة⁽³⁾، فقال هذه في سبيل الله، فقال رسول الله ﷺ: " لك بها يوم القيامة مائة ناقة، كلها مخطومة"⁽⁴⁾.

ومما سبق نفهم أن من أعظم أبواب الخير التي يُنفق فيها المتطوع ماله هو الجهاد في سبيل الله تبارك وتعالى، وبهذا يصبح الإنفاق الطوعي مصدراً من مصادر المال للجيش المسلم.

5- الحمى لجزء من الملكية العامة لمصلحة الجيش:

حيث يجوز لصاحب السلطة في الدولة المسلمة أن يحمي قسماً من مقدرات البلاد الإسلامية، وثرواتها الطبيعية لمصلحة الجيش الإسلامي⁽⁵⁾.

وقد ثبت أن عمر بن الخطاب ﷺ قد حمى قطعة أرض تعتبر من الملكية العامة لأهل المدينة تتميز بالماء الوفير، والمراعي الخصبة، حيث منع المسلمين من دخولها لرعي ماشيتهم فيها، وخصصها لأبل الصدقة، والخيول التابعة للجيش ترعى فيها⁽⁶⁾، واليوم يمكن أن يخصص جزء من النفط للآلات العسكرية براً وبحراً وجواً، أو غيره من الأوقات والموارد المالية.

(1) الجهاد والقتال في السياسة الشرعية، مرجع سابق، جـ2، ص1083.

(2) الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، جـ2، ص260.

(3) مخطومة: أي فيها خظام، وهو قريب من الزمام (صحيح مسلم بشرح النووي، مرجع سابق، جـ7، ص38).

(4) صحيح: أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب (37) فضل الصدقة في سبيل الله، ح1892، ص1015.

(5) الجهاد والقتال في السياسة الشرعية، مرجع سابق، جـ2، ص1088.

(6) فتح الباري، مرجع سابق، جـ6، ح3059، ص202.

6- الوقف:

والوقف عند الجمهور: " هو حبس مال يمكن الانتفاع به، مع بقاء عينه بقطع التصرف في رقبته من الواقف وغيره، على مصرف مباح موجود -أو يصرف ريعه على جهة خير وبر-؛ تقرباً إلى الله تعالى" (1).

وأرى أن الوقف الجديد يمكن أن يكون خاصاً بموارد الجيش المسلم؛ حيث يمكن لمن شاء أن يوقف قطعة أرض، أو شركة، أو مصنع، أو غير ذلك مما يمكن الانتفاع به على الجهاد في سبيل الله؛ لأن الإنفاق والتبرع للجهاد والمجاهدين من أبرز وجوه البر والخير، قال تعالى: ﴿لَنْ تَأْكُلُوا الْبَرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ (آل عمران: من الآية 92).

الفرع الثالث: الإنفاق في سبيل الله بين الأمس والأيام.

أظهر في هذا الفرع الصورة العملية للإنفاق في الصدر الأول للإسلام، ثم أنظر في مصارف الزكاة اليوم، وكيف تستهلك مواردها، وذلك من خلال النقاط الأربع التالية:
أولاً: نماذج للإنفاق في سبيل الله في العصور الأولى للإسلام:
لقد حض النبي ﷺ المسلمين على الإنفاق يوم تبوك، فتسابق أهل اليسر في بذل أموالهم، فأنفق عثمان ألف دينار، وذهب بدعوة النبي له: "اللهم ارض عن عثمان فإني عنه راض" (2).

وتصدق كذلك بتسعمائة بغير بأقتابها (3) وأحلاسها (4)، ومائة فرس، وجاء عبدالرحمن بن عوف بمائتي أوقية فضة، وجاء أبو بكر بماله كله، وجاء عمر بنصف ماله، وجاء العباس بمال كثير، ولم يبخل أحد بماله إلا المنافقون أخذوا يلمزون المتصدقين، حيث قال تعالى فيهم: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (التوبة: 79) (5).

وحدثنا التاريخ عن امرأة مسلمة من مدينة الرقة (6) لم تجد ما تجاهد به الروم، وتنصر به المجاهدين سوى ظفائر من شعرها، فقصتها وتبرعت بها بعد أن عفرتة بالتراب ليصنع منه عقال لأحد الخيول أو الجمال (7).

(1) الفقه الإسلامي وأدلته، مرجع سابق، ج10، ص7601.

(2) السيرة النبوية لابن هشام، مرجع سابق، م2، ج4، ص114.

(3) الأقتاب: ما يوضع على ظهر الإبل (لسان العرب، مرجع سابق، ج7، ص236).

(4) الأحلاس: هو الكساء الذي يكون على ظهر البعير تحت القتب (لسان العرب، مرجع سابق، ج2، ص552).

(5) الرحيق المختوم، مرجع سابق، ص486.

(6) الرقة: تقع مدينة الرقة على ضفاف نهر الفرات.

(7) تهذيب مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق، مرجع سابق، ص110.

ثانياً: مصارف الأمة اليوم.

قد انشغلت معظم الأمة اليوم بجمع الأموال من أي طريق، وبأي شكل، وتحت كل ظرف، وتبخل بهذا المال الذي هو عطية الله لعباده عندما تدعى إلى الإنفاق في سبيل الله، وقد اختلفت مصارف الناس بحسب أهوائهم، حيث يمكن لنا أن نجمل هذه المصارف في البنود الأربعة التالية:

1- إنفاق المال في التلذذ بالحياة الدنيا، والتمتع بها.

حذر القرآن الكريم من الإغراق في هذا الجانب، وقدم لنا صورة الدنيا الحقيقية، ومثّل لها فقال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ مَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ بِنَاتِهِ ثُمَّ يَهِيجُ قَتْرَهُ مُضْفَرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (الحديد: 20)، وما أكثر ما ينفق اليوم على المتع والشهوات، وبالأخص المحرمة رضاً بالحياة الدنيا، واطمئناناً بها.

2- إنفاق المال في أبنية المفاخرة، كما فعل قوم هود عليه السلام:

حيث عاب القرآن الكريم على قوم هود عليه السلام صنيعهم، وسجل نصح نبي الله هود لهم، فقال تعالى: ﴿الْبُنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبُورَنَ * وَتَسْخَدُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ * وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ جِبَابِرِينَ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ (الشعراء: 128-131).

فقد بينت الآيات أن قوم هود عليه السلام كانوا ينفقون أموالهم في إنشاء المباني الهائلة والضخمة والباهرة، ويختارون لهذا البنيان موقعاً استراتيجياً مرتفعاً عما حوله، وهو الرّيع، وهذا كله لا يكون لغرض الانتفاع، وإنما يكون فقط لغرض التفاخر والتباهي، لذا أنكر عليهم نبيهم عليه السلام، لأنه تضييع للأموال، وإهدار للأوقات من غير فائدة.

3- إنفاق المال في الصد عن سبيل الله:

ونجد فئة من البشر تنفق أموالها كي تصد عن سبيل الله، وتوقف من دعوة الإسلام، سواء كان ذلك لتعارضها مع مصالحهم الشخصية، أو غير ذلك من الأهداف الدنيوية. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغَابُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُخْشَرُونَ﴾ (الأنفال: 36)، حيث نزلت بعد أن وافق أصحاب الأموال التي كانت في عير أبي سفيان على إنفاقها في الإعداد لحرب تقضي على المؤمنين في المدينة لتأمين طريق التجارة إلى الشام، فخسروها في المعارك اللاحقة⁽¹⁾، وفي واقعنا المعاصر فإن أموال الدول المانحة، لا سيما أمريكا وبريطانيا تصل بمئات الملايين للسلطات التي تقمع شعوبها لفرص الكبرياء الأمريكية على العالم الإسلامي، ومنع التحرر والمقاومة.

(1) أسباب النزول، للواحدي، مرجع سابق، ص 158.

4- الإنفاق في سبيل الله:

رغم ما ذهبت إليه معظم المصادر الرسمية في إنفاق المال، إلا أن هناك طائفة منصوره بإذن الله سخرت أموالها في سبيل الله، وأنفقتها على الجهاد والمجاهدين، وقد شهد عصرنا الحاضر نماذج فريدة من المنفقين في سبيل الله استجابة لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (الحجرات: 15)، كما حصل بعد نجاح عمليات الإنفاق حيث دُعي الشعب المسلم في غزاة إلى الإنفاق فجادوا بالمال على حبه بصورة فاقت المتوقع بكثير.

ثالثاً: أموال الأمة، ومعاناة المسلمين عامة والمجاهدين خاصة.

في الوقت الذي نرى فيه أموال الأمة ومقدراتها تُهدر فيما لا فائدة منه، بل ضره أقرب من نفعه، وقد يكون ضرراً خالصاً، ننظر إلى واقع المسلمين وعامتهم لنواجه الحقيقة المرة حيث الجوع والفقر، والبطالة، والخوف، والمعاناة بكل أشكالها، فهذا شعبنا في فلسطين؛ احتلت أرضه، ودنست مقدساته، ونهبت خيراته، وشرد أهلته، ولم يجدوا من يقف إلى جانبهم إلا من رحم الله تعالى.

إن أموال الأمة يفترض أنها تسخر لاسترداد البلاد المحتلة، حيث لا نجد نظاماً رسمياً يقدم ديناراً واحداً لمواجهة المحتل الغاصب إلا من رحم ربك، ومن بعض الدول التي غضت الطرف عن جمع الأموال لدعم المقاومة، ولا يقف الأمر عند هذا الحد؛ بل يلاحق ويسجن كل من يثبت أنه دعم المجاهدين على أرض فلسطين، والوقائع على الأرض أكثر من أن تحصى، فأموالنا بدلاً من أن تذهب لمصالحنا تذهب لمفاسدنا، ومحاربة دين الله في الأرض.

رابعاً: منهج الإنفاق الواجب على الأمة.

إن الأموال التي نمتلكها إنما هي لله، قد استخلفنا فيها، حيث قال تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ﴾ (الحديد: من الآية 7). فإذا كنا لا نحوز الملكية المطلقة لهذه الأموال، فنحن إذن لا نمتلك الحرية المطلقة في التصرف بها، وهذا ما يؤكد قول أهل مدين لشعيب عليه السلام: ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصْلَاتِكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَأَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ (هود: 87). حيث ظهر من قول أهل مدين أنهم متحفزون، أو مستخفون بأن يتدخل شعيب في أموالهم، وتجاراتهم من خلال الشريعة التي جاء بها، فهي تضبط طبيعة تعاملاتهم التجارية قال تعالى: ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾ (الشعراء: 181)، وقد أنكروا أن يكون للصلاة دور في ضبط المعاملات المالية، بما أنها تنهى عن الفحشاء والمنكر، إذ تأويل الآية ﴿أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا

نَشَاءُ﴾ (هود: من الآية 87)، فهم لا يريدون تقييد حريتهم في استثمار الأموال بكل السبل⁽¹⁾.

ويمكن تلخيص هذا المنهج في النقاط الثلاث التالية:

1- إن منهج إنفاق أموال الأمة الإسلامية ينبغي أن يكون ملتزماً بقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام: 162)، فالأموال - ومنها النسك والذبايح - لا تنفق إلا فيما يرضي الله تعالى.

2- تقنين الإنفاق حسب الحاجات، وعدم الإسراف في ذلك، حيث قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ (الفرقان: 67).

فقد تضمنت الآية صفة جديدة لعباد الرحمن، إذ إنهم لا يسرفون في إنفاقهم؛ ولا يقترون على أهلهم، فيقصرون في حقهم فلا يكفونهم؛ بل يكونون في ذلك عدلاً خياراً وسطاً ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ (الإسراء: 29).⁽²⁾
إن أكثر الأبواب اليوم حاجة للإنفاق هو باب الجهاد في سبيل الله تعالى؛ لأن الأعداء قد تداعوا علينا كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها، وأحجم الكثيرون عن الإنفاق وجلاً من سيف الإرهاب.

3- يجب أن لا توضع أموال الأمة في يد ثلثة من السفهاء؛ لأن السفيه لا قدرة عنده على تحديد المنافع والمضار، قال تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾ (النساء: من الآية 5).

تأمر الآية بأن لا يؤتى السفهاء من الصبية والمجانين أموالهم، وأرى أنه إذا منعنا الشرع بأن نؤتي هذه الشرائح أموالها؛ لعلة ضعف إدارة الإنفاق عندها، وإمكانية إسراف أموالها في غير مصارفها، فإنه من الأولى أن لا ندفع بأموالنا، ومقدرتنا وأموال المسلمين جميعاً لتكون في يد حفنة من السفهاء الذين لا يكتفون بأن ينفقونها في غير مصارفها؛ بل ينفقونها في المعاصي من ناحية، وفي الإعداد لإضعاف الدعوة الإسلامية والمقاومة من ناحية أخرى..

المطلب الثالث:

برامج التسليح.

قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تظلمون﴾ (الأنفال: 60).

(1) في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج4، ص1918.

(2) مختصر تفسير ابن كثير، مرجع سابق، ج2، ص639.

لازلنا نتفياً ظلال هذه الآفة؁ و ننتاول ما تشمله القوة؁ التي أمرنا الله بإعدادها؁ ومن أبرز أشكال القوة المطلوبة في الجيش الإسلامي هو التسليح؁ وبرامجه؁ وتطويره. فعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: "القوة هي: السلاح والقوس"⁽¹⁾. لذا فإنني أتناول في هذا المطلب تطور السلاح عند المسلمين الأوائل؁ ثم أشير إلى مصادر التسليح اليوم؁ وواجب المسلمين تجاه هذه القضية؁ في الفرعين التاليين.

الفرع الأول: تطور السلام عند المسلمين الأوائل.

أستطيع القول بأن تطور السلاح العسكري لدى المسلمين كان مستمراً ومتواصلاً؁ ففي عهد النبي ﷺ استعمل المسلمون المنجنقات⁽²⁾؁ والعرادات⁽³⁾؁ والدبابات⁽⁴⁾ في الحصار؁ ودك الحصون والأسوار.

وقد كان النبي ﷺ حريصاً على أن يحصل جيشه على أحدث الأسلحة في عصره؁ فقد رأى في يد الزبير بن العوام؁ بعد عودته من الحبشة نوعاً جديداً من الرماح يقال له "العنزة" فأمر النبي ﷺ أن يصنع لجيشه مثلها؁ وأمر الزبير أن يدرّبهم عليها؁ والمسلمون أول من استخدم الكيمياء وفعلها في الحروب؁ وكان منها ما استخدمه ابن النحاس لحرق أبراج الصليبيين زمن صلاح الدين.

وقد استطاع المسلمون أن يخوضوا غمار التسليح البحري؁ وأقاموا دوراً لصناعة السفن الحربية؁ وفتحوا المدارس الحربية لتعليم فنون القتال البحري؁ وظل التطور متواصلاً حتى أصبح الأسطول البحري الإسلامي أقوى الأساطيل في العصور الأولى؁ ولعل معركة ذات الصواري في عهد الخليفة عثمان بن عفان ﷺ دليل على ذلك⁽⁵⁾.

ومن هنا تعين على المسلمين أن يمتلكوا أقوى ترسانة عسكرية؁ ويضعوا برامج التسليح المتقدمة؁ ويواصلوا تطوير أسلحتهم ولا يقفوا عند حد.

الفرع الثاني: مصادر السلام للجيش الإسلامي.

تتعدد مصادر السلاح للجيش الإسلامي؁ بحيث يمكن إجمال تلك المصادر في النقاط

الأربع التالية:

- (1) تهنيز مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق؁ مرجع سابق؁ ص 171.
- (2) المنجنق: هو آلة لرمي الحجارة أو الكرات النارية عن بعد (الطريق إلى المدائن؁ مرجع سابق؁ ص 90).
- (3) العرادات: هي منجنق صغير. (المعجم الوسيط؁ مرجع سابق؁ ص 621).
- (4) الدبابات: هي عربة تصنع من الخشب وتكسا بالجلد؁ حيث يدخلها الرجال؁ ويقترّبون بها من جدران الحصون حتى تلتصق به لينقبوه وهي تحميهم من سهام عدوهم وحجارتهم. (الطريق إلى المدائن؁ مرجع سابق؁ ص 91).
- (5) الجهاد سبيلنا؁ مرجع سابق؁ ص 139.

أولاً: شراء السلاح.

وهذا المصدر من أيسر المصادر لجلب السلاح، والحصول عليه، وهو المصدر الرئيس عند كل الجيوش العربية المعاصرة، وكانت العرب قبل الإسلام تعتمد عليه بشكل كبير، وكان السلاح يشكل جزءاً من تجارتهم، حيث كان يرد إلى أسواق الجزيرة العربية السلاح الرومي، والسلاح الفارسي، والسلاح الهندي، والحبشي، واليمني، وكذلك فقد كان اليهود في الجزيرة يقومون بتصنيع الأسلحة المختلفة وبيعها للعرب، ويضاف إلى ذلك بعض الصناعات الحربية العربية⁽¹⁾.

وفي الإسلام ظل شراء السلاح يمثل مصدراً هاماً من مصادر الحصول على السلاح، فقد جاء في قصة سعد السلمي الذي زوجه رسول الله ﷺ من بنت عمرو بن وهب، وجمع له أربعمائة درهم صداقاً لزوجته، أنه بينما كان في السوق يريد أن يشتري لزوجته، وإذ به يسمع صوت النفير ينادي: يا خيل الله اركبي! فنظر نظرة إلى السماء، ثم قال: اللهم إله السماوات والأرض، وإله محمد ﷺ لأجعلن هذه الدراهم اليوم، فيما يحب الله ورسوله والمؤمنون، فاشتري فرساً، وسيفاً، ورمحاً...»⁽²⁾.

فقد دلت الرواية السابقة على مصدر من مصادر الحصول على السلاح وهو الشراء، إذ لو كان المصدر الرئيس للجيش المسلم التصنيع لذهب سعد السلمي إلى موضع استلام السلاح، ولم ينفق ماله في شراء السلاح.

ثانياً: اغتنام السلاح.

وهذا مصدر آخر من مصادر جلب السلاح، لكنه لا يتحقق إلا في حالة الحرب والانتصار، فقد جاء في السيرة أن بني النضير سألوا رسول الله ﷺ أن يجلبهم، ويكف عن دمائهم، على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا الحلقة⁽³⁾ ففعل ﷺ، واحتملوا من أموالهم ما استطاعت الإبل⁽⁴⁾.

حيث إن استثناء السلاح من أن يُحمل مع الخارجين فيه دليل على إرادة الاستفادة منه في الحروب القادمة.

وبالجملة فإن مسألة الاستفادة من السلاح المسلوب من العدو مسألة معمول بها في كل الحروب قديماً وحديثاً.

ثالثاً: تصنيع السلاح.

إن أفضل مصادر السلاح هو التصنيع، وقد كان هذا المصدر على عهد النبي ﷺ فعن

(1) الطريق إلى المدائن، مرجع سابق، ص98.

(2) الجهاد والقتال في السياسة الشرعية، مرجع سابق، ج2، ص1058.

(3) الحلقة: اسم جامع للسلاح، (السيرة النبوية لابن هشام، مرجع سابق، م2، ج3، ص111).

(4) السيرة النبوية لابن هشام، مرجع سابق، م2، ج3، ص111.

خباب أنه قال: "كنت قيناً⁽¹⁾ بمكة، فعملت للعاص بن وائل السهمي سيفاً، فجئت أنقاضاه، فقال: لا أعطيك حتى تكفر بمحمد ﷺ، قال: لا أكفر حتى يميتك الله ثم يحييك، قال: إذا أماتني الله ثم بعثني، ولي مال وولداً، وفي رواية: إن لي مالاً هناك وولداً فأفضيك، فأنزل الله قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِينَ مَا لَمْ يُؤْتِ اللَّهُ إِلَّا لِي لِي جُنُودَ كَثِيرَةٌ تَقُدُّونَنِي وَقَدْ كَفَرْتُمْ بِالَّذِي أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُرْنَا لِنُزِّلَ بِهِ لِقَوْمٍ يُظَاهِرُونَ﴾ (الحديد: 25).⁽²⁾

فقد بين الحديث أن خباباً كان يصنع السلاح، وهذا فيه دليل على وجود التصنيع على عهد النبي ﷺ.

إن التصنيع العسكري التجاري لا يكفي، بل لابد من التصنيع التابع للجيش، بحيث تكون مصانع عسكرية خاصة بالجيش، وقد أرشدنا القرآن الكريم إلى الاهتمام بالحديد وصناعاته؛ لما فيه من بأس وقوة؛ حيث قال: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحديد: من الآية 25).

وإن الاستفادة من الحديد لابد لها وأن تتم من خلال مصانع خاصة للصناعة، فإذا كانت طبيعة الاستفادة بالأمس في صناعة السيوف، والرماح والدروع، فإنها اليوم تختلف حسب طبيعة السلاح المستخدم في عصرنا، لا سيما سلاح الردع؛ كالنووي، والصواريخ العابرة للقارات.

يقول الدكتور عبدالله القادري: "إن المسلمين في زماننا هذا آثمون كلهم لعدم قيامهم، أو قيام بعضهم بإنشاء مصانع السلاح التي تكفي لإمداد ما يتطلبه الجهاد في سبيل الله..."⁽³⁾.
وقد علم الله تعالى نبيه داود عليه السلام صناعة الأسلحة فصنعها، قال تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِيَكُمْ مِنْ بِأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾ (الأنبياء: 80).

فاللبوس عند العرب السلاح كله، ويرى القرطبي أن المراد في الآية باللبوس هي الدروع التي يلبسها المقاتل في الحرب، حيث كان داود عليه السلام أول من صنعها⁽⁴⁾.
ومما يؤكد أن التصنيع ينبغي أن يكون مصدراً هاماً للسلاح خطاب الله لنبيه نوح حيث قال: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾ (المؤمنون: 27).

(1) قيناً: أي حداداً، وأطلق بعد ذلك على كل صانع، (المعجم الوسيط، ص 805).

(2) صحيح: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب (19) سورة كهيعص، ح 4732، ص 823.

(3) الجهاد في سبيل الله، مرجع سابق، ج 1، ص 517.

(4) الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ج 6، ص 288.

حيث إن توجيه الله تعالى نوحاً نحو الصناعة، وليس نحو الشراء، فيه تقديم الصناعة، على الشراء، لا سيما فيما يتعلق بأمن الأمة، ثم بفتح طريق الدعوة، حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله، والله أعلم.
رابعاً: ابتكار السلاح.

وأعني به أن لا تتوقف جهود الجيش الإسلامي عند تصنيع الأسلحة التقليدية، بل لا بد من بذل كل ما بالوسع من أجل اختراع سلاح جديد، بحيث نبقى نفوق العدو عتاداً وتقنية؛ وبذلك نخرس الرعب في قلبه.

ولعل في قصة سيدنا سليمان عليه السلام مع بلقيس ما يؤكد هذا؛ إذ لما نقل إليه الهدهد استعداد ملئها للقتال، فاستعاضت عنه بالهدية، وعلم سيدنا سليمان بعد رد الهدية والتهديد بإخراجهم منها أدلة وهم صاغرون، أنها قد غادرت ديارها متوجهة إلى بيت المقدس، أراد هزيمتها نفسياً بإظهار التفوق عليها، فقام بأمرين:
الأول: إحضار عرشها الذي خلفته وراءها وتكبيره.

الثاني: بناء الصرح المغطى بالزجاج، وهو تكنولوجيا وكان من نتائج ذلك أن قالت: ﴿مَرَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (النمل: من الآية 44).

وقد أشارت آية الحديد إلى ذلك؛ حيث قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ﴾ (الحديد: من الآية 25). فهي دعوة ضمنية إلى المسلمين أن يطوروا انتفاعهم بالحديد، ولعل ما وصلت إليه البشرية في صناعات الحديد لم يبلغ معشار المنفعة الكامنة فيه، لذا فإن الدعوة للبحث لا تزال قائمة من أجل كشف منافع جديدة، وخاصة ما يتعلق بالصناعات العسكرية.
وفي حديث الله تعالى عن نعمه التي أنعم بها على نبيه داود عليه السلام أنه ألان له الحديد، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾ (سبأ: من الآية 10). فقد كان الحديد مع داود يقبل الطرق من غير تسخين و نار، واستطاع داود أن يصنع من الدروع والسلاح ما لم يستطيع أحد في زمانه صناعته، ولم يسبقه أحد إليه⁽¹⁾.

وأرى أنه إذا كانت المعجزة في قابلية طرق الحديد بلا نار، فإن الصناعة غير مرتبطة بالمعجزة، وبالتالي فلو واصلنا العمل في هذا المجال لاستطعنا أن نخترع أموراً وسلاحاً لم نسبق إليه كما صنع نبي الله داود عليه السلام من قبل.

وأرى أن المصدرين الأخيرين: التصنيع المحلي، والإبداع في مجال التصنيع والتسليح هما المصدران الأهم اللذان يجب على الدولة أن تعض عليهما بالنواجز.

(1) في ظلال القرآن، مرجع سابق، جـ5، ص2897.

المبحث الثاني:

أصول الحرب كما يعرضها القرآن الكريم.

تضمن القرآن الكريم مبادئ استراتيجية، ونظريات ميدانية في الحرب العسكرية، لذا أقدم في هذا المبحث جملة من مبادئ القتال والحرب التي تضمنها القرآن الكريم في آياته، وأتناول موضوع الحرب النفسية من خلال القرآن، ثم أختتم بدراسة تحليلية لمبادئ الحرب في سورة العاديات، بحيث ينتظم الحديث في المطالب الثلاثة الآتية:

المطلب الأول:

مبادئ الحرب العسكرية في القرآن الكريم.

تعارف العالم على جملة من المبادئ الحربية، وزعم البعض أنها من بنات أفكارهم، وبالرجوع إلى القرآن الكريم، وسيرة من نزل عليهم نجد هذه المبادئ موجودة ومطبقة، لذا أتناول في هذا المطلب بعض الآيات التي تضمنت إرشاداً عسكرياً، وأجتهد في ربطه بالسيرة العسكرية للقادة الأوائل رضوان الله عليهم، وذلك في المبادئ الاثني عشر التالية:

1- مبدأ الردع:

إن الردع هو منع الدولة المعادية من اتخاذ قرار باستخدام أسلحتها، أو منعها من العمل، أو الرد إزاء عمل معين، وذلك باتخاذ إجراءات وتدابير كفيلة بتحقيق الردع⁽¹⁾. وبالنظر في آيات الكتاب العزيز نجد أن هذه النظرية حاضرة بشكل واضح ضمن النظريات العسكرية للقرآن، بل تشكل هذه النظرية هدفاً رئيساً للإعداد في الإسلام، حيث قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ مِرْبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَأَخْرِبُونَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تظْلُمُونَ﴾ (الأنفال: 60).

فقد بينت الآية الكريمة أن من الأسباب الرئيسية للإعداد هو إرهاب أعداء الله تبارك وتعالى وأعدائنا، وكذلك إيصال رسالة تهديدية للمتربصين، والخائنين والمنافقين، الذين هم من دونهم ولا نعلمهم.

يقول صاحب تفسير المنار في الآية: "وذلك أن الكفار إذا علموا أن المسلمين متأهبون للجهاد، ومستعدون له، ومستكملون لجميع الأسلحة والآلات، خافوهم، وذلك الخوف يفيد أموراً كثيرة أولها: أنهم لا يقصدون دار الإسلام.

وثانيها: أنه إذا اشتد خوفهم فربما التزموا من عند أنفسهم جزية، وثالثها: أنه ربما صار ذلك داعياً لهم إلى الإيمان، ورابعها: أنهم لا يُعينون سائر الكفار..."⁽²⁾.

(1) العسكرية الإسلامية، وقادتها العظام، مرجع سابق، ص 90.

(2) تفسير المنار، مرجع سابق، ج 10، ص 59.

إن مفهوم الإرهاب في القرآن الكريم يحقق نظرية الردع بكل معانيها وجزئياتها، فأقوى وسائل الردع المؤدبة امتلاك القوة، فأنت لا تعلن تهديداً لأحد لكن امتلاك القوة والسلاح يوصل رسالة الردع دون أن تنطق بكلمة تهديد واحدة.

وإن هذا المعنى لا يعني إهمال القرآن الكريم لوسائل الردع العملية والتنفيذية، بل نجد أن القرآن قد حث عليها فقال تعالى: ﴿فَإِذَا تَقَاتَمْتُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ (الأنفال: 57).

فقد تضمنت الآية الكريمة شرطاً وجوابه، والمعنى إن أسرتهم الأعداء، أو إن وجدتم الأعداء في حالة الحرب على القول الآخر، فأندروا بهم من خلفهم؛ بالتكيل بهم، وقتلهم ليتفرقوا⁽¹⁾.

إن بعض الأعداء لا يمكن لهم أن يسالموا إلا إذا مرّغت أنوفهم في التراب، لذا فقد كان لا بد من بعض الوسائل القوية والشديدة لتأديب هذا النوع، وهو يجسد نظرية الردع بشكل كامل، والله أعلم.
2- مبدأ حشد القوة:

وهي تعني جمع أكبر قوة، سواء كانت مادية، أو معنوية في مواجهة العدو، بحيث تناسب القوة الموقف، وفي الزمان والمكان المناسبين⁽²⁾.

إن نظرية حشد القوة التي اعتمدها العسكريون كإحدى النظريات العسكرية لها في كتاب الله ما يشير إليها، ويؤكد عليها، ولعل آية الإعداد من أبرز تلك الآيات، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ (الأنفال: 60).

يأمر الله تعالى المؤمنين في الآية بإعداد القوة بقدر الاستطاعة، وبذل الاستطاعة يعني حشد كل شيء يمكن حشده لمواجهة العدو، وهذا تحقيق لنظرية الحشد العسكرية.

ويعضد هذه الآية قوله تعالى: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (التوبة: 41).

فقد استنفر الله عز وجل في هذه الآية الجميع للجهاد في سبيل الله، ومواجهة الأعداء. حيث استنفرنا كهولاً وشباناً، خفافاً وثقالاً، ركبناً ومشاة، زرافاتٍ ووحداناً، أغنياء وفقراء، أقوياء وضعفاء وهنا لا بد من التأكيد على قضيتين⁽³⁾.

(1) الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، جـ4، ص391، وتفسير المنار، مرجع سابق، جـ10، ص46.

(2) التعبئة الجهادية في الإسلام، مرجع سابق، ص237.

(3) مختصر تفسير ابن كثير، مرجع سابق، جـ2، ص144.

أ - اهتمام النبي ﷺ والصحابة رضوان الله عليهم بنظرية حشد القوة:

إن أوضح دليل على اهتمام النبي ﷺ بهذه النظرية أنه لم يبدأ قتاله منذ اللحظة الأولى لانطلاق دعوته، بل كان المؤمنون مأمورين بكف اليد، وعدم الرد، حتى استطاع النبي ﷺ أن يحشد معه أهل المدينة، ويبرم مع بطونها اتفاقيات، إضافة إلى المؤمنين من المهاجرين، ولم يكن النبي ﷺ ليخوض غزوة قبل أن يحشد لها ويعد نفسه جيداً للمواجهة⁽¹⁾.

وكذلك فقد اهتم الصحابة رضوان الله عليهم بنظرية الحشد، فأبو بكر حين أراد محاربة المرتدين، ومانعي الزكاة، حشد لهم أحد عشر لواءً، وعندما شعر بأن قوة المسلمين في اليرموك لا تتناسب مع قوة الروم سير لهم خالداً من العراق بجيشه⁽²⁾.

ب - حشد القوة المادية ليس وحده معيار النصر:

ومن الجدير بالذكر أن الإسلام لم يعتمد على حشد القوة المادية اعتماداً كاملاً في تحقيق النصر، بل يرى أن حشد القوة المعنوية، والشعور بالمعية الإلهية، هو أعظم من القوة المادية، هذه القوة المعنوية التي أهلت الجندي المسلم ليقا تل عشرة من الأعداء، وحرمت عليه الفرار أمامهم، حيث قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (الأنفال: 65).

لقد بدأت الآية بالتحريض والذي يمثل تعبئة للقوة المعنوية، ثم جاء التكليف بأن يقابل الجندي المسلم عشرة من الأعداء دون أن يفر.

وبعد ذلك خفف الله عنا ليقا تل المسلم اثنين من الأعداء، فقال تعالى: ﴿إِنَّا خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (الأنفال: 66).

وهكذا يتبين لنا أن نظرية الحشد العسكرية نظرية قرآنية إسلامية قد طبقها نبينا ﷺ وحرص عليها أسلافنا، وفاق فهمنا لهذه النظرية فهم عدونا، فهي عندنا تشمل حشد القوة المادية والعسكرية، إضافة إلى حشد القوة المعنوية والإيمانية، أما عندهم فهي تقصر على القوة العسكرية؛ بدليل قول نابليون: "إن كل فن الحرب ممكن تلخيصه بمبدأ واحد، وهو أن تجمع في جبهة واحدة قوة أكبر من قوة عدوك⁽³⁾، وإذا كانت هناك تعبئة معنوية، فهي قائمة على زور وباطل، وأنى لعقيدة باطلة أن تصمد في وجه عقيدة الحق والعدل إذا تعمقت في قلوب أهلها.

(1) فن القيادة في الإسلام، ص 78.

(2) جولة تاريخية في حياة الخلفاء الراشدين، مرجع سابق، ص 21.

(3) فن القيادة في الإسلام، ص 78.

3- مبدأ الاقتصاد في القوى:

هو حشد أعظم قوة تجاه الغرض الأساسي مع تخصيص القوات الأقل للعمليات الثانوية⁽¹⁾.

ويقوم هذا المبدأ على عدم تبديد القوى المقاتلة في مهام ثانوية، والحفاظ على القوى الضاربة، وحشد كل الإمكانيات، وزجها في مسرح العمليات وفق أهمية الأهداف⁽²⁾. إن الاقتصاد هو جزء من ثقافة الجندي المسلم، فهو الذي تربي في كل جوانب حياته على أن لا يضع الشيء إلا في موضعه، ولا يسرف لأن الله لا يحب المسرفين.

ففي اللباس والأكل قال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (الأعراف:31). وفي الإنفاق بشكل عام قد وجهنا الله تعالى إلى ضرورة التوسط، فقال: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُومًا﴾ (الإسراء:29).

فقد أمرتنا الآية بالاقتصاد في العيش والإنفاق، ونمت البخل، ونهت عن الإسراف⁽³⁾. وأرى أن الاقتصاد ينبغي أن يشمل القوى البشرية، والقوى المادية، من عتاد وسلاح، وممتلكات، لكن من الضروري أن لا يؤثر الاقتصاد في استخدام القوى على النتائج، فلا نستخدم جندياً إلا في الموضع الذي لا بد أن يكون فيه. وإن الاقتصاد في القوى لا يعني البخل، وإذا علم القائد أننا بحاجة لقوة في ثغرة ما، وبخل بها، يكون خائناً عسكرياً، وخلاصة هذه المسألة، أن توظف القوى حسب أهمية الأهداف.

وقد سجل القرآن الكريم مبدأ الاقتصاد في القوى في معرض حديثه عن غزوة بدر في سورة آل عمران، حيث قال الله تعالى: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمَدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ (آل عمران:124-125).

وفي سورة الأنفال قال في ذات غزوة بدر: ﴿إِذِ اسْتَعْيَضُوا بِكُمْ رَبُّكُمْ فَاَسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِآلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ﴾ (الأنفال:9).

(1) العسكرية الإسلامية، وقادتها العظام، مرجع سابق، ص 99.

(2) فن الحرب الإسلامي، مرجع سابق، ص 187.

(3) مختصر تفسير ابن كثير، مرجع سابق، ج 2، ص 374.

يقول الربيع بن أنس: "أمد الله المسلمين بألف، ثم صاروا ثلاثة آلاف، ثم صاروا خمسة آلاف" (1).

وبذلك يكون التنصيب على الألف في الأنفال لا ينافي الثلاثة آلاف، أو الخمسة آلاف في آل عمران، ويمكن لنا أن نقسم وجه الدلالة إلى شرطين:

1- قد تحدثت الآيات عن مدد من الملائكة بغض النظر عن عددهم، والمدد إنما يكون على قاعدة الاقتصاد في القوى.

2- إن تتابع المدد يؤكد نظرية الاقتصاد في القوى، فالله تعالى يعلم السر وأخفى، وكان بمقدوره أن يمدنا بخمسة آلاف منذ البداية، فجاء التتابع ليجسد لنا درساً في اقتصاد القوى، وتوزيعها حسب الحاجة.

وبالنظر إلى سيرة القائد الأول ﷺ نجد مبدأ الاقتصاد في القوى متحققاً في كل غزواته، فكانت القوة تناسب الموقف؛ ففي أحد قد كلف الله جماعة من المسلمين بلغت خمسين مقاتلاً بقيادة عبدالله بن جبير أن يُقيموا على جبل لحماية المسلمين من الخلف (2).

فالنبي ﷺ لم يسرف في استخدام قوى في مهام ثانوية؛ حيث اكتفى بخمسين مقاتلاً ليكونوا على الجبل، وهذا هو صميم مبدأ الاقتصاد في القوى.

4- مبدأ اختيار القصد وإدامته:

قبل خوض أي معركة لابد من تحديد الهدف، واختيار القصد، والتذكير الدائم به، والمداومة عليه، والقصد النهائي للجيش المتحاربة، هو تحطيم إرادة الخصم (3).

وأرى أنه إذا صدق هذا التعريف على الجيوش ذات الأهداف والمقاصد الدنيوية، فلا يصدق على الجيش الإسلامي الذي خرج لإنقاذ الناس وهدايتهم، وعليه يكون القصد النهائي للجيش الإسلامي في جهاد الطلب هو نشر الإسلام، وتبليغ دعوة الله تبارك وتعالى.

وأما القصد النهائي للجيش الإسلامي في جهاد الدفع فهو نصره المظلومين، ودفع البغاة المحتلين.

وبالتالي فإن تحطيم مقصد إرادة الخصم لا يصلح عندنا مقصداً استراتيجياً، ويمكن أن يصلح مرحلياً.

وعند اختيار القصد، وتحديد الهدف، سواء كان مرحلياً، أو استراتيجياً، يجب أن نراعي أن يكون هذا القصد متفقاً مع قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام: 162). ففي ضوء هذا التوجيه تصبح الأهداف المرحلية والكلية منضبطة في إطار

(1) مختصر تفسير ابن كثير، مرجع سابق، ج1، ص316.

(2) الرحيق المختوم، مرجع سابق، ص284.

(3) فن القيادة في الإسلام، مرجع سابق، ص91.

واحد، وهو نيل مرضاة الله تبارك وتعالى، يعضده هنا قوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءً وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ (البينة:5).

فالقصد في كل العبادات والأعمال ينبغي أن يكون خالصاً لله تعالى، والجهاد من أهم الأعمال التي تحتاج إلى تصحيح القصد.

- اختيار القصد، وانتخاب الهدف ... يساهم في تحقيقه:

يعضد هذا قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَجَّزِي

الشَّاكِرِينَ﴾ (آل عمران: من الآية145).

فالإرادة تتحقق بالمدامومة على القصد، فبمقدار الحرص على المداومة، والإصرار على المواصلة، تعلق الإرادة، ويتحقق الهدف المنتخب، والله تعالى إذا رأى من العبد جداً وصدقاً في طلب شيء يقدره له إن شاء، بدليل أنه يعطي الدنيا لمن طلبها، ويعطي الآخرة لمن أرادها.

وبالنظر في سيرة القائد الأول ﷺ نجد تطبيقاً متواصلًا لهذا المبدأ، حيث كان يختار هدفه بدقة ووضوح، ويذكر به، ويطلع القادة التنفيذيين عليه؛ والأمثلة كثيرة، أذكر منها ما فعله النبي ﷺ يوم الحديبية، حيث بدا أنه كان يعترم التأثير على معنويات قريش من غير قتال؛ بدليل أنه خرج مُحْرِمًا، وخلفه جيشٌ مُحْرِمٌ، وتجنب أي اشتباك مع قريش، حتى بلغ الحديبية، ثم يفسح المجال للمفاوضات، حيث كل شيء يؤكد أن النبي ﷺ لا يريد قتالاً، ولولا إدراكه لهدفه جيداً، ومدامومته عليه؛ لانجر إلى معارك جانبية، ولما استطاع أن يحقق الفتح بتعبير القرآن الكريم.

5- مبدأ المباغته والمفاجأة:

إن المباغته والمفاجأة تعني الظهور أمام العدو في وقت لا يُقدّره، وبصورة لا يتوقعها، وبأسلوب يجهله، بحيث تضطرب صفوفه، ويرتبك قادته، ويدب الرعب في جنده، ويفقد توازنه، ويعجز عن اتخاذ قرار صحيح⁽¹⁾.

والمفاجأة قد تكون في الزمان، أو المكان، أو العدد، أو الخطة، أو غير ذلك.

ومن الآيات التي تتضمن الإشارة إلى المباغته قوله تعالى في آل عمران: ﴿بَلَىٰ إِنْ

تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فُورِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ (آل

عمران:125).

يقول صاحب المنار: "الفور في الأصل فوران القدر ونحوها، ثم استعير الفور

(1) العسكرية الإسلامية، وقادتها العظام، مرجع سابق، ص100.

للسرعة، ثم سميت به الحالة التي لا ريب فيها، ولا تعريج من صاحبها على شيء⁽¹⁾.
وعليه فإن استخدام كلمة «فُؤِرِهِمْ» التي تدل على السرعة في الآية التي تعلن عن قدوم المدد،
تعني تحقيق مبدأ المباغثة والمفاجأة؛ لأن السرعة سبيل المباغثة، والمباغثة في هذه الآية هي
مباغثة في القوات؛ لأنها سرعة المدد.

ب - المباغثة في سيرته ﷺ:

إن المتتبع لسيرته ﷺ يجد أن مبدأ المباغثة متوفر في كل غزواته، وقد كان ﷺ يتخذ
كل التدابير اللازمة لتحقيق ذلك، والتي منها التورية عن الجهة التي يعتزم التوجه إليها، فقد
جاء في سيرة ابن هشام ما نصه: "وكان رسول الله ﷺ قلما يخرج في غزوة إلا كنى عنها،
وأخبر أنه يريد غير الوجه الذي يصمد له⁽²⁾ إلا ما كان من غزوة تبوك، فإنه بيّنها للناس،
لبعد الشقة، وشدة الزمان، وكثرة العدو..."⁽³⁾.

حيث ظهر من النقل السابق أن منهج التورية الذي يجسد مبدأ المباغثة كان حاضراً
في كل غزواته وسراياه ﷺ.

فمثلاً في غزوة فتح مكة يدخل أبو بكر على ابنته عائشة رضي الله عنها، وهي تحرك
بعض جهاز رسول الله ﷺ، فقال لها: أي بنية: أمركم رسول الله ﷺ أن تجهزوه؟ قالت: نعم،
قال: فأين ترينه يريد؟ قالت: لا والله ما أدري⁽⁴⁾.

إن النبي ﷺ قد أخفى خبر توجهه إلى مكة عن زوجته عائشة، وكذلك نجد أبا بكر لا
علم عنده بخبر الفتح، حيث يأتي كل هذا من أجل تحقيق مبدأ المباغثة.

وبالتأمل قليلاً في مسألة إخفاء النبي ﷺ خبر غزوة الفتح عن عائشة وأبي بكر، أرى
أن إمكانية إخفاءها عن عائشة ممكنة، لكن إخفاءها عن أبي بكر بعيدة، وذلك لأن أبا بكر يُعد
النائب الأول للقائد العام، فهل يُعقل أن يُخفي عنه النبي ﷺ خطوة كهذه، وإن أخفى عن أبي
بكر فمن سيخبر؟!!

وعليه يمكن أن يكون إبلاغ أبي بكر قد تأخر قليلاً فقط.

وفي غزوة خيبر، حيث أول ما توجه صوب غطفان، ونزل في وادي الرجيع القريب
منها، فظن أهل خيبر أن غطفان هي هدف الغزوة، ليفاجأوا في الصباح بالجيش الإسلامي
يطوقهم من كل جانب⁽⁵⁾.

(1) تفسير المنار، مرجع سابق، جـ4، ص96.

(2) يصمد له: أي يقصده، (سيرة ابن هشام، مرجع سابق، م2، جـ4، ص115).

(3) السيرة النبوية لابن هشام، مرجع سابق، م2، جـ4، ص115.

(4) السيرة النبوية لابن هشام، مرجع سابق، م2، جـ4، ص26.

(5) السيرة النبوية لابن هشام، مرجع سابق، م2، جـ3، ص212.

6- مبدأ التعاون:

وهذا المبدأ يعني التضامن من أجل الوصول إلى الهدف، وذلك بتوحيد جهود كافة الدوائر والقطاعات⁽¹⁾.

لقد تربي الجندي المسلم في حظيرة الإسلام على التعاون في كل عمل خيري، فهو المأمور بذلك من خلال قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ (المائدة: من الآية2). وعليه فالمسلم مهياً للتعاون في كل مجالات الخير، فكيف إن كان التعاون في ميدان الجهاد.

وبالنظر في آيات الكتاب العزيز نجد اهتماماً واضحاً بمبدأ التعاون؛ حيث يظهر ذلك من آيات كثيرة، أذكر منها الثلاث التالية:

أ - قوله تعالى في سورة الصف: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُيُوتٌ مَّرصُوصَةٌ﴾ (الصف:4).

فقد أمرنا الله في الآية الكريمة إلى القتال في أشكال صفوف كأنهم بنيان مرصوص، ومعلوم أن تحقيق الصف لا يتم إلا من خلال التعاون، وبالتالي فإن هذه الآية تحمل دعوة ضمنية إلى تحقيق مبدأ التعاون في ساحات القتال.

ب - قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِيَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (ال عمران:147).

إن كل كلمات الآية تشير بتحقيق مبدأ التعاون في هذا الجيش، حيث توحدوا في القول، وانفقوا على طبيعته، وتضرعوا إلى الله على أتقى قلب رجل منهم، لتحمل لنا الآية دعوة للتعاون في أرض المعركة.

ج - قال تعالى: ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (الأنفال:46).

إن النهي عن التنازع يتضمن بمفهوم المخالفة الأمر بالتعاون من أجل تحقيق النصر.

- التعاون عند القائد الأول ﷺ:

لقد حرص النبي ﷺ على تحقيق مبدأ التعاون في كل مراحل حياته، وفي جميع غزواته، بل إن التعاون كان يمتد ليشمل كل مراحل المعركة من القرار المبدئي إلى الخطط الاستراتيجية، وبعدها المهام التنفيذية، تعاون مستمر من خلال المشاورة لأجل اتخاذ قرار الحرب، وبعد ذلك المشاورة في الخطة، ثم توزيع المهام والتعاون الكامل في تنفيذها.

(1) العسكرية الإسلامية وقادتها العظام، مرجع سابق، ص105.

ومن نماذج هذا التعاون، مشاوره النبي ﷺ لأصحابه يوم بدر، بل ظل يُصر على سماع رأي الأنصار⁽¹⁾، وكذلك التضامن الميداني في أرض المعركة كان تحقيقاً رائعاً لمبدأ التعاون العسكري.

ومن أمثلة التعاون العسكري في غزواته ﷺ ما كان يوم الأحزاب في حفر الخندق؛ حيث تعاون كل الجيش الإسلامي قيادة وأفراداً على حفره بما فيهم النبي ﷺ، وأنزل الله فيهم: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْأَلُوهُ إِنْ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذِنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأُذِنَ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (النور: 62).⁽²⁾

7- مبدأ التعرض والمبادأة:

وهو يعني البدء في الهجوم، حيث يؤدي إلى كسب السيطرة، ويلزم العدو باتخاذ خطة دفاع لم تكن في حسبانها، ويرفع الروح المعنوية للمقاتلين، في الوقت الذي يُضعف الروح المعنوية للطرف الآخر⁽³⁾.

وبالعودة إلى القرآن الكريم نجد أن هذا المبدأ أيضاً حاضرٌ في آياته، حيث يتضح هذا المبدأ بمقارنة آيات الإذن بالجهاد، مع الآيات التي قررتها في صورته النهائية، ففي الإذن بالدفاع عن النفس والجهاد في سبيل الله قال تعالى: ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير﴾ (الحج: 39).

فقد أذنت الآية بالدفاع عن النفس، ورفض الظلم، التمرد عليه، ومحاربتة، ولا يفهم منها التعرض أو المبادأة، أما في تلك الآيات التي قررت الجهاد في صورته النهائية كآيات الأنفال وبراءة، نجد أن الدعوة واضحة للتعرض والمبادأة، حيث يقول تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَدَاهُمُ اللَّهُ بِرَسُولِهِ وَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَحِبُّونَ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (النور: 64).⁽⁴⁾

إن سياق الآية بكل ما فيه من أساليب بلاغية لاستنفار المسلمين، وشحن همهم، يهدف إلى نقل الفئة المسلمة من مرحلة الدفاع إلى مرحلة الهجوم، لذا فقد أخذت الآيات تعالج كل ما يمكن أن يحول دون الانتقال إلى هذه المرحلة العسكرية المتقدمة.

(1) السيرة النبوية لابن هشام، مرجع سابق، م1، ج2، ص183.

(2) السيرة النبوية لابن هشام، مرجع سابق، م2، ج3، ص130.

(3) العسكرية الإسلامية وقادتها العظام، مرجع سابق، ص102.

يقول سيد قطب في ظلال الآيات السابقة: "تجيء هذه الفقرة لمواجهة ما حاك في نفوس الجماعة المسلمة من تردد وتهيب للإقدام على هذه الخطوة الحاسمة"⁽¹⁾.

إن اعتماد مبدأ الهجوم ضروري جداً للجيش المسلم، فالمهاجم أقوى من المدافع؛ لأنه يمتلك زمام المبادرة، كما يختار النقطة المناسبة التي يهاجمها، واللحظة المناسبة التي يهاجم فيها، وبذلك يكون المهاجم قد استثمر كل نقاط الضعف عند عدوه، وكان صلاح الدين يُوصى قاداته بأن لا يخوضوا معركة لم يحددوا هم زمانها، أو مكانها.

لذا نجد أن النبي ﷺ قد استخدم مبدأ التعرض بشكل كبير جداً، وقد بدأ العدو في معظم غزواته والتي منها: بدر، ومؤتة، والفتح، والطائف، وتبوك⁽²⁾.

وكذلك كان أبو بكر حيث بدأ هو بمقاتلة المرتدين، والأمثلة على ذلك كثيرة، فكل معارك الفتح الإسلامي كانت هجومية.

يقول صاحب فن الحرب: "وكان القادة يرفضون باستمرار إرادة العدو في فرض مكان المعركة، وزمانها، ويمتنعون عن زج قواتهم قبل إعداد الظروف المناسبة لتحقيق النصر"⁽³⁾.
8- مبدأ المرونة:

ونقصد به القدرة على الحركة، والمانورة، والانتقال⁽⁴⁾.

ودقة تطبيق مبدأ المرونة يعتمد بشكل أساسي على متانة التدريب، وقوة الإعداد⁽⁵⁾.
وعليه؛ فإن هذه المرونة تتحقق بتطبيق قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ مِرَابِطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ وَعَدُّوا لِلَّهِ وَعَدُّوْكُمْ وَآخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ (الأنفال: 60).

حيث إن بذل الإنسان كل استطاعته في الإعداد بمختلف أنواعه يعني امتلاك أعلى درجات المرونة، واللياقة، والقوة بإذن الله.

بل إننا نجد القرآن الكريم لم تقف حدود مرونته عند الجانب الجسمي؛ بل بلغت الجانب الفكري والاستراتيجي، قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُعَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ

(1) في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج-3، ص1610.

(2) العسكرية الإسلامية وقاداتها العظام، مرجع سابق، ص102.

(3) فن الحرب الإسلامي، مرجع سابق، ج-1، ص185.

(4) العسكرية الإسلامية وقاداتها العظام، مرجع سابق، ص103.

(5) التعبئة الجهادية في الإسلام، مرجع سابق، ص234.

حَبَطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة: 217).

فقد نزلت الآية السابقة في أعقاب سرية عبدالله بن جحش التي وقعت في الأول من شهر رجب المحرم، وكان عبدالله بن جحش يظن أنه في الآخر من جمادى الآخرة؛ حيث أخذ الكفار والمنافقون واليهود يقولون: إن محمداً قد استحل الأشهر الحرم، فجاءت هذه الآية تقرّر حرمة هذه الأشهر⁽¹⁾، لكنها في ذات الوقت تأخذ بعين الاعتبار عمليات الصد عن سبيل الله، وعن مسجده الحرم، وعمليات التهجير للمستضعفين، وغيرها من ألوان الإجرام، فكانت هذه الكبائر أعظم بكثير من كبيرة القتال في الأشهر الحرم، وبالتالي فإن من يرتكب هذه الكبائر ليس له أن يتحرز بحرمة البيت الحرم، أو بحرمة الشهر الحرم⁽²⁾.

وهذا يمثل مرونة كبيرة في التعاطي مع القضايا الحربية الاستراتيجية.

ونماذج المرونة العسكرية الإسلامية كثيرة في تاريخنا الإسلامي، ففي مؤتة استطاع خالد بمرونته، ومرونة جنده؛ أن يربك جيش الروم، ويخرجه من المعركة، خاسراً بعدما كانت لصالحه، حيث قام خالد بتغيير خطة المعركة، وإعادة تنظيم الجنود، والقيام بحركات عسكرية مريبة أوجدت يقيناً عند الروم بوجود مدد جديد، فبيني خالد خطته على هذه القناعة الجديدة، ويستطيع بفضل الله أن ينسحب من المعركة دون أن يخسر جندياً واحداً⁽³⁾.

9- مبدأ الأمن:

ونقصد به توفير الحماية بكافة أشكالها للقوات، والقيادات، وتجنبيها المباغطة، والعمل على صون المعلومات والأسرار⁽⁴⁾.

ويعد الأمن من أهم واجبات القائد، فيعمل بكل طاقته على الوقاية من الوقوع في كيد العدو ومكره، وخداعه ومفاجأته، ويؤمن خطوط المواصلات لقواته، وغيرها من المهام، وتقوم بهذه المهمات دوائر الجيش على تنوعها.

وقد أولى القرآن الكريم أهمية كبيرة لهذا المبدأ؛ حيث يظهر ذلك من خلال تشريع صلاة خاصة بالخوف والقتال، قال تعالى: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْلَبُوا عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا

(1) أسباب النزول، للواحي، مرجع سابق، ص 51.

(2) في ظلال القرآن، ج 1، ص 226.

(3) فن القيادة في الإسلام، ص 103.

(4) فن القيادة في الإسلام، ص 81.

جُنَاحَ عَلَيْهِمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا (النساء: 102).

إن صلاة الخوف كما يتضح من خلال الآية الكريمة إنما جاءت لتوفير الأمن والحماية للقوات العسكرية المرابطة قبالة العدو، فلا يأخذنا العدو على حين غفلة من أمرنا، وفي هذا التشريع دليل كبير على أهمية الأمن بالنسبة للجيش المسلم، إذ إن الصلاة تعتبر في الإسلام عمود الدين، وتغيير كفيتهها لا يكون إلا لأمر جلل.

بل إن القرآن الكريم قد أمرنا بصريح العبارة أن نأخذ التدابير الأمنية اللازمة في كل تحركاتنا فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا تَبَاتٍ أَوْ انْفِرُوا جَمِيعًا﴾ (النساء: 71).
وأخذ الحذر إنما هو الأمن بعينه.

وبالعودة إلى سيرة النبي ﷺ نجد أن مبدأ الأمن من أهم المبادئ التي حظيت باهتمامه ﷺ، فقد أخفى النبي ﷺ توجهه إلى مكة حتى عن زوجته عائشة رضي الله عنها⁽¹⁾.

وكذلك فعله ﷺ مع سرية عبدالله بن جحش، فقد دفع إليهم بكتاب، وأمرهم أن لا يفتحوه إلا بعد مسيرة يومين، وبعدها لا يُستكره أحدٌ من الصحابة على المسير لتنفيذ ما في الكتاب⁽²⁾.، والأبعاد الأمنية في هذا الصنيع لا تخفى على أحد.

ومن أهم وسائل تحقيق الأمن تطبيق مبدأ الاستطلاع فقد كان خالد بن الوليد ﷺ شديد الحرص على هذا المبدأ، حيث كان يرسل مجموعات الحماية في جميع الجهات⁽³⁾.

وهذا طارق بن زياد يرسل طريفاً بن مالك قبل غزوه للأندلس؛ كي يأتيه بالخبر الأكيد عن وضع الأندلس، والمستوى القتالي لقوات القوط⁽⁴⁾.
10- مبدأ الحفاظ على الروح المعنوية:

إن القوة المعنوية قد تفوق في أثرها القوة المادية، فماذا يفيد السلاح إن كان حامله قد انهار نفسياً، ودمّر معنوياً، لذا فقد اهتم القادة على اختلاف أهدافهم بالروح المعنوية للجند، وإدامتها عالية مرتفعة.

وإن من أبرز عوامل الحفاظ على الروح المعنوية عالية هو صحة العقيدة، وسلامة الانتماء، والإيمان الراسخ بعدالة قضيته التي خرج من أجلها، وسمو رسالته التي يُضحى في سبيلها⁽⁵⁾.

(1) السيرة النبوية لابن هشام، مرجع سابق، م2، ج4، ص26.

(2) السيرة النبوية لابن هشام، مرجع سابق، م1، ج2، ص173.

(3) فن القيادة في الإسلام، مرجع سابق، ص93.

(4) العسكرية الإسلامية وقادتها العظام، مرجع سابق، ص109.

(5) التعبئة الجهادية في الإسلام، مرجع سابق، ص244.

وبناء عليه يكون الجندي المسلم يتمتع بكامل الروح المعنوية؛ لأنه لا يوجد أعدل من قضيته، ولا أسمى من غايته، وكذلك إن العقيدة العسكرية التي غرست في نفس الجندي المسلم، تهتز لها الجبال الرواسي، وتلين لها الصخور العواتي، وقد سبق وأن تناولت هذه العقيدة بشكل مفصل⁽¹⁾، وأشير هنا إلى بعض ملامح هذه العقيدة التي تبني في الجندي الروح المعنوية العالية.

قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ تَرَوْنَ بَنِي إِدَا إِيحْدَى الْحُسَيْنِ وَيَحْنُ تَرَصَّ بِكُمْ أَنْ يُصَيِّكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَوْا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ﴾ (التوبة: 52).

فالجندي المسلم وهو يقاتل يدرك أن جميع خياراته المنتظرة فيها الربح والفوز، فهو إما أن ينتصر، أو يستشهد، فيكون بذلك قد حقق أمنيةً لطلما انتظرها.

بل إن الجندي وهو يقاتل في سبيل الله يكون حريصاً على نيل الشهادة، قال تعالى: ﴿فَلْيَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (النساء: 74).

ومعلوم أنه لا قتال أشرس وأقوى من قتال من يطلب الشهادة.

إن الجندي المسلم الذي تربي على حب الشهادة لا يمكن أن يضعف وهو يقرأ قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ ❀ سيهدبهم ويصلح بهم ❀ ويُدخلهم الجنة عرفها لهم﴾ (محمد: 4-6).

وقال تعالى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيِّ قَاتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ (ال عمران: 146).

إن هذه العقيدة الرائعة هي التي جعلت أربعمئة من الفدائيين المسلمين بقيادة عكرمة بن أبي جهل يقذفون أنفسهم وسط عدوهم يوم اليرموك؛ ليوهنوا من زخم هجومه، وقد نجحوا في إيقافه، لتكون أرواحهم الطاهرة ثمناً لذلك النصر.

وكذلك إن استشعار الجندي المسلم بأن الله معه، وهو يؤيده وينصره، يجعله يرقى بروحه المعنوية في السماء، قال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الروم: من الآية 47). وقال: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ (غافر: 51).

وهكذا يكون القرآن الكريم قد رسخ هذا المبدأ بشكل لم يستطع جيش أن يحققه عند جنوده، فكان هذا السبب خلف فتوحاتهم التي أذهلت الدنيا.

(1) انظر صفحة 38 وما بعدها.

11- مبدأ القوة الإدارية، والقيادية:

إن القوة الإدارية، والمهارات القيادية تؤدي دوراً كبيراً في حسم نتيجة المعركة، لذلك نجد أن جميع القادة يهتمون بالإجراءات الإدارية بشكل كبير (1).

قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ وَعَدُّوا لَكُمْ وَعَدُّوا لَكُمْ وَأَخْرَجْنَا مِنْ دُونِهِمْ لَأَنْتُمْ لَكُمْ وَمَا نُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تظَلُمُونَ﴾ (الأنفال: 60).

إن الإعداد كما سبق الحديث عنه هو الترتيب والإجراءات السابقة للشيء، فالإعداد للدرس يعني التحضير، وتجهيز القاعة، والوسائل التعليمية المطلوبة، والإعداد للجهد يعني إعداد الطاقة البشرية وتدريبها، وإعداد السلاح، ووضع الخطط والبرامج، وغير ذلك من أمور الحرب، وهذا يجسد مبدأ القوة الإدارية في أكمل صورة وأحسنها.

وقد عاب الله تعالى على المنافقين عدم إعدادهم للقتال في تبوك، واعتبر ذلك مقدمة للتخلف عن الغزو فقال: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً﴾ (التوبة: من الآية 46). وعليه ندرك بمفهوم المخالفة أن المؤمن الصادق إذا عزم على أمر أعد له عدته.

وكذلك نجد أن كثيراً من الآيات التي دعت للجهد في سبيل الله قد نذبت من قبل إلى الإنفاق، والذي يمثل تحصيله إجراءً إدارياً من قبل القيادة؛ لأنه لا يتصور أن يتم جهاد وقتال دون مال، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْثَرُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ (التوبة: 20).

وقال كذلك: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (الحجرات: 15).

12- التكبير عند الحملة:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الأنفال: 45).

فقد أمرت الآية الكريمة المؤمنين بالثبات عند اللقاء، والاستعانة بالذكر.

قال القرطبي: "وحكم هذا الذكر أن يكون خفيفاً؛ لأن رفع الصوت في مواطن القتال رديء مكروه إذا كان الذكر واحداً، فأما إذا كان من الجميع عند الحملة، فحسن؛ لأنه يفت في أعضاد العدو (2).

وروي عن سعد بن أبي وقاص في القادسية أنه قال لجنده: "الزموا مواقعكم، ولا تحركوا شيئاً حتى تصلوا الظهر، فإذا صليتم فإني مكبر تكبيرة، فكبروا واستعدوا، واعلموا أن

(1) العسكرية الإسلامية وقادتها العظام، مرجع سابق، ص 110.

(2) الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ج 4، ص 384.

التكبير لم يُعْطَه أحد قبلكم، واعلموا أنكم أعطيتموه تأييداً لكم، ثم إذا سمعتم الثانية فكبروا، ولتستتم عدتكم، ثم إذا كبرت الثالثة فكبروا وليُنشِط فرسانكم الناس ليبرزوا وليطاردوا، فإذا كبرت الرابعة فازحفوا جميعاً حتى تخالطوا عدوكم، وقولوا: لا حول ولا قوة إلا بالله" (1).

فالنص السابق يظهر أن التكبير كان مبدأ من المبادئ العسكرية التي استخدمها القادة الأوائل ولها آثارها الإيجابية الكبيرة على نفسية جند المسلمين، ولها آثارها السلبية على نفسية الأعداء المحاربين.

المطلب الثاني:

الحرب النفسية والإعلامية في القرآن الكريم.

تمثل الحرب النفسية والإعلامية مبدأً من مبادئ الحرب، سواءً في القرآن الكريم، أو في النظريات العسكرية المختلفة، ونظراً لأهمية هذا فقد أفردت الحديث عنه في مطلب مستقل.

إذ إن الحرب النفسية والإعلامية تشكل معركة مستقلة، وقد تُوفَّرُ علينا جهودَ معركةٍ عسكرية كبيرة. وليس ضرورياً أن تأتي ضمن خطة عسكرية، بل قد تمارس الحرب النفسية زمن السلم، وحتى تتضح معالم هذا المطلب أطرق بالبحث الفروع الستة التالية:

الفرع الأول: مواقف قرآنية في تصوير الحرب النفسية.

يزخر القرآن الكريم بالعديد من المواقف التي تتناول في طياتها الحرب النفسية، أذكر

منها ما يلي:

1- قصة سيدنا موسى عليه السلام مع السحرة:

قال تعالى: ﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَيَّ اللَّهُ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ

افْتَرَى ﴿۞﴾ فَتَنَّا زَعْوَاهُمْ بِسَبِّهِمْ وَأَسْرَوْا النَّجْوَى ﴿طه: 61-62﴾.

لقد فاجأ سيدنا موسى عليه السلام السحرة بعبارات تهديدية نارية تلفح وجوههم، وتغرس الشك في نفوسهم، وتزرع الرعب في قلوبهم، وتشق صفهم، وتفرق جمعهم. إن الكلمات التي ألهاها موسى لو بذلها متصنع لزرع بها الرعب في القلوب، فما ظنكم حينما تخرج من نبي صادق، وداعية مخلص، إنها تهز الكيان.. وبالفعل فقد أثمرت هذه الكلمات، وآتت أكلها، فقد دب التنازع في صفوفهم، قال تعالى: ﴿فَتَنَّا زَعْوَاهُمْ بِسَبِّهِمْ﴾ (طه: من الآية 62)، لكنهم أرادوا أن يبقى هذا التنازع داخلياً، قال تعالى: ﴿وَأَسْرَوْا النَّجْوَى﴾.

(1) الجهاد والفتاوية في الإسلام، مرجع سابق، ص 346.

إن الحرب النفسية الصادقة التي استخدمها موسى ﷺ قد أفقدتهم صوابهم، فأخذوا يستعيدون وعيهم، ويجمعون قواهم، ويستعلون على حقيقة ضعفهم، ويعزون أنفسهم بقولهم: ﴿قَالُوا إِنْ هَذَا لَسَاحِرٌ أُرِيدُ أَنْ يُبَدِّلَ كَلِمَاتِنَا وَيُخْرِجَ جَاكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَ بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّى﴾ (طه:63).

وهكذا استطاع سيدنا موسى ﷺ أن يحدث في عدوه هزة بكلماته التي تمثل حرباً نفسية، وقد كانت موطئة لإيمانهم وثباتهم أمام فرعون فيما بعد (1).

2- قصة سيدنا سليمان ﷺ مع ملكة سبأ:

عندما أرسل نبي الله سليمان ﷺ خطاباً إلى ملكة اليمن يدعوها وقومها إلى الإسلام، خاطبها بالثقة الكاملة، والعزة الإيمانية التي جعلتهم مضطربى النفوس. قال تعالى: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلِيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٢﴾ أَلَّا تَعْلَمُونَ عَلَيَّ وَأُتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ (النمل:29-31).

إن اضطراب الملكة وخوفها دفعها لجمع مستشاريها العسكريين والسياسيين لتعرض عليهم الأمر، وإذا باضطرابها يمتد إليهم، وخوفهم تبديه كلماتهم، ولا نغتر بقولهم: ﴿نَحْنُ أَوْلُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ (النمل: من الآية33). إنها كلمات المواساة والتعزية، أو العناد والمكابرة؛ لأن القوي الحقيقي ليس في حاجة إلى أن يؤكد قوته بالقول، ويؤكد حالة الخوف التي أصابتهم قولهم: ﴿وَأَلْمُرُ إِلَيْكَ فَإِن تَطْرَيْ مَاذَا نَأْمُرُ﴾ (النمل: من الآية33). فهي ضعيفة بطبعها كامرأة، والاضطراب واضح في قولها، وإرجاع الأمر لها يعني اختيار المهادنة، وهذا ما كان بالفعل فقد بدأت تسوق للموقف القادم بقولها: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَآةَ أَهْلِهَا آذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ (النمل: من الآية34). وقد انتهى الأمر بإعلان الاستسلام، ودخولها الإسلام قال تعالى: ﴿وَأَسْلَمَتْ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (النمل: من الآية44).

وخلاصة القول، إن رسالة سيدنا سليمان ﷺ كانت تحمل في طياتها حرباً نفسية موجهة ومدروسة وقد أتت هذه الرسالة أكلها، وصنعت في القوم صنيعها (2).

الفرع الثاني: الحرب الإعلامية والنفسية ضد المسلمين كما بصورها القرآن الكريم.

لقد تعرضت الدعوة الإسلامية وقائدها الأول ﷺ إلى حملات من الحرب الإعلامية والنفسية إن في مكة، وإن في المدينة، وقد تعددت أساليب هذه الحرب وطرقها، فكان منها:

(1) الحرب النفسية من منظور إسلامي، د. أحمد نوفل، ص110، دار الفرقان، عمان - الأردن 1407هـ - 1987م.

(2) الحرب النفسية من منظور إسلامي، مرجع سابق، ص16.

1- حرب السخرية والاستهزاء:

حيث سجل القرآن الكريم تلك السخرية، منها: حينما جمع النبي ﷺ وجوه قريش، وخطبهم على الصفا، وإذ بأبي لهب يصيح مستخفاً بهذا الخطاب: تبا لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا، فأنزل الله تعالى سورة المسد⁽¹⁾ يقول فيها:

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ * سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ * وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ * فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ (سورة المسد).

وقد رمته قريش بالجنون، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ (الحجر:6).

تظهر الآية الكريمة حالة التهكم والسخرية بالنبي وقد تردوا بذلك في قعر سوء الأدب⁽²⁾.

وقد رمته قريش بالسحر والكذب، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ (ص: من الآية4).

وقد تحدث القرآن عن حالة السخرية العامة من أتباع هذه الدعوة، فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ * وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ * وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ * وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُونَ﴾ (المطففين:29-32).

تصور الآية موقفاً من مواقف الآخرة عندما يرى المجرمون العذاب فيسترجعون، أو يُذكرون برحلة الاستهزاء والسخرية التي كانوا يمارسونها ضد المؤمنين⁽³⁾.

إن هذه الحرب الإعلامية رغم أنها تبدو بسيطة، إلا أنها تحتل مساحة كبيرة في تشويه الصورة، وخط الحقائق، والصد عن هذه الدعوة.

2- حرب الإغراء والإيذاء:

لقد سلك الكفار كل السبل من أجل القضاء على هذه الدعوة، ومن أشكال الحرب النفسية التي مارسها القرشيون على النبي ﷺ الإغراء والإيذاء.

ومن صور الإغراء تلك المساومات التي حاولوا بها أن يلتقي الإسلام والجاهلية في منتصف الطريق؛ بأن يترك المشركون بعض ما هم عليه، ويترك النبي بعض ما هو عليه، قال تعالى: ﴿فَلَا تَطْعَمُ الْمُكْذِبِينَ * وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ (القلم:8-9).

(1) الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ج10، ص457.

(2) في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج4، ص2127.

(3) فتح القدير، مرجع سابق، ج5، ص576.

لكن العقيدة ليست كالتجارة، فصاحب العقيدة لا يتخلى عن شيء منها، فهي حقيقة واحدة متكاملة، ولا يمكن للإسلام أن يلتقي مع الجاهلية يوماً... لذا كان وحي الله لرسوله ﴿فَلَا تُطْعِ الْمُكَذِّبِينَ﴾، وخرجت الكلمات الصادقة من النبي الصادق ﷺ للدنيا بأسرها يخاطب بها عمه: "يا عم، والله لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري، على أن أترك هذا الأمر، ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك فيه"⁽¹⁾.

ويأتيه عتبة، ويعرض عليه المال، والجاه، والسؤدد، والملك، فيرد عليه بسورة فصلت: ﴿حَمْدٌ شَرِّبَ لُ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ كِتَابٌ فَصَّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ...﴾ حتى بلغ السجدة ثم قال: "قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت، فأنت وذاك"⁽²⁾.

ومن الإغراء، إلى التهديد والإيذاء، حيث تتقدم قريش بطلب صريح من أبي طالب أن يُسلم النبي ﷺ لهم، وأن يرفع عنه الحماية، حيث قالوا: "يا أبا طالب هذا عمارة بن الوليد أنهد فتى في قريش وأجمله، فخذة فلك عقله ونصرته، واتخذة ولداً فهو لك، وأسلم إلينا ابن أخيك هذا الذي خالف دينك، ودين آبائك، وفرق جماعة قومك، وسفه أحلامهم نقتله، فإنما هو رجل برجل"⁽³⁾.

وهذا عبدالله بن مسعود ﷺ يتحدث عن إيذاء قريش للنبي ﷺ قائلاً: "بينما رسول الله ﷺ ساجد، وحوله ناس من قريش من المشركين، إذ جاءه عقبة بن أبي معيط بسلى جزور، وقذفه على ظهر النبي ﷺ، فلم يرفع رأسه حتى جاءت فاطمة عليها السلام فأخذت من ظهره...."⁽⁴⁾.

3- حرب الإشاعات والافتراءات:

ومن أساليب الحرب النفسية التي استخدمتها قريش ضد النبي ﷺ حرب الإشاعات والافتراءات، فقد كانت قريش تهدف من وراء هذا الأسلوب الخبيث تشويه صورة الدعوة ورائدها الأول أمام الوافدين، والحجاج القادمين إلى مكة⁽⁵⁾.

وقد تناول القرآن الكريم جملة من الافتراءات الإعلامية، ورد عليها، ومنها:

- قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ (الطور: 33-34). فقد زعم كفار مكة أن النبي ﷺ قد اختلق القرآن، وافتراه من عند نفسه، فكان الرد قاطعاً ﴿فَلْيَأْتُوا

(1) في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج-6، ص3660.

(2) في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج-6، ص3661.

(3) المنهج الحركي للسيرة النبوية، مرجع سابق، ج-1، ص86.

(4) صحيح: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجزية والموادعة، باب (21) طرح جيف المشركين في البئر، ح3185، ص531.

(5) الحرب النفسية من منظور إسلامي، مرجع سابق، ص32.

بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ⁽¹⁾.

- وفي آية أخرى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ اقْتِرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَاتٍ وَأَدْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (هود: 13).

الفرع الثالث: الحرب النفسية ودورها في المعارك

إن ما تصنعه الحرب النفسية من تأثير على نتيجة المعارك، أكثر مما يصنعه السلاح، وتتجزه النار، لذا نجد الجيش الناجح هو من يستخدم هذا السلاح إلى جانب السلاح الحديدي، وقد استعمل القرآن الكريم الحرب النفسية لتدمير نفسية العدو ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَعَابُونَ وَنُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبُسِّ الْمِهَادِ⁽²⁾ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الَّتِي تَقَاتَلْتُمَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلِهِمْ مَرَأَىٰ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ (ال عمران: 12-13).

فقد شنت الآية حرباً نفسية شديدة ضد اليهود، وذلك لأنهم فرحوا بما أصابنا في أحد، ومن قبل قد حَقَرُوا انتصارنا في بدر، وقالوا: "يا محمد، لا يغرنك أنك قاتلت أقواماً أغمراً"⁽²⁾ لا علم لهم بالحرب فأصبت فيهم فرصة! والله لو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس"⁽³⁾.

فكان لابد من زعزعة ثقتهم بأنفسهم، وكسر كبرياتهم، فجاء التهديد القرآني كالريح العاصفة: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَعَابُونَ وَنُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبُسِّ الْمِهَادِ⁽²⁾، ثم قدم لهم نموذجاً ودليلاً، فحمل ذكرتهم إلى يوم بدر، وكيف أيد الله بنصره الفئة القليلة المؤمنة على الفئة الكبيرة الباغية، فكان النصر حليف المؤمنين.

ويظهر أثر هذه الحرب النفسية التي شنّها القرآن في غزوة بني النضير التي تبعت أحد، وذلك عندما بلغت بهم السفاهة أن يحاولوا اغتيال النبي ﷺ، وقد سجل القرآن الكريم أثر هذه الحرب النفسية عليهم، وكيف أن الرعب امتلك قلوبهم، فقال: ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ (الحشر: من الآية 2).

وقد واجه القرآن العزيز حربهم الإعلامية ضد رسول الله ﷺ في مسألة تقطيع النخيل، حيث قالوا: "يا محمد إنك تنهى عن الفساد، فما بالك تأمر بقطع الأشجار"، فأُنزل الله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْرِجَ الْفَاسِقِينَ﴾ (الحشر: 5).

(1) مختصر تفسير ابن كثير، مرجع سابق، ج3، ص392.

(2) أغمراً: جمع غمر بالضم وهو الجاهل، (تفسير الطبري، ج2، ص399).

(3) مختصر تفسير ابن كثير، مرجع سابق، ج3، ص471.

وقد أثمرت الحرب النفسية ضد بني النضير، فأعدتهم عن المواجهة، وحملتهم على التسليم لأمر رسول الله بالرحيل عن المدينة، والله الحمد.

الفرع الرابع: استخدام الكذب والتضليل في الحرب النفسية.

إن الأصل في سلوك المسلم أنه يقوم على الصدق والوضوح، لكن الحرب لا تحتاج مثل هذه القيم الرفيعة إذا كان من شأنها أن تسبب الضرر للمسلمين، وتؤخر النصر عنهم، لذا فإنه يباح في الحرب ما لا يباح في غيرها، لا سيما إن كانت هذه الأساليب تساهم في إسراع إنهاء القتال، وحفظ الأنفس من الجانبين⁽¹⁾.

فعن كعب بن مالك فيما أخرجه البخاري ومسلم: كان رسول الله ﷺ كلما يريد غزوة إلا ورى بغيرها...⁽²⁾.

جاء في فتح الباري: "ورى: ستر، وتستعمل في إظهار شيء مع إرادة غيره..."⁽³⁾.
فالنبي ﷺ وهو قائد الأمة يعلن غير ما يريد، فإذا أراد الشرق سأل عن الغرب، وأعداً لذلك أمراً، فيظن الجميع أنه يريد الغرب، وهو في الأصل يريد الشرق.
وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: "الحرب خدعة"⁽⁴⁾.

جاء في فتح الباري: "وفيه التحريض على أخذ الحذر في الحرب، والندب إلى خداع الكفار، وأن من لم يتيقظ لذلك، لم يأمن أن ينعكس الأمر عليه... قال ابن العربي: الخداع في الحرب يقع بالتحريض، والكمين، وغير ذلك..."⁽⁵⁾.

وقال النووي: "اتفق العلماء على جواز خداع الكفار في الحرب كيفما أمكن الخداع، إلا أن يكون فيه نقض عهد، أو أمان فلا يحل، وقد صح في الحديث جواز الكذب في ثلاثة أشياء: أحدها في الحرب"⁽⁶⁾.

ومن أمثلة هذا الخداع: "ما فعله علي بن أبي طالب ﷺ يوم الخندق حين بارزه عمرو بن ودّ، قال أليس قد ضمننت لي أن لا تستعين عليّ بغيرك؟ فمن هؤلاء الذين دعوتهم؟ فالتفت كالمستبعد لذلك، فضرب على ساقيه ضربة قطع رجله"⁽⁷⁾.

(1) الجهاد والقتال في السياسة الشرعية، مرجع سابق، جـ2، ص1294.

(2) صحيح: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب (103) من أراد غزوة فورى بغيرها، ح2948، ص488.

(3) فتح الباري، مرجع سابق، جـ6، ص132.

(4) صحيح: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب (157) الحرب خدعة، ح3030، ص500.

(5) فتح الباري، مرجع سابق، جـ6، ص138.

(6) صحيح مسلم بشرح النووي، مرجع سابق، جـ6، ص265.

(7) الجهاد والقتال في السياسة الشرعية، مرجع سابق، جـ2، ص1295.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: "من لكعب بن الأشرف فإنه قد آذى الله ورسوله؟". قال محمد بن مسلمة: أتحب أن أقتله يا رسول الله؟ قال: "نعم" قال: فأتاه فقال: إن هذا يعني أن النبي ﷺ قد عاننا وسألنا الصدقة، قال: وأيضاً والله لتملننه، قال: فإننا قد اتبعناه، فنكره أن ندعه حتى ننظر إلى ما يصير أمره، قال: فلم يزل يكلمه حتى استمكن منه فقتله"⁽¹⁾.

قد ترجم البخاري لهذا الحديث بقوله: "الكذب في الحرب"، وقد أذن النبي ﷺ لمحمد بن مسلمة بالكذب تصريحاً وتلميحاً، وذلك يؤخذ من زيادة الحديث التي لم تذكر في هذه الرواية من قول محمد بن أبي مسلمة: "أذن لي أن أقول، قال: قل"⁽²⁾.

وعن أسماء⁽³⁾ بنت يزيد، قالت: قال رسول الله ﷺ: "لا يحل الكذب إلا في ثلاث: يحدث الرجل امرأته ليرضيها، والكذب في الحرب، والكذب ليصلح بين الناس"⁽⁴⁾.

ويقول ابن شهاب: "ولم أسمع يُرخص في شيء مما يقول الناس كذب إلا في ثلاث: الحرب، والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل امرأته، وحديث المرأة زوجها"⁽⁵⁾.

يقول النووي: "الظاهر إباحة حقيقة الكذب في الأمور الثلاثة، لكن التعريض أولى"⁽⁶⁾.
وبالنظر في جميع النصوص السابقة يظهر لي جواز التضليل، والكذب في الحرب ضد الأعداء، وبناء عليه يجوز التضليل والكذب في شن الحرب النفسية ضد الأعداء؛ لأن الحرب النفسية تمثل جزءاً من الحرب الشاملة ضد الأعداء، شريطة أن تساهم في تعجيل النصر، وكسر شوكة الأعداء، وحفظ الأنفس، والله أعلى وأعلم.

الفرع الخامس: امتلاك وسائل إعلام حديثة ضرورة ملحة.

تشكل وسائل الإعلام الحديثة دوراً كبيراً في التأثير على الناس إيجاباً أو سلباً، ونرى كيف استطاع أعداء الله استخدام هذه الوسائل الإعلامية لصالحهم بشكل كبير، فشنوا علينا من خلالها حربهم الإعلامية والنفسية، لذا فقد تعين على الجماعة المسلمة أن تمتلك هذه الأداة لتوظيفها فيما ينفع الإسلام والمسلمين.

(1) صحيح: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب (158) الكذب في الحرب، ح3031، ص500.

(2) صحيح: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب (159) الفتك بأهل الحرب، ح3032، ص500.

(3) أسماء بنت يزيد بن السكن بن رافع بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل بن جشم بن الحارث الأنصارية الأوسية ثم الأشهلية، (الإصابة في تمييز الصحابة، مرجع سابق، >7، صص498).

(4) حسن: أخرجه الترمذي في سننه، كتاب البر والصلة، باب (26) ما جاء في إصلاح ذات البين، ح1938، ج4، ص105.

(5) صحيح مسلم، باب تحريم الكذب وبيان المباح منه، ح2605، ص1360.

(6) فتح الباري، مرجع سابق، ج6، ص84.

يقول الدكتور منير الغضبان: "وما أحوج الحركة الإسلامية اليوم التي تخوض معركتها العسكرية أن تعطي الجانب الإعلامي حقه، وطبيعة الحرب العالمية اليوم حرب إعلامية"⁽¹⁾.

ويقول سعيد حوى: "والولوج إلى أجهزة الإعلام العالمية والمحلية من قبل المؤمنين بالإسلام أصل لا ينبغي التفريط فيه إلا لمانع شرعي"⁽²⁾.

إننا اليوم أمام طوفان جارف من وسائل الإعلام المرئية، والمسموعة، والمقروءة، ولم تعد الوسائل القديمة قادرة على الوقوف في وجه هذا الطوفان، لذا فعلى الحركة الإسلامية اليوم أن تسعى بكل قوة لإيجاد قناة فضائية لا تخضع لتأثير أي دولة من الدول المستفيدة من خلط المفاهيم في ذهن الإنسان، فنقوم بتصحيح التصورات الخاطئة، والمفاهيم المغلوطة، والأفكار المنحرفة.

وإن امتلاك قناة فضائية لا يُغني عن امتلاك الإذاعات المحلية، وإصدار المجالات والصحف، الشهرية، أو الأسبوعية، أو اليومية، بالإضافة إلى المواقع الإلكترونية في شبكة المعلومات الدولية.

باختصار، لا نستطيع أن نمارس الحرب الإعلامية والنفسية اليوم على مستوى مؤثر دون امتلاك هذه الوسائل الإعلامية المتقدمة.

الفرع السادس: وسائل الوقاية من الحرب النفسية المعادية.

وسائل الوقاية كثيرة ومتعددة، أذكر منها ثلاث نقاط لأهميتها:
1- الإيمان وقوة العقيدة⁽³⁾:

فالإيمان بالله، وقوة العقيدة، تمثل الصخرة التي تتحطم عليها كل المحاولات اليائسة للنيل من الدعوة الإسلامية، بما في ذلك الحرب النفسية، وقد ظهر فضل العقيدة على الفئة المؤمنة عندما مارس أبو سفيان الحرب النفسية ضد المسلمين، وأرسل إليهم من يخوفهم من قوة الجيش الكافر، فكانت الإجابة العقديّة "حسبنا الله ونعم الوكيل".

وقد سجل القرآن الكريم هذا الموقف في آل عمران فقال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَاتَّقُوا بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَقَضَلْ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا مَرْضَاةَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ (آل عمران: 173-174).

(1) المنهج الحركي للسيرورة النبوية، مرجع سابق، ج2، ص369.

(2) جند الله تخطيطاً، مرجع سابق، ص101.

(3) الحرب النفسية من منظور إسلامي، مرجع سابق، ص206.

فالمؤمن الحق لا تؤثر فيه الحرب النفسية، ولا يخاف الوعيد، ولا يرهبه التهديد، وإن من أهداف الحرب النفسية التخويف من الموت والفقر، والمؤمن لا يخشى الموت، ولا يخاف الفقر؛ لأنه يعلم جيداً أن هاتين القضيتين بيد الله وحده، يقدر فيهما ما يشاء ويختار. قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّوجَّلاً﴾ (ال عمران: من الآية 145). فالموت كتاب مؤجل يأتي في وقته الذي يختاره الله تعالى. وقال كذلك: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ مَرْزُقُهَا﴾ (هود: من الآية 6). فالرزق إذاً بيد الله فلا خشية ولا خوف.

والمؤمن كذلك لا ترهبه قوة الأعداء، وغطرتهم، وتفوقهم في عدتهم وعتادهم، قال تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة: من الآية 249).

والمؤمن لا يتعاطى مع إشاعات الحرب النفسية المعادية، بل يرد الأمر لأهله، قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدْعَاؤُهُمْ وَلَوْ مَرَدُّهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَ الَّذِينَ يُسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَتَبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (النساء: 83).

2- كشف أهداف العدو وأساليبه في الحرب النفسية(1):

قد حرص القرآن الكريم على فضح أساليب العدو من كفار أو منافقين، ومن ذلك:

أ- قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾ (ال عمران: 100). فقد بينت الآية الكريمة أن من ضمن أهدافهم محاولة تفرقة المسلمين بما يبثونه من إشاعات كاذبة.

ب- وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ (الأحزاب: 12).

أوضحت الآية محاولة المنافقين تشكيك المسلمين في وعد الله ونصره، وهو نوع من الحرب النفسية، وقد فضح الله عز وجل هذه الأساليب لتكون على حذر منها.

3- كتمان الأسرار، ونشر الوعي الأمني(2):

وللوقاية من الحرب النفسية ينبغي أن تكتم أسرار الأمة والجيش عند أهل العلم من القادة والمسؤولين؛ لأنهم الأدرى بكيفية التعامل مع هذه المعلومات، يقول الإمام علي: "ليس كل ما يعلم يقال، ولا كل ما يقال حضر أهله، ولا كل من حضر أهله حان وقته".

قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدْعَاؤُهُمْ وَلَوْ مَرَدُّهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ

(1) الحرب النفسية من منظور إسلامي، مرجع سابق، ص208.

(2) الحرب النفسية من منظور إسلامي، مرجع سابق، ص209.

لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (النساء: 83).

فإذا تحقق الوعي الأمني عند الجنود نقلوا كل ما يصل إليهم إلى أصحاب القرار والعلم والتحليل والاستنباط، فعملوا ما وراءه، وعرفوا كيف يتخذون قرارهم في ضوءه.

المطلب الثالث

مبادئ الحرب من خلال النظرية العسكرية في سورة العاديات.

أتناول بإذن الله في هذا المطلب مبادئ الحرب التي تضمنتها سورة العاديات في آياتها الخمس الأولى، وذلك كنموذج للفكر العسكري في القرآن الكريم.
قال تعالى: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ﴿٣﴾ فَأَنْزِلْنَاهُ نَعْمًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾ (العاديات: 1-5).

الوقفة الأولى: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾.

أ- المعنى:

العاديات: هي الخيل حال كونها تعدو، وعليه عامة أهل التفسير واللغة⁽¹⁾.

ضَبْحًا: قال قتادة: "تَضْبِحُ إِذَا عَدَتْ، أَي تَحْمَمُ"⁽²⁾

وقيل كانت تُكَمُّ⁽³⁾ لئلا تصهل، فيعلم العدو بهم، فكانت تتنفس في هذه الحالة بقوة⁽⁴⁾.

وقال الفراء: الضبوح صوت أنفاس الخيل إذا عدت⁽⁵⁾.

وخلاصة الأمر في الضبوح أنه صوت أنفاس الخيل كونها تعدو؛ إما لشدة سرعتها،

وإما لتكتمها.

ب- المبادئ العسكرية في الآية:

قد تضمنت الآية بعض المبادئ العسكرية، ومنها:

1- مبدأ المفاجأة والمباغطة:

حيث نعي به الظهور أمام العدو في وقت لا يُقدّره، وبصورة لا يتوقعها، وبأسلوب

يجهله.

وأرى أن في الآية السابقة تحقيقاً لمبدأ المباغطة، وذلك لأن العدو دليل السرعة،

والسرعة سبيل المباغطة والمفاجأة.

(1) تفسير الطبري، مرجع سابق، جـ7، ص556.

(2) الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، جـ10، ص388.

(3) تُكَمُّ: أي يُشَدُّ فاها بشيء يوضع فيه (لسان العرب، مرجع سابق، جـ7، ص680).

(4) الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، جـ10، ص388.

(5) فتح القدير، للشوكاني، مرجع سابق، جـ5، ص695.

فإنك إذا أردت أن تباغت أحداً أسرعت حتى تصل في زمان لا يتوقعه، وكذلك إن استخدام كلمة الضبح للخييل بدل الصهيل، لشدة سرعتها، وهذا يساهم في تحقيق مبدأ المفاجأة.

2- مبدأ الأمن:

وأرى أن هذه الآية تتضمن كذلك مبدأ الأمن، فإن السرعة، وكنم الصوت، إنما هي إجراءات أمنية للمحافظة على سلامة الجند والقادة المغيرين على الأعداء.

الوقفه الثانية: ﴿فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا﴾.

أ- المعنى:

الموريات: هي التي تُوري النيران قدحاً، فالخييل توري النيران بحوافرها، والناس يُورونها بالزند⁽¹⁾.

قال عكرمة، وعطاء، والضحاك: هي الخييل حين تُوري النار بحوافرها⁽²⁾.
وأصل القدح هو الاستخراج، ومنه قدحت العين: إذا أخرجت منها الماء الفاسد⁽³⁾.
ومنه يسمي الناس آلة إشعال النار في بلدنا "قدّاحة".

وخلاصة الأمر في معنى الآية:

أن العاديات لشدة سرعتها تحول صهيلها إلى ضبح، وأخذت الحوافر تضرب الصخر فتستخرج منه الشرر.

ب- المبادئ العسكرية في الآية:

1- التعرضّ والمبادأة:

فقد رسمت الآية الكريمة صورة لشكل الهجوم الذي يشنه فرسان الإغارة، إنه هجوم خاطف، وسريع مرعب، لا يقوى العدو على مواجهته بسهولة، ويستخدم هذا النوع من الهجوم غالباً للتغلغل القصير المدى في مناطق العدو، وذلك لتحقيق أهداف مرحلية⁽⁴⁾.
ومثاله ما فعله المثني بن حارثة في هجومه الخاطف على سوق بغداد، وهجماته على سوق الخنافس والأنبار⁽⁵⁾.

وأرى أن مثل هذا النوع من الهجوم يناسب حرب العصابات، كحربنا التي نخوضها ضد المحتل على أرضنا فلسطين.

(1) تفسير الطبري، مرجع سابق، جـ7، ص557.

(2) الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، جـ10، ص390.

(3) الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، جـ10، ص390.

(4) التعبئة الجهادية في الإسلام، مرجع سابق، ص209.

(5) التعبئة الجهادية في الإسلام، مرجع سابق، ص209.

2- المعنويات:

إن مثل هذا الهجوم السريع، الخاطف من شأنه أن يرفع الروح المعنوية عند الجنود المشاركين في الإغارة، أو عند من يقف خلفهم، وله أثر عكسي على الجنود والقيادة التي يقع عليها الهجوم.

إن أجواء الهجوم كما رسمتها الآية تجعل الجند في رعب لا يحسدون عليه، ففي لحظة هدوء، وإذا بخيل في غاية السرعة تباغتهم وتقتحم عليهم معسكرهم، وكل ذلك يأتي مصحوباً بأصوات الحممة والضبح المنبعثة من الخيل، إضافة إلى النيران التي تقدها العاديات في عدوها.

الوقفة الثالثة: ﴿فَالْمُعْرَاتِ صُبْحًا﴾.

أ- المعنى: أي الخيل تغير على العدو عند الصباح، وعن ابن عباس: كانوا إذا أرادوا الغارة سروراً ليلاً، ويأتون العدو صُبْحاً؛ لأن ذلك وقت غفلة الناس، ومنه قوله تعالى: ﴿فَسَاءَ صَبْحًا تُنذِرِينَ﴾ (الصافات: من الآية 177)⁽¹⁾.

وقيل: "صُبْحاً" أي علانية فلعزمهم أغاروا نهاراً⁽²⁾.

وأرى أن الأول أقرب إلى حال سلفنا الصالح، فقد كانت معظم غاراتهم في وقت الصباح، وذلك كما في غزوة خيبر.

يقول المباركفوري: "وكان النبي ﷺ إذا أتى قوماً بليلاً لم يقر بهم حتى يصبح، فلما أصبح صلى الفجر بجلس⁽³⁾، وركب المسلمون..."⁽⁴⁾.

ب- المبادئ العسكرية في الآية الكريمة:

1- وقت الهجوم:

تحدد الآية زمن الهجوم، وهو وقت الصباح؛ وذلك لأن الناس في هذا الوقت يكونون في حالة غفلة واسترخاء، حيث جرت عادة الكافرين والعصاة، أن يبالغوا في السهر، فإذا دخل الفجر غطوا في نوم عميق.

2- المباغتة:

وقد تضمنت الآية مبدأ المباغتة؛ لأن اختيار وقت الفجر الذي يكون فيه الناس في غفلة من أمرهم يحقق هذا المبدأ بشكل كامل.

(1) الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ج10، ص391.

(2) الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ج10، ص391.

(3) الغلس: هو ظلال آخر الليل. (لسان العرب، مرجع سابق، ج6، ص654).

(4) الرحيق المختوم، مرجع سابق، ص411.

وكذلك فإن كلمة «المُغِيرَاتِ» في الآية توحى بمبدأ المباغثة، لأن الإغارة هي سرعة السير⁽¹⁾.

ويقول الشوكاني: "يقال: إنما يغير إغارة: إذا باغت عدوه بقتل، أو أسر.." (2).

والمغير غالباً ما يباغت العدو بإغارة وإلا لما كان لغارته أي معنى.
3- المبادأة:

أي البدء في الهجوم، وهو متحقق بالإغارة.

4- الاقتصاد في الجهد:

وهو مبدأ متحقق في الآية، إذ إن اختيار وقت الفجر للإغارة يعني توفير كثير من

الجهد، فحالة الغفلة والنوم، وتحقيق المباغثة، تساعد الغائرين بشكل جيد على تحقيق النصر بأقل جهد، وأسرع وقت.

الوقفه الرابعة: «فَأَثَرُنْ بِهِ نَعْمًا» .

أ- المعنى:

أي الخيل تثير الغبار بشدة العدو في المكان الذي أغارت فيه⁽³⁾.

ب- المبادئ العسكرية في الآية:

1- مبدأ التغطية:

من أبرز المبادئ التي يحققها النقع بإثارته مبدأ التغطية، حيث في ظل الغبار

المتصاعد والمترامك، تضعف الرؤية، ويصعب تحديد الأهداف، ويقع العدو في حيرة شديدة،

ويمكن أن نستعيض عن الغبار في زماننا بالقنابل الدخانية، بحيث تنفذ الضربة الأولى للعدو،

وبعد ذلك تضرب القنابل الدخانية، ويتم تنفيذ ما تبقى من أهداف في ظل ربكة العدو وحيرته،

وقد يستعاض عنها بإشعال الإطارات، أو خنادق النفط.

2 - المعنويات:

إن حالة الغبار المترامك، والصوت المرتفع للخيل، والسلاح، أو للدبابات في زماننا

يمثل حرباً نفسية للعدو، تنال من معنوياته، فيصبح لا يفكر في أكثر من أن ينجو بنفسه.

الوقفه الخامسة: «فَوْسَطُنْ بِهِ جَمْعًا» .

أ- المعنى: أي وسطن بركبانهن العدو⁽⁴⁾.

ب- المبادئ العسكرية في الآية:

1- مبدأ تحديد موضع الضرب (الاختراق):

(1) الجامع لأحكام القرآن، جـ10، ص392.

(2) فتح القدير، مرجع سابق، جـ5، ص696.

(3) الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، جـ10، ص392.

(4) الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، جـ10، ص393.

فقد حددت الآية الكريمة الموضوع الذي يستهدفه المغيرون لنجاح غارتهم، وتحقيق هدفهم، وإن ضرب وسط مجمع العدو يحقق جملة من الإنجازات منها:

- **ضرب القيادة:** فالقيادة غالباً ما تتمترس في منطقة الوسط لبعدها عن الخطر الذي يهدد الأطراف بين الحين والآخر.

- وإن الوصول للوسط الذي تتمركز فيه القيادة في بداية الهجوم أسهل بكثير من الوصول إليه عند ضرب الأطراف، إذ إن الإجراءات الأمنية المتخذة قبل الإغارة تكون أقل بكثير من الإجراءات بعد بداية الإغارة. وبالتالي يمكن أن تصيب القيادة بشكل سهل.

- **تفريق جمع الأعداء:** إن ضرب الوسط يعني أن عملية الفرار ستتخذ طريقها في غير اتجاه منطقة الوسط، وكلما اتسعت دائرة هروبهم، كلما زاد تفرقهم، وتمكنت مجموعة الإغارة من أن تنفذ مهامها الرئيسية.

- **غرس الخوف والرعب في قلوب الأعداء:** إن ضرب الوسط يعني سقوط كل أنظمة الحماية، ونظريات الأمن التي وضعها الأعداء، وهذا يحمل في طياته تدميراً نفسياً للقيادة صاحبة هذه النظرية، ويمثل كذلك شبحاً مرعباً لجميع الجنود، فإذا لم تستطع القيادة أن تحمي مقرها فهي عن حماية غيرها أعجز، وبالتالي تُنزع الثقة من القيادة، ويسود الشك والخوف في نفوس كل الجنود.

2- اختيار القصد والمحافظة عليه:

إن التحديد السابق لموضع الضرب، ثم أخذ كل الإجراءات لأجل بلوغه، هذا يعني أن الهدف محدد، والقصد حاضر، والمحافظة عليه قائمة، وفي ذلك تحقيق لمبدأ اختيار القصد والمحافظة عليه.

الوقف السادس: تطبيق المبادئ العسكرية في هذه الآيات يعطينا قوة إدارية، ونجاحاً فعلياً، وإنجازاً كبيراً.

إن هذه الآيات قدمت تصوراً كاملاً لعمل عسكري ناجح.

يقول سيد قطب: "يقسم الله بخيل المعركة، ويصف حركاتها، واحدة واحدة، منذ أن تبدأ عدوها، وجريها ضابحة بأصواتها المعروفة حين تجري، قارعة للصخر بحوافرها حتى توري الشرر منها، مغيرة في الصباح الباكر لمفاجأة العدو، مثيرة للنقع والغبار، غبار المعركة على غير انتظار، وهي تتوسط صفوف الأعداء على غرة، فتوقع بينهم الفوضى والاضطراب"⁽¹⁾.

(1) في ظلال القرآن، مرجع سابق، جـ6، ص3958.

الفصل الخامس:
دراسة عسكرية لمعارك سجلها القرآن الكريم

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول:
دراسة عسكرية لأيات غزوة أحد من سورة آل عمران.

المبحث الثاني:
دراسة عسكرية لأيات غزوة الخندق من سورة الأحزاب.

المبحث الثالث:
دراسة عسكرية لأيات غزوة تبوك من سورة التوبة.

الفصل الخامس:

دراسة عسكرية لمعارك سجلها القرآن الكريم

تناول القرآن الكريم الحديث عن الغزوات والمعارك التي خاضها المسلمون بقيادة نبينا ﷺ، وبالنظر والتحليل لهذه الآيات نجد أنها قد احتوت دُرراً ثمينة، وجواهرَ غالية، ونظرياتٍ عظيمة، ومبادئَ رائعة، تفيد الفكر العسكري، وترقى به إلى القمة السامقة، لذا فقد تناولت في هذا الفصل الدروس العسكرية، والتربوية، والإدارية المستفادة من آيات بعض الغزوات التي سجلها القرآن الكريم.

ومن الجدير بالذكر أن الدروس المستخلصة من آيات الغزوات المطلوبة تشمل كافة الجوانب ذات الصلة بالمعركة، سواءً كانت عسكرية أو نفسية، أو تربوية أو أخلاقية؛ إذ إن القتال في الميدان جزء من نظرية عسكرية متكاملة، هذا ما تؤكد الآيات التي تناولت الحديث عن الغزوات، وعليه فإن وجود الدروس التربوية والأخلاقية والنفسية لا يُخرج الدراسة عن كونها عسكرية؛ لأنها مرتبطة بالآيات التي سجلها القرآن حول الغزوة.

وقد راعيت في هذه الدروس تسلسل آيات المعركة، وترتيبها داخل السورة، حيث دار الحديث عن ثلاث غزوات في ثلاثة مباحث، على النحو التالي:

المبحث الأول:

دراسة عسكرية لآيات غزوة أحد من سورة آل عمران.

المبحث الثاني:

دراسة عسكرية لآيات غزوة الخندق من سورة الأحزاب.

المبحث الثالث:

دراسة عسكرية لآيات غزوة تبوك من سورة التوبة.

وفيما يلي تفصيل ذلك:

المبحث الأول:

دراسة عسكرية لآيات غزوة أحد من سورة آل عمران.

في هذا المبحث تناولتُ آيات آل عمران التي عرضتُ لغزوة أحد، وحاولتُ جاهداً الوقوف على بعض الدروس العسكرية التي تضمنتها الآيات، ولكن قبل ذلك ألقىتُ بعض الضوء على سورة آل عمران وغزوة أحد، على أن ينتظم الحديث في مطلبين على النحو التالي:

المطلب الأول:

وقفات حول سورة آل عمران، وغزوة أحد.

يتضمن هذا المطلب فرعين، أحدهما تحدثت فيه عن إشارات حول سورة آل عمران؛ وذلك مراعاة لقاعدة الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية، إذ لا بد للقارئ أن يعيش جوَّ السورة قبل أن أدخل به إلى أحد موضوعاتها، فيستطيع أن يحدد موقعه، وفي الفرع والثاني أقف مع سورة أحد، وفيما يلي تفصيل ذلك:

الفرع الأول: مع سورة آل عمران.

سورة آل عمران مدنية بإجماع⁽¹⁾ وعدد آياتها مائتا آية.

ومن أسمائها: الزهراء، والكنز، والأمان، وسورة الاستغفار⁽²⁾.

- المحاور العامة لسورة آل عمران:

بعد النظر في آيات السورة وتفسيرها، يمكن تلخيص المحاور التي عالجتها سورة آل عمران في النقاط التالية⁽³⁾:

1- بيان موقف أهل الكتاب المنحرفين عن كتابهم، من الجماعة المسلمة، والعقيدة الجديدة .

ومن النصوص التي عالجت هذا المحور:

أ- قوله تعالى: ﴿الْمُتَرِّقِينَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعُونَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بِهِمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقًا مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ (آل عمران: 23).

ب- قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (آل عمران: 71).

ج- قوله تعالى: ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَيْنَا وَجْهَ النَّهَارِ وَكَفَرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (آل عمران: 72).

(1) الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ج2، ص379.

(2) الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ج2، ص379.

(3) في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج1، ص353-359.

وغيرها من الآيات التي تسلط الضوء على موقف أهل الكتاب من الدعوة الجديدة، وطرق صدهم عن سبيل الله.

2- بيان معنى الدين، والتأكيد على أن الدين ليس كل اعتقاد في الله، وإنما هو صورة واحدة من صور الاعتقاد فيه؛ إنها صورة التوحيد المطلق الناصع القاطع، إنه توحيد الألوهية. ومن الآيات التي عالجت هذا المحور:

أ- قوله تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ (ال عمران: 2)

ب- قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَانِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (ال عمران: 18).

ج- قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (ال عمران: 64).

قد أكدت كل الآيات السابقة على مسألة الوجدانية لله، وأكدت على عدم وجود شريك سواء ضمناً في الآية الأولى والثانية، أم نصاً كما في الآية الثالثة، وغيرها من الآيات الكثيرة التي تؤكد توحيد الألوهية، كصورة واحدة للاعتقاد المقبول عند الله تعالى في الصورة كثيرة.

3- بيان حال المسلمين مع ربهم، وتلقيهم لكل ما يأتيهم منه بالقبول، والطاعة، والاتباع الدقيق، ومن أمثلة الآيات التي تؤكد هذا المعنى:

أ- قوله تعالى: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (ال عمران: من الآية 7).

ب- وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا أَمْنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (ال عمران: 16).

ج- وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ الَّذِينَ أَحْسَبُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (ال عمران: 172).

فقد أشارت جميع الآيات السابقة إلى موقف المؤمنين من الأوامر الإلهية، وتقديم تصور عن الطاعة لدى الفئة المؤمنة، والآيات التي تشير إلى هذا المعنى في السورة كثيرة.

4- تحذير المؤمنين من ولاية غير المؤمنين، وتعزيز عدم اجتماع ولاية الله مع ولاية الكافرين، الذين لا يحتكمون إلى كتاب الله، ولا يتبعون منهجه في الحياة.

ومن الآيات التي رسخت هذا المعنى:

أ - قوله تعالى: ﴿لَا يَخْذِبُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرْكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ (آل عمران: 28).

ب - وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾ (آل عمران: 100).

ج - وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ نَعْقِلُونَ﴾ (آل عمران: 118).

فقد نهت الآيات الكريمة عن تولي الكافرين، واتباع غير سبيل المؤمنين، والآيات التي تشير إلى هذا المعنى في السورة كثيرة.

5- بيان أحداث غزوة أحد، وعرض صورها، وتقييم أحداثها، واستخلاص دروسها، وكذلك تقرير حقائق في عملية بناء التصور الإسلامي من تناولها، مع توضيح سنة الله في النصر والهزيمة، ويأتي الحديث مفصلاً عن هذا المحور بعد قليل إن شاء الله.

الفرع الثاني معطيات حول غزوة أحد:

في هذا الفرع أذكر بعض البيانات الهامة حول غزوة أحد، ومنها:

1- سبب الغزوة:

اعتزام المشركين الثأر لقتلهم يوم بدر، فقد ذكر ابن هشام في سيرته أنه لما رجع المصابون في بدر من المشركين قالوا لأبي سفيان، ومن له في تلك العير التي نجت: "إن محمداً قد وتركم، وقتل خياركم، فأعينونا بهذا المال على حربه، فلعلنا ندرك منه ثأرنا بمن أصاب منا، ففعلوا"⁽¹⁾.

وفي ذلك نزل قول الله تعالى: ﴿لِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُفْقَهُمْ أَمْوَالَهُمْ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُخْشَرُونَ﴾ (الأنفال: 36)⁽²⁾.

وكذلك من أسباب غزوة أحد محاولة قريش إعادة هبتها في جزيرة العرب، والاحتفاظ بمكانتها.

2- قوام جيش قريش:

(1) السيرة النبوية لابن هشام، مرجع سابق، م2، ج3، ص15.

(2) أسباب النزول، للنيسابوري، مرجع سابق، ص158.

كان قوام جيش المشركين ثلاثة آلاف مقاتل من قريش، والحلفاء، والأحباش، وكان معهم ثلاثة آلاف بعير، ومائتا فرس⁽¹⁾.

3- قوام الجيش الإسلامي:

خرج النبي ﷺ لأحد في ألف من أصحابه، فلما صار بين المدينة وأحد، انخذل عبدالله بن أبي بن سلول بنحو ثلث العسكر، حيث ثبت مع النبي ﷺ لأحد سبعمائة، فيهم خمسون فارساً⁽²⁾.

4- زمن وقوع الغزوة:

وقعت أحد بعد عام تقريباً من غزوة بدر، حيث كانت في يوم السبت السابع من شهر شوال للعام الثالث للهجرة⁽³⁾.

5- نتيجة غزوة أحد:

قد كانت الدائرة أول المعركة على المشركين، حيث فرّوا من أرض المعركة، فلما رأى الرماة الذين كانوا على الجبل لحماية ظهور المسلمين هذا النصر، أراد غالبيتهم مشاركة المسلمين في النصر وجمع الغنائم، ورفض قائدهم عبدالله بن جبير ذلك، فلما رأى خالد بن الوليد هذه الفرصة الذهبية استدار بسرعة خاطفة حتى وصل إلى مؤخرة الجيش الإسلامي، فلم يلبث أن أجهز على عبدالله بن جبير وأصحابه، ثم انقض على المسلمين من خلفهم، وكانت الهزيمة التي لحقت بنا في أحد⁽⁴⁾.

6- آثار الغزوة:

كان النصر في أحد أولاً، ثم كانت الهزيمة، ثم كان النصر في آثارها على الصف المسلم، فقد جسدت انتصار المعرفة الواضحة، والرؤية المستنيرة، ومحصت النفوس، وميّزت الصفوف، وكشفت سوء المنافقين، وبيّنت سمات الصادقين، بالإضافة إلى وضوح ضريبة الإيمان، وتكاليف الدعوة، وترسيخ المعاني الأصيلة، وتربية الفئة المؤمنة على ضرورة الأخذ بالأسباب، والتوكل على الله فهو الناصر الحقيقي، وما النصر إلا من عند الله⁽⁵⁾.

المطلب الثاني:

الدروس العسكرية في آيات غزوة أحد.

(1) زاد المعاد، م1، مرجع سابق، ج2، ص130.

(2) زاد المعاد، م1، مرجع سابق، ج2، ص130.

(3) المغازي، لمحمد بن عمرو بن واقد، ج1، ص199، عالم الكتب بيروت..

(4) السيرة النبوية لابن هشام، م2، ج3، ص30-33، والرحيق المختوم، مرجع سابق، ص294.

(5) في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج1، ص457.

- الآيات التي تناولت غزوة أحد في آل عمران هي:

﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ (آل عمران: 121 - 179).

وبهذا يكون عدد الآيات التي تناولت غزوة أحد سنتين آية تقريباً⁽¹⁾.

وقد اعتبر سيد قطب في ضلاله هذه الآيات مقطوعاً واحداً⁽²⁾.

لم تكن أحد معركة عسكرية فقط؛ بل إن القرآن الكريم قد حولها إلى معركة لتصحيح المفاهيم، وبناء التصورات، وتوجيه الفهم، فقد نزلت آيات آل عمران بعد انتهاء المعركة، لكنها بدأت معركة جديدة، يكون ميدانها النفس، والحياة الشاملة للجماعة المسلمة؛ لأن النفس وكذا الجماعة المسلمة لا تنتصر عسكرياً قبل أن تنتصر في المعارك الشعورية والأخلاقية⁽³⁾.

ونحن في هذا المطلب نلقي الضوء على بعض الدروس المتنوعة والكثيرة التي تضمنتها

آيات غزوة أحد في سورة آل عمران..

الدرس الأول/ قيادة راشدة، وإدارة ناجحة، وخطة محكمة.

أول ما يبدأ الحديث عن غزوة أحد يتناول موقف القيادة، ويشير إلى الإجراءات الميدانية

التي تقوم بها استعداداً لهذه الغزوة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ

عَلِيمٌ﴾ (آل عمران: 121).

نزلت هذه الآية في غزوة أحد على قول الجمهور⁽⁴⁾، وهي تشير إلى دور النبي ﷺ في

إعداد جنده، وتوزيع المهام عليهم، وتحديد المواقع لهم.

يقول القرطبي: "تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ": أي تتخذ لهم مصاف"⁽⁵⁾.

وفي ذلك دلالة على حكمة القيادة، ودورها في الإعداد، وتهيئة الجند للمعركة، فهي القيادة

التي تغدو مبكراً لممارسة مهامها الميدانية، دون تأخير أو إبطاء، وهي القيادة التي وضعت الخطة

المحكمة للمواجهة، وهي كذلك القادرة على تطبيقها، الناجحة في تنفيذها، فكان تبويء المؤمنين

لمواقعهم، وتوزيع الجنود على مهامهم، وكان النجاح بالفعل لهذه القيادة، ولهذه الخطة المحكمة في

بداية المعركة؛ بدليل قوله تعالى: ﴿إِذْ تَحْسُونَهُمْ بِأَذْنِهِ﴾ (آل عمران: من الآية 152). أي تقتلونهم بأمره، وما

(1) الدر المنثور، مرجع سابق، ج2، ص302.

(2) في ضلال القرآن، مرجع سابق، ج1، ص454-457.

(3) في ضلال القرآن، مرجع سابق، ج1، ص459.

(4) الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ج2، ص540.

(5) الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ج2، ص540.

كانت الهزيمة إلا بسبب المخالفة للمواقع، والتهاون في تنفيذ الخطة؛ بدليل قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَمَرَكُمْ مَا تُجِبُونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران: من الآية 152). وأبرز معصية؛ مخالفة الرماة لأمر رسول الله ﷺ بالثبات، فأعظم بها من قيادة حكيمة، وأعظم بها من خطة فذة.

ومن هنا فعلى القيادة العسكرية أن تضع الخطط التي تقوم على الاستفادة من الوقت بشكل جيد لا سيما أوقات الحيوية والنشاط؛ كوقت الصبح، ويعزز هذا قوله تعالى في العاديات: ﴿فَالْمُعِرَاتِ صَبْحًا﴾ (العاديات: 3).

حيث تشير آية العاديات إلى زمن التنفيذ، بينما تشير آيتنا هنا إلى زمن الإعداد: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ بِبَنِي الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ (آل عمران: من الآية 121).

الدرس الثاني/ التذكير بالإنجازات عند المحاسبة، مع نسبة الفضل لأهله:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (آل عمران: 123).

يطرح القرآن غزوة أحد على مائدة المناقشة، واستخلاص الفوائد، ولما كانت تتضمن دروساً قاسية للفئة المؤمنة، كان لا بد من الإشارة إلى الإنجازات السابقة، مع نسبة الفضل لأهله، ووضع الأمور في نصابها الصحيح، لذا نجد أن الله تعالى قد انتقل مباشرة للحديث عن غزوة بدر، وما تحقق فيها من النصر، فقال جل وعلا: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (آل عمران: 123)، وذلك قبل أن يدخل في مناقشة ما كان في أحد؛ لتكون هذه أمام تلك مجالاً للموازنة، وتأملاً في الأسباب والنتائج، ومعرفةً لمواطن الضعف ومواطن القوة، وأسباب النصر وأسباب الهزيمة، والتأكيد على أن النصر والهزيمة يكونان من عند الله تبارك وتعالى (1).

وحتى يظهر عظيم فضل الله على المؤمنين كان لا بد من المقارنة بين بدر وأحد، تتجلى الصورة واضحة، ففي بدر قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾، وفي أحد قال: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ بِبَنِي الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ (آل عمران: من الآية 121).

حيث تعبر آية بدر عن الحالة التي كان عليها المسلمون، من ضعف، وخوف، وعدم استعداد للمواجهة، والنصر لم يكن في الحسبان، ويؤكد هذه الحالة قول الله تعالى: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ

(1) في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج1، ص469.

مُرَبَّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنْ فَرِقْنَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَا مِرْهُونًا ﴿الأنفال: 5﴾. وبرغم هذا الضعف، وعدم الاستعداد، إلا أن نصر الله قد نزل، وفوزه قد تحقق.

أما آية أحد فتشير إلى حالة استعداد سابق، وترتيب مسبق، بدليل الآية ذاتها، ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ (آل عمران: من الآية 121)، وبرغم هذا الاستعداد إلا أن النصر لم يتحقق؛ لتكون بذلك رسالة كبيرة للمؤمنين بأن الأسباب المادية لا تساوي شيئاً أمام القدرة الإلهية.

الدرس الثالث/ وما النصر إلا من عند الله:

لم يكتفِ القرآن بالتلميح لعلاج هذه المسألة المهمة، بل كان لا بد من التصريح والتأكيد عليها، فجاءت الآيات تصرح بذلك، فقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ (آل عمران: 126).

وهذه أيضاً كانت من الآيات التي جاءت تعقيباً على بدر لتقرر حقيقة بين يدي أحد، مفادها أن ظفركم على عدوكم لا يكون إلا بعون الله وإذنه، لا من قبل العدد أو المدد؛ سواء كان من البشر أو الملائكة، فاستعينوا بالله، وتوكلوا عليه وحده⁽¹⁾.

" النصر من عند الله" يجب أن يكون هذا المفهوم عقيدة عسكرية راسخة في نفس كل جندي مسلم، والأمر كله لله يقدر ما يشاء ويختار.

الدرس الرابع/ النصر ثمرة القيم الأخلاقية، والطاعة الربانية:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ وَسَامِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَكَمْ يُصِرُّوْا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (آل عمران: 130 - 135).

بعد التذكير بما كان في وقعة بدر، وإذا بالقرآن يطرق باباً يتبدى للإنسان صاحب القيم المادية أنه تداخل لا يتناسب، لكن المتبصر بالمنهجية القرآنية، والرؤية الإسلامية، يرى فيه تمام التناسق، بل هو من الأسس اللازمة.

(1) تفسير الطبري، مرجع سابق، ج2، ص325.

ننظر وإذا بالقرآن ينقلنا من الحديث عن الأخطاء العسكرية، والتجاوزات الميدانية، إلى قضايا أخلاقية، وتوصيات إيمانية، وتوجيهات اجتماعية. وقبل أن أبدأ بذكر بعض هذه القضايا، لا بد أن نعرف الحكمة من الحديث عن قضايا كهذه في لحظة حساسة، وفي موقف حاسم.

بالنظر إلى طبيعة عقيدتنا الإسلامية لا نرى غرابة؛ لأن الانتصار في الميدان وحده ليس انتصاراً في فكرنا؛ بل الانتصار أن تنتشر القيم الرفيعة، والمبادئ النبيلة، والأخلاق الحميدة في كل بقعة وأرض، فإذا حملها الناس، واقتنعوا بها، يكون الانتصار قد تحقق، أما الانتصار العسكري مع تراجع في الجانب القيمي فما هو لنا بنصر، ويضاف إلى ذلك أن الانتصار على العدو الخارجي يأتي بعد الانتصار على الضعف الداخلي؛ وذلك حتى تستطيع هذه العقيدة أن تؤدي رسالتها دون شوائب ونقائص.

يقول سيد قطب: "والمنهج الإسلامي يأخذ النفس من أقطارها، وينظم حياة الجماعة جملة، لا تفاريق، ومن ثم هذا الجمع بين الإعداد والاستعداد للمعركة الحربية، وبين تطهير النفوس، ونظافة القلوب، والسيطرة على الأهواء والشهوات، وإشاعة الود والسماحة في الجماعة"⁽¹⁾.

وقد شهدت الدعوة الإسلامية إقبالاً كبيراً بعد النصر الذي أحرزته في بدر، فأصبح في الصف المسلم جيلاً جديداً لم يترب بالمستوى الذي كان عليه البديون، فجاءت هذه الرسالة لتوجه الجيل الجديد، وتأخذ بيده نحو الطريق القويم، وتغرس فيه القيم الرفيعة، والأخلاق الحميدة؛ كي يتأهل لحمل أعباء الرسالة.

ومن القيم الأخلاقية، والتوجيهات الإيمانية التي تناولتها هذه الآيات:

1- قضية الربا:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافاً مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (ال عمران: 130)

فالربا من أكثر الآفات التي تدمر المجتمعات، لأنه يجعل فئة قليلة تملك معظم الثروة دون عناء، وتتحول الكثرة إلى فقراء كادحين، فينشأ الحسد والبغضاء وغيرها من الأمراض الاجتماعية، والإسلام يريد أمة مسلمة نظيفة في حياتها النفسية والخلقية، وكذلك حياتها الاقتصادية والسياسية⁽²⁾.

2- تنمية خشية الله: هذه الخشية التي تدفع صاحبها إلى اجتناب سبيل غير المؤمنين المفضي إلى

(1) في ظلال القرآن، مرجع سابق، جـ1، ص473.

(2) في ظلال القرآن، مرجع سابق، جـ1، ص473.

النار، فقال معقباً على آية الربا: ﴿وَأَقْوَى التَّامِرَاتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ (آل عمران: 131).

وقد رأى أبو حنيفة أن هذه هي أخوف آية في كتاب الله، لأنه هدّد المؤمنين بما توعد به الكافرين⁽¹⁾.

3- طاعة الله ورسوله:

وبعد أمره بخشيته، أمر بطاعته فقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (آل عمران: 132)، ذلك أن طاعة القيادة شرط للانتصار بشرط أن يأمروا بما فيه طاعة الله ورسوله. 4- المسارعة في الخيرات:

فالأمة التي يريد الإسلام أمة مبادرة، تسارع إلى الطاعات، وتتنافس في رضا رب الأرض والسموات، قال تعالى: ﴿وَسَامِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران: 133).

هذه المسارعة التي توصل إلى منزلة التقوى، وتتحقق معها جملة من الصفات، ومنها الثلاث نقاط التالية:

أ - الإنفاق في السراء والضراء: قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ (آل عمران: من الآية 134).

فهم ماضون على النهج، لا تغيرهم السراء، ولا تغيرهم الضراء، ويسيطر عليهم الشعور بالواجب في كل حال⁽²⁾، ذلك أن الجهاد بالمال يسبق الجهاد بالنفس.

ب - يكظمون الغيظ، ويعفون عن الناس ويحسنون إليهم:

قال جل وعلا في صفات أولئك المتقين أيضاً: ﴿وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (آل عمران: الآية 134).

فهم لا يكظمون غيظهم وحسب، بل يرتقون إلى درجة أكثر سمواً، وهي الصّبح والعفو عن الناس، وربما ازداد بعضنا سمواً حين يحسن لمن أساء إليه؛ لأن أفضل ما تعالج به من عصي الله فيك أن تطيع الله فيه.

ج - التوبة والاستغفار:

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُ وَإِلَّا اللَّهُ وَكَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (آل عمران: 135).

(1) الأساس في التفسير، سعيد حوى، ج2، ص

(2) في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج1، ص475.

إنهم يبادرون بالتوبة عند ارتكاب أية معصية، ولا يأخذهم الكبر، ويستعيدون موقعهم بين المتقين، لأننا إذا عصينا مولانا ولم نبادر للتوبة؛ فقد تساوينا مع عدونا في المعصية، فتكون الغلبة للقوة المادية، لأن معية الله لم تعد معنا.

الدرس الخامس/ بين محاسبة المنتصر، ومحاسبة المصاب:

نجد القرآن - بعد أن انتهى من الحديث عن القضايا الأخلاقية، والإيمانية- يعود إلى ما كان في أحد، وأول ما يبدأ به يقدم المواساة للمصابين في أحد، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزِنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾ (آل عمران: من الآية 139)، ولهذه المنهجية أثر على النفس الإنسانية، لأن المصاب أعظم ما يحتاج إليه المواساة.

قال القرطبي معقباً على الآية: "عزاهم وسلاهم بما نالهم يوم أحد من القتل والجراح"⁽¹⁾. وبعد أن دخل القرآن في صلب الموضوع نجده يناقش مناقشة هينة لينة، لا قسوة فيها، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّوهُمُ بِأَذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَمَّاكُمْ مَا تَحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَنْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران: 152).

حينما ننظر في كلمات الآية نجد الشفقة تلوها، والرحمة تكسوها، وطبيعة التعقيب يدل على ذلك، حيث يؤكد تعالى في نهاية الآية بعفوه على من هبطت نفوسهم بطلب الغنيمة، ومخالفة أمر الرسول ﷺ، ثم يسبغ عليهم فضله.

أما في بدر فنجد أن طبيعة المناقشة كانت نارية، وشديدة اللهجة، حيث عقب الله تعالى على موضوع الأسرى قائلاً: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُخَنِّ فِي الْأَمْرِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ ﴿لَوْ لَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (الأنفال: 67-68). إن التعقيب في آية بدر الأولى جاء بقوله: ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، وهذا يعني العدل، أما في أحد، فالمعاملة إنما تكون بالفضل فقال: ﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾، وإذا ما نظرنا إلى الآية الثانية لبدر نجد التهديد فيها قوياً جداً، فقال: ﴿لَوْ لَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾⁽²⁾.

(1) الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ج2، ص568.

(2) السيرة النبوية، عرض ووقائع، وتحليل وأحداث، د. علي محمد الصلابي، ج2، ص157، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط2، 1424هـ - 2003م.

مع أن المخالفة في الموضوعين متشابهة؛ وهي الرغبة في الدنيا على حساب الآخرة، فقد عبر عنها في أحد بقوله: ﴿مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ﴾، وأما في بدر فعبر عنها بقوله: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ﴾، إلا أن محاسبة المنتصر ليست كمحاسبة المهزوم، لأن الثاني في أمس الحاجة إلى التسرية عنه، ومطاردة ما أصابه من الهم والغم.

الدرس السادس/المناقشة الرقيقة الموجهة :

قال تعالى: ﴿إِنْ يَسْئَلْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَكَيْلَعَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٣﴾ وَكَيْمَحْصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الكَافِرِينَ ﴿١٤٤﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّونَ المَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ (ال عمران: 140-143).

بالتأمل في السياق القرآني نجد تناسقاً رائعاً بين تلك المواصلة التي استهل بها الحديث عن غزوة أحد، وبين طبيعة المناقشة التي جرت بعد ذلك، حيث كانت مفعمة بالرفقة والمواصلة، وهي في ذات الوقت موجهة لتحقيق أهدافها.

ومن الأمور والمفاهيم التي حققتها المناقشة الموجهة ما يلي:

1- الأيام دول: ﴿وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ (ال عمران: 140).

ما أعظم الأمل الذي ينغرس مع هذا المفهوم، وما أقوى الإرادة التي تتولد به، ومدولة الأيام، وتعاقب الشدة بعد الرخاء محك صعب، يكشف المخبوء، ويظهر المستور، والنفس المؤمنة هي التي تصبر للضراء، ولا تحرفها السراء، ويبقى الحال دوماً مع الله⁽¹⁾.

2- إظهار بعض مقاصد الجهاد:

ومقاصد الجهاد كثيرة ومتعددة قد سجلت الآيات، منها:

أ- كشف الناس على حقيقتهم: قال تعالى: ﴿وَكَيْلَعَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ (ال عمران: من الآية 140). وقال كذلك في نفس الموقف: ﴿وَكَيْلَعَمَ الَّذِينَ نَاقَتُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ (ال عمران: 167).

(1) في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج1، ص481.

ففي الجهاد تبدو معادن الرجال، وتتجلى الطبايع، وهذا ما أشارت إليه سورة محمد، حيث قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا أَنْزَلْتُمْ سُورَةَ مُحْكَمَةٍ وَذَكَرْتُمْ فِيهَا الْقِتَالَ مَرَأَيْتُمُ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُنْظَرُونَ إِلَيْكَ نَظْرَ الْمُعْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَى لَهُمْ﴾ (محمد: من الآية 20).

فإذا ما انكشف الناس، وتحقق الفرز والتمييز تأتي مرتبة التمحيص، هذه الحالة التي تأتي لتصفية النفس من كل شائبة لتبقى نقية مستقرة على الحق بإذن الله، قال تعالى: ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ (آل عمران: 141). وتمحيص المؤمنين يكون بتطهيرهم من ذنوبهم وعيوبهم (1).

ب - اصطفاء الشهداء.. مكرمة لا خسارة: قال تعالى: ﴿وَيَخِذْ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾ (آل عمران: من الآية 140).

ومن مقاصد الجهاد اصطفاء الشهداء، فالشهداء مختارون، يختارهم الله من بين المجاهدين، ويتخذهم لنفسه، ويجعلهم في جواره، فما الشهادة رزية إذن ولا خسارة، ولكنها تكريم واختصاص، فنسأل الله أن يكرمنا بالشهادة في سبيله حيث إن الدعوة الإسلامية تنتصر بدماء الشهداء أكثر مما تتحقق بخطب العلماء؛ لأن الناس يوقنون أن الإسلام هو الدين الحق حين يرون أن حملته يستشهدون في سبيله (2).

الدرس السابع/ الانتماء للدعوة لا إلى الأشخاص:

ومن أعظم القيم التي تغرسها مناقشة غزوة أحد، تعميق الانتماء للجماعة وللدعوة، والتنبيه على أنه الأصل، ولا يتأثر الانتماء برحيل الأشخاص، أو تغيير توجههم مهما كان موقعهم، قال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (آل عمران: 144).

فقد جاءت هذه الآية لتحمل معنى ما رغب المسلمون في فهمه، لكنها الضرورة لتوجيه القيم كي تبقى الدعوة ماضية، فما محمد إلا رسول من البشر، سبقه رسل كثير وماتوا، فالبشر جميعاً إلى فناء، والعقيدة إلى بقاء، والدعوة أكبر وأبقى من الداعية.

وإن الوفاء للقائد أو الداعية إنما يكون بحمل رسالته، وتبليغ دعوته، وليس بالنكوص والارتداد عن طريقه، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً، والخسارة كلها عليه، فانه غني عنه، وسيجزى الشاكرين (3).

الدرس الثامن/ بناء العقيدة العسكرية الصحيحة:

(1) تيسير الكريم الرحمن، مرجع سابق، ص 131.

(2) في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج 1، ص 481.

(3) في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج 1، ص 486.

نلاحظ ذلك في كل آية من آيات غزوة أحد، ومن أمثلتها:

1- التأكيد على أن الأجل بيد الله:

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّجَلًّا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَجَّزِيَ الشَّاكِرِينَ﴾ (ال عمران: 145).

حيث أكدت الآية على أن الموت لا يقع إلا بإذن الله، ولكل أجل كتاب، قال تعالى في الرد على المنافقين: ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (ال عمران: من الآية 154). فالأمر لله، وأعمارنا بيده، فمتى كان قدرنا مع الموت أدركنا، ولو كنا في بروج مشيدة، أو خرجنا إلى مصارعنا لنواجه مصيرنا المحتوم، وهذه المعاني كلها تسهم في بناء عقيدة عسكرية قوية متينة.

2- الترغيب في الشهادة:

إن الجندي الذي يتربى على العقيدة العسكرية في آيات أحد لا يخشى الموت؛ بل نجده يندفع نحو الشهادة، ويطلبها في مظانها، لما وقع في قلبه من قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْفُقُونَ﴾ (ال عمران: 169).

إن الآيات السابقة تغرس في الجندي حب الشهادة، والتعلق بها، والحرص عليها، وكيف لا يكون كذلك والشهادة خير من الدنيا وما يجمعون فيها، قال تعالى رداً على أراجيف المنافقين في أحد: ﴿وَلَكِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتِمِّمَةً لِمَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٍ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (ال عمران: 157).

3- غرس اليقين بمصدر النصر:

فالجندي يدرك أن الله هو الناصر، ومنه يستمد النصر، قال تعالى: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذَلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (ال عمران: 160).

ومثل هذه الآية قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنَّ الْكَافِرِينَ إِيَّا فِي غُرُورٍ﴾ (الملك: 20).

الدرس التاسع/ ضرب المثل بالمجاهدين السابقين:

وفي غمرة النقاش لمعركة أحد، وثورة تصحيح المفاهيم، يأتي الحديث عن طبيعة أتباع الأنبياء السابقين، والمجاهدين الصادقين، وكيف كانت مواقفهم في مواطن الاختبار، وميدان

النزال، قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيِّ قَاتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ (آل عمران: 146).

قدمت الآية مثلاً لنبي ومعه جماعات من أصحابه، حيث قاتل أصحابه معه فقتل كما تدل عليه القراءة الأخرى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيِّ قَاتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ...﴾، فما وهن أصحابه، وما ضعفوا عن عدوهم، وما استكانوا لما أصابهم في الجهاد في سبيل الله⁽¹⁾، ورجاؤهم من الله أن يغفر لهم ذنوبهم، ويثبت أقدامهم، وينصرهم على عدوهم، فعلى الرغم من كل تضحياتهم لم يطلبوا شيئاً لأنفسهم، أو لدنياهم، فاتاهم الله ثواب الدنيا عزة وانتصار، وادخر لهم حسن ثواب الآخرة في الدرجات العلاء في جنات عدن⁽²⁾.

لقد تضمن هذا المثال رسائل في غاية الأهمية للخارجين من أحد، ومن أبرزها؛ كيف يكون موقف الأصحاب بعد نبيهم، لا يطمعون في شيء من الدنيا، إشارة لمن طمع في بعض الغنائم يوم أحد.

الدرس العاشر/ المعصية طريق الهزيمة:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّوهُمُ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَمَّاكُمْ مَا تَحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران: 152).

تبين الآية نصر الله لنا أول المعركة، فقد وفى لنا وعده، وأخذنا نقتلهم بإذنه، لكن فشلنا في فهم طبيعة دورنا، وتنازعنا على الغنائم، وعصينا أمر النبي ﷺ بالثبات على الجبل، وطمعنا في الدنيا، فكانت السبب المباشر في الهزيمة⁽³⁾.

فالتنازع، والمعصية، والطمع في الدنيا، تورطنا المهالك، وتجلب لنا الهزائم، ومعركة العقيدة ليست ككل المعارك، فلا انتصار فيها إلا بالانتصار على الضمير؛ لأن المعركة لله، ولا ينصر الله إلا من خلصت نفوسهم له فإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، لذلك قال عن هزيمة أحد: ﴿هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ (آل عمران: من الآية 165)⁽⁴⁾.

الدرس الحادي عشر/ الارتقاء إلى الصراحة في النقاش، وتصوير مواضع الخلل:

(1) مختصر تفسير ابن كثير، مرجع سابق، جـ1، ص323.

(2) في ظلال القرآن، مرجع سابق، جـ1، ص489.

(3) تفسير الطبري، مرجع سابق، جـ2، ص345.

(4) في ظلال القرآن، مرجع سابق، جـ1، ص459.

بعد الموساة، والمناقشة الهادئة، لا بد من الارتقاء في المناقشة، إلى علاج الخلل، لذا نجد القرآن يقدم لهم تصويراً لحركتهم الحسية التي لا تليق في المعركة، فقال تعالى: ﴿إذ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلَوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍ لَّيَكِيلًا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا آصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (آل عمران: 153).

يقول سيد قطب: "والعبرة ترسم صورة حركتهم الحسية والنفسية في ألفاظ قلائل، فهم مصعدون في الجبل هرباً، في اضطراب ورعب ودهشة، لا يلتفت منهم أحد على أحد..."⁽¹⁾.
قد تهيأت النفوس لاستقبال مثل هذا المنظر الأليم؟ إنه لا بد من طرحه كي لا يتكرر مرة أخرى، ولا نقرأ له مثيلاً في معارك الرسول ﷺ اللاحقة، إلا ما كان من غزوة حنين، فقد وليتم مدبرين.

ويواصل القرآن تصويره للمواقف في المعركة، سواء موقف الذين ثبتوا، أو موقف الذين فروا، وبيان آثار ذلك.

قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنْ الْأَمْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ يَخْفُونَ فِي أَنفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (آل عمران: 154).

وقد قسّمت غزوة أحد - كما تبين الآية - الناس إلى أصناف، فالصادقون أخذتهم أمانة، وغلبهم النعاس، وفئة من المنافقين خرجوا طلباً للغنيمة، فأهمتهم أنفسهم، وسيطر عليهم حبهم للبقاء والحياة، وطائفة من المنافقين أكثر سوءاً يظنون أن أمر محمد باطل، ويتحسرون على خوضهم معركة لا ناقة لهم فيها ولا جمل، ﴿يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ﴾، فهو استفهام استنكاري... ويمضي التعقيب⁽²⁾.

وبالنظر في الآيات السابقة نجد أنها تتناقش الوقائع بشكل مباشر، دون مواربة، أو تزيين.

الدرس الثاني عشر/ الشورى ضرورة عسكرية:

إن الشورى منهج نبوي قويم، فقد شاور النبي ﷺ أصحابه قبل بدر، وشاورهم قبل أحد، وكان الخروج من المدينة نزولاً عند رغبة الأكثرية الشبابية التي لم تشهد بدرًا، وكانت تطمع في

(1) في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج-1، ص459..

(2) الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ج-2، ص591.

نيل الشهادة، وقد كانت نتيجة أحد هزيمة للمسلمين، لذا فقد يعتقد البعض أن الهزيمة كانت نتيجة للشورى، والحقيقة أن الشورى حققت انتصاراً كبيراً في بداية المعركة، ولكن حينما تدخلت المعصية والتنازع حلت الهزيمة، فناسب أن يؤكد الله تعالى على مبدأ الشورى، فقال تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (آل عمران: من الآية159).

حملت الآية رسالة إلى النبي ﷺ تتضمن مواساة، ودعوة إلى الصفح والعفو عن أولئك الذين تركوه مثخناً بالجراح، وهم لا يلبون على أحد، ويدعوه كذلك أن يستغفر لهم، وأن يستمر في مشاورتهم، ولا يتأثر بنتائج الموقف لإبطال هذا المبدأ الأساسي في الحياة الإسلامية.

يقول سيد قطب: "وبهذا النص الجازم ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ يقرر الإسلام هذا المبدأ في نظام الحكم حتى ومحمد ﷺ هو الذي يتولاه، وهو نص قاطع لا يدع للأمة شكاً في أن الشورى مبدأ أساسي، لا يقوم نظام الإسلام على أساس سواه"⁽¹⁾.

الدرس الثالث عشر/ الحرب النفسية، ومواجهة القرآن لها:

اغتم المنافقون هزيمة أحد، وأخذوا يشنون الحرب النفسية ضد المسلمين، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَأُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٨﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْمَزُونَ ﴿٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (آل عمران: 168 - 170).

قيل إنه كلام المنافقين لإخوانهم في النسب، وقيل هو كلام المنافقين لبعضهم البعض⁽²⁾. إن هؤلاء المنافقين لم يكتفوا بالتخلف عن المعركة، والانسلال بثلاث الجيش؛ بل راحوا يثيرون الحسرة في قلوب ذوي الشهداء وأصحابهم، ويجعلون من طاعة الله والرسول ﷺ مغرماً ومضرة، ويفسدون التصور الإسلامي الناصع لقدر الله، وحثمية الأجل⁽³⁾، يا له من موقف خبيث، وحرب نفسية قذرة، تستهدف المصابين ومن حولهم، لكن القرآن لم يدعمهم يواصلون مؤامرتهم القذرة، بل فضحهم، وكشف زيف قولهم فقال: ﴿قُلْ فَادْرَأُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (آل عمران: من الآية168).

(1) في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج-1، ص501.

(2) تفسير الطبري، مرجع سابق، ج-2، ص361.

(3) في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج-1، ص515.

ويضيف القرآن بياناً لمستقبل الشهداء كي يقطع على المغرضين كلامهم، فقال: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أحياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْفِقُونَ﴾ ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (ال عمران: 169-171).

لقد مضت هذه الآيات التي أظهرت جانباً من حياة الشهداء عند ربهم، فقصت على كل الوسواس والشكوك التي بثها المنافقون في نفوس ذوي الشهداء وأصحابهم، وأراحت النفوس المؤمنة.

الدرس الرابع عشر/ تكريم المجاهدين الصادقين:

وهنا جولة جديدة يبدو فيها التكريم للصادقين، والإهانة للمتخلفين، جولة جديدة يظهر فيها وفاء المخلصين، إنها حمراء الأسد، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ الَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسْسَهُمْ سُوءٌ وَانْبَعُوا مَرْضُوانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ (ال عمران: 172-174).

يا له من موقف عصيب.. هذا رسول الله ﷺ يدعو أصحابه إلى الخروج معه كَرَّةً أُخرى غداة المعركة التي أُتخنوا فيها بالجراح، إنهم لم يتجرعوا مرارة الهزيمة بعد، وقد فقدوا من أعرائهم الكثير، وإذا بتفاصيل النداء تؤكد أن لا يخرج إلا من كان بالأمس في أحد، ولم يأذن النبي ﷺ لأحد تخلف أن يلحق بركب الجيش اليوم، إلا ما كان من جابر بن عبدالله من، فإنه تخاف بإذن، وخرج اليوم بالإذن كذلك.

فيكون موقف الصادقين بتلبية النداء من بعد ما أصابهم القرع والجرح دون أن يلتفتوا إلى التخويف بالجموع الجامعة، والزحوف الزاحفة، وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل⁽¹⁾.

وفي هذا تكريم للصادقين؛ وذلك باختصاصهم بالخروج وحدهم دون المخلفين، وكذلك فإن فيه إهانة للمخلفين بنبذهم وتركهم مع النساء في المدينة.

المبحث الثاني:

دراسة عسكرية لآيات غزوة الخندق من سورة الأحزاب.

في هذا المبحث تناولت آيات سورة الأحزاب التي تعرضت لغزوة الخندق، وحاولت جاهداً الوقوف على بعض الدروس المستفادة من الآيات، ولكن قبل ذلك ألقيت شيئاً من الضوء على

(1) في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج1، ص519.

سورة الأحزاب، وقدمت بعض المعطيات عن غزوة الخندق، على أن ينتظم حديثنا في مطلبين على النحو التالي:

المطلب الأول:

وقفات مع سورة الأحزاب، وغزوتها.

يتضمن هذا المطلب فرعين، أحدهما أتحدث فيه عن سورة الأحزاب، والثاني أقف فيه عند غزوة الخندق، وفيما يلي تفصيل ذلك:

الفرع الأول / وقفة مع سورة الأحزاب:

سورة الأحزاب مدنية، وعدد آياتها ثلاث وسبعون آية، نزلت في المنافقين وإيذائهم رسول الله ﷺ، وطعنهم فيه⁽¹⁾.

المحاور العامة لسورة الأحزاب:

تناولت سورة الأحزاب جملة من المحاور العامة، أذكر منها:

1- بيان الموقف الإسلامي النهائي من بعض التقاليد الاجتماعية، والعادات الأسرية، والتي منها:
أ- إبطال عادة الظهار⁽²⁾ بقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ أَمْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ (الأحزاب: من الآية4).

ب- إبطال عادة التبني، قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ﴾ (الأحزاب: من الآية4).

وقد جاء تزويج زينب بنت جحش من زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ، ثم يعقب هذا الزواج بالطلاق، ثم جاء زواجها من النبي ﷺ؛ لإبطال آثار التبني بشكل عملي، لما لهذه العادة من عمق في البيئة العربية، وصعوبة الخروج عليها⁽³⁾.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَنْزَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ (الأحزاب: من الآية37).

(1) الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ج7، ص427.

(2) الظهار: أن يحلف الرجل على زوجته أنها عليه كظهر أمه، فتحرم عليه حرمة أمه إلا أن يكفر عن هذا القول المنكر. (الجامع لأحكام القرآن، ج7، ص431).

(3) في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج5، ص2821.

ج- إبطال آثار المؤاخاة التي في أول الهجرة، فقال تعالى: ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾ (الأحزاب: من الآية 6). (1).

2- بيان نعمة الله على المؤمنين، إذ ردَّ عنهم كيد الأحزاب والمهاجمين، وصوَّر أحداث غزوة الأحزاب، وذكر وقائعها التي يستند إليها القرآن في بناء النفوس، وتقدير القيم، ووضع الموازين، وإنشاء التصورات، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ مَرْيَحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا نَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ (الأحزاب: 9). (2).

3- تخبير أزواج النبي ﷺ اللواتي طالبنه بالتوسعة في النفقة بين متاع الحياة الدنيا، وإيثار الله ورسوله والدار الآخرة، وقد اخترن الله ورسوله والدار الآخرة (3).

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَنْزُوجَكِ إِنْ كُنْتِن تَرْضُن الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَرِيئَهَا فَتَعَالَيْن أُمْتِعْكَ وَأَسْرِ حَكُن سَرَا حًا جَمِيلًا ﴿٣٠﴾ وَإِنْ كُنْتِن تَرْضُن اللَّهَ وَمَرْسُولَهُ وَالْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُن أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣١﴾ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُن بِفَاحِشَةٍ مُبِينَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ سِيرًا﴾ (الأحزاب: 28-30).

4- بيان حكم المطلقات قبل الدخول، وتنظيم الحياة الزوجية، للنبي ﷺ، فقد بيَّن من يحل له من النساء المؤمنات، ومن يحرمن عليه، وكذلك يتناول هذا المحور تنظيم علاقة المسلمين ببيوت النبي ﷺ وأزواجه، في حياته، وبعد وفاته.

5- بيان أمر الساعة، وتقديم إجابة شافية في شأنها، بأن علمها عند الله، ثم تقدم مشهداً من مشاهد القيامة، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾ (الأحزاب: 66).

ثم تختتم السورة بالحديث عن الأمانة الكبرى، إنها أمانة العقيدة والاستقامة عليها، قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ (الأحزاب: 72).

الفرع الثاني/ معطيات حول غزوة الخندق:

في هذا الفرع أذكر بعض البيانات الهامة حول غزوة الأحزاب كما يلي:

1- توقيت الغزوة:

(1) في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج-5، ص2818.

(2) في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج-5، ص2820.

(3) في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج-5، ص2820.

كانت الخندق في شهر شوال من العام الخامس للهجرة، أي بعد عامين من غزوة أُحد⁽¹⁾.
2- سبب الغزوة:

انطلقت مجموعة من بني النضير الذين تم إجلاؤهم عن المدينة إلى خيبر، ومنهم سلام بن أبي الحقيق، وحبي بن أخطب، وكنانة بن أبي الحقيق، وغيرهم؛ لتحريض القبائل على حرب رسول الله ﷺ، فخرجوا إلى قريش، ودعوا إلى حرب رسول الله، ووعدهم بأن تقف اليهود إلى جوارهم في هذه الحرب، ووافقت قريش، وبعدها ذهبوا إلى غطفان، فاجتمعوا معهم، وذهبوا إلى غيرهما من القبائل؛ حتى تحزبت الأحزاب، وخرجت لحرب رسول الله ﷺ⁽²⁾.

3- قوام جيش المسلمين:

بلغ قوام جيش المسلمين الذي شارك في الخندق ثلاثة آلاف جندي⁽³⁾.

4- قوام جيش الأحزاب:

بلغ قوام جيش الأحزاب عشرة آلاف مقاتل، حيث كان بعضهم من الأحابيش، ومن بني كنانة، وأهل تهامة، ومن غطفان ونجد⁽⁴⁾.

5- المسلمون يحفرون الخندق:

لما سمع النبي ﷺ بقدوم المشركين بهذا العدد الكبير استشار أصحابه، فاقترح سلمان الفارسي حفر الخندق، وتم اعتماد الفكرة، وبدأ الحفر، وعمل رسول الله فيه، وعمل المسلمون بكل تضحية وبسالة، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأُذِنَ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (النور: 62)، حيث تدل أسباب النزول على أنها في حفر الخندق، حيث كان بعض المنافقين يستأذن هرباً وخوفاً يقولون: ﴿يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ (الأحزاب: من الآية 13)، والله يقول: ﴿وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنَّ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ (الأحزاب: من الآية 13)

وتخلف عن رسول الله ﷺ المنافقون، وجعلوا يوارون أنفسهم بالقليل من العمل، بل يتسللون فيه، ويذهبون إلى حاجاتهم بغير إذن، فقال تعالى فيهم: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ

(1) السيرة النبوية لابن هشام، مرجع سابق، م2، ج3، ص128.

(2) المغازي للواقدي، مرجع سابق، ج2، ص441.

(3) السيرة النبوية لابن هشام، مرجع سابق، م2، ج3، ص132.

(4) السيرة النبوية لابن هشام، مرجع سابق، م2، ج3، ص132.

كَدَعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ مِنْكُمْ لَوْ أَدَّاءُ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿النور: 63﴾ (1).

6- نتيجة الغزوة:

استمر الحصار قرابة الشهر؛ حيث كانت بداية الحصار للمدينة في شهر شوال للسنة الخامسة للهجرة، وكانت نهايته في شهر ذي القعدة من نفس العام، حيث دبت الفرقة في صفوف الأحزاب قبل إنهاء الحصار، وسرى بينهم التخاذل، وفوق ذلك أرسل الله عليهم جنداً من الريح، فجعلت تقوض خيامهم، ولا تدع لهم قدراً إلا كفأتها، وأرسل الله كذلك جنداً من الملائكة يزلزلونهم، ويلقون في قلوبهم الرعب والخوف، فنادى أبو سفيان في القوم بالرحيل، وتسجل سورة الأحزاب بذلك معركة من أحسم المعارك الإسلامية في التاريخ (2).

7- آثار الغزوة:

قد تركت غزوة الخندق أثراً رائعة على الدعوة الإسلامية في المدينة المنورة، حيث أفادت نتائج هذه الغزوة أن أية قوة من قوات العرب لا تستطيع استئصال القوة الصغيرة التي تنمو في المدينة المنورة؛ فالعرب لن تستطيع أن تأتي بجمع أقوى مما أنتت به في الأحزاب، وقد شكلت نقطة تحول في الجهاد من الدفاع إلى الهجوم، بدليل أن النبي ﷺ وقف بعدها يقول: "الآن نغزوهم ولا يغزونا، الآن نسير إليهم"، وهو مفهوم قوله تعالى: ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ (الأحزاب: من الآية 25)، أي القتال الدفاعي، وبدأت مرحلة الزحوف (3).

المطلب الثاني:

الدروس العسكرية في آيات غزوة الأحزاب.

أتناول في هذا المطلب آيات غزوة الخندق في سورة الأحزاب لاستخلاص الدروس منها، ويمتد الحديث عن غزوة الخندق في السورة المذكورة من الآية التاسعة وحتى السابعة والعشرين (4).

الدرس الأول/ لله الفضل والمنة:

إن كل ما يمكن أن نحققه من إنجازات، وننالها من كرامات، إنما هو بفضل رب الأرض والسموات، وغزوة الأحزاب من الغزوات التي بدا فيها فضل الله الكبير علينا، حيث قال تعالى

(1) السيرة النبوية لابن هشام، مرجع سابق، م2، ج3، ص129.

(2) السيرة النبوية لابن هشام، مرجع سابق، م2، ج3، ص141.

(3) الرحيق المختوم، مرجع سابق، ص351.

(4) في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج5، ص2832.

في صدارة الحديث عنها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ (الأحزاب: 9).

فقد بينت الآية وجوهاً من أنعم الله علينا يوم الأحزاب؛ بإرسال الريح والجنود التي لا يعلمها إلا الله على عدونا، وفي ذلك دعوة إلى أن ننسب الفضل دوماً لله تعالى، فهو المقدر الذي يمتن علينا، وإذا ما نسبنا الفضل لله وذكرناه لزمنا أن نشكر المتفضل علينا، وأن نعظم له الطاعة، ونخلص له الدين والعبادة.

إن هذا المعنى يعد قاعدة ثابتة في كل الغزوات والمعارك، ففي بدر قال تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَكَانَ اللَّهُ قَاتِلَهُمْ وَمَا مَرَّمْتِ إِذْ مَرَّمْتِ وَكَانَ اللَّهُ مَرْمِيَّكُمْ وَكَيْلِي الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءٌ حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (الأنفال: 17). حيث نسب الفضل في هزيمة المشركين وقتلهم لنفسه تبارك وتعالى.

وفي أحد قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّوهُمُ بِأَذْنِهِ﴾ (ال عمران: من الآية 152).

فقد نسب الله تعالى قتل المشركين وهزيمتهم في بداية المعركة لإذنه وقدره سبحانه وتعالى.

الدرس الثاني/ الجندي المؤمن ثابت وسط المحن:

إن الجو الذي تصوره الآيات يظهر المدى الذي وصلت إليه الأحوال العصبية يوم الأحزاب، حيث قال تعالى: ﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَنَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ (الأحزاب: 10-11).

إنه هول مخيف، وكرب شديد، فقد أطبقت قريش وغطفان، وبنو قريظة على مدينة رسول الله ﷺ، وشخصت الأبصار، ومالت صوب عدوها دهشاً من فرط الهول، وتحركت القلوب من الصدور، حتى بلغت الحناجر، وظن المنافقون أن المسلمين سيستأصلون، وأما المؤمنون فظنهم في الله أن ينصرهم، فإيا له من بلاء عظيم، وزلزال شديد، فما استطاع المسلمون أن يبرحوا مواضعهم، أو يؤدوا صلاتهم، وما وجدوا لقمة يسدون بها رمقهم⁽¹⁾.

إنه - وبرغم هذه الحالة العصبية - فقد ثبت المؤمنون، وصبر المخلصون، حتى نزل عليهم النصر، وأمدهم الله بجنود من عنده، وأكرمهم بالخذق لتدفع عنهم كل معركة دفاعية بعدها.

الدرس الثالث/ المنافقون هم الأخطر على الصف الإسلامي:

(1) الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ج7، ص454.

لقد لعب المنافقون في هذه الغزوة دوراً خطيراً وحقيقياً، وقد سجل القرآن الكريم جوانب من مواقفهم في الخندق، أذكر منها:

1- التشكيك في وعد الله تعالى:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَمُرْسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ (الأحزاب: 12).

تظهر الآية الدور التشكيكي الذي لعبه المنافقون، حيث كانوا يقولون: كيف يعدنا محمد كنوز كسرى وقيصر، ولا يستطيع أحدنا أن يذهب لقضاء حاجته؟، يريدون من وراء ذلك التشكيك في وعد الله، والتوهين في الصف المسلم⁽¹⁾.

وإن مثل هؤلاء المرجفين قائمون في كل جماعة، وموقفهم في الشدة موقف إخوانهم هؤلاء؛ لأنهم نموذج يتكرر في الأجيال والجماعات، فلنحذر منهم.

2- إثارة العصبية، والتفرقة بين المسلمين:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَاقًا﴾ (الأحزاب: 13).

تحمل الآية نداء وجهه المنافقون لأهل يثرب، حيث إن اختيارهم لهذه الصفة تحمل في طياتها كل ألوان الخبث والمكر، فهم يرمون إلى التفرقة بين المهاجرين والأنصار، إذ إن قريشاً تطلب محمداً فقط، فعلام يقاتل أهل يثرب، واختيارهم ليثرب بدل المدينة فيه تذكير لأهل المدينة بأيام الجاهلية، فإيا له من خبث، لأنه ينطوي على الرابطة القومية والتراب، لا على الدين والعقيدة. وكذلك نجد في الآية أن المنافقين يبحثون عن نقطة ضعف للضرب عليها، لذا نجدهم يُذكرون أهل المدينة بالنساء والذراري، وبيوتهم المعرضة للخطر من ورائهم، وقد بادر المنافقون للاستئذان تحت أعدار متعددة منها؛ أن بيوتهم مكشوفة للعدو وتحتاج إلى حماية، ولكن القرآن قد فضحهم وكشف خبيء نفوسهم فقال: ﴿وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَاقًا﴾ (الأحزاب: من الآية 13).

3- تثبيط المؤمنين عن الجهاد:

قال تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الأحزاب: 18).

تقرر الآية الكريمة علم الله المؤكد بالذين يسعون لأجل التخذيل في صفوف الجماعة المسلمة، ويدعون إخوانهم للقعود⁽²⁾.

الدرس الرابع/ الله الأمر كله:

(1) الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، جـ7، ص455.

(2) في ظلال القرآن، مرجع سابق، جـ5، ص2840.

وتتكرر هذه القاعدة في كل موقعة وغزوة، بل هي عقيدة ثابتة راسخة في عقل الإنسان المؤمن وكيانه، تمضي معه في كل مكان ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ (التوبة: من الآية 51) ، ولكن هذه المرة توجه كتهديد للمنافقين، قال تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يُنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْسَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ (الأحزاب: 16-17).

تحمل الآية تقريباً للمنافقين على فرارهم، وتأكيداً على أن قدر الله فيهم نافذ، وأمره مرسوم، وينتهي إلى النهاية المحتومة؛ إذ إنه الموت، أو القتل، قدر لا مفر منه، ولا يستقدم لحظة ولا يستأخر، والفرار لن يؤثر على الموعد المحتوم، كذلك فالله وحده هو من يمتلك النفع والضرر في هذه الحياة الدنيا، فله الأمر دوماً⁽¹⁾.

الدرس الخامس/ أمارات المنافق:

قد سلطت آيات غزوة الأحزاب الضوء على بعض سلوكيات المنافقين، ومواقفهم التي كانت في هذه الغزوة، قال تعالى: ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ مَرَأَتْهُمْ مَنَظِرُونَ لِيكَ تَدُومُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِاللِّسَانِ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ ﴿يَحْسِبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابَ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ آبَائِكُمْ وَكَوْنُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الأحزاب: 19 - 20).

ويمكن تلخيص صفات المنافقين التي تضمنتها هاتان الآيتان في النقاط الأربع التالية:

1- ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾:

فهم بخلاء عليكم، بخلاء بالحفر في الخندق، وبخلاء في النفقة، والقتال⁽²⁾، وبذلك يكونون بخلاء في حب المؤمنين، وموالاتهم.

2- موقفهم في الخوف:

﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ مَرَأَتْهُمْ مَنَظِرُونَ لِيكَ تَدُومُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾.

إنهم يحبون الحياة، والخوف يهدد حياتهم، فباتت أبصارهم شاخصة، بل إن كل جوارحهم وأوصالهم تنطق في لحظة الخوف بالجبن⁽¹⁾.

(1) في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج5، ص2839.

(2) الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ج7، ص460.

3- موقفهم في الأمن:

﴿فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَفُوكُمْ بِالْسِتَةِ حِدَادٍ﴾.

إذا ذهب الخوف خرجوا من جورهم، وانتفخت أوداجهم بالعظمة، ونفشوا بعد الانزواء، ونسبوا لنفسهم الفضل في إزاحة الغمة، وإنقاذ الأمة، ورفع الهمة، ونالوا من الصادقين، وقللوا من أهمية الثابتين، فبها لهم من مخادعين.

4- ﴿أَشِحَّةٌ عَلَى الْخَيْرِ﴾:

فهم يبخلون بجهدهم، وأموالهم، وأنفسهم.

ما أقبح هذا النموذج، الشجاع الفصيح في الرخاء، الجبان الأخرس في البلاء، إنها صورة مظلمة رديئة في هذا العالم، تندثر أمامها كل معاني الفضيلة، وعلى القائد العسكري وهو يقود جنوده أن ينتبه لهم، وأن يحذر منهم، وإلا كانوا سبباً في ضعفه وهزيمته.

الدرس السادس/ القائد القدوة:

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ

كَثِيرًا﴾ (الأحزاب: 21).

فقد مثل النبي ﷺ في الخندق خير قدوة، وخير قائد، فعن البراء قال: "لما كان يوم الأحزاب رأيت رسول الله ﷺ ينقل من تراب الخندق حتى، وارى عني التراب جلدة بطنه، - وكان كثير الشعر - فسمعته يرتجز بكلمات ابن رواحة، وينقل التراب ويقول:

اللهم لولا أنت ما اهتدينا
فأنزلن سكيناً علينا
ولا تصدقنا ولا صلياً
ووثبت الأقدام إن لا قبنا
وإن أردوا فتننا أبينا
إن الألى قد بغوا علينا

قال ثم يُمد صوته بآخرها⁽²⁾.

فقد أظهر الحديث الدور الذي كان يقوم به النبي ﷺ، فهو كأبي جندي في الخندق، وما أحوجنا اليوم إلى القائد الجندي، إلى القائد القدوة الذي يعيش مع جنده، ويشاركهم، ويقف إلى جوارهم، وهي رسالة القائد المسلم الذي يتطلع إلى النجاح، ويرجو النجاة.

الدرس السابع/ صدق الانتماء، ومظهر الوفاء:

(1) في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج5، ص2840.

(2) صحيح: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب (30) غزوة الخندق، ح4106، ص696.

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَوَصَدَّقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿22﴾ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ (الأحزاب: 22-23).

إنها ثقة المؤمن بوعده الله تبارك وتعالى، فالهول، والكرب، والزلزلة، والخوف، والضيق، وجمع الكافرين الكبير لم يزد المؤمنين إلا إيماناً، وتصديقاً بوعده الله وموعوده، واطمأننت قلوبهم لنصر الله، فَصَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ، ولم يولوا الأدبار، ولم يتخاذلوا، وثبتوا حتى قضى بعضهم نحبه، وظل الباقي في إثره عاملاً مخلصاً ينتظر لقاء ربه وهو عنه راضٍ⁽¹⁾.

الدرس الثامن/ جزاء الغادرين، وتأديب الناكثين:

قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوا مِنْهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَّاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرَفِقًا مَثَلُونَ وَأَنْسَرُونَ فَرِيقًا ﴿26﴾ وَأَوْمَرَكُمْ أَمْزُهُمْ وَدَيَّارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ (الأحزاب: 26-27).

فالمقصود من هذه الآية هو يهود بني قريظة الذين ظاهروا الأحزاب على المسلمين، ونقضوا عهدهم مع رسول الله ﷺ⁽²⁾.

ما كاد النبي ﷺ يصل إلى المدينة حتى جاءه جبريل عليه السلام يأمر بتأديب بني قريظة، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: "لما رجع النبي ﷺ من الخندق، ووضع السلاح، واغتسل، أتاه جبريل عليه السلام فقال: (قد وضعت السلاح!! والله ما وضعناه، فاخرج إليهم)، قال: "فإلى أين؟" قال: (ها هنا) وأشار إلى بني قريظة، فخرج النبي ﷺ إليهم⁽³⁾.

وفي هذا الحديث إشارة إلى ضرورة التعجيل في محاسبة الغادرين، وتأديب الناكثين، وعلى القائد العسكري أن يقوم بدوره هذا دون حرج إذ تأمين الجبهة الداخلية بتعزيز المتمردين أولى من صد العدوان الخارجي؛ لأن ألف عدو خارج البيت أهون من عدو واحد داخله.

المبحث الثالث:

دراسة عسكرية لآيات غزوة تبوك من سورة التوبة.

(1) في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج-5، ص2844.

(2) الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ج-7، ص467.

(3) صحيح: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب (31) مرجع النبي من الأحزاب، ح4117، ص698.

في هذا المبحث تناولت آيات غزوة تبوك التي سجلتها سورة التوبة، وحاولت جاهداً الوقوف على بعض الدروس العسكرية المستفادة منها، ولكن قبل ذلك ألقيت الضوء على سورة التوبة، وقدمت بعض المعطيات عن غزوة تبوك، وقد انتظم حديثي في مطلبين على النحو التالي:

المطلب الأول:

وقفات حول سورة التوبة، وغزوة تبوك.

تضمن هذا المطلب فرعين أحدهما: أتحدث فيه عن سورة التوبة، والثاني: أتناول فيه بعض المعطيات لغزوة تبوك.

الفرع الأول / إشارات حول سورة التوبة:

سورة التوبة سورة مدنية، وهي من أواخر ما نزل من القرآن الكريم، حيث نزلت في العام التاسع في غزوة تبوك وما بعدها، وعدد آياتها تسع وعشرون ومائة آية، ومن أسمائها براءة، والفاضة.⁽¹⁾

- المحاور العامة لسورة التوبة⁽²⁾:

يمكن تلخيص المحاور العامة للسورة في النقاط التالية:

1- تحديد العلاقات النهائية بين المجتمع المسلم، والمشركين عامة في الجزيرة، وهذا يجسده مطلع السورة، حتى الآية الثامنة والعشرين، قال تعالى: ﴿بِرَاءةٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ﴾ (التوبة: 1- 2).

2- تحديد العلاقات النهائية بين المجتمع المسلم وأهل الكتاب، مع بيان الأسباب العقديّة، والتاريخية، والواقعية التي تحتم هذا التحديد، قال تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ (التوبة: 29).

وقال تعالى وهو يكشف زيف ادعائهم: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ غَيْرُ بَرِّ ابْنِ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهَوْنَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (التوبة: 30).

(1) الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ج4، ص415.

(2) في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج3، ص1565 - 1569.

3- معالجة مسألة المنتقلين الذين دعوا إلى التجهيز لغزوة تبوك فتناقلوا إلى الأرض وتكاسلوا عن النفير، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِثْمًا قُلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضِيكُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ (التوبة: 38)، وغيرها من الآيات.

4- فضح المنافقين، ووصف أحوالهم النفسية والعملية، وبيان مواقفهم في غزوة تبوك وفيما قبلها وبعدها، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلَيْهِمُ بِالْظَّالِمِينَ﴾ (التوبة: 46-47). وغيرها الكثير من الآيات.

5- بيان طبيعة الأعراب؛ وفيهم المخلصون، والمنافقون، وآخرون خطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً، ولم يتم انطباعهم بالطابع الإسلامي تماماً، قال تعالى: ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَبِقَافًا وَأَجْدَرُ أَنْ لَا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة: 97)، وغيرها من الآيات التي تبين باقي أصناف الأعراب.

6- بيان طبيعة البيعة الإسلامية على الجهاد في سبيل الله، وطبيعة هذا الجهاد وحدوده، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِمْ حَقًّا فِي التَّوَارِيثِ وَالنَّكِيحِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْقَوْلُ الْعَظِيمُ﴾ (التوبة: 111).

الفرع الثاني: معطيات حول غزوة تبوك:

1- توقيت الغزوة:

كانت في شهر رجب من العام التاسع للهجرة⁽¹⁾.

2- سبب الغزوة:

جاءت غزوة تبوك امتداداً لغزوة مؤتة، حيث لم تنجح في الثأر من الرومان وأذنبهم بالكامل بعد قتل سفير رسول الله الحارث بن عمير الأزدي، لكن مؤتة تركت غصة شديدة في حلق الرومان، وما خلفته من الأثر الكبير في نفوس العرب، وقد ولدت عند القبائل العربية المجاورة للروم روح التمرد والتحرر، فتوفرت قناعة عند الروم بضرورة القضاء على المسلمين قبل أن تتجسد في صورة خطر عظيم، لا يمكن القضاء عليه، وقد بدأت الأنبياء تتراعى إلى المدينة

(1) السيرة النبوية لابن هشام، مرجع سابق، م 2، ج 4، ص 114.

بإعداد الروم، للقيام بغزوة حاسمة ضد المسلمين، فكان لا بد من اتخاذ قرار حاسم في هذا الصدد، والخروج للمواجهة⁽¹⁾.

3- الإعلان بالاستعداد لقتال الروم:

كانت عادة النبي ﷺ إذا أراد أن يغزو غزوة ورى بغيرها، أما في تبوك فأعلن أن الروم وجّهته؛ وذلك لبعد الشقة، وشدة الحر، وكثرة العدو؛ ليأخذ الناس لذلك أهيبته⁽²⁾.

4- الغزوة تأتي في لحظات حرجة:

قد جاءت الغزوة زمان عسرة الناس، وشدة الحر، وجذب البلاد، وحين طابت الثمار، واقتربت من النضج، والناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم، في ظل هذه الظروف تأتي الغزوة⁽³⁾.

5- نفقات الغزو:

لم تكن نفقات غزوة تبوك كغيرها من الغزوات، فهي في بلاد بعيدة، ومع عدو جديد، وجيش كبير، ولا بد للاستعدادات أن ترتقي إلى درجة تناسب، وتأتي الغزوة في زمن عسرة الناس، عند ذلك حضّ النبي ﷺ الناس على النفقة، وتسابق المنفقون في بذل أموالهم⁽⁴⁾.

6- قوام الجيش الإسلامي:

كان تعداد الجيش الإسلامي المتوجه إلى تبوك ثلاثين ألف مقاتل، حيث لم يخرج المسلمون في مثل هذا العدد الكبير قط، وكان كل ثمانية عشر رجلاً يعتقبون بغيراً واحداً⁽⁵⁾.

7- الرومان يرتعبون:

نزل الجيش الإسلامي بتبوك، فعسكر هناك، واستعد للقاء العدو، وقام فيهم رسول الله خطيباً فحذر وأنذر، وبشراً وأبشراً، لكن الروم وحلفاءهم لما سمعوا بزحف المسلمين أخذهم الرعب، فلم يجترئوا على التقدم واللقاء، بل تفرقوا في البلاد داخل حدودهم⁽⁶⁾.

8- آثار الغزوة:

قد تركت غزوة تبوك آثاراً رائعة، من أبرزها كسر هيبة الروم، حيث أظهرت الغزوة أنهم أقل من المواجهة، وكذلك ساهمت الغزوة في رفع سمعة المسلمين العسكرية، في داخل الجزيرة وأرجائها، وكذلك ساهمت في تحقيق جملة من المكاسب السياسية، وقد أدركت القبائل

(1) المغازي، للواقدي، مرجع سابق، ج3، ص990..

(2) المغازي، للواقدي، مرجع سابق، ج3، ص990.

(3) السيرة النبوية لابن هشام، مرجع سابق، م2، ج4، ص114.

(4) السيرة النبوية لابن هشام، مرجع سابق، م2، ج4، ص114.

(5) الرحيق المختوم، مرجع سابق، ص487.

(6) الرحيق المختوم، مرجع سابق، ص489.

التي كانت تعمل لحساب الرومان أن اعتمادها على سادتها الأقدمين، قد فات أوانه، فانقلبت لصالح المسلمين، وهكذا توسعت حدود الدولة الإسلامية⁽¹⁾.

المطلب الثاني:

الدروس العسكرية في آيات غزوة تبوك من سورة التوبة

إن معظم سورة التوبة قد نزلت متعلقة بغزوة تبوك، ولو وقفنا عند كل درس من دروسها لطل بنا المقام، لذا أقتصر على أهم الدروس المستفادة منها وأبرزها ستة عشر على النحو التالي:

الدرس الأول/ تحقيق نظرية المبادأة:

قال تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ (التوبة: 29).

إن هذه الآية كانت الأولى في المقطع الذي يتناول الحديث عن أهل الكتاب والعلاقة النهائية معهم⁽²⁾.

وقد أمرت الآية الكريمة بمقاتلة الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر، وكلمة ﴿قَاتِلُوا﴾ تحمل معنى المبادرة لقتالهم، وبالتالي تتحقق نظرية المبادأة، سواءً كانت على المستوى الاستراتيجي، أو الميداني.

وعلى الغالب إن الذي يتخذ قرار الحرب هو من يحدد زمانها، ومكانها، وطريقها، ومن هنا فعلى القيادة العسكرية الإسلامية أن تتخذ مواقفها وفق رؤية استراتيجية تضعها بدقة، وتعمل على تنفيذها بعناية فائقة، دون أن تكون مواقفها عبارة عن ردود أفعال.

الدرس الثاني/ اختبار القصد وإدامته.

قال تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ (التوبة: 29).

بالنظر إلى الآية السابقة نجد أنها ترسم الهدف، وتوضح القصد، وذلك من أول الطريق، فقد جاء الأمر بالقتال مصحوباً بتوضيح الهدف، وتعليل الأمر؛ فهم لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، ولا يحرّمون ما حرّم الله ورسوله، ولا يدينون دين الحق.

(1) الرحيق المختوم، مرجع سابق، ص 490.

(2) في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج 3، ص 1620.

وبالتالي فإن الجندي ينطلق وهو يعرف مقصده جيداً، ويسعى إلى بلوغه بكل ما أوتي من قوة؛ لأنه مقتنع تماماً بالسبب.

الدرس الثالث/ ضرورة توفير القناعة القتالية:

بعد أن جاء الأمر بقتال أهل الكتاب الذين لا يحرّمون ما حرّم الله، ولا يدينون دين الحق، توالت الآيات لتفصل في المسوغات التي تدفع بكل قوة لمواجهةهم، وذلك حتى تتوفر القناعة القتالية الكاملة عند الجندي المقاتل، قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزُّنَا ابْنُ الْمَرْيَمِ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿30﴾ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا إِلَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿31﴾ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿32﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (التوبة: 30-33).

فهم الذين ادعوا أن الله ولداً، وهم الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، وهم الذين يحاربون الله، ويريدون أن يطفئوا نوره بمكرهم الحقيق.

إن هذه المسوغات لتمنح الجندي قناعة قتالية كبيرة، ودافعية متعاظمة لوقف هذا الفساد.

الدرس الرابع/ التحريض والتعبئة:

نمضي مع الآيات القرآنية في سورة براءة لنجدها تنتقل بنا من مرحلة ذكر المسوغات، وتحقيق القناعة القتالية، إلى مرحلة التعبئة والتحريض، للانتصار على ضعف النفس، والتمرد على ثقل الأرض، والنهوض لأداء الواجب، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِثْقَالَكُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَمْرَضَتْكُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنْ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿38﴾ إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿39﴾ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيًا إِذْ هُمَا فِي الْغَامِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة: 38-40).

إن التحريض في هذه الآيات يبلغ ذروته، ويصل مداه، ويهز المرء هزاً عنيفاً، لا يمتلك معه إلا الانطلاق بعد التعالي على كل المثبطات.

ومن هنا نستفيد ضرورة التعبئة الجهادية، والتحريض الموجه، قِبَلُ خَوْضِ غَمَارِ أَيِّ مَعْرَكَةٍ.

الدرس الخامس/ الحشد:

بالتحريض والتعبئة نستطيع أن نزيد الحشد، لذا نجد أن الآية الأمرة بالنفير العام جاءت بعد الآيات التي جاءت للتحريض، حيث قال تعالى: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (التوبة: 41).

فقد أمرت الآية الكريمة الجميع بالنفير، كباراً وصغاراً، كهولاً وشباباً، أغنياء ومساكين، مشاغيل وغير مشاغيل⁽¹⁾.

إن طبيعة هذا النفير تعني أن نعد جيشاً من المجتمع المسلم ليس لأحد به قيل، وهذا تحقيق لمبدأ الحشد في أوضح صورته، وأبرز أشكاله.

ومن الجدير بالإشارة أن الأمر بالحشد، والنفير قد جاء بعد التحريض والتعبئة، وفي هذا فائدة للقيادة العسكرية بأن يُسَبَقَ النفير الحاسم بمرحلة التحريض والتعبئة؛ وذلك لنوفر للناس مناخ الإجابة.

الدرس السادس/ اختبار مصداقية الجند:

قال تعالى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّىٰ يَسْبِيَنَّكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَعَلَّمَ الْكَافِبِينَ﴾ (التوبة: 43).

تضمنت الآية الكريمة عتاباً للنبي ﷺ لإعطائه الإذن للمنافقين بالعودة قبل أن ينكشف صدقهم من كذبهم في هذه المعادير⁽²⁾.

ومن ذلك نستفيد أنه على القيادة العسكرية أن تضع أمام الجند محكاتٍ عمليةً، ومواقفَ اختبارية، تظهر فيها الحقيقة، ويتجلى فيها المستور، ويبدو فيها معدن الصادق، وتتكشف فيها خبيئة المنافق، فيتحرك القائد وهو على نور ومعرفة بطبيعة جنده.

الدرس السابع/ تحقيق مبدأ الإيجابية:

قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَأْذِنُ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ (التوبة: 44).

فالجندي الصادق، المؤمن بيوم الجزاء، لا ينتظر أن يؤذن له في أداء فريضة الجهاد، بل هو ايجابي ينطلق بمجرد إدراكه للواجب، ولا ينتظر التكليف، بل يسارع في الطاعة، ابتغاء مرضاة الله، وثقةً بجزائه، فالطريق إلى الله واضحة مستقيمة، وسالكها لا يحتاج إذناً بالمسير⁽³⁾.

وهكذا نريد من الجندي المسلم أن يكون ايجابياً مبادراً لكل ما يرى فيه مصلحةً دينية، ودعوتية، دون أن يتعارض ذلك مع مبدأ الجماعة، وقوته في ذلك الهدد الذي عزَّ عليه أن يرى

(1) مختصر تفسير ابن كثير، مرجع سابق، جـ2، ص144.

(2) في ظلال القرآن، مرجع سابق، جـ3، ص1662.

(3) في ظلال القرآن، مرجع سابق، جـ3، ص1662.

قوماً يسجدون للشمس من دون الله، فتحرك لإنقاذهم دون تكليف من أحد، وقد كان ذلك ضمن الرؤية الجماعية، والأهداف الاستراتيجية المتفق عليها، قال تعالى على لسان الهدد يخاطب سليمان عليه السلام: ﴿فَكَثَّ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإَيْنِ﴾ (النمل: 22).

الدرس الثامن/ تحقيق مبدأ الإدارة والتخطيط:

قال تعالى: ﴿وَأْمُرُوا بِالْخَيْرِ وَأَعْدُوا لَهُ عُذَّةً﴾ (التوبة: من الآية 46).

أشارت الآية إلى أن نية التخلف السابقة عند المنافقين جعلتهم لا يُعدون للخروج عدته، وبمفهوم المخالفة من يرغب في الخروج يأخذ للأمر أهيته، وفي هذا إشارة واضحة إلى ضرورة التخطيط، إذ إن الإعداد من تجهيز للمركب، والسلاح، والدرع، كل ذلك يحتاج إلى خطة سابقة، سواء كانت ذهنية، أم ورقية.

وعليه فالآية تحمل دعوة للقيادة العسكرية بأن تضع البرامج، وترسم الخطط، وذلك في المجالات المتعددة، إن في جانب السلاح، أو المال، أو تكتيك الهجوم، أو غير ذلك.

الدرس التاسع/ اختيار طالب الشهادة، لا طالب المنفعة والسيادة:

قال تعالى: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَكَأُورًا ضَعُفًا خَلَالَكُمْ يُبِغُونَكُمْ بِالسُّنَّةِ وَفِيكُمْ سَمَاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلَيْهِمُ بِالظَّالِمِينَ﴾ (التوبة: 47).

بينت الآية أن خروج المنافقين، وأصحاب الرغبات الشخصية مع الجيش المسلم لا يزيده إلا فساداً وتثبيطاً، وهم يعملون على إيقاع الاختلاف، ونشر الأراجيف⁽¹⁾.

ومن هنا فعلى القيادة العسكرية للجيش المسلم أن تحرص على اختيار طالب الشهادة؛ الذي يرجو ما عند الله، وأن تستبعد أولئك الذين لا يتحركون إلا وفقاً لحسابات خاصة، ومصالح ذاتية، وأهداف شخصية، قال الله فيهم: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْتَحْضُونَ﴾ (التوبة: 58)، فهو لاء ضرهم على الجيش أقرب من نفعهم، ولا ينبغي أن تأسف القيادة لتخلفهم.

الدرس العاشر/ تحقيق الأمن النفسي للجندى:

قال تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ﴿قُلْ هَلْ تَرَوْنَ بَنِي إِدْرِيسَ الْحُسَيْنِيِّينَ وَتَحْنُ تَسْرِيصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بَأْيَدِنَا قَتَرْنَا بِصُورِ إِيْنَا مَعَكُمْ مُسْرِيصُونَ﴾ (التوبة: 51- 52).

(1) الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ج4، ص 491.

إن الإيمان بالمعاني المتضمنة في الآيتين السابقتين يعني أن يتحقق للجندي كمال الأمن النفسي؛ لأن الجندي إن أدرك أن كل شيء مقدر في علم الله، فماذا يخشى؟! ومن أي شيء يخاف؟! فما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأن القتل الذي هو أسوأ الاحتمالات عند أصحاب الدنيا، هو في عقيدة الجندي المسلم إحدى الحسنين، فمن أين يتسرب إليه الفلق؟! فهو إذن في غاية الأمن والسكينة.

وإن الجندي الذي يتمتع بهذا المستوى من الأمن النفسي ليس من السهل أن يهزم، أو يستسلم، فهو ينال إحدى الحسنين إما أن ينتصر أو يستشهد.

الدرس الحادي عشر/ الجهاد يفضح المنافقين:

من أسماء سورة التوبة الفاضحة، فهي تفضح المنافقين، وتكشف خباياهم، وتخرج أضغانهم، والمتتبع للسورة يجد أن هذه القضية قد أخذت مساحة واسعة في آياتها، ومعظم الأمارات التي سجلتها الآيات للمنافقين كانت تعقياً على مواقفهم من الجهاد، ومن هذه الآيات:

1- قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَدَدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّكَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (التوبة: 42).

2- قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَنْتَهِنِي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنْ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ (التوبة: 49).

3- قوله تعالى: ﴿إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلٍ وَتَوَكَّلُوا وَهُمْ فَرِحُونَ﴾ (التوبة: 50).

4- قوله تعالى: ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأًا أَوْ مَعَامِرَاتٍ أَوْ مَدَخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾ (التوبة: 57).

والآيات في هذا الإطار كثيرة كثيرة في السورة، وجميعها يفضح المنافقين.

الدرس الثاني عشر/ التكليف على قدر الاستطاعة:

في الوقت الذي تشن فيه آيات التوبة حملة شديدة على من تخلف من أهل المدينة ومن حولهم، وتفضح سرائرهم، وتخرج أضغانهم، نجد لها تلمس عذراً واضحاً لبعض الفئات، فقال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعْفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا اتَّوَكَّلْتَ لْتَخْلِفْهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أُحْمِلُهُمْ عَلَيْهِ تَوَكَّلُوا وَأَعْيَتُهُمْ نَفِضٌ مِنَ الدَّمْعِ حَرْبًا أَلَا يَجِدُوا مَا يَنْفِقُونَ﴾ (التوبة: 91-92).

فالآيتان واضحتان في رفع الإثم والحرص عن الضعفاء والعجزة، وعن المرضى، وعن الفقراء الذين لا يجدون ما ينفقون، وذلك إذا أخلصوا نيتهم، وصدقوا في توجيههم⁽¹⁾.

ومن ذلك نستفيد أنه على القيادة العسكرية أن لا تكلف فرداً فوق طاقته، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (البقرة: من الآية 286)، وأن ترفع عنه كل أشكال العتب واللوم إذا كان من أصحاب الأعداء السالفة في الآية، فإذا كان الله جل وعلا قد ابتلاه بضعف فما ينبغي علينا أن نضاعف الابتلاء عليه بالتأنيب أو اللوم، وإنما هذا العتاب والعقاب يكون لمن تخلف عن اقتدار، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ مَرْضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (التوبة: 93).

الدرس الثالث عشر/بناء العقيدة العسكرية في نفوس الجند :

إن المتتبع لآيات غزوة تبوك يجدها أنها تغرس العقيدة العسكرية في نفس الجندي بشكل واضح، ومن آيات ذلك:

1- صفقة رابحة: قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعُودًا عَلَيْهِمْ حَقًّا فِي التَّوَارِثِ وَالْأَجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (التوبة: 111).

تبين الآية الكريمة أن الله تعالى استخلص لنفسه أنفس المؤمنين وأموالهم، فلم يعد لهم منها شيء، ولم يعد لهم خيار في أن يبذلوا أو يمسكوا فهي صفقة مشتراة، ولمشترئها أن يتصرف بها كيف يشاء، وليس للبائع سوى أن يمضي في الطريق المرسوم، فلا خيار له، وإنما هو في انتظار قبض الثمن (الجنة) عند رد الأمانة إلى أهلها⁽²⁾.

إن هذه المعاني العظيمة إذا ما رسخت في نفس الجندي المسلم تجعل منه شخصاً آخر، فيكون في غاية السعادة؛ لأنه يمتلك صفقة رابحة لا خسارة فيها؛ بل نجده يحرص على الوفاء بهذه الصفقة، والتعجيل بإنجازها.

2- بيان نظام العقوبات التعزيرية للمتخلفين: حيث يساهم ذلك في القضاء على وساوس الشيطان لدى الجندي، ويمتلك دافعية قتالية كبيرة، وعقيدة عسكرية متينة، ففي شأن عقوبة المتخلفين من

(1) الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ج4، ص549.

(2) في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج3، ص1716.

المنافقين قال تعالى: ﴿فَإِنْ مَرَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُواكَ لِتُخْرِجُوهُمْ فَأَعِدْ لَهُمْ مِنْهُم مَّتَّاتًا أَكْثَرَ لَعَلَّكُمْ تُتَّقُونَ﴾ (التوبة: 83- 84).

وكذلك فقد أشارت الآيات إلى عقوبة الصادقين في أنهم لم يكن لهم عذر في التخلف عن تبوك، حيث قال تعالى: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (التوبة: 118).

الدرس الرابع عشر/ مبدأ مكافأة المضحى:

قال تعالى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فُرَيْقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (التوبة: 117).

بدأت الآية بتأكيد توبة الله على نبيه، وذلك مترتب على قوله تعالى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَبْتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَّبِعَكَ لِذَلِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَعَلَّمَ الْكَاذِبِينَ﴾ (التوبة: 43)، وكذلك فهي تؤكد التوبة على المؤمنين الذين اتبعوه في ساعة العسرة، وسرُّ هذه التوبة أنه كادت تزيغ قلوب فريق منهم بحسب تصريح الآية⁽¹⁾.

وبالجملة فإن التوبة التي تحملها الآية الكريمة تمثل مكافأة لأولئك الذين استجابوا لله ورسوله في لحظات العسرة، وفي أوقات الضيق، ومنه نتعلم أن على القيادة أن تكافئ المحسن بعد إنجازهم للمهام دون إبطاء؛ لما في ذلك من التعزيز النفسي.

الدرس الخامس عشر/ معاقبة المقصر:

قال تعالى: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (التوبة: 118).

فقد تخلف عن تبوك أناس من المؤمنين الصادقين أمثال: كعب بن مالك، ومرارة بن ربيعة العامري، وهلال بن أمية الواقفي، الذين نزلت فيهم هذه الآية⁽²⁾، ولا أرى أن نقف عند فصول قصة الثلاثة الذين خلفوا، فقصتهم معروفة⁽³⁾، لكن ما أريد الإشارة إليه هو أنهم تعرضوا لعقوبة شديدة جزاء تخلفهم عن غزوة العسرة.

(1) في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج-3، ص1722.

(2) الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ج-4، ص594.

(3) راجع صحيح البخاري، كتاب (64) المغازي، باب (80) حديث كعب، ح4418، ص749.

وفائدة ذلك أن الجنود إذا رأوا محاسبة المقصر بشكل فعلي، لم يفكر أحد منهم في التقصير، أما ترك المقصر، وعدم محاسبته، فذلك يحمل دعوة للتقصير، ويمثل معاقبةً للملتزمين المضحين، فعلى القيادة المسلمة أن تكافئ المحسن، وتعاقب المقصر، كي تسير المركب بأمن وأمان.

الدرس السادس عشر/ الاقتصاد في الجهد:

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (التوبة: 122).

إن الاقتصاد في الجهد، يعني الاستخدام المتوازن للقوى، والتصرف الحكيم بجميع الموارد⁽¹⁾.

وبالتأمل في هذه الآية نجد تحقيق هذا المبدأ على المستوى الاستراتيجي، حيث ينفر البعض لمواجهة العدو، ويتأخر البعض الآخر لحماية الديار والنساء والذراري، والتفقه؛ كي تستمر الحياة في شكلها السوي، وبالتالي تكون قاعدة الاقتصاد في الجهد قد تحققت بشكل كامل، إذ إن القوات توزع بطريقة مدروسة لتنفيذ مهام معروفة وواضحة.

وبهذا الدرس أكون قد وصلت إلى ختام المبحث الثالث من الفصل الخامس، والأخير في رسالتنا هذه.

سائلاً المولى تبارك وتعالى النفع والقبول.

(1) فن القيادة في الإسلام، مرجع سابق، ص 80.

الخاتمة

إن البحث في القرآن الكريم شيق ممتع، وإن الدرر التي يحويها عظيمة مفيدة، وهي لا تنتهي بل تزداد في كل يوم وتتعاظم، وإن انتهائي عند هذه النقطة من البحث لا يعني النهاية، بل ربما لم أتجاوز بكل رسالتي خط البداية، لذا فإن الباب أمام الدارسين مفتوح، والمجال أمام الباحثين رحب.

أولاً/ أهم نتائج البحث:

يمكن تلخيص أهم نتائج البحث في النقاط التالية.

1- إن حاجة الأمة اليوم للجهاد أكثر من حاجتها إلى الطعام والشراب، الجهاد الراشد؛ الذي يدفع عن أمتنا الضيم، ويرد العدوان، ويحرر الأوطان، الجهاد الذي يقيم القاعدة الصلبة لدار الإسلام، فلا تبقى مستباحة الحمى، منتهكة الأعراض، الجهاد الذي يُعيد الثقة إلى نفوس المؤمنين، ويغرس الأمل بالنصر المبين.

2- إن العمل الجهادي، والنشاط العسكري الذي لا يستتير بتوجيهات الكتاب العزيز، هو عرضة للانحراف، بل إنه يحمل بين طياته عوامل نهايته، لذا فإن الاعتماد على النظريات الغربية، أو الرؤى البشرية فقط في المعارك العسكرية يقود الأمة المسلمة إلى الفشل والخسران، فالقرآن حمل لأمتنا بين سطوره عوامل نهضتها، وأسباب عزتها، وترك الأمة القرآن إلى غيره يعني مجلبة الهوان والخسران.

3- إن القرآن الكريم يغرس في القائد والجندي المسلم العقيدة العسكرية الصحيحة، التي تمثل له المرجعية الفكرية، ومنها تنبع قناعته، وتتكون تصورات، وفي ضوئها يضع خططه وبرامجه، هذه العقيدة التي تقوم على الأخلاق والقيم، فحربها بلا أحقاد، ولا تغرس في الجندي شهوة القتل والإبادة، بل تغرس الرحمة والشفقة على البشرية، يتحرك وهو يحمل رسالة، ويؤدي أمانة، وفي ذات الوقت فهي تبني شخصية المقاتل الفذ، الذي لا ينتهي أمام التهديدات، ولا يسقط أمام الترغيبات، لا يخشى من شيء، ولا يخشى على شيء، يوقن أنه الراجح في ظل كل الاحتمالات، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ تَرَوْنَ بَنِي إِدْرِيسَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْحَقِّ وَالْحَقَّ كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ (التوبة: 52).

4- يقدم القرآن الكريم نظرية متكاملة في إعداد الجندي تشمل كل جوانب شخصيته، سواءً فيما يتعلق بالجانب الإيماني والروحي، أو الجانب السلوكي والأخلاقي، أو الجانب الدعوي والحركي، أو الجانب الذاتي النفسي، ويضاف إلى ذلك الإعداد العسكري، وتنمية

المهارات القتالية، واللياقة البدنية، وبذلك نمتلك جندياً متوازناً، فذاً، نستطيع أن نخوض به أعظم معركة.

5- فكما عالج القرآن من خلال نظرياته العسكرية قضية الجندية، فقد عالج كذلك مسألة القيادة، وقدم لنا أساسيات هامة في إعداد القائد؛ كي ينتج عندنا القائد الناجح الذي يحسن قيادة جيشه، ووقته، ويخادع عدوه، ويتابع مهامه، وقد قدم لنا القرآن الكريم نماذج لبعض القادة الربانيين.

6- ومن أجل ضمان المسيرة العسكرية قوية صحيحة، فقد وضح لنا القرآن الكريم الحقوق والواجبات لكل من القيادة والجنود، فيتحرك وهو يعرف ما له وما عليه، وينطلق القائد وهو يدرك حدود مسؤولياته، ويعي دوره، فلا يتغول على الجنود، ولا يظلمهم، وبذلك نستطيع أن نواصل المسيرة دون حيف، وتكون هذه الحقوق والواجبات المرجع عند الخلاف.

7- يمثل التخطيط العسكري العنصر الأهم في حسم نتائج المعارك، وقد اهتم القرآن الكريم بهذا الجانب، وقدم لنا نظريات في التخطيط الإداري، بحيث يتم التحرك العسكري وفق نظرية الدوائر التخصصية، وتوزع الأعمال التي يتطلبها الجيش على هذه الدوائر تبعاً للقدرة والكفاءة.

8- تشكل الموارد المالية أرقاً لكل الجيوش، وقد استطاع القرآن الكريم أن يعالج هذه المسألة، من خلال خطة اقتصادية محكمة تقوم على قاعدة الإيمان والاستغفار، وتعمل على تشغيل الموارد المالية، وتدعو إلى تضافر الجهود الرسمية والشعبية في الخطة الاقتصادية، وتقوم بتهيئة الطاقات، وتوزيعها بشكل يضمن نجاح الخطة الاقتصادية للجيش الإسلامي.

9- تمثل المهارات الميدانية دوراً مهماً في تحديد نتائج الجولات العسكرية، وقد ذكر القرآن الكريم جملة من المبادئ العسكرية الميدانية، كمبدأ الردع، وحشد القوة، واختبار القصد، والاقتصاد في القوة، والمباغطة، والتعاون، والمبادأة، والمرونة وغيرها من المبادئ التي سجلها القرآن.

10- إن الحرب النفسية قد تحسم معركة عسكرية كاملة، وقد تمنع وقوعها، أو تحسم نتائجها قبل وقوعها، لذا فقد اهتم القرآن الكريم بالحرب النفسية، وسجلها في آياته، فعرض للحرب النفسية ضد المسلمين، واستخدمها ضد المشركين، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ

كَفَرُوا سَغْلَبُونَ وَنُحْشِرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبَسَّ الْمَهَادُ﴾ (آل عمران: 12).

11- لقد تناول القرآن الكريم بعض الغزوات بالدراسة والتحليل، وقدم لنا في طياتها فوائد كثيرة جداً، سواءً كانت في الجانب التربوي، أو العسكري، أو الأخلاقي، أو النفسي، حيث يعالج القرآن من خلال هذه الغزوات العديد من المسائل، وذلك كبيان لمحاسبة المقصر، ومراجعة المهزوم، وضرورة العقيدة العسكرية الإسلامية، وبيان صفات المنافقين، وتوضيح مواقفهم عند الشدائد، والتأكيد على أن الفضل في تحقيق النصر إنما هو لله.

ثانياً/ التوصيات.

يمكن عنصرة التوصيات في النقاط التالية:

1- على الأمة اليوم أن تحيي فريضة الجهاد في سبيل الله؛ لأن ما تتعرض إليه من الظلم، والقهر، والعدوان، واغتصاب الأوطان، ونهب الثروات، والاعتداء على الحرمات، لا يرده الاستجداء، ولا تعيده المفاوضات، ولا الرسائل، والبرقيات، إنما يُنتزع بإرادة المجاهدين، وعزم الصادقين، وثبات المرابطين.

وإن تبني الأمة الجهاد اليوم كخيار استراتيجي يقطع الطريق على المنتفعين، ويأخذ بيد جهاد المخلصين من الانحراف عن مساره القويم، ويحقق للأمة وحدتها، ويعيد لها هيبته، ويرفع لها قدرها، وما اندحار العدو الصهيوني من غزة عنا ببعيد.

2- إن العمل العسكري الذي يمثل أداة الجهاد بحاجة إلى توجيه وترشيد، كما هو بحاجة إلى تطوير وإبداع، والذي جمع بين هذين العنصرين هو القرآن الكريم، فهو يحمل لنا نظريات عسكرية رائعة، لكنها بحاجة إلى اكتشاف، ثم إلى مهارة ودقة في تطبيقها على الأرض، لذا فإن الدعوة قائمة إلى كل الباحثين أن يعملوا على اكتشافها، والدعوة إلى العسكريين أن يعملوا على تطبيقها، ولنوقن أن الفوز كله في الامتثال لها، والالتزام بها.

3- يوصي الباحث بضرورة اعتماد العقيدة العسكرية الإسلامية كمرجعية تُغرس في نفس الجندي العربي، وذلك من خلال اعتمادها كمقرر من مقررات الكلية الحربية، بحيث نستطيع أن ننمي جندياً فذاً، شجاعاً، نافعاً لدينه، وأمته.

4- يوصي الباحث بضرورة إعداد الجندي وتربيته وفق النظرية القرآنية المتكاملة في التربية والإعداد، بحيث يشمل هذا الإعداد كل جوانب شخصيته، إذ لا معنى للبناء العسكري دون البناء الروحي، والأخلاقي، والحركي، والنفسي، فلا بد من الأخذ بالاعتبار كل جوانب شخصيته، وبذلك نستطيع أن نوجد الجندي المتوازن، صاحب الخلق والرسالة.

5- إن أبرز أزمات الأمة اليوم أنها ابتليت بقيادة لا يتصلون بالقرآن، ولا يعرفون من الإسلام إلا اسمه، ومن الدين إلا رسمه، لذا فالوصية بأن تعد الأمة قاداتها وفق النظرية القرآنية، وتجعل منهم علماء ربانيين، وقادة قرآنيين، قد ملأ عليهم القرآن جل حياتهم، وأثار لهم دروبهم، ويقودون أمتهم بكتاب الله.

6- يوصي الباحث بضرورة استخراج الحقوق والواجبات، للقائد والجندي، من خلال آيات القرآن الكريم، وتوزيعها في بنود مواد قانونية يطلع عليها القائد، كما يطلع عليها الجندي، ويعمل الجميع على الالتزام بها، والعودة إليها عند الاختلاف، يستحسن أن تجعل ضمن مساقات الكلية الحربية.

7- يوصي الباحث القيادات العسكرية بضرورة الاهتمام بالتخطيط الجيد، ورسم هياكل إدارية تتاسب المتغيرات، وتواكب المستجدات، مع ضرورة الاستفادة من الفكر الإداري في القرآن الكريم.

8- إن تبني الخطة الاقتصادية القائمة على الإيمان والاستغفار ابتداءً، ثم تشغيل الموارد المالية، وتهيئة الطاقات وتوزيعها وفق القدرة والكفاءة الإنتاجية، يعمل على حل الإشكالية المالية لدى جيوشنا العربية والإسلامية.

9- يوصي الباحث الدارسين بضرورة الوقوف ملياً أمام النصوص القرآنية للغزوات، والتي تتحدث عن الجهاد، واستخلاص الفوائد الميدانية، والمبادئ العسكرية، والتوجيهات الأخلاقية والنفسية، ويوصي العسكريين بضرورة تطبيقها في عملياتهم العسكرية.

10- يوصي الباحث بضرورة إيجاد وسائل إعلامية فضائية وأرضية، تكون فاعلة ومؤثرة، بحيث نستطيع من خلالها نشر فكرنا، وعرض صورتنا، ومحاربة عدونا إعلامياً، ومطاردته نفسياً.

خلاصة البحث

يمكن تلخيص البحث في النقاط التالية:

1- إن إحياء الجهاد فريضة شرعية، وضرورة بشرية، من أجل إنقاذ الأمة، وكشف الغمة، ورد الحقوق إلى أصحابها، ورفع الظلم، وإزالة الضيم، لكن هذا الجهاد يجب أن يستتير بنور القرآن، ويسترشد بهدي النبي العدنان ﷺ، لذا لا بد من تبيين غايات الجهاد وثمراته، والعمل على بناء الروح الجهادية.

2- ضرورة غرس العقيدة العسكرية القرآنية، وتربية الجنود عليها، وذلك كي تعالج النقاط التالية:

- أ- تعميق روح الجهاد.
- ب- بناء شخصية الجندي المسلم.
- ج- علاج ضعف الجندي المسلم.
- د- كيفية التعامل مع الأعداء ومجتمعهم.

3- إن إعداد الجندي مسألة في غاية الأهمية، وينبغي أن تمتد لتشمل كل جوانب حياته وخاصة:

- أ- الجانب الإيماني والروحاني.
- ب- الجانب السلوكي والأخلاقي.
- ج- الجانب الدعوي والحركي.
- د- الجانب الذاتي والنفسي.
- هـ- الجانب الجهادي والعسكري.

4- إن الاهتمام بالإعداد المتميز للقيادات مسألة ضرورية جداً، لكن طبيعة الإعداد القيادي ينبغي أن تتبع من عمق الفكر القرآني، بحيث يتكون لدينا القائد القرآني المستفيد من النماذج القيادية في القرآن كذي القرنين، وطالوت، وسليمان عليه السلام.

5- لقد وضح الإسلام جملة من الحقوق والواجبات للجندي، وكذلك للقائد، وعلى كل من الجندي والقائد الالتزام بها.

6- يمثل الجانب الإداري دوراً هاماً في تحقيق النصر، وبلوغ الهدف، وقد اهتم القرآن الكريم بهذه القضية اهتماماً واسعاً، شمل:

- أ- إشارات للهيكل التنظيمي، والدوائر التي يتطلبها الجيش.
- ب- التخطيط المالي، والبناء الاقتصادي للجيش الإسلامي.
- ج- برامج التسليح، ومصادره، وضرورة تطويره.

7- قدّم القرآن الكريم جملة من المبادئ الحربية، والنظرية العسكرية، والمهام الميدانية، من خلال آيات الغزوات، والجهاد، ومن هذه المبادئ:

- أ- مبدأ الردع.
- ب- مبدأ حشد القوة.
- ج- مبدأ اختيار القصد وإدامته.
- د- مبدأ الاقتصاد في القوى.
- هـ- مبدأ المباغتة والمفاجأة.
- و- مبدأ التعرض والهجوم.
- ي- مبدأ الحفاظ على الروح المعنوية.

Abstract:

1. The revival of Jihad is a legal duty and a humanitarian necessity to save the nation and clear up the ambiguity, to return the rights to its owners and to remove the aggression and oppression.
However, this Jihad must be run according to the Quranic principle and the prophet Mohammed (peace be upon him) rules. So, we must explain the goals and results of Jihad to work on reinforce its spirit among Muslims.
2. The necessity of ingraining the Quranic military faith and bringing up the soldiers on it to treats the points below:
 - A) Deepening the spirit of Jihad.
 - B) Configuration the character of the Islamic soldier.
 - C) Treating the weakness of the Islamic soldier.
3. Preparing a soldier is an extremely important issue and it should be extended to involve all side of his life particularly:
 - A) The faithful and spiritual side.
 - B) The behavioral and ethical side.
 - C) The personal and physiological side. and
 - D) The military side of Jihad.
4. Caring about preparing a distinguished leadership is a very important matter, but the nature of leadership preparation should be derived by the Quranic principles. So that we can form a Quranic leader that can benefit from the leadership models in the Quran such as, Zi El Karnain, Talwot and Suliman (peace be upon them).
5. The Islam clarified a group of rights and duties to the soldier and to the leader. That both must be committed to.

6. The administrative side represents an important role in achieving the victory and attaining the goal. Therefore, the Quran cared a lot of this issue for example it refers to:
 - A) The organizational framework hints and the institutions the army needs armament.
 - B) Financial planning and economic construction of the Islamic army.
 - C) Permanent programmes and their resources and the importance of developing them.

7. The Quran clarified a group of war principles and military theories and the site tasks in the Islamic battles and Jihad such as:
 - A) Detering principle.
 - B) Gathering power principle.
 - C) The principle of target choice and keeping it in mind.
 - D) Economy principle of power.
 - E) Surprising and trapping principle.
 - F) The principle of initiative and offensing.
 - G) Keeping the high morale principle.

م	الآية	السورة ورقم الآية	الصفحة التي وردت فيها الآية
1.	﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾	(الفاتحة:7).	ص32
2.	﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾	(الفاتحة:7).	ص36
3.	﴿اتَّامِرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ.....﴾	(البقرة:44).	ص152.
4.	﴿أَقْتُمُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ.....﴾	(البقرة:85).	ص181
5.	﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا.....﴾	(البقرة:143).	ص105،46
6.	﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتٌ بَلْ أحياءٌ.....﴾	(البقرة:154).	ص53
7.	﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلِ تَبِعْ مَا.....﴾	(البقرة:170).	ص8
8.	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ.....﴾	(البقرة:183).	ص99
9.	﴿أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا.....﴾	(البقرة:184).	ص103
10.	﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِيَكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِيَكُمُ.....﴾	(البقرة:185).	ص173
11.	﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا.....﴾	(البقرة:190).	ص73
12.	﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ.....﴾	(البقرة:193).	ص30، 28، 19
13.	﴿فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ.....﴾	(البقرة:194).	ص23
14.	﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ.....﴾	(البقرة:195).	ص177، 56
15.	﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ.....﴾	(البقرة:197).	ص99
16.	﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ.....﴾	(البقرة:205).	ص75
17.	﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتٍ.....﴾	(البقرة:207).	ص18، 13
18.	﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ.....﴾	(البقرة:214).	ص63
19.	﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ.....﴾	(البقرة:216).	ص132، 111، 50
20.	﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ.....﴾	(البقرة:217).	ص241، 19
21.	﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثمٌ.....﴾	(البقرة:219).	ص112

22. ﴿الْمُتَرَاتِلِ إِلَى الْمَلَائِكَةِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ...﴾ (البقرة: 246). ص 192، 194، 193
23. ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ...﴾ (البقرة: 247). ص 123، 192، 162، ، ص 194، 195
24. ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ...﴾ (البقرة: 248). ص 192، 196
25. ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ...﴾ (البقرة: 249). ص 192، 197، 198، 33، 29، 32، 254
26. ﴿وَلَمَّا بَرَرُوا الْبِحَاوَاتِ وَجُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا...﴾ (البقرة: 250). ص 192، 199، 90
27. ﴿فَهَرَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ...﴾ (البقرة: 251). ص 192، 199، 200، 22، 47، 168
28. ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ...﴾ (البقرة: 256). ص 183
29. ﴿مِثْلَ الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ...﴾ (البقرة: 261). ص 223
30. ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ...﴾ (البقرة: 285). ص 128، 165
31. ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا...﴾ (البقرة: 286). ص 4، 102، 296
32. ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ (آل عمران: 2). ص 263
33. ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا...﴾ (آل عمران: 7). ص 263
34. ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَعْتَابُونَ وَحَشِرُونَ...﴾ (آل عمران: 12). ص 250
35. ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئْتَيْنِ التَّيْتَانِ...﴾ (آل عمران: 13). ص 250
36. ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا أَمْنَا فَاغْفِرْ لَنَا...﴾ (آل عمران: 16). ص 263
37. ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ...﴾ (آل عمران: 18). ص 263
38. ﴿الْمُتَرَاتِلِ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنْ...﴾ (آل عمران: 23). ص 262
39. ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ...﴾ (آل عمران: 28). ص 264
40. ﴿إِنَّا تَكَلَّمْنَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا...﴾ (آل عمران: 41)، ص 95
41. ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى...﴾ (آل عمران: 64). ص 263
42. ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبَسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ...﴾ (آل عمران: 71). ص 262
43. ﴿وَقَالَتْ طَافَّةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي...﴾ (آل عمران: 72). ص 263

44. ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّاتَيْنِ بِمَا كُنْتُمْ.....﴾ (آل عمران: 79). ص 85
45. ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ.....﴾ (آل عمران: 92) ص 224
46. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَنْ تُطِيعُوا فِرْقَانًا مِنَ الَّذِينَ.....﴾ (آل عمران: 100) ص 264، 254
47. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: 102). ص 88
48. ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ (آل عمران: 103). ص 104
49. ﴿وَلَكِنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ.....﴾ (آل عمران: 104) ص 182، 105
50. ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ.....﴾ (آل عمران: 110). ص 191
51. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ.....﴾ (آل عمران: 118). ص 264
52. ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (آل عمران: 121). ص 156، 213، 266، 268، 267
53. ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ.....﴾ (آل عمران: 123). ص 267
54. ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ.....﴾ (آل عمران: 124). ص 235
55. ﴿بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ.....﴾ (آل عمران: 125). ص 237، 235
56. ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ.....﴾ (آل عمران: 126) ص 268، 47
57. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا.....﴾ (آل عمران: 130) ص 269، 268
58. ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ (آل عمران: 131) ص 270، 268
59. ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (آل عمران: 132) ص 270، 268
60. ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ.....﴾ (آل عمران: 133) ص 270، 268
61. ﴿الَّذِينَ يَتَّقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ.....﴾ (آل عمران: 134) ص 270، 268
62. ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ.....﴾ (آل عمران: 135) ص 271، 90
63. ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾ (آل عمران: 139) ص 271
64. ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ.....﴾ (آل عمران: 140). ص 273، 272
65. ﴿وَلِيُخَصَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيُمِثِّقَ الْكَافِرِينَ﴾ (آل عمران: 141). ص 273، 272، 20

66. ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ﴾ (آل عمران: 142). ص 20، 272
67. ﴿وَلَقَدْ كُتِبَ لَكُمْ أَنْ تَقْتُلُوا﴾ (آل عمران: 143). ص 272
68. ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ (آل عمران: 144) ص 57، 273
69. ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا﴾ (آل عمران: 145) ص 69، 237، 254، 274
70. ﴿وَكَأَيُّنَ مِنْ نَبِيِّ قَاتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا﴾ (آل عمران: 146). ص 244، 275
71. ﴿وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا﴾ (آل عمران: 147). ص 239
72. ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّوهُمُ﴾ (آل عمران: 152). ص 267، 271، 283
73. ﴿إِذْ تَضَعُونَ وَلَا تَلُودُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ﴾ (آل عمران: 153). ص 276
74. ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً﴾ (آل عمران: 154). ص 65، 274، 276
75. ﴿وَلَكِنْ قَاتَلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مِنْكُمْ لَمَغْفِرَةٌ﴾ (آل عمران: 157). ص 274
76. ﴿وَلَوْ كُنْتُمْ فَظًا غَلِيظَ الْقُلُوبِ لَانْفَضُّوا مِنْ﴾ (آل عمران: 159). ص 146، 170، 174، 206، 277
77. ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ﴾ (آل عمران: 160). ص 47، 58، 199، 274
78. ﴿وَمَنْ يُغْلَبْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى﴾ (آل عمران: 161). ص 97
79. ﴿أَوَلَمَّْا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ﴾ (آل عمران: 165). ص 166
80. ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ﴾ (آل عمران: 166) ص 21
81. ﴿وَيُعَلِّمُ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي﴾ (آل عمران: 167). ص 273
82. ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أِطَاعُونَا مَا﴾ (آل عمران: 168) ص 277، 278
83. ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ﴾ (آل عمران: 169) ص 20، 53، 274، 277، 278
84. ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ﴾ (آل عمران: 170) ص 20، 277، 278
85. ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلِهِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا﴾ (آل عمران: 171). ص 278
86. ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمْ﴾ (آل عمران: 172) ص 263، 278
87. ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾ (آل عمران: 173) ص 253، 278

- 88 . ﴿فَاتَّقِلُوا بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ﴾ (آل عمران:174). ص 278، 253
- 89 . ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ .﴾ (آل عمران:195). ص 18
- 90 . ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾ (آل عمران:200). ص 12
- 91 . ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ (النساء:1). ص 88، 48
- 92 . ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ﴾ (النساء: 5) ص 219، 227
- 93 . ﴿فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ﴾ (النساء: 19). ص 111
- 94 . ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَى﴾ (النساء:34). ص 128
- 95 . ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ﴾ (النساء: 43). ص 112
- 96 . ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى﴾ (النساء:58). ص 145، 95
- 97 . ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ (النساء:59). ص 164، 118، 186
- 98 . ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا﴾ (النساء:65). ص 41
- 99 . ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ﴾ (النساء:69). ص 165، 53، 20
- 100 . ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا﴾ (النساء:71). ص 134، 136، 93، 209، 212، 243
- 101 . ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ﴾ (النساء:74). ص 244، 64، 11
- 102 . ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (النساء:75). ص 167، 20
- 103 . ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ﴾ (النساء:77). ص 91، 63
- 104 . ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ﴾ (النساء:78). ص 65
- 105 . ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا﴾ (النساء:83). ص 254، 61
- 106 . ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تَكْفِ إِيَّا نَفْسَكَ﴾ (النساء:84). ص 21
- 107 . ﴿فَخَذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ (النساء:89). ص 77
- 108 . ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمِ بَيْتَكُمْ وَبَيْنَهُمْ﴾ (النساء:90). ص 77
- 109 . ﴿وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمِ بَيْتِكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِثَاقٌ﴾ (النساء:92). ص 77

- 110 . ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي﴾ (النساء: 95) ص 11، 15، 51، 54
- 111 . ﴿دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةٌ وَرَحْمَةٌ وَكَانَ اللَّهُ﴾ (النساء: 96) ص 11
- 112 . ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مَهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَمَرَسُولِهِ﴾ (النساء: 100) ص 4
- 113 . ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ﴾ (النساء: 102) ص 94، 211، 242
- 114 . ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا﴾ (المائدة: 2) ص 169، 220، 239
- 115 . ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَايُنْ قَوْمَ عَلَى آلَا﴾ (المائدة: 8) ص 179
- 116 . ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ﴾ (المائدة: 13) ص 177
- 117 . ﴿إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَادْهَبْ﴾ (المائدة: 24) ص 29
- 118 . ﴿إِنَّمَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (المائدة: 27) ص 89
- 119 . ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ (المائدة: 44) ص 181
- 120 . ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ (المائدة: 45) ص 181
- 121 . ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (المائدة: 47) ص 181
- 122 . ﴿وَإِنْ أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ (المائدة: 49) ص 180
- 123 . ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ﴾ (المائدة: 51) ص 160
- 124 . ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ (المائدة: 66) ص 219
- 125 . ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ (المائدة: 67) ص 30
- 126 . ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ﴾ (المائدة: 90) ص 113
- 127 . ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمْ﴾ (المائدة: 91) ص 113
- 128 . ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ يَعْلَمُ﴾ (الأنعام: 59) ص 87، 121
- 129 . ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدَهُ﴾ (الأنعام: 90) ص 137

- 130 . ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (الأَنْعَامُ: 152) ص 102
- 131 . ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي﴾ (الأَنْعَامُ: 162) ص 227، 236
- 132 . ﴿فَلْتَقِصْنَ عَلَيْهِمْ بَعْلَهُمْ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾ (الأَعْرَافُ: 7) ص 87
- 133 . ﴿قَالَ فِيمَا أُغْوِيْتَنِي لِأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (الأَعْرَافُ: 11) ص 26
- 134 . ﴿ثُمَّ لَا تَبِيتُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ (الأَعْرَافُ: 12) ص 26
- 135 . ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَشَرِبُوا لَا يَلْحَقْ بِكُمْ فِي الْآبَاءِ وَالْأَبْنَاةِ وَالْأَزْوَاجِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ (الأَعْرَافُ: 31) ص 235
- 136 . ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً﴾ (الأَعْرَافُ: 34) ص 65
- 137 . ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأَعْرَافُ: 54) ص 41
- 138 . ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم مَّا تَلَوْنَاهُمْ فِي حُجُورِهِمْ أَمْثَلًا وَأَلْقَيْنَا لَكُمْ فِي الْقُرَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَأَمَلَّكْنَا الْكُفْرَ فِي بَعْضِ الْأَقْصَابِ﴾ (الأَعْرَافُ: 96) ص 218
- 139 . ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ فِي الْحَقِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ لَيُؤَيِّدُنَّ اللَّهُ طَائِفَاتٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ يَتَذَكَّرُونَ فِي الْحَقِّ وَالْحَقِّ﴾ (الأَعْرَافُ: 157) ص 188
- 140 . ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ (الأَعْرَافُ: 181) ص 100
- 141 . ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ﴾ (الْأَنْفَالُ: 5) ص 268
- 142 . ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ (الْأَنْفَالُ: 9) ص 235
- 143 . ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ (الْأَنْفَالُ: 10) ص 199
- 144 . ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (الْأَنْفَالُ: 15) ص 17، 48، 63
- 145 . ﴿وَمَنْ يُولِهِمْ يُؤمِّدْهُمْ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالِهِمْ أَوْ يُنْفِقُونَ﴾ (الْأَنْفَالُ: 16) ص 48
- 146 . ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا﴾ (الْأَنْفَالُ: 17) ص 47، 89، 101، 283
- 147 . ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي﴾ (الْأَنْفَالُ: 26) ص 29
- 148 . ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا﴾ (الْأَنْفَالُ: 27) ص 171، 186
- 149 . ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ (الْأَنْفَالُ: 30) ص 129
- 150 . ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ﴾ (الْأَنْفَالُ: 36) ص 27، 225، 264
- 151 . ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ (الْأَنْفَالُ: 39) ص 23

- 152 . ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ.....﴾ (الأنفال:41). ص222
- 153 . ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا.....﴾ (الأنفال:45). ص17، 63، 90، 200، 245
- 154 . ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَتَازَرَعُوا فَمَا تَغْلِبُوهَا.....﴾ (الأنفال:46). ص10، 239
- 155 . ﴿فَمَا تَأْتِفْتَهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ.....﴾ (الأنفال:57). ص233
- 156 . ﴿وَإِنَّمَا تَخَافَنْ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى.....﴾ (الأنفال:58). ص79
- 157 . ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ مِرْبَاطِ الْخَيْلِ.....﴾ (الأنفال:60). ص45، 47، 52، 57، 83، 101، 115، 116، 146، 185، 204، 207، 209، 215، 216، 218، 227، 232، 233، 241، 245
- 158 . ﴿وَإِنْ جَحَّوْا لِلسَّلَامِ فَاجْتِهِدِي لَهَا وَتَوَكَّلِي.....﴾ (الأنفال:61). ص45، 77
- 159 . ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ.....﴾ (الأنفال:62). ص24، 122، 151
- 160 . ﴿وَأَلْفَ بَيْنٍ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ.....﴾ (الأنفال:63). ص22، 151
- 161 . ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ.....﴾ (الأنفال:65). ص126، 216، 234
- 162 . ﴿إِنَّا خَفْنَا اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ.....﴾ (الأنفال:66). ص234
- 163 . ﴿مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى.....﴾ (الأنفال:67). ص271
- 164 . ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِي مَا.....﴾ (الأنفال:68). ص271
- 165 . ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ.....﴾ (الأنفال:72). ص77، 78
- 166 . ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ.....﴾ (الأنفال:74). ص187
- 167 . ﴿بِرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ.....﴾ (التوبة:1). ص288
- 168 . ﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا.....﴾ (التوبة:2). ص288
- 169 . ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ.....﴾ (التوبة:4). ص78، 79
- 170 . ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ.....﴾ (التوبة:5). ص133، 139، 140
- 171 . ﴿كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا.....﴾ (التوبة:8). ص31

- 172 . ﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ.....﴾ (التوبة:12). ص79
- 173 . ﴿أَلَا تَقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا.....﴾ (التوبة:13). ص51، 65، 240
- 174 . ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ.....﴾ (التوبة: 14). ص15، 240
- 175 . ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ.....﴾ (التوبة:16) ص 21
- 176 . ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ.....﴾ (التوبة:20). ص12، 68، 245
- 177 . ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ.....﴾ (التوبة:21). ص12، 64
- 178 . ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنْ اللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ.....﴾ (التوبة: 22). ص12، 64
- 179 . ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ.....﴾ (التوبة:23). ص162
- 180 . ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ.....﴾ (التوبة: 24) . ص 27، 66 ، 162
- 181 . ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ.....﴾ (التوبة: 25). ص93
- 182 . ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ.....﴾ (التوبة:29). ص288، 291
- 183 . ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى.....﴾ (التوبة:30). ص289، 292
- 184 . ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى.....﴾ (التوبة:32) ص22، 292
- 185 . ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ.....﴾ (التوبة:33). ص182، 292
- 186 . ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ.....﴾ (التوبة:38). ص17، 289، 292
- 187 . ﴿إِلَّا تَنْفَرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ.....﴾ (التوبة: 39). ص17، 27، 67، 292
- 188 . ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ.....﴾ (التوبة: 40). ص56، 112، 292، 211
- 189 . ﴿انْفَرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ.....﴾ (التوبة: 41). ص16، 127، 130، 131، 222، 233، 293
- 190 . ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ.....﴾ (التوبة:42). ص295
- 191 . ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّى يَسْبِنَ.....﴾ (التوبة:43). ص293، 297
- 192 . ﴿لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ.....﴾ (التوبة:44) ص32، 67، 293
- 193 . ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً.....﴾ (التوبة:46). ص170، 245، 289، 294

- 194 . ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ﴾ (التوبة: 47). ص 198، 289، 294
- 195 . ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَنْتَهِنِي أَلَا﴾ (التوبة: 49). ص 295
- 196 . ﴿إِنْ تُصِيبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبْكَ﴾ (التوبة: 50). ص 295
- 197 . ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ﴾ (التوبة: 51). ص 110، 59، 295، 285
- 198 . ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ﴾ (التوبة: 52). ص 54، 110، 244، 295
- 199 . ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مَدْخَلًا﴾ (التوبة: 57). ص 295
- 200 . ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا﴾ (التوبة: 58). ص 294
- 201 . ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ﴾ (التوبة: 60). ص 222
- 202 . ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ﴾ (التوبة: 71). ص 160، 169
- 203 . ﴿وَمَرْضُونَ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ (التوبة: 72). ص 57
- 204 . ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفْرَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ (التوبة: 73). ص 9
- 205 . ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي﴾ (التوبة: 79). ص 224
- 206 . ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ (التوبة: 80). ص 68
- 207 . ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ﴾ (التوبة: 81). ص 21
- 208 . ﴿فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ﴾ (التوبة: 83). ص 68، 297
- 209 . ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا﴾ (التوبة: 84). ص 68، 297
- 210 . ﴿لَيْسَ عَلَى الضَّعْفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى﴾ (التوبة: 91). ص 4، 128، 129، 296
- 211 . ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ﴾ (التوبة: 92). ص 4، 108، 296
- 212 . ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ﴾ (التوبة: 93). ص 296
- 213 . ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ﴾ (التوبة: 97). ص 289
- 214 . ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ﴾ (التوبة: 103). ص 99
- 215 . ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ﴾ (التوبة: 111).. ص 14، 52، 189، 218، 296، 289

- ﴿ لَقَدْ نَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ ﴾ (التوبة: 117). ص 297 . 216
- ﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ﴾ (التوبة: 118). ص 69، 91، 297 . 217
- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا ﴾ (التوبة: 119). ص 91، 92 . 218
- ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يَصِيهُمُ ظَمًا وَلَا ﴾ (التوبة: 120). ص 3 . 219
- ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً ﴾ (التوبة: 122). ص 15، 178، 220، 298 . 220
- ﴿ أَوْ لَا يَرُونَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ ﴾ (التوبة: 126). ص 16 . 221
- ﴿ وَلَوْ يَعْلَمُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتَعْجَلَهُمْ ﴾ (يونس: 11). ص 113 . 222
- ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ ﴾ (يونس: 61). ص 87 . 223
- ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ مَرْزُقُهَا ﴾ (هود: 6). ص 70، 254 . 224
- ﴿ أَمْ يَقُولُونَ اقْتَرَاهُ قُلُوبَنَا فَآتَانَا بَعَثَ سِوَاهُ مِثْلِهِ ﴾ (هود: 13). ص 250 . 225
- ﴿ رَبِّ إِنِّي أَنبِيٌّ مِنْ أَهْلِي وَإِنْ وَعَدَكَ الْحَقُّ ﴾ (هود: 45). ص 161 . 226
- ﴿ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾ (هود: 46). ص 161 . 227
- ﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصْلَانِكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرُكَ مَا ﴾ (هود: 87). ص 226، 227 . 228
- ﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ ﴾ (يوسف: 47). ص 204، 212 . 229
- ﴿ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَخْتِصُونَ ﴾ (يوسف: 48). ص 204، 205 . 230
- ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ ﴾ (يوسف: 53). ص 7 . 231
- ﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ ﴾ (يوسف: 55). ص 97 . 232
- ﴿ فَلَمَّا جَهَنَّهُمْ بِهِمَا نُرُوجًا مَبْعُوثًا جَبَّحَهُمَا ﴾ (يوسف: 70). ص 138 . 233
- ﴿ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ ﴾ (يوسف: 76). ص 121، 138 . 234
- ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ ﴾ (الرعد: 28). ص 110 . 235
- ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا ﴾ (إبراهيم: 24). ص 177 . 236

237. ﴿تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ (إبراهيم: 25). ص 177
238. ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ (الحجر: 6). ص 248.
239. ﴿إِنَّ الْمَتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ (الحجر: 45). ص 89
240. ﴿قَالَ وَمَنْ يَنْتَظِرُ مِنْ مَرْحَمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ (الحجر: 56). ص 62
241. ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَمَرْنَاكَ إِلَىٰ أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ (النحل: 63). ص 8
242. ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ﴾ (النحل: 67). ص 111
243. ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ (النحل: 90). ص 178
244. ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾ (النحل: 91). ص 78
245. ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ﴾ (النحل: 125). ص 182
246. ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ﴾ (النحل: 126). ص 60، 71، 76
247. ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ (النحل: 128). ص 89
248. ﴿فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا﴾ (الإسراء: 5). ص 88
249. ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ﴾ (الإسراء: 11). ص 113
250. ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا﴾ (الإسراء: 29). ص 105، 227، 235
251. ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ حَشِيَّةً إِذَا لَقِيتُمْ نَجْسًا﴾ (الإسراء: 31). ص 66
252. ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ (الإسراء: 34). ص 78، 94
253. ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾ (الإسراء: 51). ص 33
254. ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ (الإسراء: 70). ص 49
255. ﴿فَاتَّبِعُوا أَمْرًا كَرِيمًا بِمِثْلِ مَا كَرَّمْنَا مِنْ قَبْلِ هَذِهِ﴾ (الكهف: 19). ص 136، 137
256. ﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ (الكهف: 67). ص 113
257. ﴿وَكَيفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾ (الكهف: 68). ص 113
258. ﴿هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ سَابِقٌ لِتَأْوِيلِ﴾ (الكهف: 78). ص 113

- 259 . ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقُرَيْشِينَ قُلْ سَأَتْلُوهُ...﴾ (الكهف:83) ص151
- 260 . ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَابْتِئَانَهُ مِنْ...﴾ (الكهف:84) ص151
- 261 . ﴿ثُمَّ اتَّبَعَ سَبِيلًا﴾ (الكهف:92) ص152
- 262 . ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا...﴾ (الكهف:93) ص152
- 263 . ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقُرَيْشِينَ لِمَ يَا جُوجُ وَمَا جُوجُ...﴾ (الكهف:94) ص152
- 264 . ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي...﴾ (الكهف:95) ص152
- 265 . ﴿أَتُونِي بِرُءُوسِ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ...﴾ (الكهف:96) ص152
- 266 . ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا...﴾ (الكهف:97) ص152
- 267 . ﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ...﴾ (الكهف:98) ص152
- 268 . ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ...﴾ (الكهف:110) ص86
- 269 . ﴿وَأَعْتَنُ لَكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ...﴾ (مريم:48) ص161
- 270 . ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ...﴾ (مريم:77) ص230
- 271 . ﴿أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ (مريم:78) ص230
- 272 . ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ (مريم:85) ص89
- 273 . ﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ وَيَلَكُمْ لَا تَقْتُلُوا عَلَيَّ...﴾ (طه:61) ص246
- 274 . ﴿فَتَنَاهَا عَمَّا أَمَرُوا لِيَوْمِ يَأْتِيهِمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى...﴾ (طه:62) ص246
- 275 . ﴿قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ رِدْءَانٍ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ...﴾ (طه:63) ص247
- 276 . ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ...﴾ (طه:132) ص7
- 277 . ﴿بَلْ تَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ...﴾ (الأنبياء:18) ص59
- 278 . ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَجَلٍ﴾ (الأنبياء:37) ص112
- 279 . ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صِنْعَةَ لُبِّسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ...﴾ (الأنبياء:80) ص230، 214
- 280 . ﴿أُذِّنُ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بَأْتِهِمْ ظُلْمًا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى...﴾ (الحج:39) ص240

281. ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا﴾ (الحج:40). ص22، 168
282. ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا﴾ (الحج:41). ص76، 145
283. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا امْرِكُوا وَاسْجُدُوا﴾ (الحج:77). ص101
284. ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ﴾ (الحج:78). ص2
285. ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعِ الْفَلَكَ بِالْعَيْنَيْنِ وَوَحَيْنَا﴾ (المؤمنون:27). ص230
286. ﴿وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ﴾ (النور:31). ص90
287. ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ﴾ (النور:51). ص118، 165
288. ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقِهِ﴾ (النور:52). ص165
289. ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ﴾ (النور:61). ص103، 128
290. ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ (النور:62). ص163، 240، 281
291. ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ﴾ (النور:63). ص166، 282
292. ﴿أَلَمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هُوَ لَا أَمْرُهُمْ﴾ (الفرقان:17). ص138
293. ﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ﴾ (الفرقان:52). ص3
294. ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ (الفرقان:63). ص45
295. ﴿الَّذِينَ يَبْتَغُونَ لِرَبِّهِمْ سُجْدًا وَقِيَامًا﴾ (الفرقان:64). ص45
296. ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ﴾ (الفرقان:67). ص227
297. ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ﴾ (الفرقان:70). ص103
298. ﴿وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾ (الفرقان:71). ص103
299. ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ مَرْبِي سَيِّدِينَ﴾ (الشعراء:62). ص112
300. ﴿وَأَنْزَلْنَا الْجَنَّةَ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (الشعراء:90). ص89
301. ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبُونَ﴾ (الشعراء:128). ص27، 225
302. ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَابِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ (الشعراء:129). ص27، 225

- 303 . ﴿وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ (الشعراء:130). ص 27، 225
- 304 . ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ (الشعراء:131). ص 225
- 305 . ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾ (الشعراء:181) ص 226
- 306 . ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تُهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌ﴾ (النمل:10) ص 150
- 307 . ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلْ حَسُنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي﴾ (النمل:11) ص 150
- 308 . ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ﴾ (النمل:12). ص 150
- 309 . ﴿حَتَّىٰ إِذَا اتَّوَا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا﴾ (النمل:18). ص 148
- 310 . ﴿فَتَبَسَّ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْفِرْ عَنِّي﴾ (النمل:19). ص 148
- 311 . ﴿وَوَفَّقَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِي لَا أَمْرِي الْهُدْهُدُ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ (النمل:20). ص 147، 150
- 312 . ﴿لَأَعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ (النمل:21). ص 147، 150
- 313 . ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطَّتْ بِمَا لَمْ﴾ (النمل:22). ص 147
- 314 . ﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ﴾ (النمل:23). ص 147
- 315 . ﴿اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ﴾ (النمل:28) ص 209
- 316 . ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيْكَ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾ (النمل:29). ص 25، 247
- 317 . ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ (النمل:30). ص 25، 247
- 318 . ﴿أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَيَّ وَأُتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ (النمل:31). ص 25، 247
- 319 . ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾ (النمل:32). ص 149
- 320 . ﴿نَحْنُ أَوْلُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ (النمل:33) ص 247
- 321 . ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَافَهُ﴾ (النمل:34). ص 209، 247
- 322 . ﴿وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ (النمل:37). ص 210
- 323 . ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ﴾ (النمل:38). ص 149، 156
- 324 . ﴿قَالَ عَفَرْتُ مِنَ الْجِنَّ أَنَا آتَيْكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ﴾ (النمل:39). ص 149، 156

325. ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ﴾ (النمل: 40). ص 149، 156
326. ﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرَشُكَ قَالَتْ﴾ (النمل: 42). ص 153
327. ﴿مَرَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ﴾ (النمل: 44). ص 231، 247
328. ﴿وَمَكْرُؤًا مَكْرُؤًا وَمَكْرُؤًا مَكْرُؤًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (النمل: 50). ص 129
329. ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضَعِفُ﴾ (القصص: 4). ص 26
330. ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيبِهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (القصص: 11). ص 136، 139، 209
331. ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا﴾ (القصص: 15). ص 137
332. ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ﴾ (القصص: 20). ص 190
333. ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبْتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ (القصص: 26). ص 124
334. ﴿فَأَمَّا مَنْ نَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾ (القصص: 67). ص 103
335. ﴿تِلْكَ الدَّامِرُ الْآخِرَةُ بَجَعَلَهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا﴾ (القصص: 83). ص 114
336. ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ﴾ (العنكبوت: 45). ص 99
337. ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (العنكبوت: 69). ص 10، 24
338. ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (الروم: 4). ص 196
339. ﴿بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (الروم: 5). ص 196
340. ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ﴾ (الروم: 30). ص 45
341. ﴿وَإِذَا أَدْقْنَا النَّاسَ مَرْحَمَةً فَرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِهِمْ سَيِّئَةً﴾ (الروم: 36). ص 62
342. ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الروم: 47). ص 244
343. ﴿يَا بَنِي آدَمَ اصْبِرُوا وَامْسُوا بِمَعْرُوفٍ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُتَكَبِّرِ﴾ (لقمان: 17). ص 8
344. ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يُهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ (السجدة: 24). ص 9
345. ﴿وَمَا جَعَلْ أَمْرًا وَاجِبًا لَكُمْ إِلَّا تَطَاهَرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ (الأحزاب: 4). ص 279
346. ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ﴾ (الأحزاب: 6). ص 280

- 347 . ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ﴾ (الأحزاب: 9) ص 283، 280، 29
- 348 . ﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾ (الأحزاب: 10) ص 283، 29
- 349 . ﴿هَتَاكَ أَتَيْتِ الْمُؤْمِنُونَ وَزَلُّوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ (الأحزاب: 11) ص 283، 32
- 350 . ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا﴾ (الأحزاب: 12) ص 284، 254
- 351 . ﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾ (الأحزاب: 13) ص 284، 281
- 352 . ﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ﴾ (الأحزاب: 16) ص 285
- 353 . ﴿قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ﴾ (الأحزاب: 17) ص 285
- 354 . ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ﴾ (الأحزاب: 18) ص 284
- 355 . ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ مَرَأَتْهُمُ﴾ (الأحزاب: 19) ص 285
- 356 . ﴿يَحْسِبُونَ الْأَخْرَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَخْرَابُ﴾ (الأحزاب: 20) ص 285
- 357 . ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (الأحزاب: 21) ص 286، 146
- 358 . ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَخْرَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا﴾ (الأحزاب: 22) ص 287
- 359 . ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ﴾ (الأحزاب: 23) ص 171، 103، 92، 287
- 360 . ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ﴾ (الأحزاب: 24) ص 103، 92
- 361 . ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ (الأحزاب: 25) ص 282
- 362 . ﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوا مِنْهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ﴾ (الأحزاب: 26) ص 287، 110
- 363 . ﴿وَأَوْمَرَ بِكُمْ أَرْضَهُمْ وَأَوْمَرَ لَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾ (الأحزاب: 27) ص 287
- 364 . ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَنْزِلَ عَلَيْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ مِنْ رَبِّكَ تُبَيِّنُ﴾ (الأحزاب: 28) ص 280
- 365 . ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ وَمَسُوعَةَ وَآلِدَارَهُ﴾ (الأحزاب: 29) ص 280
- 366 . ﴿نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنِ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبِينَةٍ يُضَاعَفْ﴾ (الأحزاب: 30) ص 280
- 367 . ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ (الأحزاب: 36) ص 196، 164، 41
- 368 . ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرَ غَنَاتِكُمْ لَكِي﴾ (الأحزاب: 37) ص 280

369. ﴿وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكُنِيَ بِاللَّهِ حَسْبِيَاً.....﴾ (الأحزاب: 39). ص 60
370. ﴿لَنْ لَمْ يَتَّهَمِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ.....﴾ (الأحزاب: 60) ص 61
371. ﴿يَوْمَ تَقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي التَّامِرِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا.....﴾ (الأحزاب: 66). ص 280
372. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (الأحزاب: 70). ص 189
373. ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.....﴾ (الأحزاب: 72). ص 280
374. ﴿وَأَنَّا لَهُ الْحَدِيدُ﴾ (سبأ: 10) ص 231
375. ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو.....﴾ (فاطر: 6). ص 8
376. ﴿وَقَفُّوهُمْ إِنْهُمْ مَسْئُورُونَ﴾ (الصافات: 24). ص 183،
377. ﴿فَسَاءَ صَبَّاحُ الْمُنْذَرِينَ﴾ (الصافات: 177) ص 257
378. ﴿وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ.....﴾ (ص: 4). ص 138، 248
379. ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ (الزمر: 11) ص 91
380. ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن.....﴾ (الزمر: 53) ص 62
381. ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ.....﴾ (غافر: 51). ص 244
382. ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ.....﴾ (فصلت: 30). ص 155
383. ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (فصلت: 33). ص 100
384. ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي.....﴾ (فصلت: 34). ص 174
385. ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ.....﴾ (الشورى: 38) ص 145، 170، 206، 209
386. ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾ (الشورى: 39). ص 134
387. ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى.....﴾ (الشورى: 40). ص 134، 60، 23
388. ﴿فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبِ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا.....﴾ (محمد: 4) ص 10، 24، 44، 54، 73، 244
389. ﴿سَيُهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بِالْهَمِّ﴾ (محمد: 5) ص 10، 24، 54، 244
390. ﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَافًا لَهُمْ﴾ (محمد: 6) ص 10، 54، 244

- 391 . ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَنَّوْنَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ﴾ (محمد:12). ص 26
- 392 . ﴿يَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نَزَّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا نَزَّلَتْ سُورَةٌ﴾ (محمد:20). ص 21، 273
- 393 . ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لَيَسِّرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ (الفتح:4). ص 56 ، 109
- 394 . ﴿لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ (الفتح:5). ص 59
- 395 . ﴿وَعَدَّكُمْ اللَّهُ مَعَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُ بِهَا فَعَجَلَ﴾ (الفتح:20). ص 24
- 396 . ﴿وَأَنْزَلَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ (الفتح:26). ص 109
- 397 . ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى﴾ (الفتح:29). ص 147، 151
- 398 . ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ (الحجرات:6). ص 61
- 399 . ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ﴾ (الحجرات:9). ص 10
- 400 . ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (الحجرات:10). ص 60
- 401 . ﴿إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَاكُمْ﴾ (الحجرات:13). ص 49
- 402 . ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ (الحجرات:15). ص 189، 131، 53، 245، 226
- 403 . ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ مَرْقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (ق:18). ص 136
- 404 . ﴿وَفِي السَّمَاءِ مَرْزِقٌ لَكُمْ وَمَا تُوْعَدُونَ﴾ (الذاريات:22). ص 66
- 405 . ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ﴾ (الذاريات:23). ص 66
- 406 . ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات:56). ص 45، 111
- 407 . ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ﴾ (الذاريات:57). ص 111
- 408 . ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعَيْمٍ﴾ (الطور:17). ص 94
- 409 . ﴿فَأَكْبَهِينَ بَمَا آتَاهُمْ بِمَا آتَاهُمْ مِنْهُمْ وَوَقَاهُمْ﴾ (الطور:18). ص 94
- 410 . ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الطور:33). ص 249
- 411 . ﴿فَلْيَا تَوْأْبِ حَتَّى يَبْلُغَ الْإِنْسَانُ أَجَلَ حَتَّى يَمُوتَ﴾ (الطور:34). ص 249
- 412 . ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ (الطور:35). ص 111

413. ﴿أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ﴾ (الطور: 36). ص111
414. ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ﴾ (القمر: 54). ص88
415. ﴿فِي مَعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ (القمر: 55). ص88
416. ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ﴾ (الرحمن: 46). ص89
417. ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ (الحديد: 4). ص92
418. ﴿وَأَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ﴾ (الحديد: 7). ص226
419. ﴿وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ (الحديد: 19). ص53
420. ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ وَاخِرَةٌ وَفَاخِرٌ.....﴾ (الحديد: 20). ص225
421. ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ.....﴾ (الحديد: 22). ص64
422. ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا.....﴾ (الحديد: 23). ص112، 128
423. ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ.....﴾ (الحديد: 25). ص230، 231
424. ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ.....﴾ (المجادلة: 7). ص87، 121
425. ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ.....﴾ (المجادلة: 22). ص160
426. ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ.....﴾ (الحشر: 2). ص250
427. ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْتَةٍ أَوْ نَرَكْتُمْوهَا قَائِمَةً عَلَى.....﴾ (الحشر: 5). ص76، 250
428. ﴿وَمَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أُوجِفْتُمْ.....﴾ (الحشر: 6). ص221
429. ﴿مَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ.....﴾ (الحشر: 7). ص221
430. ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ.....﴾ (الحشر: 8). ص188
431. ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّامِرَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ.....﴾ (الحشر: 9). ص106، 108
432. ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ حَاشِعًا.....﴾ (الحشر: 21). ص84
433. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ.....﴾ (الممتحنة: 1). ص160
434. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (الصف: 2). ص92، 171

- 435 . ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ . (الصف:3) . ص152، 171، 92
- 436 . ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا﴾ . (الصف:4) . ص126، 162، 92، 205، 214، 239
- 437 . ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّهُ﴾ . (الصف:8) . ص19
- 438 . ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ﴾ . (الصف:10) . ص189
- 439 . ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ . (الصف:11) . ص18، 189
- 440 . ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ﴾ . (التغابن:11) . ص110
- 441 . ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ . (الطلاق: 2) . ص219
- 442 . ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ . (الطلاق: 3) . ص219
- 443 . ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ﴾ . (الطلاق:7) . ص102، 182
- 444 . ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ﴾ . (الطلاق:12) . ص111
- 445 . ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتِ نُوحٍ﴾ . (التحريم:10) . ص162
- 446 . ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ . (الملك:12) . ص89
- 447 . ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ . (الملك:14) . ص41
- 448 . ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ﴾ . (الملك:20) . ص274
- 449 . ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ . (القلم:4) . ص98
- 450 . ﴿فَلَا تَطْعَمِ الْمُكْذِبِينَ﴾ . (القلم:9) . ص248
- 451 . ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فُيُودُهُنَّ﴾ . (القلم:10) . ص248
- 452 . ﴿فَذَمِّرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبْ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْمِرْ جُحُمَهُ﴾ . (القلم:44) . ص128
- 453 . ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ . (نوح:10) . ص219
- 454 . ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ . (نوح:11) . ص219
- 455 . ﴿وَيُمِدِّدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَأَنْبِيَاءٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلُ﴾ . (نوح:12) . ص219
- 456 . ﴿يَا أَيُّهَا الْمَنْزِيلُ﴾ . (المزمل:1) . ص84

457. ﴿قَمِ اللَّيْلَ إِنَّا قَلِيلًا﴾ (المزمل:2) ص84
458. ﴿نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا﴾ (المزمل:3) ص84
459. ﴿أَوْزِدْ عَلَيْهِ وَرَبِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ (المزمل:4) ص84
460. ﴿إِنَّا سُلِّمْنَا عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ (المزمل:5) ص84
461. ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ (المدثر:1) ص100
462. ﴿قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ (المدثر:2) ص100
463. ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ (المدثر:3) ص100
464. ﴿وَيَبِّأُكَ فَطَهِّرْ﴾ (المدثر:4) ص100
465. ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ (الانسان:8) ص72
466. ﴿إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ (الانسان:9) ص72
467. ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ.....﴾ (المطففين:29) ص248
468. ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَرُونَ﴾ (المطففين:30) ص248
469. ﴿وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾ (المطففين:31) ص248
470. ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُونَ﴾ (المطففين:32) ص248
471. ﴿فَذُوقْ فَلْحَ مِنْ زَكَّاهَا﴾ (الشمس:9) ص8
472. ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ (العلق:1) ص178
473. ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ (العلق:2) ص178
474. ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ (العلق:3) ص178
475. ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ (العلق:4) ص178
476. ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (العلق:5) ص178
477. ﴿مَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءً.....﴾ (البينة:5) ص237، 86
478. ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ (العاديات:6) ص108

- 479 . «وَأَنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لِشَهِيدٌ» (العاديات: 7) ص108
- 480 . «وَأَنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ» (العاديات: 8) ص108
- 481 . «إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ» (النصر: 1) ص23، 30
- 482 . «وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا» (النصر: 2) ص23، 30
- 483 . «فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا» (النصر: 3) ص23، 30
- 484 . «هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ» (النازعات: 15) ص26
- 485 . «إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى» (النازعات: 16) ص26
- 486 . «أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ» (النازعات: 17) ص26
- 487 . «فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَرَكَىٰ» (النازعات: 18) ص26
- 488 . «وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ» (النازعات: 19) ص26
- 489 . «فَأَمْرًا هَٰئِلَةً كُبْرَىٰ» (النازعات: 20) ص26
- 490 . «فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ» (النازعات: 21) ص26
- 491 . «ثُمَّ أَدْبَرَ سَعَىٰ» (النازعات: 22) ص26
- 492 . «فَحَشَرَ فَنَادَىٰ» (النازعات: 23) ص26
- 493 . «فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ» (النازعات: 24) ص26
- 494 . «وَتَوَّاصُوا بِالصَّبْرِ وَتَوَّاصُوا بِالْمَرْحَمَةِ» (البلد: 17) ص60
- 495 . «فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ» (الزلزلة: 7) ص41
- 496 . «وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ» (الزلزلة: 8) ص41
- 497 . «وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا» (العاديات: 1) ص255
- 498 . «فَالْمُورِيَّاتِ قَدْحًا» (العاديات: 2) ص255
- 499 . «فَالْمُعِيرَاتِ صُبْحًا» (العاديات: 3) ص255، 267
- 500 . «فَأَثَرُنَّ بِهِ قَطْعًا» (العاديات: 4) ص255

- 501 . ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾ . (العاديات:5). ص255
- 502 . ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ . (النصر:1) ص34
- 503 . ﴿وَمَرَأَتِ النَّاسِ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ . (النصر:2) ص34
- 504 . ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ . (النصر:3). ص34
- 505 . ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ . (المسد:1) . ص248
- 506 . ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾ . (المسد:2). ص248
- 507 . ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ . (المسد:3). ص248
- 508 . ﴿وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ . (المسد:4). ص248
- 509 . ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ . (المسد:5). ص248

ثانياً: فهرس الأحاديث الشريفة

رقم الصفحة	طرف الحديث	مسلسل
1	" لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية....."	1.
3	" لقد تركتم في المدينة أقواماً، ما سرتم مسيراً....."	2.
4	" من دل على خير فله مثل أجر فاعله....."	3.
4	" من توضأ فأحسن وضوءه، ثم راح فوجد الناس قد صلوا....."	4.
7	" المجاهد من جاهد نفسه لله....."	5.
11	" هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك، فتقوم....."	6.
12، 11	" لعدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها"	7.
12	" قيل يا رسول الله، أي الناس أفضل؟ فقال رسول الله ﷺ " مؤمن يجاهد....."	8.
12	" مثل المجاهد في سبيل الله-والله أعلم من يجاهد في سبيله- كمثل الصائم القائم....."	9.
12	" رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها، وموضع..."	10.
13	" تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة، إن أعطى..."	11.
13	" من جهز غازياً في سبيل الله فقد غزا، ومن خلف غازياً....."	12.
14	" الجهاد في سبيل الله، والإيمان بالله، أفضل الأعمال....."	13.
14	" يا أبا سعيد، من رضي بالله ربا، وبالإسلام ديناً....."	14.
15	" قال رجل: أين أنا يا رسول الله إن قتلت....."	15.
18	" لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا...."	16.
19	" أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله....."	17.
54+20	" ما من أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا....."	18.
21	" يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأكلة...."	19.
25	" خير أمتي القرن الذي بُعثتُ فيهم، ثم الذين يلونهم....."	20.
28	" إذا ضن الناس بالدينار والدرهم، وتبايعوا بالعينه....."	21.
43	" إنما بعثتُ لأتمم صالح الأخلاق....."	22.
43	" اغزوا باسم الله، وفي سبيل الله، وقاتلوا من كفر بالله....."	23.
45	" كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه....."	24.

25. "سئل: مَنْ أكرمُ الناس؟ فقال: "يوسف بن يعقوب....."
26. "غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر، فقال: يا رسول الله! غبتُ عن أول قتال قاتلت المشركين....."
27. "جاء عثمان إلى النبي ﷺ بألف دينار حين جهز جيش العسرة..."
28. "من خير معاش الناس لهم، رجلٌ ممسك عنان فرسه....."
29. "عينان لا تمسهما النار أبداً: عين بكت من خشية الله....."
30. "اجتنبوا السبعِ الموبقات". قالوا: يا رسول الله، وما هُنَّ....."
31. "أعطني قميصك أكفنه فيه، وصلِّ عليه، واستغفرْ له....."
32. "اغزوا باسم الله، في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله....."
33. "وُجِدَتْ امرأةٌ مقتولةٌ في بعض مغازي رسول الله ﷺ، فنهى رسول الله....."
34. "من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله"
35. "إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً، وابتغي به وجهه..."
36. "إنَّ الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة....."
37. "إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة....."
38. "أدِّ الأمانة إلى من أتمنك ولا تخن من خانك....."
39. "من استعملناه على عمل فرزقناه رزقاً فما أخذ بعد ذلك....."
40. "العامل على الصدقة بالحق، كالغازي في سبيل الله....."
41. "إذا حدث الرجل بالحديث ثم التفت؛ فهي أمانة....."
42. "عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد....."
43. "عن أبي هريرة ؓ، أن رجلاً أتى النبي ﷺ فبعث إلى نسائه...."
44. "لقد تركتم في المدينة أقواماً، ما سرتهم مسيراً....."
45. "من مات ولم يغز، ولم يحدث نفسه بغزو، مات على....."
46. "ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً....."
47. "وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة؛ ألا إن القوة الرمي....."
48. "الخيال معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة....."
49. "أجرى النبي ﷺ ما ضمَّ من الخيل من الحفياء إلى....."
50. "لو دخلتموها لم تزالوا فيها إلى يوم القيامة....."
51. "على المرء المسلم السمع والطاعة، فيما أحب وكره،....."
52. "عليك السمع والطاعة، في عسرك ويسرك، ومنشطك....."

- 122 .53 "الحربُ خَدَعَةٌ
- 127 .54 "عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: خرج رسول الله....."
- 127 .55 "رفع القلم عن ثلاثة: عن الصبي حتى يبلغ، وعن النائم....."
- 128 .56 "جهادكن الحج"
- 131 .57 "جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وأسننتكم....."
- 133 .58 "من لكعب بن الأشرف، فإنه قد آذى الله ورسوله....."
- 133 .59 "بعث رسول الله ﷺ رهطاً إلى أبي رافع....."
- 136 .60 "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً، أو ليصمت....."
- 146 .61 "وأعدو لهم ما استطعتم من قوة، ألا إن القوة الرمي....."
- 152 .62 "كان رسول الله ﷺ إذا فاتته الصلاة من الليل من....."
- 164 .63 "من أطاعني، فقد أطاع الله، ومن عصاني، فقد عصى الله....."
- 146 .64 "اسمعوا وأطيعوا، وإن استعمل عليكم عبد حبشي....."
- 146 .65 "السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره....."
- 170 .66 "عن جرير بن عبد الله قال: "بايعت النبي ﷺ على النصيح....."
- 170 .67 "الدين النصيحة" قلنا لمن؟ قال: "الله، وكتابه....."
- 172 .68 "اللهم إني أعوذ بك من الجوع؛ فإنه بئس الضجيع،....."
- 173 .69 "يا عائشة إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي....."
- 174 .70 "إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع....."
- 174 .71 "دعوه وأهريقوا على بوله ذنوباً من ماء، أو سجلاً....."
- 176 .72 "اللهم من ولى أمر أمتي شيئاً، فشق عليهم فاشقق....."
- 177 .73 "اتقوا النار ولو بشق تمرة، فإن لم يكن....."
- 187 .74 "من أصبح منكم آمناً في سربه معافى في جسده،....."
- 184، 181 .75 "كلكم راعٍ ومسئول عن رعيته: فالأمير الذي....."
- 185 .76 "من علم الرمي ثم تركه، فليس منا، أو قد....."
- 186 .77 "إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة....."
- 187 .78 "اسمعوا وأطيعوا، وإن استعمل عليكم عبد....."
- 190 .79 "الدين النصيحة" قلنا: لمن؟ قال: "الله وكتابه....."
- 190 .80 "بايعت رسول الله ﷺ على: إقام الصلاة،....."
- 201 .81 "من قتل قتيلاً له عليه بينه فله سلبه"
- 210 .82 "ألا رجلٌ يأتيني بخبر القوم، جعله الله معي....."

- 212 .83 "أنت فلان فإنه قد كان تجهز فمرض....."
- 213 .84 "لقد كنا نغزو مع رسول الله ﷺ نسقى"
- 223 .85 "لك بها يوم القيامة مائة ناقة، كلها مخطومة....."
- 230 .86 "كنت قَيْنًا بمكة، فعملت للعاص بن وائل السهمي سيفاً....."
- 249 .87 "بينما رسول الله ﷺ ساجد، وحوله ناس من قريش من....."
- 251 .88 "كان رسول الله ﷺ قلما يريد غزوة إلا ورى....."
- 252 .89 "من لكعب بن الأشرف فإنه قد آذى الله ورسوله؟" قال....."
- 252 .90 "أذن لي أن أقول، قال: قل"
- 252 .91 " لا يحل الكذب إلا في ثلاثٍ: يحدث الرجل امرأته....."
- 286 .92 "لما كان يوم الأحزاب رأيت رسول الله ﷺ ينقل من تراب....."
- 287 .93 "لما رجع النبي ﷺ من الخندق، ووضع السلاح، واغتسل،....."

ثالثاً: فهرس المراجع

- أ -

* القرآن الكريم.

- (1) الإتيان في علوم القرآن، للحافظ جلال الدين السيوطي، ط. دار التراث.
- (2) أثر الإسلام في تكوين الشخصية الجهادية للفرد والجماعة، د. محمد نعيم ياسين، دار الأرقم.
- (3) أحكام الجهاد وفضائله، عز الدين عبد العزيز، مكتبة دار الوفاء.
- (4) إحياء علوم الدين، للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي، دار الوثائق، القاهرة، ط1420هـ-2000م.
- (5) الإخوان المسلمون في حرب فلسطين، كامل الشريف، الزهراء للإعلام العربي، ط2، 1951م.
- (6) أدب الدنيا والدين لأبي الحسن البصري الماوردي، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة فيصل عيسى البابي الحلبي.
- (7) أسباب النزول، أبو الحسن علي بن أحمد النيسابوري، مكتبة الإيمان - المنصورة .
- (8) استراتيجية الفتوحات الإسلامية، "القادسية"، أحمد عادل كمال، دار النفائس، ط7، 1403هـ-1983م.
- (9) استراتيجية الفتوحات الإسلامية، " الطريق إلى المدائن"، أحمد عادل كمال، دار النفائس، ط5، 1404هـ-1984م.
- (10) استراتيجية الفتوحات الإسلامية، "سقوط المدائن ونهاية الدولة الساسانية"، أحمد عادل كمال، دار النفائس، ط3، 1404هـ-1984م.
- (11) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، د. محمد بن محمد أبو شهبة، مكتبة السنة، ط4، 1408هـ.
- (12) أضواء البيان في إيضاح القرآن، محمد أمين الشنقيطي، دار الفكر، بيروت، 1415هـ-1995م.
- (13) أطلس القرآن، د. شوقي أبو خليل، ط. دار الفكر، دمشق، ط2، 1423هـ-2002م.
- (14) إعجاز القرآن الكريم، د. فضل عباس، سناء عباس، لم يذكر عليه اسم دار النشر.
- (15) الحق بالقافلة، د. عبدالله عزام،
- (16) افتراءات حول غايات الجهاد، د. محمد نعيم ياسين، دار الأرقم.
- (17) أيسر التفاسير في كلام العلي الكبير، لأبي بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، ط3، 1418هـ-1997م.
- (18) الإيمان والحياة، د. يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، ط9، 1410هـ-1990م.

- ب -

(19) البداية والنهاية، للإمام الحافظ لأبي الفداء إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي، مكتبة الصفا، ط1، 1423هـ-2003م.

(20) بين العقيدة والقيادة، محمود شيت خطاب، دار الفكر - بيروت، ط 1423هـ-2002م.

- ت -

(21) تبصير المؤمنين بفقہ النصر والتمكين في القرآن الكريم، د. علي محمد محمد الصلابي، دار الفجر للتراث، ط1، 1424هـ-2004م.

(22) التبيان في علوم القرآن، محمد علي الصابوني، ط. مكتبة الغزالي، دمشق.

(23) تداوير الأمن في الإسلام، د. عبدالعظيم المطعني، دار الرائد للطباعة، ط1400هـ-1980م.

(24) التعبئة الجهادية في الإسلام، أحمد المومني، دار الأرقم - الأردن، ط1، 1406هـ-1986م..

(25) التربية الجهادية في القرآن الكريم طبيعتها وتطبيقاتها، بحث لنيل درجة الماجستير، حمدي سلمان معمر، 1414هـ-1994م.

(26) التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، دار القلم - بيروت، ط1.

(27) تفسير آيات الأحكام، للشيخ محمد علي السائيس، تحقيق د. عبدالحميد هندأوي، مؤسسة المختار - القاهرة، ط1، 2001م.

(28) تفسير الحسن البصري، جمع وتوثيق د. محمد عبدالرحيم، دار الحديث - القاهرة.

(29) تفسير الطبري، تهذيب وتحقيق د. بشار معروف، عصام الحرسستاني، مؤسسة الرسالة، ط1، 1423هـ-2002م.

(30) تفسير القرآن العظيم المعروف بتفسير المنار، محمد رشيد رضا، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1423هـ - 2002م.

(31) التمكين للأمة الإسلامية في ضوء القرآن الكريم، محمد السيد محمد يوسف، دار السلام، ط8، 1422هـ-2004م.

(32) تهذيب مشاريع الأشواق إلى مصارع العشاق في فضائل الجهاد، للإمام أحمد بن إبراهيم بن النحاس، تهذيب د. صلاح الخالدي، دار النفائس - الأردن، ط1، 1419هـ-1999م.

(33) تسهيل الدرب باختصار تفريح الكرب بفضائل شهيد المعارك والحرب، د. باسم فيصل الجوابرة، دار الراية.

(34) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للشيخ عبدالرحمن ناصر السعدي، مكتبة الصفا، ط1، 1422هـ-2002م.

- ج -

- (35) الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبدالله محمد بن أحمد القرطبي، دار الحديث القاهرة 1423هـ-2002م.
- (36) جند الله تحطيطاً، سعيد حوى، مؤسسة الخليج -القاهرة، ط1، 1408هـ- 1988م.
- (37) الجهاد الإسلامي .. أحكام وتطبيقات، د. إبراهيم العسل، دار بيروت المحروسة، 1411هـ- 1990م.
- (38)الجهاد سبيلنا، عبد الباقي رمزون، مطابع الشمال الكبرى - تبوك، ط1، 1406هـ- 1986م.
- (39) الجهاد طريق النصر، عبدالله غوشة، بدون دار نشر، ط 1396هـ - 1976م.
- (40) الجهاد في الإسلام بين الطلب والدفع، صالح اللحيدان، مكتبة الحرمين - الرياض.
- (41) الجهاد في الإسلام، عفيف البزري، دار الكرمل - دمشق، ط1، 1984م.
- (42) الجهاد في الإسلام، محمد شديد، مؤسسة الرسالة.
- (43) الجهاد في سبيل الله حقيقته وغايته، د. عبدالله بن أحمد القادري، دار المنارة - جدة، ط2، 1413هـ- 1992م.
- (44) الجهاد والفدائية في الإسلام، حسن أيوب، المطبعة العصرية - الكويت، ط1، 1397 - 1977م.
- (45) الجهاد والقتال في السياسة الشرعية، محمد خير هيكل، دار البيارق، دار الحديث - بيروت، ط2، 1417هـ- 1996م.
- (46) جولة تاريخية في حياة الخلفاء الراشدين، د. محمد السيد الوكيل، دار المجتمع - جدة، ط1، 1406هـ- 1986م.

- ح -

- (47)حاشية الخرشي، الإمام محمد بن عبدالله بن علي الخرشي المالكي، دار الكتب العلمية، ط1، 1417هـ-1997م.
- (48) الحرب النفسية، د. أحمد نوفل، دار الفرقان - الأردن، ط3، 1409هـ- 1989م.
- (49) الحرب النفسية من منظور إسلامي، د. أحمد نوفل، دار الفرقان، عمان - الأردن، ط2، 1407هـ- 1987م.
- (50) الحرب النفسية بيننا وبين العدو الإسرائيلي، د. أحمد نوفل، دار الفرقان - الأردن، ط1، 1407- 1986م.
- (51) حاشية ابن عابدين، (رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار) لمحمد أمين (ابن عابدين)، دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ- 1994م
- (52) حقائق قرآنية حول القضية الفلسطينية، د. صلاح الخالدي، دار المستقبل - الخليل، ط3.

(53) حقيقة الجهاد في الإسلام، د. محمد نعيم ياسين، دار الأرقم 1404هـ - 1984م.

- خ -

(54) خلق المسلم للغزالي، للشيخ محمد الغزالي، دار القلم، دمشق، ط2، 1400هـ - 1980م.

- د -

(55) الدر المنثور، للسيوطي.

(56) دراسات في الوحدة العسكرية العربية، محمود شيت خطاب، ط. دار الشئون الثقافية العامة - بغداد، ط4، 1987م.

(57) دراسة في السيرة، د. عماد الدين خليل، دار النفائس، مؤسسة الرسالة، ط13، 1412هـ - 1991م.

(58) الدعوة الإسلامية فريضة شرعية وضرورة بشرية، د. صادق أمين، دار التوزيع والنشر الإسلامية.

(59) الدفاع عن أراضي المسلمين أهم فروض الأعيان، د. عبدالله عزام، مكتبة المنار - الأردن، ط1، 1408هـ - 1987م.

(60) دليل التدريب القيادي، د. هشام يحيى الطالب، بدون دار نشر، 1416هـ - 1995م.

(61) الدهاء في الحرب، العماد حسن التركماني، ط. دار الفكر، بيروت.

- ر -

(62) الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري، دار إحياء الكتب العربية، ط2، 1411هـ - 1991م.

(63) الرسول القائد، محمد شيت خطاب، دار الفكر - بيروت، ط6، 1422هـ - 2002م.

- ز -

(64) زاد المعاد في هدي خير العباد، للإمام أبي عبدالله محمد ابن قيم الجوزية، تحقيق حمدي آل نوفل، مكتبة الصفا، 1423هـ - 2002م.

- س -

(65) السياسة العسكرية في عهد الرسول ﷺ، مصطفى أحمد كمال، دار الفكر العربي - القاهرة، 2000م.

(66) السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق: طه عبدالرؤوف سعد، نشر فيصل عيسى البابي الحلبي.

(67) السيرة النبوية، عرض ووقائع، وتحليل وأحداث، د. علي محمد الصلابي، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط2، 1424هـ - 2003م.

- ش -

- (68) شباب حول الرسول، إعداد لجنة التحقيق، مكتبة الإيمان بالمنصورة، ط1.
(69) شخصية المسلم كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنة،
(70) رياض الصالحين - النووي، للشيخ محمد بن صالح العثيمين، مكتبة الإيمان - المنصورة.
(71) الشهيد وأوسمته العشرة، محمد علي قطب، دار المختار الإسلامي.

- ص -

- (72) صراع الأدمغة، إسلام ناصر، ط1، 1995م.
(73) الصربيون، خنازير أوربا، د. عبدالحى الفرماوي، دار الاعتصام، ص1992م.
(74) صحيح الجامع الصغير وزيادته، جمعية إحياء التراث الإسلامي، ط3، 1421هـ - 2000م
(75) صحيح مسلم بشرح النووي، للإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي، دار الفجر للتراث - القاهرة، ط1، 1420هـ - 1999م.
(76) صور من جهاد الصحابة، (عمليات جهادية خاصة تنفذها مجموعات خاصة من الصحابة) د. صلاح الخالدي، دار القيم - دمشق، ط3، 1424هـ - 2003م.
(77) صور من حياة التابعين، د. عبدالرحمن الباشا، دار الأدب الإسلامي، ط15، 1997-1418هـ.

- ط -

- (78) طريق النصر في معركة الثأر، محمود شيت خطاب، دار قتيبية، ط3، 14045هـ - 1985م.

- ع -

- (79) العبرة مما جاء في الغزو والشهادة والهجرة، صديق بن حسن البخاري، دار الباز للنشر والتوزيع - مكة المكرمة.
(80) العسكرية الإسلامية وقادتها العظام، جمال يوسف الخلفات، بهاء الدين أسعد، دار المنارة - الأردن، ط2، 1403هـ - 1983م.
(81) العسكرية العربية الإسلامية، محمود شيت خطاب، دار الشروق، ط1، 1403هـ - 1983م.

- (82) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، للإمام بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العيني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- (83) عمليات الثأر المقدس، حسن سلامة، ص40، بدون دار نشر وتاريخ طباعة.
- (84) العملاء في ظل الاحتلال الإسرائيلي، د. خضر عباس، مطبعة الأمل التجارية، ط1، 1420هـ - 2004م.
- (85) العقد الفريد، لابن عبدربه الأندلسي، دار الفكر.

- ف -

- (86) الفاروق عمر، لمحمد حسين هيكل،
- (87) الفاروق القائد، محمود شيت خطاب، ط. دار الفكر.
- (88) فتح الباري، بشرح الإمام البخاري، للحافظ أحمد بن حجر العسقلاني، دار الريان للتراث، ط3، 1407هـ.
- (89) فتح القدر، الجامع بين الرواية والدراية في علم التفسير، للإمام محمد علي الشوكاني، دار الحديث - القاهرة، 1418هـ - 1997م.
- (90) فرسان الشهادة، إسلام ناصر، ط1، 1994م.
- (91) الفرسان العشرة في الإسلام، د. عاطف الطحاوي، مكتبة القرآن، ط1، 1990م.
- (92) الفقه الإسلامي وأدلته، د. وهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق، دار الفكر المعاصر بيروت، ط4، 1418هـ - 1997م..
- (93) فن الحرب الإسلامي، بسام العسلي، دار الفكر، 1408هـ - 1988م.
- (94) فن القيادة في الإسلام، الركن أحمد عبد ربه بصبوص، مكتبة المنارة - الأردن، ط1، 1408هـ - 1988م.
- (95) في الجهاد .. آداب وأحكام، د. عبدالله عزام، دار بن حزم، مكتبة الجيل الجديد صنعاء، 1410هـ - 1990.
- (96) في ظلال القرآن ، سيد قطب ، دار الشروق، ط32، 1423هـ - 2003م.

- ق -

- (97) قصص الأنبياء لأبي الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير القرشي، دار إحياء الكتب العربية.
- (98) القائد القدوة على طريق الدعوة، مصطفى مشهور، دار التوزيع والنشر الإسلامية.
- (99) قصص القرآن، محمد أحمد جاد المولى وآخرون، دار الكتب العلمية - بيروت.

- (100) قواعد التفسير جمعاً ودراسة، د. خالد عثمان السبت، دار ابن عفان - القاهرة، ط1، 1421هـ.
- (101) القيادة والجنديّة في الإسلام، (الجنديّة)، د. محمد السيد الوكيل، دار الوفاء - المنصورة، ط2، 1408هـ-1988م.
- (102) القيادة والجنديّة في الإسلام، (القيادة)، د. محمد السيد الوكيل، دار الوفاء - المنصورة، ط3، 1408هـ-1988م.
- (103) القيادة المؤثرة، جمال ماضي، ط. المدائن للنشر والتوزيع.

- ك -

- (104) الكشف، للزمخشري، دار إحياء التراث العربي.
- (105) الكشف المبين عن مناهج المحدثين، د. أحمد أبو حلبية، ط1، 1996م.
- (106) كيف نفهم الأمن، السعيد بن سليم، ط1، 2005م.

- ل -

- (107) لباب النقول في أسباب النزول، للعلامة جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق محمود بن الجميل، مكتبة الصفا، ط1، 1423هـ-2002م.
- (108) لسان العرب، للإمام العلامة ابن منظور، دار الحديث القاهرة، ط1، 1423هـ-2003م.

- م -

- (109) مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، مؤسسة الرسالة، 35، 1419هـ-1998م..
- (110) مجلة الجندي المسلم، العدد 112.
- (111) مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البناء، المؤسسة الإسلامية- بيروت.
- (112) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، ط. دار الكتب العلمية.
- (113) مختصر تفسير ابن كثير، محمد علي الصابوني، دار الصابوني.
- (114) مدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، د. يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، ط1، 1411هـ-1991م.
- (115) مذكرة بعنوان (الواجبات العامة للقائد والجندي) صادرة عن جهاز الأمن الوطني، بدون تاريخ.
- (116) المذهب العسكري الإسلامي، بسام العسلي، دار النفائس، ط1، 1413هـ-1993م.
- (117) المسلمون وجهادهم ضد الروم، د. صابر محمد دياب، مكتبة السلام العالمية.
- (118) المصنف الحديث في أسباب النزول، عبدالله إسماعيل عمار، آفاق للطباعة والنشر - غزة، ط1، 1419هـ-1999م.
- (119) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبدالباقي، دار الحديث، ط1422-2001م.

- (120) المعجم الوسيط، د. إبراهيم أنيس وآخرون، بدون دار نشر.
- (121) المغازي، لمحمد بن عمرو بن واقد، عالم الكتب بيروت.
- (122) مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، دار ابن عفان، ط2، 1422هـ - 2001م
- (123) المنهج التربوي للسيرة النبوية (التربية الجهادية) منير محمد الغضبان، دار الوفاء - المنصورة، 1412هـ.
- (124) منهج الإسلام في تربية الجندي المسلم، د. محمد إبراهيم نصر، دار الأصالة للثقافة والنشر والإعلام - الرياض، ط1، 1401هـ - 1981م.
- (125) المنهج الحركي للسيرة النبوية، مكتبة المنار - الأردن، ط5، 1410هـ - 1989م.
- (126) منهج الرسول في غرس روح الجهاد في نفوس أصحابه، د. السيد محمد نوح، ط. 1413هـ.
- (127) من خصائص النفس البشرية في القرآن الكريم، محمد عبدالرحيم عدس، مكتبة المنار - الأردن، ط1، 1405، 1985م.

- ن -

- (128) النظرية الإسلامية في تقاليد الجندية وآداب الحرب، اللواء الركن/ محمد جمال الدين محفوظ، دار الاعتصام.
- (129) نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، الشيخ محمد الخضير، تحقيق سمير أحمد العطا، دار الحديث، ط1، 1422هـ - 2001م.

- و -

- (130) الولاء والبراء في الإسلام، محمد بن سعيد القحطاني، دار الرشاد، 1402هـ.

المقالات:

قد استعنت بمجموعة كبيرة من المقالات بعضها بشكل مباشر، وبعضها بشكل ثانوي، وأسجل هنا هذه المقالات:

(1) أحكام الأسرى في الإسلام، د. يوسف القرضاوي، على موقع إسلام أون لاين.نت
www.islamonline.net

(2) أسلحة لا يصنعها البشر، محمد عبدالله الشمراني، موقع مجلة الجندي المسلم.
www.jmuslim.naseej.com

(3) الاستراتيجية العسكرية بين الإسلام والغرب (2+1)، فهد بن عبدالرحمن الخريجي، موقع مجلة الجندي المسلم.

(4) أقباس من العسكرية الإسلامية في القرآن الكريم، مجلة البحوث الإسلامية، الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء، العدد2، 1395هـ، ص163.

(5) أمانة إعداد القوة بين السلف والخلف، اللواء/ محمد جمال الدين محفوظ، موقع الفسطاط،
www.fustat.com

(6) الثبات في الصف، فهد بن علي العندس، موقع مجلة الجندي المسلم.

(7) الجهاد والحرب بين المبادئ والمصالح، أ. معتز الخطيب، موقع إسلام أون لاين.نت.

(8) دور العقيدة الصحيحة في الجندية المعاصرة، د. جيران بن مرعي القحطاني، موقع مجلة الجندي المسلم.

(9) العسكرية الإسلامية، القائد المسلم ومسئولية التربية، (2+1).

(10) العسكرية الإسلامية في القرآن الكريم، بندر بن عبدالله النذير، موقع مجلة الجندي المسلم.

(11) العقيدة العسكرية الإسلامية، بندر بن عبدالله النذير، موقع مجلة الجندي المسلم.

(12) مقال بعنوان (العقيدة العسكرية الإسلامية) لبندر بن عبدالله النذير، على الإنترنت في مجلة الجندي المسلم

(13) مقال للدكتور القرضاوي، بعنوان "لا يقتل إلا من يقاتل" على موقع إسلام أون لاين.

(14) مقال للسيد اللواء محمد جمال الدين محفوظ بعنوان: "العقيدة العسكرية الإسلامية" على الإنترنت،
موقع الفسطاط

(15) المدرسة العسكرية الإسلامية، اللواء/ محمد جمال الدين محفوظ، موقع إسلام أون لاين.

(16) نظرة في مختصر سياسة الحروب، هاني عبدالرحيم العزيمي، موقع مجلة الجندي المسلم.

رابعاً: فهرس تراجم الأعلام

رقم الصفحة التي ورد فيها	العلم
221	أبو دجانة (سماك بن خرشة)
72	أبو عزيز بن عمير
94	أبي عياش الزرقى
252	أسماء بنت يزيد
80	الأخنس بن شريق الثقفي
175	النعمان بن مقرن
154	ثابت بن أقرم
107	زياد بن السكن
132	سعيد بن المسيب
80	سهيل بن عمرو
120	سواد بن غزية
96	عامر بن قيس
97	عبدالله بن بريدة
242، 139	عبدالله بن جحش
133	عبدالله بن عتيك
252، 133	محمد بن سلمة
69	مرارة بن الربيع
69	هلال بن أمية

خامساً: فهرس الموضوعات

ب	إهداء.....
ت	أمل ورجاء.....
ث	المقدمة.....
ج	أولاً: أهمية الموضوع وبواعث الاختيار.....
خ	ثانياً: أهداف البحث.....
خ	ثالثاً: طبيعة عملي في هذا البحث.....
د	رابعاً: الجهود السابقة.....
ذ	خامساً: خطة البحث.....
ص	شكر و عرفان.....
	تمهيد:
1	نبذة عن الجهاد في سبيل الله
1	البند الأول : مفهوم الجهاد، وبيان علاقته بالنظرية العسكرية.....
1	النقطة الأولى: تعريف الجهاد.....
5	النقطة الثانية: النظرية العسكرية وعلاقتها بفريضة الجهاد.....
6	البند الثاني: أنواع الجهاد ومراتبه.....
7	القسم الأول: الجهاد المعنوي.....
10	القسم الثاني: الجهاد المادي.....
10	البند الثالث: فضل الجهاد والمجاهدين.....
11	النقطة الأولى: الجهاد من أفضل الأعمال.....
11	النقطة الثانية: أفضل الناس مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله.....
12	النقطة الثالثة: فضل الرباط في سبيل الله.....
13	النقطة الرابعة: تجهيز الغزاة.. من الجهاد.....
14	النقطة الخامسة: من قُتل في سبيل الله كُفرت خطاياهُ إلا ديون العباد.....
14	النقطة السادسة: الجنة جزاء المجاهدين الصادقين.....
15	البند الرابع: حُكم الجهاد.....
15	النقطة الأولى: حكم الجهاد إذا لم يكن النفير عاماً.....
16	النقطة الثانية: حكم الجهاد إن كان النفير عاماً.....

- 17 النقطة الثالثة: الحالات التي يتعين فيها الجهاد، سواء كان طلباً أم دفعاً.....
- 18 البند الخامس: غايات الجهاد في سبيل الله.....
- 23 البند السادس: ثمرات الجهاد في سبيل الله.....
- 25 البند السابع: مخاطر ترك الجهاد في سبيل الله.....
- 30 البند الثامن: حاجة الأمة إلى الجهاد.....
- 32 البند التاسع: السبيل إلى إعادة الثقة بالانتصار، وبناء الروح الجهادية.....

34

الفصل الأول:

العقيدة العسكرية في القرآن الكريم

- 35 المبحث الأول: نبذة مختصرة حول العقيدة العسكرية الإسلامية.....
- 36 المطلب الأول: تعريف العقيدة العسكرية الإسلامية، وبيان أهميتها.....
- 36 الفرع الأول: تعريف العقيدة العسكرية الإسلامية.....
- 37 الفرع الثاني: أهمية العقيدة العسكرية الإسلامية.....
- 39 المطلب الثاني: مصادر العقيدة العسكرية الإسلامية، وخصائصها.....
- 39 الفرع الأول: مصادر العقيدة العسكرية الإسلامية.....
- 40 الفرع الثاني: خصائص العقيدة العسكرية الإسلامية.....
- 49 المبحث الثاني: العقيدة العسكرية للجندى المسلم.....
- 49 المطلب الأول: العقيدة العسكرية القرآنية، وأثرها في تعميق روح الجهاد.....
- 55 المطلب الثاني: العقيدة العسكرية القرآنية، وأثرها في بناء شخصية الجندى.....
- 63 المطلب الثالث: العقيدة العسكرية القرآنية، وأثرها في علاج ضعف الجندى.....
- 70 المبحث الثالث: العقيدة العسكرية الإسلامية في التعامل مع الأعداء...
- 70 المطلب الأول: التعامل مع القتلى، والأسرى من الأعداء.....
- 70 الفرع الأول: التعامل مع القتلى من الأعداء.....
- 72 الفرع الثاني: التعامل مع أسرى الأعداء.....
- 73 المطلب الثاني: التعامل مع غير المقاتلين من الأعداء.....
- 75 المطلب الثالث: التعامل مع المرافق المختلفة لمجتمع الأعداء.....
- 75 الفرع الأول: بعض النصوص التي تدعو إلى الحفاظ على مرافق مجتمع الأعداء....
- 76 الفرع الثاني: الحالات التي يجوز فيها تدمير بعض ممتلكات العدو.....

77	المطلب الرابع: العهود والمواثيق مع الأعداء.....
77	الفرع الأول: بعض النصوص الواردة في مشروعية العهود والمواثيق مع الأعداء.
78	الفرع الثاني: حكم الالتزام بالعهود والمواثيق.....
78	الفرع الثالث: وجوب الالتزام بالمعاهدات ليس أبدياً.....
79	الفرع الرابع: نموذج من بستان العقيدة العسكرية الإسلامية للوفاء بالعهود.....

الفصل الثاني:

82	نظريات قرآنية في إعداد الجندي، والقائد
83	المبحث الأول: الإعداد الشخصي والنفسي للجندي المسلم.....
83	المطلب الأول: أهمية الإعداد.....
85	المطلب الثاني: الإعداد الإيماني، والروحاني.....
91	المطلب الثالث: الإعداد السلوكي والأخلاقي.....
91	الفرع الأول: الصدق.....
93	الفرع الثاني: الحذر واليقظة.....
94	الفرع الثالث: الوفاء بالعهد.....
95	الفرع الرابع: الأمانة.....
98	الفرع الخامس: الحرص على مكارم الأخلاق.....
100	المطلب الرابع الإعداد الدعوي والحركي.....
100	الفرع الأول: داعية إلى الحق والمعروف.....
100	الفرع الثاني: الحرص على نفع الناس، ودفع الضر عنهم.....
101	الفرع الثالث: الإيمان بالواقعية والعملية.....
104	الفرع الرابع: الإيمان بالعمل الجماعي.....
105	الفرع الخامس: التوازن والاعتدال.....
106	المطلب الخامس الإعداد النفسي.....
106	الفرع الأول: الإيثار.....
108	الفرع الثاني: حماسة القلب.....
109	الفرع الثالث: سكينه النفس.....
112	الفرع الرابع: اجتناب العجلة والتسرع.....

113 الفرع الخامس: التواضع
115المبحث الثاني:الإعداد العسكري للجندي المسلم
115المطلب الأول: الإعداد العسكري العام
115 الفرع الأول: التدريب
117 الفرع الثاني: الانضباط
121 الفرع الثالث: الدهاء، وقوة المكر بالأعداء
123الفرع الرابع: اللياقة البدنية، والقوة الجسمية
124المطلب الثاني: الإعداد العسكري الخاص
125 الفرع الأول: الجيش النظامي، وشروط التجنيد
129 الفرع الثاني: الجيش الاحتياطي
132 الفرع الثالث: المجموعات العسكرية ذات المهمات الخاصة
141 الفرع الرابع: النساء والفتيان في الجيش الإسلامي، أو في الشؤون العسكرية
143المبحث الثالث: الإعداد الشخصي والنفسي للقائد
143المطلب الأول: وقفات مع القائد والقيادة
143 الفرع الأول: تعريف القيادة والقائد
144 الفرع الثاني: أهمية القيادة
145 الفرع الثالث: مفهوم القيادة في الإسلام
145 الفرع الرابع: نظرية الإسلام في إعداد القادة
147المطلب الثاني: صفات القائد، وخصائصه
147 الفرع الأول: المبادأة والمبادرة
148 الفرع الثاني: تقبل الآراء الأخرى وتشجيعها
149 الفرع الثالث: استغلال الوقت، وتوظيفه بشكل جيد
150 الفرع الرابع: تدريب الجنود لما سيواجههم من مشكلات
150 الفرع الخامس: المتابعة المستمرة
151 الفرع السادس: التركيز على الأداء الجماعي
152 الفرع السابع: أن يدرك أنه الأسوة والقُدوة لجنوده
153 الفرع الثامن: الدهاء، والتصرف الحكيم

155	الفرع التاسع: المعرفة، والخبرة بأمور الحرب ومبادئها
155	الفرع العاشر: إسناد الأمور إلى الأكثر كفاءة
156	الفرع الحادي عشر: القدرة على التخطيط
الفصل الثالث:		
158		الواجبات والحقوق بين الجندي والقيادة في ضوء القرآن الكريم
159	المبحث الأول: واجبات الجند، وحقوقهم
159	المطلب الأول: واجبات الجند
159	الفرع الأول: الولاء
162	الفرع الثاني: السمع والطاعة
167	الفرع الثالث: حماية الإسلام والدفاع عنه
169	الفرع الرابع: التعاون
171	الفرع الخامس: حفظ أسرار الجيش والدولة
172	الفرع السادس: الحفاظ على السلاح
173	المطلب الثاني: حقوق الجند
173	الفرع الأول: الرفق بالجنود، والحفاظ على أرواحهم
176	الفرع الثاني: احترام آراء الجند
176	الفرع الثالث: القيام على مصالحهم، وقضاء حوائجهم
178	الفرع الرابع: العدل بين الجنود
180	المبحث الثاني: واجبات القائد، وحقوقه
180	المطلب الأول: واجبات القائد
180	الفرع الأول: تنفيذ الشريعة وتطبيق الإسلام
182	الفرع الثاني: نشر الدعوة
183	الفرع الثالث: تحمل المسؤولية
184	الفرع الرابع: المحافظة على أرواح الجند
185	الفرع الخامس: تأهيل الجند وتطويرهم
185	الفرع السادس: وضع كل إنسان في الموضع الذي يناسبه
186	المطلب الثاني: حقوق القائد

186 الفرع الأول: الطاعة
187 الفرع الثاني: المساندة والمناصرة
190 الفرع الثالث: النصح والتسديد
192 المبحث الثالث: نموذج لقائد وجندي قدمهما لنا القرآن الكريم
192 وقفات مع آيات قصة طالوت
193 الوقفة الأولى: واجب القيادة
193 الوقفة الثانية: القائد أولاً
193 الوقفة الثالثة: التذكير بالمعاني الأصيلة
194 الوقفة الرابعة: التبصير بالعواقب
194 الوقفة الخامسة: اختبار القول
194 الوقفة السادسة: أخذ الفكرة لا الشخص
195 الوقفة السابعة: المال ليس معياراً في التقديم والتأخير للقيادة
195 الوقفة الثامنة: مقومات القيادة العسكرية
196 الوقفة التاسعة: لله الأمر
196 الوقفة العاشرة: إنهاء الريب قبل المواجهة
197 الوقفة الحادية عشرة: الاختبارات القبليّة
197 الوقفة الثانية عشرة: لا تصحبوا الخبّال
198 الوقفة الثالثة عشرة: مراعاة الواقعية
198 الوقفة الرابعة عشرة: جنود مدرسة الإيمان، لا يعرفون الخذلان
198 الوقفة الخامسة عشرة: إن ينصركم الله فلا غالب لكم
199 الوقفة السادسة عشر: الذكر والدعاء طريق الثبات والنصر
200 الوقفة السابعة عشرة: داود المغمور، جندي مخلص
202 الفصل الرابع:

النظريات القرآنية في الخطط العسكرية وبرامجها

- 203المبحث الأول: التخطيط الإداري، والمالي، وبرامج التسليح.....
- 203المطلب الأول: التخطيط الإداري.....
- 203الفرع الأول: الدور الإداري في تحقيق النصر.....
- 207الفرع الثاني: الهيكل التنظيمي للجيش الإسلامي.....
- 218المطلب الثاني:التخطيط المالي.....
- 218الفرع الأول: أساسيات في الخطة الاقتصادية.....
- 221الفرع الثاني: الموارد المالية للجيش المسلم.....
- 224الفرع الثالث: الإنفاق في سبيل الله بين أمس و اليوم.....
- 227المطلب الثالث: برامج التسليح.....
- 228الفرع الأول: تطور السلاح عند المسلمين الأوائل.....
- 228الفرع الثاني: مصادر السلاح للجيش الإسلامي.....
- 232المبحث الثاني: أصول الحرب كما يعرضها القرآن الكريم.....
- 232المطلب الأول: مبادئ الحرب العسكرية في القرآن الكريم.....
- 246المطلب الثاني:الحرب النفسية والإعلامية في القرآن الكريم.....
- 246الفرع الأول: مواقف قرآنية في تصوير الحرب النفسية.....
- 247الفرع الثاني: الحرب الإعلامية والنفسية ضد المسلمين كما يصورها القرآن الكريم .
- 250الفرع الثالث: الحرب النفسية ودورها في المعارك.....
- 251الفرع الرابع: استخدام الكذب والتضليل في الحرب النفسية.....
- 252الفرع الخامس: امتلاك وسائل إعلام حديثة ضرورة ملحة.....
- 253الفرع السادس: وسائل الوقاية من الحرب النفسية المعادية.....
- 255المطلب الثالث: مبادئ الحرب من خلال النظرية العسكرية في سورة العاديات....
- 255الوقفه الأولى: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾.....
- 256الوقفه الثانية: ﴿فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا﴾.....
- 257الوقفه الثالثة: ﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا﴾.....
- 258الوقفه الرابعة: ﴿فَأَثَرُنَّ بِهِ نَقْعًا﴾.....
- 258الوقفه الخامسة: ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾.....
- 259الوقفه السادسة:تطبيق المبادئ العسكرية في هذه الآيات يعطينا قوة إدارية، ونجاحاً

 فعلياً، وإنجازاً كبيراً.....
260	الفصل الخامس: دراسة عسكرية لمعارك سجلها القرآن الكريم
261	المبحث الأول:دراسة عسكرية لآيات غزوة أحد من سورة آل عمران.....
262	المطلب الأول: وقفات حول سورة آل عمران، وغزوة أحد.....
262	الفرع الأول: مع سورة آل عمران.....
264	الفرع الثاني معطيات حول غزوة أحد:.....
266	المطلب الثاني:الدروس العسكرية في آيات غزوة أحد.....
266	الدرس الأول: قيادة راشدة، وإدارة ناجحة، وخطة محكمة.....
267	الدرس الثاني: التذكير بالإنجازات عند المحاسبة، ونسبة الفضل لأهله.....
268	الدرس الثالث: وما النصر إلا من عند الله.....
268	الدرس الرابع: النصر ثمرة القيم الأخلاقية، والطاعة الربانية.....
271	الدرس الخامس: بين محاسبة المنتصر، ومحاسبة المصاب.....
272	الدرس السادس: المناقشة الرقيقة الموجهة
273	الدرس السابع: الانتماء للدعوة لا إلى الأشخاص.....
274	الدرس الثامن: بناء العقيدة العسكرية الصحيحة.....
275	الدرس التاسع: ضرب المثل بالمجاهدين السابقين.....
275	الدرس العاشر: المعصية طريق الهزيمة:.....
276	الدرس الحادي عشر: الارتقاء إلى الصراحة في النقاش، وتصوير مواضع الخلل.....
277	الدرس الثاني عشر: الشورى ضرورة عسكرية.....

277	الدرس الثالث عشر: الحرب النفسية، ومواجهة القرآن لها.....
278	الدرس الرابع عشر: تكريم المجاهدين الصادقين.....
279	المبحث الثاني: دراسة عسكرية لآيات غزوة الخندق من سورة الأحزاب..
279	المطلب الأول: وقفات مع سورة الأحزاب، وغزوتها.....
279	الفرع الأول: مع سورة الأحزاب.....
281	الفرع الثاني: معطيات حول غزوة الخندق.....
282	المطلب الثاني: الدروس العسكرية في آيات غزوة الأحزاب.....
283	الدرس الأول: الله الفضل والمنة.....
283	الدرس الثاني: الجندي المؤمن ثابت وسط المحن.....
284	الدرس الثالث: المنافقون هم الأخطر على الصف الإسلامي.....
285	الدرس الرابع: الله الأمر كله.....
285	الدرس الخامس: أمارات المنافق.....
286	الدرس السادس: القائد القدوة.....
287	الدرس السابع: صدق الانتماء، ومظهرُ الوفاء.....
287	الدرس الثامن: جزاء الغادرين، وتأديب الناكثين.....
288	المبحث الثالث: دراسة عسكرية لآيات غزوة تبوك من سورة التوبة....
288	المطلب الأول: وقفات حول سورة التوبة، وغزوة تبوك.....
288	الفرع الأول: إشارات حول سورة التوبة.....
289	الفرع الثاني: معطيات حول غزوة تبوك.....
291	المطلب الثاني: الدروس العسكرية في آيات غزوة تبوك من سورة التوبة.....
291	الدرس الأول: تحقيق نظرية المبادأة.....

291	الدرس الثاني: اختبار القصد وإدامته
292	الدرس الثالث: ضرورة توفير القناة القتالية
292	الدرس الرابع: التحريض والتعبئة
293	الدرس الخامس: الحشد
293	الدرس السادس: اختبار مصداقية الجند
293	الدرس السابع: تحقيق مبدأ الإيجابية
294	الدرس الثامن: تحقيق مبدأ الإدارة والتخطيط
294	الدرس التاسع: اختيار طالب الشهادة، لا طالب المنفعة والسيادة
295	الدرس العاشر: تحقيق الأمن النفسي للجندي
295	الدرس الحادي عشر: الجهاد يفضح المناققين
296	الدرس الثاني عشر: التكليف على قدر الاستطاعة
296	الدرس الثالث عشر: بناء العقيدة العسكرية
297	الدرس الرابع عشر: مبدأ مكافأة المضحى
298	الدرس الخامس عشر: معاقبة المقصر
298	الدرس السادس عشر: الاقتصاد في الجهد
308	فهرس الآيات
332	فهرس الأحاديث
336	المراجع
345	فهرس تراجم الأعلام
346	فهرس الموضوعات